الروائي الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

دين كونتز

DEAN KOONTZ

سماء كبيرة مُظلمة

THE BIG DARK SKY

فريق متميزون
E-BOOK

بيع من رواياته أكثر من خمسمائة مليون نسخة وتُرجمت إلى 38 لغة عالمية

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سماء كبيرة مظلمة

دين كونتز

تعريب: اسماعيل كاظم

عن الرواية..

ولدت جوانا تشيش في مونتانا وتحديداً في مزرعة راسلنغ ويلوز، ولكن بعد موت والدتها غرقاً في البحيرة، وموت والدها بعد ذلك بأسبوع عندما هاجمه دبّ ومزقه أشلاءً غادرت لتقيم مع خالتها؛ حيث كبرت ونسيت أو أُنسيت أيّ شيء عن تلك الأيام! بعد أربع وعشرين سنة، بدأت أمور غريبة تحصل، وبدأت جوانا تتلقّى مناشدات عبر هواتفها والأجهزة الكهربائية في منزلها تطلب منها التالي: "أنا في مكان مظلم، أنا ضائع، تلك السماء المظلمة والمرعبة الكبيرة تحيط بي، أشكل خطراً على نفسي وعلى الآخرين، أنتِ فقط بإمكانك مساعدتي يا جوجو، من فضلك تعالي وساعديني". عندها وجدت نفسها مضطرة للعودة إلى المزرعة التي شهدت مأساة طفولتها وإلى صديق طفولتها الذي غاب عن بالها لسنوات طويلة.

تتوالى الأحداث لتكشف عن رجل يدعى كزانتوس تولر يقيم في ضواحي المزرعة لديه مفاهيم غريبة وحاقد على البشر، يرى أن هناك ميزتين تميزان البشر من سائر الكائنات، وهما الأمل والطموح، وهما ما يجعلان من البشرية وباءً يهدّد الأرض، فالأمل يقود إلى الطموح الذي يحمل البشر على البناء من خلال أنشطة تُخرّب هذا الكوكب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حيث يسود الحب لا يعود للقوة سيطرة،
وحيث تسيطر القوة ينقص الحب، إن الفرد
لا يعدو عن كونه انعكاساً للآخرين.
كارل غوستاف يونغ

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القسم الأول

مزرعة راسلنغ ويلوز

تُسمى المصادفات التي تحدث بشكل لا يصدق
ومن دون أي سبب واضح تزامناً.
وربما من الأفضل اعتبارها أجزاء طبيعية من
هذه الحياة.

غانيش باتيل

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1

منذ أربعة وعشرين عاماً

في حياة كل شخص، تحصل مصادفات غريبة، وفي بعض الأحيان، تكون هذه المصادفات خارقة للطبيعة. بهذه المناسبة، وتحت سماء مونتانا الواسعة غير المُقمرة، وحيث يُخيم ظلام الليل على كل شيء عندما تنظر من النافذة الواسعة، وحيث يكون مصدر الضوء الوحيد في الغرفة هو التلفاز، هناك فتاة تجلس وتتواصل مع الموتى.

تبلغ هذه الفتاة من العمر تسعة أعوام، وتدعى جوانا تشيس، ولكن الجميع يلقّبونها بجوجو، إنها طفلة سعيدة لم يعرف الحزن طريقه إليها، إلّا منذ اثني عشر يوماً، عندما توفيت أمها إيميليا. لقد كانتا أكثر من مجرد أم وابنتها، علّمت إيميليا طفلتها كيف تقرأ الكتب وتحلم: عاشتا كثيراً من قصص الكتب، سرحتا ومرحتا في خيالاتهما كطائرين لا حدود لهما، لقد اعتبرت إيميليا جوجو ملهمتها، وبطبيعة الحال، لم تكن متحفظة مع ابنتها كتحفظها مع الآخرين.

تجلس جوجو على الأريكة بمفردها في غرفة العائلة، متكورة على نفسها، مرتدية بيجامتها، وتغطي نفسها بغطاء زاهي الألوان، تشاهد الفيديوهات المنزلية الخاصة بهما، وهذا ما اعتادت القيام به يومياً بعد منتصف الليل. لقد احتاجت جوجو إلى الانغماس في ذكريات الماضي، لأنها اعتادت الاستيقاظ من كوابيس بشعة باحثة عن وجه أمها الجميل وقلبها الحنون.

لقد ربطت نفسها بهذه الفيديوهات، في الحقيقة، أملت أن تجد في الألم الذي ستعكسه تلك الفيديوهات ما يرهق حزنها ويجعله يتلاشى، أملت أن تكون بمثابة لقاح لعذابها اللانهائي. ربما ستصبح في النهاية منيعة على الدموع، وستبتسم عند سماع سيرة أمها، لم تقدر على تحمل فكرة أنها ستُثقل بحمل حزين كبير لبقية حياتها.

ضحكت على مشهد صوّرته منذ عدة أشهر، حيث أتت جوجو حاملة بيدها كاميرا التصوير، وقاطعت والدتها التي كانت تجلس على كرسي هزاز وتقرأ كتاباً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سألتها جوجو: «لماذا تقرأين كثيراً؟».

«من أجل هدفٍ واحد وهو أن أبقى حادة الذهن».

«هل أنت حادة الذهن جداً؟».

«كالسكين».

«أخبريني بسبب آخر يجعلك تقرأين».

«أقرأ لأتسلى».

«وسبب آخر؟».

أخيراً، تُبعد والدتها عينيها عن الكتاب، وتبتسم قائلة: «أقرأ لأبتعد عما يُحزنني».

«لم يسبق لي أن رأيتك حزينة، هل أنت حزينة؟ ما الذي يُحزنكِ؟».

«في بعض الأحيان، أحزن عندما أُفكر في الأيام القادمة عندما ستكبرين وتتزوجين وتنتقلين بعيداً عن هذه المزرعة، وعندها سأعيش من دون طفلتي جوجو».

«حسناً، هذا لن يحصل أبداً، لا أحتاج إلى أي ولد غبي بينما أملك هذه الأحصنة».

«ربما ستجدين فارساً».

«مثل والدي».

«أجل».

تحركت الكاميرا ثلاثة أرباع الدرجة، ورافقتها عينا الأم في الوقت الذي قالت فيه جوجو: «إذا ذهبتُ بعيداً مع ولد سخيف، ما أكثر شيء ستفتقدينه؟».

«سأفتقد الطريقة التي تضايقينني فيها وأنا أقرأ».

«كم هذا مضحك، إن كنت فتاة سيئة، كنت سأمدّ لك لساني».

«ما من أحد في الدنيا سوى ابنتي الجميلة جوجو تعتبر مدّ اللسان أمراً سيئاً».

تضع الأم كتابها جانباً، وتنحني في كرسيها الهزار قائلة: «أعطني الكاميرا، أريد أن أطلب منك شيئاً».

تُسلمها جوجو الكاميرا. والآن، يظهر وجهها كاملاً في الصورة، في الوقت الذي تسألها فيه أمها: «هل تعدينني بشيء؟».

«ما الذي تريدينني أن أعدك به؟».

«أن لا تتغيري أبداً».

«لماذا قد أتغيّر؟».

«الناس يتغيرون».

«هل تغيرتِ عندما كبرتِ؟».

«تغيرتُ كثيراً، عندما كنتُ طفلة صغيرة كل ما أردتُ الحصول عليه هو كلب، ولكن عندما كبرتُ أردت الحصول على ابنة».

قالت جوجو: «الكلاب جميلة، ولكن الابنة أفضل».

«ربما، مع أن الكلاب لا توافقك الرأي، والكلاب لا تكذب».

«أوه! لقد جرحتني كلماتكِ، هل من المعقول أن تكون أمي سيئة إلى هذا الحدّ؟».

تغمزها أمها

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ابتسمت جوجو اليتيمة من بين دموعها، أعادت الفيديو لتشاهده مرة ثانية وهي تتدثر بالغطاء. عندما أعادته للمرة الثالثة سار كل شيء مثل المرتين السابقتين حتّى وصل إلى المقطع الذي تمسك فيه والدتها الكاميرا، وتسأل إذا كان باستطاعة ابنتها أن تعدها بشيء وتسأل جوجو: «ما الذي تريدينني أن أعدك به؟».

تتجمد صورة الفيديو عند لقطة قريبة من وجه جوجو.

مع أن الصورة توقفتْ، إلا أن الصوت لم يتوقف، ولكن حوارهما السابق اختفى، وبدلاً من ذلك قالت الأم بصوت خالٍ من أي خطأ: «قريباً ستذهبين بعيداً يا جوجو، ستذهبين لتكبري وتنضجي في مكان آخر. ربما سأتحدث إليك بعد عدة سنوات، وأطلب منك العودة إلى المنزل».

صُعقت جوجو بما سمعته، وانزلقت بهدوء عن الأريكة، وسقط الغطاء عن كتفيها.

أردفت الأم: «قبل أن تولدي كانت الوحدة مرعبة هنا، ولم يكن يحدوني سوى قليل من الأمل، لفترة طويلة لم أرَ بصيص أمل».

رفعت جوجو نفسها، وتشابك الغطاء عند أسفل قدميها: «ماما؟».

قالت: «يوماً ما سأصبح جاهزة للقيام بما ولدت للقيام به، ووقتها قد أحتاج إليك بجانبي».

وقفت جوجو مرتجفة. لقد ماتت أمها ورحلت، وها هي تعود بطريقة ما، ما كانت أمها لتؤذيها، ولم تتضمن كلماتها تهديداً، كانت مجرد حوار عادي، ولكن

جوجو ارتجفتْ من الخوف بقدر ما ارتجفتْ من الدهشة، وسيطر عليها قلق غريب منعش.

تحركت الصورة المتوقفة، وقالت جوجو الظاهرة على شاشة التلفاز: «ما الذي تريدينني أن أعدك به؟».

فردّت والدتُها: «بأنك لن تتغيري أبداً». ثم تابع الفيديو وفقاً للحوار نفسه عندما شاهدتُه الفتاة في المرتين السابقتين.

أمسكتْ جهاز التحكم، وضغطت على زر إعادة التشغيل، ثم على زر بدء التشغيل. شاهدت وانتظرت، ولكن إذا كان هناك رسالة قد وصلتها من شبح ما أو من عالم آخر خلال المرة الثالثة، فهي لم تظهر مجدداً خلال المرات الرابعة والخامسة والسادسة.

عرفت جوجو أنها لم تتخيل الأمر بسبب قلة النوم أو شدة الحزن. لقد احتفظت بما حصل معها، ولم تُطلع أحداً عليه، وكأن مشاركة ما حصل مع الآخرين أمرٌ مخيف.

قريباً ستذهبين بعيداً يا جوجو، ستذهبين لتكبري وتنضجي في مكان آخر. بعد أربعة أيام أُخذت إلى سانتافي لتعيش مع خالتها كاثرين.

ربما سأتحدث إليكِ بعد عدة سنوات، وأطلب منك العودة إلى المنزل. مرت السنوات وتقريباً تلاشت الذكرى الضبابية من مونتانا. لم تنسَ كل شيء تماماً، ولكنها قررت أن تصدق أن الأمر لم يكن كما يبدو عليه حقاً حينها، وأن الأمر كان مجرد تخيلات انجرفت إليها ذاكرتها المفعمة بالحزن واليأس، فقد امتلكت دائماً ذاكرة ذات خيال خصب.

يوماً ما ربما أصبح جاهزة لأفعل ما وُلدتُ لفعله، وحينها قد أحتاجك إلى جانبي.

هذا غير منطقي، لقد وُلدت أمي مرتين مرة في عالم الأحياء ومرة أخرى في عالم الأموات، والذي لن تعود منه أبداً، ولن تملك أي سبب يجعلها تكلم ابنتها لتقف إلى جانبها هناك.

مرت السنوات...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

2

في النهاية، أدركت جوانا تشيس أن كل تلك الأحداث المجنونة بدأت سابقاً في مساء الاثنين، بتاريخ الثالث عشر من تموز.

كانت تُحضّر الغداء- معكرونة بالزبدة والصنوبر والبازلاء- حين ظنت أنها سمعت صوت محرك سيارتها.

ولأنها تسكن في حي آمن ضمن حارة هادئة، وهي شخص يعتمد على نفسه، ولا تستسلم بسهولة للانفصام، ولديها نظام أمن قوي، لم تقلق يوماً، أن يحاول أحدهم الدخول إلى مرأبها، ليحاول سرقة سيارتها. كان مفتاحا السيارتان معلقين على لوحة في غرفة الغسيل، ولن يُفتح باب السيارة إلا لشخص بحوزته المفتاح.

شعرت بالحيرة، أكثر مما شعرت بالقلق، ومن المؤكد أنها لم تشعر بالخوف. دخلت غرفة الغسيل، وفتحت الباب المؤدي إلى المرأب، رأت سيارتها السوداء من نوع لينكولن هناك، وكان مصباحاها الأماميان ينيران المرأب، ولكنها لاحظت أن ما من أحد داخل السيارة.

أما سيارتها الرياضية البيضاء وهي لينكولن أيضاً فمركونة خلف السيارة السوداء بهدوء وسكون كما يجب أن تكون. في السابق اقتنت سيارة لكزس، ولكن كان هناك مشاكل عديدة في توصيلاتها الكهربائية. تُعتبر سيارتا اللينكولن بمثابة آلتين خارقتين لم تسببا لها أية مشاكل على الأقل حتّى الآن.

تساءلت: «ماذا يجري بحق السماء؟». جالت حول السيارة، ثم فتحتْ الباب الأمامي، وصعدت إلى مقعد السائق، سبق لبرنامج تحديد المواقع أن أكمل تحميله على الشاشة، وهناك مربع برتقالي على الشاشة ظهرت فيه كلمة ابدأ وكأن أحدهم سبق له أن أدخل موقعاً، وقد اكتمل تحميله الآن.

مع أنها لم تستجب لرغبتها بالضغط على الزر، إلّا أن صوتاً أنثوياً ناعماً نصحها باتباع قوانين المرور والتعليمات الصوتية وهي تمضي إلى وجهتها.

قالت وهي تضغط زر الإغلاق: «حسناً، وجهتي هي الذهاب لتناول العشاء يا عزيزتي، وأستطيع المضي إلى هناك سيراً على القدمين».

توقف المحرك عن العمل، وتحولت الشاشة إلى اللون الأسود بعد أن ظهرت شاشة الوداع على النظام المُبرمج.

ترجلت من السيارة، وتوجهت إلى الباب الذي يصل بين المرأب والمنزل، وقفت هناك حتّى شاهدت أضواء السيارة تنطفئ ذاتياً كما يجب.

وقفت هناك لدقيقة، وهي تشعر بالفزع من أن تكون سيارتها قد التقطت الفيروس من اللكزس، وستسخر منها، وتعمل بمفردها مجدداً.

عندما استعادت السيارة سكونها في ظلام المرأب، عادت إلى المطبخ، حيث فتحت قنينة من نبيذ الكبرنت. في العادة، لا تدلل نفسها بالنبيذ كل ليلة، ولكن من الضروري أن تشرب الليلة كأساً أو كأسين، وربما ثلاث.

أكلت واستمعت إلى روبنشتاين يعزف مقطوعة لموزارت، وقرأت من كتاب قصص كوليما للكاتب فارلام شالاموف الذي قضى سبعة عشر عاماً يُجوّع على نار هادئة في مخيم الموت في الاتحاد السوفيتي في عمق أراضي سيبيريا وعلى الرغم من إطلاق سراحه في العام 1951 فقد عاش لثلاثين سنة أخرى تحت رحمة الشيوعيين. لامست الموسيقى شغاف قلبها، وجعلتها الرواية تشعر بالامتنان لوجود ذلك الطعام أمامها.

في معظم الليالي، تنام بعمق، وهذه الليلة جعلها النبيذ تنام بشكل أعمق. لم تنم والتلفاز يعمل، ولكن عندما فتحت عينيها عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، رأت الشاشة رمادية اللون، ولكن الصوت كان مكتوماً، بحثت عن جهاز التحكم، وأوقفت عمل التلفاز. في الوقت الذي كانت فيه بين النوم والصحو، لم تعرف إن كان صوت المحرك البعيد حقيقياً أم جزءاً من أحلامها وخيالاتها. استلقت مجدداً، قبل أن تسمح للفضول بتحفيزها على إبعاد أغطيتها جانباً والنهوض من سريرها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

3

إن منظر الشروق في سماء سانتافي الجميلة في نيو مكسيكو يجعلك تتعجب وتفتح قلبك لمختلف تساؤلاتك، حتّى وإن كان لديك في هذا اليوم موعد مهم، أما في حالة جوانا فقد كان لديها موعد مع ميكانيكي السيارات ومن المحتمل أن يُشخّص ما تعاني منه السيارة بشيء مقلق يوازي القلق المسيطر على الشخص عند انتظار الأخبار السيئة من طبيب الأورام. مع بزوغ شمس يوم الثلاثاء، وقفت في فناء بيتها الصغير المُسور ترتشف قهوتها، وتشاهد يوماً جديداً يعلن عن مجيئه في السماء الشرقية فوقها.

تناولت طعامها- شطيرة ديك رومي- في مكتبها وهي تعمل على روايتها الحالية. فكرة الرواية الرئيسة تدور حول جريمة شنيعة، وقد كانت مصممة- كما هي دائماً- ألا تقوم بتعظيم أو إظهار أي مجرمين من ذوي الطابع الرومانسي المبالغ فيه، وهو ما تعتبره مشكلة تسيطر على الكثير من الأفلام والروايات المعاصرة. جعلتها قصص فارلام شالاموف التي كانت تستمتع بها والتي تُقدم غالباً العصابات التي سيطرت على معتقلات الاتحاد السوفيتي، وتصورهم بكل الغضب والمرارة التي تعكس الواقع، قادرة على إبقاء أعمالها صادقة.

صباح الأربعاء، اتصل بها الميكانيكي من ورشة التصليح، وأخبرها أنهم لم يجدوا عطلاً في سيارتها، أعطتهم بقية الحساب، واستعادتْ سيارتها، لم يقم جهاز الملاحة وتحديد المواقع بتقديم أي اتجاهات من دون أن يُطلب منه ذلك.

إذا اشتغل محرك السيارة بمفرده تلك الليلة ما كانت جوانا لتستيقظ عليه، حتّى من دون أن تشرب أي نبيذ لأنها غطت في نوم عميق جداً. بدأت الأحلام الغريبة مع انقلاب اليوم من الأربعاء إلى الخميس. ربما فتحت عينيها، ورأت الضوء الرمادي لشاشة التلفاز، وربما هذا مجرد جزء من أحلامها. أجل استرخي جوجو إنه جزء من الحلم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

4

كان هارلي سبوندولار سيموت بطريقة بشعة إن لم يخرج عند الساعة الواحدة وعشر دقائق بعد منتصف الليل ليتسلق السور، ويتبول على أزهار جارته، لقد واظب كل ليلة منذ خمسة أسابيع على ري أزهارها ببوله. أخيراً، بدأ كل حمض البول ذلك يُظهر نتائج مُرضية حيث نمت الأوراق بشكل مُنقط، وتناقص عدد الأزهار، وذبلت بتلات الورود مع ملاحظة معاناتها الكبيرة لتتفتح وتشرق.

لم يكن سبوندولار يكره الأزهار، بل كان يكره فيولا ريدفيرن التي كانت تقطن بجواره. لقد كانت تبلغُ السبعين من العمر وربما التسعين- من يعلم ذلك بحق السماء؟- وكان مقتنعاً بأن تلك العجوز الشمطاء لن تموت أبداً، فهي مقاومة للتعب، تُقدم لجيرانها الحلويات والمعجنات والأزهار من حديقتها، بالإضافة إلى السترات الصوفية التي حاكتها بنفسها. عندما مرض سبوندولار زارتُه، وأحضرت معها قدراً كبيرة من الحساء منزلي الصنع، وما كانت تشتكي أبداً عندما يرفع صوت الموسيقى، أو يجلس في الشرفة الأمامية، ويشتم ويلعن كل شيء بدءاً بالسنجاب حتّى الأطفال. لدى فيولا جيش بكل ما للكلمة من معنى من الأحفاد وأولاد الأحفاد الذين يزورونها دائماً، ويتمتعون بأدب وأخلاق عالية جداً لدرجة تجعله يرغب بالتقيؤ.

في الوقت الراهن، بين مساء الأربعاء وصباح الخميس شرب سبوندولار كميات كبيرة من البيرة، وهذا ما أهّله لتسديد الضربة القاضية لأزهار جارته الثمينة. كل ليلة، وفي تمام الساعة التاسعة، تتوجه فيولا إلى سريرها، وتغط مباشرة في النوم وهي تقرأ كتاباً، ولكن هذه الليلة، ظلت مستيقظة، وسهرت مع إحدى حفيداتها لتحتفل بعيد ميلاد ابنة حفيدتها التي ستكمل عامها العاشر.

ما من متعة لدى سبوندولار تضاهي إزعاج الناس، وإخراج أسوأ ما فيهم، ثم لعب الألعاب النفسية معهم حتّى يجعلهم يشعرون بالندم بسبب غضبهم السريع ونفاد صبرهم، وينتهي بهم الأمر بالاعتذار منه لأنهم اعترضوا على فظاظته. ولكن الأمر مع فيولا كان مختلفاً، فقد بدت منيعة ومُحصنة من أن تُزعج أو تُهان، وكان لديها مخزون لا ينضب من الصبر، وهذا ما جعله لا يستمتع بالعيش بجوارها.

لذلك ها هو ذا، في ليلة صيفية معتدلة، يقف عند الساعة الثانية من يوم الخميس، في حديقتها مواجهاً لبيته، يروي أزهارها المفضلة بأفضل وأقوى ما لديه، ولكنه فجأة سمع صوت همهمة، وكأنها منبعثة من جهاز إلكتروني كتلك الهمهمة التي تنبعث من مكبر صوت ضخم. في البداية، لم يسمع سوى

الهمهمة، ولم يستطع تحديد مصدرها، ثم تحولت الهمهمة إلى طقطقة، حتّى خيّل إليه أن أحدهم يجعد ورقة من السولفان يبلغ طولها مئة ياردة، وقد غطى هذا الصوت على صوت الهمهمة. انطفأت الأنوار، ثم انفجر منزله. تهدمت الشرفة الأمامية والجدران والسقف نحو الداخل كما يتهدم البيت الذي يشيد من الرمال الرطبة على الشاطئ، من الطريقة التي انفجر بها، بدا وكأن هناك ثقباً أسود وسط المنزل يسحبه بعيداً نحو عالم آخر. توقف صوت الطقطقة ثم الهمهمة، ربما بعد خمس عشرة ثانية فقط من اللحظة التي بدأ فيها، حيث تحول منزله خلالها إلى كومة تشبه وكر النمل، ولكنها لم تكن بحجمه.

في العادة، كانت الاستجابة الطبيعية لأي نكسة في حياة هارلي سبوندولار- ولأي تطور إيجابي أيضاً- هي السب والشتم، ولكن في تلك الأثناء خانته البذاءات والشتائم التي يعرفها. توقف مذهولاً عن التبول على الأزهار، ورفع سرواله ومن دون أي وعي حقيقي بخطواته، وجد نفسه يمشي بين بقايا منزله.

في البداية، تفوق عدم التصديق على الخوف، هوى على ركبتيه، وأخذ حفنة مما تبقى من منزله. أصبح كل شيء على شكل كرات بعضها صغير بحجم كرات مسدس اللعب، وبعضها الآخر أكبر قليلاً بحجم البازلاء، والقليل منها بحجم حبة العنب. تحت ضوء القمر، لم يستطع تمييز ماهيتها جيداً، بدت بعض الكرات خشبية، بينما بدت كرات أخرى مصنوعة من الجص، وبدت كرات أخرى أقسى وكأنها مصنوعة من المعدن. لاحظ أن الركام بارد ولاحظ غياب أي أثر للغبار. بدأ يحفر عبر الركام مذهولاً بغرابة الموقف وباحثاً عن أي شيء بحجم الظفر، أي شيء يستطيع ملاحظته كجزء من هذا المنزل، حاول الحفر بشكل أسرع بحثاً عن عنصر ما، أي عنصر احتواه هذا المنزل: صحن، صابونة، أو قرص مضغوط من مجموعة أفلامه الإباحية.

فجأة، سمع صوت تنبيه جديد، فانتفض واقفاً، واستدار ليمسح الشارع بعينيه، ولكنه أدرك أن ذلك كان صوت يأسه الداخلي وأنفاسه المتسارعة غير المنتظمة. أفسحت مشاعر عدم التصديق، المجال للخوف والحيرة وعدم الفهم. كان مرعوباً ويواجه المجهول، أراد العودة إلى منزله مجدداً، وأراد أن تعود الأمور إلى سابق عهدها: يشاهد الأفلام، يشرب البيرة، ثم يذهب ويتبول على الأزهار.

عندما كان يروي ببوله الأزهار في حديقة فيولا، كانت مصابيح بعض المنازل منارة، ولكن الآن أنيرت المصابيح في عدد مضاعف من المنازل، يبدو أن الناس استيقظوا على صوت الهمهمة والطقطقة. رأى رؤوساً تطل من النوافذ، وأناساً يشاهدون بدهشة، ما من شك أنهم رأوا في هذا الظلام

الحالك، أنّ منزله قد اختفى، وما من شك أنهم رأوه يقف هناك وحده في ضوء القمر، ومع ذلك لم يغامر أي مخلوق بالخروج ومعرفة ما حصل، إن حصل هذا لشخص غير سبوندولار كانوا ليهرولوا إليه حاملين عدة الإسعافات الأولية، وربما كانوا سيجهزون طاولة مليئة بالمعجنات ويقولوا «سنستطيع تجاوز هذا معاً»، ولكنه هارلي سبوندولار، ولهذا بقي الجميع في منازلهم، فقد سبق له أن أهان الجميع، ولم يدعُ أياً من الجيران إلى منزله، عندما كان يمتلك منزلاً.

مع اقتراب صوت صفارات الإنذار، عاد مجدداً إلى الواقع، انعطفت سيارة إطفاء عند الزاوية على الرغم من عدم اندلاع أي حريق، وتلتها سيارة إسعاف بضوئها الملفت، مع أن شخصاً لم يُصب، قريباً من طاقم الإسعاف كانت سيارات دوريات شرطة. لقد أهان سبوندولار الشرطة، ويعتبرهم أدوات في يد نظام استبدادي.

لم يسبق لأي من هؤلاء المسعفين أو رجال الإطفاء والشرطة أن رأوا منزلاً يتحول إلى كومة كبيرة من الكرات. وعلى الرغم من دهشتهم تساءلوا إن كان سبوندولار قد دمّر منزله. لقد بدا جلياً أنه الضحية وليس الشخص الوغد- على الأقل هذه المرة- ولكن الشرطة شكت فيه، عندما قال إنه خرج ليستمتع بمنظر النجوم قبل أن يحصل ما حصل ببضع دقائق. لم يستطع إخبارهم أنه خرج ليتبول على أزهار فيولا، ويبدو أنه لم يستطع إقناع أحد بأنه من محبي مراقبة النجوم، وهذا ما جعلهم يشكون به. حاولوا جاهدين أن ينفوا كل الأشياء غير المنطقية التي قد تحدث من تحويل الأسباب الخيالية إلى واقعية. حقيقة أنه كيميائي جعلتهم يحتارون مع أنه لم يعمل في هذا المجال- أو أي مجال آخر- منذ سنوات. لم يسبق لأي معمل غير قانوني لصناعة الميثامفيتامين أن انفجر من دون أن تشتعل النيران ويصدر ضجيجاً كفيلاً بإيقاظ الجميع، ولكن لم يكونوا على استعداد للتخلي عن هذه النظرية الغريبة بشكل مثير للضحك.

لم يخبرهم أنه كيميائي، بل عرفوا ذلك بمفردهم، وهذا يعني أنهم أجروا تحقيقاً شاملاً عن خلفيته، وبالتالي فهم يعرفون عن دعوى الاختلاس التي رُفعت ضده منذ تسعة أعوام. وقتها كان مذنباً، ولكنه عرف بعض الأمور السيئة عن صاحب عمله أكثر مما عرفه الأخير عنه، لذلك استطاع ذلك المحتال أن ينجو بفعلته.

وكأنهم لم يسمعوا أبداً بالحق الدستوري للمواطن، سحبه رجال الشرطة من سيارة إلى أخرى، محاولين أن يفقدوه توازنه. في البدء، سألوه باحترام قبل أن تصبح طريقتهم أكثر عدوانية، عندما اتهمهم بأنهم يتصرفون كحشرات

طفيلية، هددوه أن يأخذوه إلى القبو حيث يستطيعون حرقه، وهو ما كانوا سينفذونه ما لم يقلقوا من أن يطلب منهم أن يحضروا محاميه الخاص.

ما كان يُفترض بهم القلق حيال ذلك، لأن آخر شيء يرغب بي سبوندولار هو أن يضع مصيره بيد محامٍ، فهو يمقتُ المحامين، ويرى أنهم متعقبو سيارات إسعاف عديمو الضمير، أو جنود ملتزمون بمدارس وصفوف القانون.

صدر صوت من سيارة دورية الشرطة: «يتم استجواب عناصر مسرح الجريمة». مع أنه في هذه الليلة الصيفية العادية، لم يكن هناك جريمة بل مجرد انفجار غريب غير معروف المصدر. بعد أكثر من أربع ساعات، وعندما اعتقد هارلي سبوندولار أنهم سيأخذونه ويحجزونه بتهمة جائرة، وصل رجل غامض يحتل مكانة عالية بحسب معايير الغرابة المتعارف عليها.

اجتاحت أربع سيارات سوداء الشارع كما يفعل عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي في الأفلام، ولكن مستقلي هذه السيارات يختلفون عن العملاء الفيدراليين بعدم وجود أي شارة رسمية معلقة على ملابسهم. خرج من السيارات ستة عشر عميلاً- نساءً ورجالاً- من أصحاب الخدمات السرية، جميعهم يرتدون بذلات سود وقمصان بيض ويطوقون أعناقهم بربطات سود. أياً يكن هؤلاء، إلا أنهم فاقوا الأشخاص ذوي الأزياء الرسمية مرتبةً. اصطحبت واحدة منهم- شقراء ذات مظهر جذاب وعينين رماديتين– السيد سبوندولار إلى إحدى السيارات: «لا تقلق يا سيد سبوندولار، لقد مر القسمُ السيئ من هذه الليلة، وسيجري الباقي بسلاسة». بدت مُطمئنة بالطريقة التي يبدو فيها السياسيون مطمئنين، تركته جالساً وحده في المقعد المجاور للسائق، وعندها غادرت دورية الشرطة.

بعد دقيقتين تقريباً، وصلت مركبة، وركنت أمام الركام الذي كان يوماً ما منزل سبوندولار. خرج منها رجال يرتدون ملابس سود وينتعلون أحذية سود بدون أي شارات رسمية أيضاً، فابتعد عملاء الخدمات السرية على شكل أزواج، وأحاطوا بجميع منازل تلك المنطقة. وسرعان ما كان الرجال ذوي البذلات ينصبون سياجاً بارتفاع ثماني أقدام حول العقار، وغطوا السياج بالقماش ليبعدوا عيون الفضوليين.

في آخر دقائق الظلام، وقبل أن تشرق الشمس معلنة مولد نهار جديد، وفي الوقت الذي انتهى هؤلاء العمال المشغولون كخلية نحل من وضع باب عملاق أمام المدخل المخصص للسيارات في منزل سبوندولار، وصلت سيارة رباعية الدفع بيضاء، دخلت عبر البوابة، وجالت حول حطام المنزل، ثم تابعت إلى الفناء الخلفي بعيداً عن الأنظار. توجّه أحد الحراس ليقف خلفها، وبدا أنه جاهز، وعلى أهبة الاستعداد لأي شيء.

حل الفضول والدهشة محل الخوف، في الوقت الذي كان فيه سبوندولار يشاهد ما يحصل، ومع ذلك شعر بقلق عميق في داخله.

مجدداً، عادت تلك الشقراء الباردة ذات العينين الرماديتين في الوقت الذي كان الضوء يغمر المكان شيئاً فشيئاً. رافقت سبوندولار عبر البوابة ثم عبر الأنقاض. طرحت عليه عدة أسئلة وهما يسيران، ولكنها تجاهلت أجوبته. كان على وشك أن يشتمها، ولكنه شعر بأنه سيندم أشد الندم إن فعل ذلك.

مع أن المنزل سويّ بالأرض، لكن الباحة المرصوفة خلفه بقيت سليمة لم تُمس بأي أذى، وقد ركّنت سيارة الدفع الرباعي فوقها، خلف السيارة كان هناك طاولة من الطاولات القابلة للطي بيضاء بمساحة أربع أقدام مربعة، ووضع إلى جانبها كرسيين قابلين للطي. أشارت له المرأة الشقراء ليجلس على أحدهما. فسألها: «وإن لم أفعل؟». أجابته وكأنها تخاطب كلباً عنيداً: «اجلس». سبق لهم أن سمحوا له بالتبول خلف الشجرة، ولكنه شعر الآن أن مثانته نصف ممتلئة، وتمنى أن يفرغها فوق حذائها، ولكنه تخلى عن الفكرة مجدداً بسبب حدسه.

عندما غادرت المرأة، بدأت سماء الشرق تتلون باللون الخوخي، وجاء من سيارة الدفع الرباعي رجل طويل ونحيل، لون وجهه ويديه بلون الشاي، أما لون شعره وعينيه ففاحم، وكان يحرك يديه بخفة ساحر. حاول سبوندولار خلال حياته أن يكون رفيع المستوى، وأن يطور ذوقه ويصبح راقياً، ولكنه فشل في ذلك، وكان يكره أولئك الذين يتصفون بهذه الصفات بالفطرة- كهذا الرجل– أولئك الذين يتمتعون باللباقة والمستوى الرفيع بشكل طبيعي.

«سيد سبوندولار لقد أُخبرت أن هاتفك المحمول كان في المنزل عندما انهار، هل هذا صحيح؟».

«من أنت بحق الجحيم؟».

«اسمي ليس مهماً، هل كان هاتفك المحمول في المنزل؟».

«اللعنة أجل، دمر مع كل شيء آخر: المنزل، والمرأب، وسيارتي، بماذا يهم هذا الآن؟ ماذا حصل لمنزلي؟».

«سيد سبوندولار، هل لديك ساعة من ساعات آبل الذكية، أو أي جهاز لمتابعة الصحة، أو أي جهاز لديه اتصال بالإنترنت».

«صحتي ممتازة، وما من سبب يجعلني أستعمل أحد هذه الأجهزة، وساعتي مجرد ساعة خردة عادية، بماذا يهم هذا؟».

«يهمنا هذا لنتأكد من أنك لا ترتدي أي شيء يُحدد موقعك الحالي، حتّى لا يتمكن مُهاجمُك من تحديد موقعك، فمن المفترض أنك مت».

«مُهاجمي؟ أي مُهاجم؟».

رفع الغريب أحد حاجبيه، وهو يشير إلى الحطام الذي كان منزلاً ذات يوم: «أنت لا تعتقد أن ما حدث لمنزلك مجرد انهيار عفوي وطبيعي أليس كذلك؟».

أعطى حاجبه تعابير السخرية بشكل متقن، وكانت إيماءتُه لبقة جداً مما جعل سبوندولار يرغب بمسك ياقة قميصه الأحمر وضرب رأسه على سطح الطاولة مراراً وتكراراً.

كبح نفسه: «ما الذي حدث لمنزلي بحق الجحيم؟».

«لستُ مُخولاً التحدث عن ذلك سيد سبوندولار، هذه مسألة أمن دولية، ومصنفة في خانة المعلومات بالغة السرية».

«أريد أن أرى بطاقتك الشخصية، من أنت؟ من قوات الأمن الفيدرالي؟ من وكالة الاستخبارات المركزية؟».

«لستُ وكيلاً لإحدى المنظمات الحكومية، أنا جزء من تعاون نادر بين الحكومة الفيدرالية والقطاع الخاص، يحاول التصدي لخطر نادر».

«ما هو هذا الخطر النادر؟».

«لا أملك حرية التصريح عن ذلك، وأياً يكن الأمر، لن ترغب بمعرفة ذلك سيد سبوندولار، لأنك إن علمت لن تستطيع النوم جيداً مرة أخرى طوال حياتك».

«لا أملك أي مكان لأنام فيه حتّى إن استطعتُ النوم».

«أنا هنا لأعتني بهذا الأمر، سنضمك إلى نظام حماية الشهود، ونؤمن لك هوية جديدة بحيث لا يستطيع أي شخص تعقبك. سوف...».

قاطعه سبوندولار: «ما الذي شهدتُ عليه؟ لم أشهد على أي شيء لعين عدا الذي حصل لمنزلي، كما أنني لا أعرف ما الذي شهدت عليه».

«إنه يدعى بنظام حماية الشهود لأنه يُستخدم في تلك الأحوال. سننقلك إلى أريزونا...».

«انتظر، أنت تعلم أن لديّ حياة هنا».

«أجل وهي حياة رائعة». قالها الغريب من دون أن يقوم بأي إيماءة مُسيئة، ابتسم وأومأ برأسه وكأنه يثق بأن سبوندولار يملك رابطة قوية مع هذه المدينة، وكأنه كنز جميل لجيرانه. «لذلك سنعوضك بما مقداره ضعفي قيمة

هذا العقار عندما كان منزلاً، وسنعطيك منزلاً أفضل منه في أريزونا من دون أي رهن عقاري، وسنمنحك راتباً شهرياً مقداره أربعة آلاف دولار لتصرفه على حياتك اليومية، وسنبرم اتفاقاً مالياً لضعفي التمويل الذي تملكه حالياً في البنك وفي حسابات الاستثمار».

«هل أنت مجنون؟ هذه ثروة». انحنى إلى الأمام في كرسيه، وأشار بإصبعه نحو الغريب: «حسناً، بالتأكيد تريد شيئاً مني، ما الذي تريده؟».

«نريد أن نقلل الخسائر الجانبية، إذا كنت ستتابع العيش هنا بصفتك هارلي سبوندولار ستتعرض للهجوم مرة ثانية وثالثة، وبالتالي سيكون هناك خسائر إضافية، سأكون معك صريحاً يا سيدي؟».

«كن ما تريده».

انحنى الرجل الذي يرتدي اللون الأبيض في كرسيه: «ليس لدينا أي مشاعر خاصة تجاهك يا سيد سبوندولار، ولكن إذا قررت أن تذهب وتسحب أموالك من البنك سيتضمن ذلك عملية تأكيد للهوية عبر الإنترنت، وقبل أن تتلقى المبلغ من المُحاسب، ستُدمر أنت والبنك وكل الأشخاص الذين بداخله. لا أعرف أحداً ممن يعملون في فرع البنك الذي تتعامل معه، ولكن بصفتي أتشارك معهم الصفة البشرية أشعر بتعاطف خاص تجاههم».

فكّر سبوندولار لفترة طويلة قبل أن يقول: «لم يكن ذلك لبقاً بما يكفي ليصدر منك أنت».

«أعلم ذلك، قلتُ جملاً لا تتمتع بلباقة عالية، وأندم لأنها كذلك، ولكنها الحقيقة، أنت لست رجلاً مؤثراً ناشراً للمشاعر بين الناس، كل ما أحتاجه هو توقيعك على هذه المستندات التي أحضرتُها التي تتضمن اتفاقية عدم إفشاء، والتي ستُسجن فوراً إن انتهكتها».

«اللعنة هذا قاسٍ».

«أجل، أليس كذلك؟».

«ماذا لو أخبرتك أنني سآخذُ كل ما عرضته عليّ بالإضافة إلى أموالي التي في البنك».

تنهد الشخص الغريب: «أعلم أن هذه الأموال لها مكانة خاصة في قلبك بحكم أنك اختلستها من شخص اعتبرك كابنه، ولكن الجواب على سؤالك هو لا».

«ولكنك تخفض من مكانتي لن أقبل هذا الجواب من شخص مثلك».

«أعتذر، ولكنني لا أشعر بالندم على أي شيء قلتُه، لقد بدأ صبري ينفد سيد سبوندولار». ثم دفع كدسة الأوراق والقلم فوق الطاولة: «وقع في مكان العلامة الصفراء».

أمسك سبوندولار بالقلم متردداً: «الأمر فقط أن لديّ شيء ما ضد السلطة».

«أنا مدرك لهذا، لم أطوّر أي أحقاد شخصية».

بعد توقيع أحد المستندات الخمسة، توقف سبوندولار: «حسناً، بالتأكيد هناك بعض الناس الذي يرغبون بأن أكون ميتاً والأمر لا يقتصر على شخص واحد فقط».

قال الغريب: «لا شك في هذا».

«ولكن ماذا فعل لمنزلي بحق الجحيم، ومن لديه هذه القدرة ليفعل ما فعله؟».

«لا أملك حرية التصريح عن ذلك».

«إذا، أنت لا تعلم من فعل ذلك، هل تعلم؟».

«نعلم كيف حصل الأمر، وما هي التكنولوجيا المستخدمة، كل ما تحتاج إلى معرفته هو أن هذه التكنولوجيا استثنائية، ومن يتحكم بها هو شخص قاسٍ عديم الرحمة. وقّع الأوراق وتعالَ معي، وإلا ستمحى عن وجه الأرض».

في الوقت الذي كان سبوندولار يوقع فيه الأوراق المتبقية، فتح الغريب مغلفاً أبيض، وسحب منه ثماني إلى عشر صور. «أنا متأكد من أنني أعرف الجواب، ولكن يفترض بي أن أسألك إن كنت تعرف هذا الرجل».

لم يكن سبوندولار ليخمن هوية هذا الرجل قبل أن يخبره بها وإن أمضى ساعات يقف مُحدقاً بالصور. «من هو؟ آشير أوبتيم؟ إنه شخص عديم الفائدة، يمكنني كسر رقبته بحركة واحدة».

«ليس هو الشخص الذي دمّر منزلك، ولكن يفترض به أن يعرفه، علينا أن نعثر عليه. يتم استهداف أعدائه من أمثالك».

«لم أرَ هذا المريض ابن الوضيعة منذ سنوات، لن أستطيع معرفة المكان اللعين الذي يسكنه الآن».

«اعتقدتُ ذلك أيضاً».

عندما رأى سبوندولار أن لا خيار أمامه، وقّع الأوراق من دون قراءتها، عندما لاحظ أن الشريك بلو سكاي سُجل كـ «مانح» عبس قليلاً، وأعاد قراءة هذا

السطر بصوت عال وقال: «ما هذا؟».

«الكيان الذي أعمل به يشتري لك منزلاً ويدفع لك راتباً شهرياً».

«اسم أمي كان سكاي، وقد وُلدت في أريزونا حيث ترسلونني، اسم عائلة زوجتي السابقة قبل الزواج كان بلو».

قال الغريب: «إنه التزامن... مصادفة يونغية».

«مصادفة ماذا؟».

«لقد افترض كارل يونغ، عالم النفس السويسري المشهور، أن الصدف ذات المعنى تكشُف أن وعينا الجماعي هو الذي يخلق الواقع بدرجات معينة على الأقل. شيء مثل: معاً نخلق الواقع، ويمكن للتأثير أن يظهر قبل ظهور المُسبب».

«يبدو هذا مجرد ترهات تافهة».

«أجل، أليس كذلك؟ سأعطيك مثالاً يعجبني، كتب إدغار آلان بو كتاباً يتحدث عن سفينة تحطمت وقتل فيها البحارة الجائعون صبياً في المقصورة يدعى ريتشارد باركر ثم أكلوه، وبعد خمسين عاماً على القصة وُجد حطام سفينة مشابه بشكل غريب لذلك الذي وُصف في الكتاب وقُتل على متنها صبي اسمه ريتشارد باركر من قبل البحارة الجائعين الذين أكلوه أيضاً. خلال الخمسين عاماً تلك قرأ مئات الآلاف من الناس القصة، وشعروا بالرعب، هل هناك احتمال أنهم حوّلوا القصة بشكل غير واعٍ إلى واقع ملموس».

تجهم سبوندولار قائلاً: «كيف لهذا أن يحدث بحق الجحيم؟».

«ليس لديّ أي فكرة عن الآلية، أنا فقط أتساءل».

«أنت ابن وضيعة غريب».

«حسناً، سبق أن قيل لي ذلك».

في الوقت الذي كان فيه الغريب يبعد الصور بيديه، ويجمع المستندات المُوقعة، بدأت العصافير تزقزق احتفالاً بالغيوم ذات اللون القشدي.

بثت زقزقة العصافير الحزن في نفس سبوندولار، لأنها ذكّرته بمنزله، وبأن لا شيء في حياته سيبقى كما كان سابقاً. في صباحات أخرى كان سيجلس في هذا الفناء حاملاً بيده بندقيته التي تعمل بضغط الهواء، ويستمتع باصطياد الطيور في أعشاشها أو خلال طيرانها، ولكن هذا كان في وقت مضى، قبل أن تتدمر أسلحته مع منزله وكل شيء. بالتأكيد يستطيع أن يشتري بندقية

جديدة ومن المؤكد أن هناك طيوراً في أريزونا، ولكن لن يكون الأمر كسابق عهده أبداً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5

بقيت الأحلام المتعلقة بمزرعة راسلنغ ويلوز ترافق جوانا تشيس لمدة ثلاثة أسابيع بشكل يومي، إما في المزرعة نفسها أو في بساتين الأشجار المحيطة بها والتي أخذت المزرعة اسمها بسببها منذ مدة طويلة. مع أن أياً من هذه الأحلام لم تتحول إلى كابوس، إلّا أنها أنذرت بالسوء، فكلما استيقظت منها شعرت بالشؤم يُخيّم على مشاعرها. كانت أحداث هذه الأحلام تجري في أوقات مختلفة مثل منتصف الليل أو الغسق وكان بعضها يجري نهاراً في ظل الغابة المُنعش المُمتدة كبحر دائم الخضرة على طول المروج العشبية الشمالية والشرقية والتي كانت جميعها تُعتبر جزءاً من مزرعتهم.

في كل هذه الأحلام، بدت طفلة؛ في بعض الأحيان كانت في السادسة وفي أحيان أخرى في التاسعة، في العمر الذي عاشت فيه آخر مرة في المزرعة. لسبع ليالٍ، لم تحلم سوى بالأشجار وبالطفلة جوانا التي تسير بدهشة أو بسرعة أحياناً تحت الأغصان المورقة ذات الرائحة العطرة، حيث ضجت أحلامها بأصوات حفيف الأشجار وهمسها... بعد أسبوع، وعندما فشلت هذه الأحلام في ثنيها عن قرارها، بدأت الحيوانات بالظهور: حلّقت أعداد هائلة من الطيور البرية بين أغصان الصنوبر، وأحاط بها قطيع من الأيائل عندما كانت تمشي في ضوء الغسق الضبابي. في كثير من هذه الأحلام، أحاطت بها قطعان من الذئاب ذات العيون اللامعة تحت ضوء القمر، ومع أنها كانت تستيقظ وهي تشعر بالشؤم وبأن التهديدات تحيط بها، إلا أن تلك الحيوانات لم تكن مصدر هذه التهديدات بل شيئاً مجهولاً في تيارات الليل العميق البارد.

لم تستيقظ من سيناريوهات الأحلام المخيفة هذه حتّى ظهر فيها الدب الرمادي، حيث واجهته جوانا في الغابة خلال ضوء الغسق، كان أمامها بارتفاع ثماني أقدام، يمشي مُبعداً الأشجار تاركاً وراءه مساراً اتبعته جوانا، تتوهج فتحتا منخاره السوداوين كلما كانت جوانا ذات رائحة أفضل، وتلمع عيناه وهو يراقبها.

خلال ساعات الصباح الباكرة من يوم الخميس الواقع في السادس من شهر آب، وفي أحلامها الخاصة، كانت جوانا تقطف الزهور البرية من إحدى التلال التي تبعد مئة ياردة تقريباً عن إسطبلات الأحصنة، والشمس بلونها الأحمر الملتهب تطل من ورائها، سمعت صوت شخير عالٍ، وطويل، ومليء بالحيوية جعلها ترفع رأسها، وتنظر عالياً، لتكتشف أن الدب قد أصبح فوقها على ارتفاع أقل من خمس عشرة قدماً، كانت فتاة صغيرة- ربما تبلغ السابعة من العمر– وكان الدب ضخماً جداً ربما يزن عشرين ضعف وزنها، ويملك مخالب بطول أربع بوصات يمكنها قتلها بضربة واحدة، ولكنها لم تخف منه- على

الأقل في أحلامها- بل ابتسمت وقدّمت له باقة من الزهور، هزّ الدب رأسه وكأنه وجدها فريدة من نوعها وبمثابة لغز يجب أن يحله. عندما لم يتقدم ليقابلها، تقدمت بهدوء حاملة باقة الزهور عالياً، رفع العملاق رأسه، وصاح بصخب وهذا ما أضحك جوانا الصغيرة التي تابعت سيرها، وتقدمت تتبع ظلها نحو الدب وتمسك الباقة عالياً، ثم فجأة قام الدب...

استيقظت جوانا مذعورة، جلست في سريرها، وأبعدت الأغطية عنها، ووقفت مرتعشة. مع أنها اعتادت على النوم في ظلام دامس، إلا أنها أصبحت تترك مصباح الحمام مناراً، وتترك بابه موارباً ليرسم الضوء شكلاً هندسياً على بساط غرفتها الأحمر والأسود. كانت الغرفة مظلمة، ولكن الظلام لم يكن شديداً بما يكفي ليختفي بداخله دخيلاً أو سارقاً. نامت وهي ترتدي بلوزة وسروالاً داخلياً، وتدثرت بغطاء ناعم لأن الغرفة لم تكن باردة، ولكن عندما استيقظت كانت ترتعش بسبب الحلم وليس بسبب برودة الغرفة. لم تتعرض أبداً للتهديد من قبل حيوان خلال السنوات التسع التي قضتها في مزرعة راسلنغ ويلوز لا من دب ولا من ذئب ولا من الأفاعي السامة التي كانت منتشرة في تلك المنطقة. لم يكن لهذه الأحلام وحيويتها الشديدة أي علاقة بالواقع الذي سبق لها أن عاشته في المزرعة. أياً يكن الأمر، ومع أنها لم ترَ دباً رمادياً سوى في الصور، إلا أنها فهمت لماذا يطارد ذلك الوحش أحلامها.

عندما استيقظت تماماً من أحلامها، أظهرت الساعة بجانب سريرها وقتاً لم ترغب بتقبله حيث كانت الساعة الثالثة إلا ربع صباحاً، فلم تستطع أن تغفو مجدداً، ستكون هذه ليلة أخرى من الليالي التي تنام فيها أقل من خمس ساعات. لم يكن التلفاز في وضع التشغيل، ولم تعلم السبب الذي جعلها تشعر بأنه يجب أن يكون مُشغلاً، ارتدت بنطال اليوغا، وسارت حافية القدمين إلى مكتبها وهي تنير المصابيح على طول الطريق.

أرادت جوانا أن تحظى بقهوة مُحضرة مع القرفة، ليس لأنها تحتاج لأن تبقى مستيقظة، بل لأن رائحتها ومذاقها يذكرانها بالصباح في مزرعة راسلنغ ويلوز عندما كانت تجلس في المطبخ مع والدتها التي خسرتها عندما بلغت التاسعة وفي السنة نفسها التي خسرت فيها والدها أيضاً. كانت والدتها- إيميليا- تشرب القهوة مع القرفة، وقد سُمح لجوانا أن تشرب كوبها الخاص عندما بلغت السادسة، وكانت قهوتها تُخفف بالحليب المكثف.

وُضعت آلة تحضير القهوة على طاولة في زاوية غرفة المكتب، خمّرت مقدار ثمانية أكواب، وعلى الرغم من أنها لن تشرب كل هذا المقدار، ولكن منظرها في وعاء البيركس ورائحتها وهي ساخنة أشعراها بالراحة.

جلست إلى مكتبها، وشغّلت الحاسوب، ثم فتحت مستنداً يحمل عنوان لون المستحيل وهو نص تعمل عليه. حتّى الآن، ومع بلوغها الثالثة والثلاثين من العمر، وبعد مضي إحدى عشرة سنة على تخرجها من الجامعة، كتبت ست روايات، حققت آخر روايتين رقماً مقبولاً في قائمة الروايات الأفضل مبيعاً. ازدادت مبيعاتها مع كل رواية تنشرها، وهذا يُعتبر إنجازاً في عصر اجتياح التكنولوجيا الذي أوحى لنا أن الكتب ستختفي تماماً من العالم وستسيطر التكنولوجيا على نطاق واسع، وستصبح تلك العوالم الافتراضية مقابر للمعرفة.

ارتشفت القهوة التي دفأت جسدها، وأبعدت القشعريرة، ولكن القشعريرة لم تبارح تفكيرها، لم تستطع كتابة أي كلمة. كانت روايتها تسير بشكل جيد مع تحول الأحلام الغريبة إلى عادة ليلية، ولكنها لم تحرز أي تقدم منذ أصبحت الحيوانات جزءاً من تلك الأحلام.

لم يسبق لجوانا أن عانت مما يسمى حبسة الكاتب وهي حالة يفتقد فيها الكاتب إلى الأفكار، ولذلك يشير عدم قدرتها على ابتكار أي أفكار جديدة إلى أن هذه الأحلام الاستثنائية قد تكون إما عارضاً لمرض جسدي ربما يتعلق بالدماغ أو أنها نتيجة عقدة نفسية يجب حلها. بمرور الأيام، أصبحت تُفكّر جدياً بطلب المساعدة، لم يكن لديها خوف من الأطباء أو المعالجين النفسيين، ولكن في كل مرة تمسك الهاتف لتحدد موعداً مع طبيبها جون وونغ يتضخم الشك ويسيطر عليها خوف غريب. كانت مقتنعة أنها إذا طلبت المساعدة في هذه المسألة، فلن تعود حياتها إلى سابق عهدها أبداً، وستتغير نحو الأسوأ. لم تؤمن بالخرافات أو تملك مخاوف معينة، وهذا ما جعلها متفاجئة من رفضها المساعدة الطبية، بقدر قلقها من تلك الأحلام.

الآن وهي تحدق إلى شاشة الحاسوب إلى آخر عبارة كتبتها منذ قرابة الأسبوعين، رنّ هاتف مكتبها. لا يعلم إلا قلة من أصدقائها رقم هاتفها المحمول، فهي تشارك رقم الهاتف الأرضي بشكل أوسع. كانت تملك خطين أرضيين من باب الاحتياط لأن.. حسناً لأن الحياة الاعتيادية تنهار، ففي أحد الأيام تكون أمك إلى جانبك، وفي اليوم التالي تموت. ولأن الخطوط الأرضية جديرة بالثقة أكثر من الهواتف المحمولة التي قد تتعرض للسرقة والاختراق الإلكتروني وسواهما من المشاكل. وبما أنها تمتلك خطين، كان المتصل ينتقل إلى الخط الثاني، عندما تتحدث على الخط الأول، وبذلك لا تفوتها أي مكالمة قد تردها من وكالة أو مخرج أو محرر. يومض مؤشر الخط الأول بإصرار، ولكن شاشة الهاتف تُظهر «الرقم غير معروف».

كانت المكالمات الآلية تمثل مشكلة على الرغم من أنها لا ترد عادة عند الساعة الثالثة صباحاً. قررت ألا ترد وتركتها تُحوّل إلى البريد الصوتي، ولكن

المتصل أنهى المكالمة قبل أن يترك رسالة. بعد نصف دقيقة، رنّ الخط الثاني ومرة ثانية كان الرقم غير معروف، ولم يترك المتصل رسالة، ثم رنّ هاتفها المحمول الموضوع بجانب الحاسوب على يمينها ومع أن الرقم غير معروف، ولكن مشاعر الدهشة سرت في جوانا بما فيه الكفاية لترد على الاتصال: «مرحباً؟».

بدا صوت المرأة الغامضة مألوفاً، ولكن لم تكن واحدة من أصدقائها المقربين: «جيمي صاحب العينين، هل تتذكرينه؟».

«كلا، من هو؟».

«لقد كنتِ في السادسة من عمرك، وكان جيمي صاحب العينين في التاسعة من عمره».

«لا أعرفه، ماذا تريدين؟».

«الآن، بعد أن سمعتِ اسمه ستتذكرينه قريباً».

«من هو؟».

قالت بلهجة عاطفية أكثر من مجرد عبارة بسيطة: «أحتاج مساعدتك». بقيت المتصلة هادئة تماماً، وكأنها مندوبة مبيعات تجري بحثاً عن أفضل مساحيق الغسيل، حتّى عندما قالت: «لا أعرف أي شخص آخر أطلب منه ذلك، لا أعرف غيرك يا جوجو».

جوجو هو اللقب الذي نادتها به أمها عندما كانت صغيرة، وأياً تكن المتصلة، فهي ليست أمها إيميليا لأن الموتى غير قادرين على الاتصال من العالم الآخر.

لقد كان هذا العقد هو عقد الاحتيال والسرقة الإلكترونية، وقد تعاملت جوانا مع ما يكفي منهما، وما كانت تصبر على المخادعين، ومع ذلك، فقد بدت الغرابة المُسيطرة على هذا الاتصال على علاقة بالأحلام التي ترهقها في الآونة الأخيرة. لذلك بدلاً من أن تنهي المكالمة سألتها مجدداً: «من أنتِ؟».

قالت المتصلة بنبرة من يتفوه بالحقائق غير القابلة للنقاش: «أنا في مكان مظلم يا جوجو».

«وأين هو هذا المكان؟».

«إنه ظلام كامل».

«حقاً؟ حسناً، ولكن من أين تتصلين؟».

«أنتِ تعرفين».

«كيف لي أن أعرف؟».

«أنت تعرفين».

«لن ألعب هذه اللعبة الغريبة، أخبريني من أنتِ وإلا سأطلب الشرطة».

«لا أحد يستطيع مساعدتي باستثنائك يا جوجو».

أنهت جوانا المكالمة مرتعشة اليدين، عادت الرعشة التي سيطرت عليها عند استيقاظها، عبرت الغرفة باتجاه الطاولة في الزاوية، وسكبت لنفسها كوباً آخر من القهوة، ووقفت هناك ممسكة الكوب بكلتا يديها، ترتشف القهوة المخمرة.

لم تعرف أي شخص يدعى- أو يُلقب- بجيمي صاحب العينين، ولكن عندما همست بالاسم عبر البخار المتطاير من كوب قهوتها، اشتدت تلك القشعريرة، وانتشرت من رأسها حتّى أخمص قدميها مروراً بعمودها الفقري.

من أين تتصلين؟

أنت تعرفين.

كيف لي أن أعرف؟

أنتِ تعرفين.

فجأة، وجدت نفسها تُفكّر بأثاث هذه الغرفة التي عاشت فيها لمدة اثنتي عشرة سنة، بدا وكأن سجادة الغرفة التي جلبتها من محمية نافاجو الطبيعية تطير بألوانها ونقوشها فوق الأرضية الخشبية، هناك غرفة تخزين مطلية بشكل زخرفي خلف الجدار، أبوابها مفتوحة وتظهر رفوفها محملةً بأشياء من الفن الشعبي: فخار بويبلو، أطر صور فاخرة تحوي صور لسانتا القديم بالأبيض والأسود، بالإضافة إلى قطعة صغيرة منحوتة ليسوع من خشب القطن، صنعها لويس تابيا، بالإضافة إلى بطانيات ناعمة تملك شراشيب على أطرافها ذات ألوان بيج وأحمر وأزرق، موضوعة فوق أريكتين جلديتين مريحتين.

لم تؤثث هذا المنزل بسرعة ومن دون الالتفات إلى التفاصيل، بل أثثته بعناية فائقة، وكأنها تريد أن تجعل من هذه الغرفة ومحتوياتها متحفاً، اعتقدت أنها تحاول إضفاء لمسة من طراز يعكس طابع هذه المدينة ذات الأبراج التي أحبتها، وها هي تُدرك الآن أن نتيجة عملها هذه هي ديكور ريفي الطابع معقد يمكن أن يوجد خارج حدود ولاية نيو مكسيكو، وفي الحقيقة لم يكن بعيداً عن المنازل الريفية المتواضعة في ولايتي وايومنغ ومونتانا، ففي تلك المناطق من الغرب لم يستسلم الناس تماماً للحداثة.

لقد دهشت عندما لاحظت أنها أحاطت نفسها بالأشياء التي تُذكّرها بمنزلها في مزرعة راسلنغ ويلوز حيث عاشت أول تسع سنوات وأربعة أشهر من حياتها، ومع أن أربعة وعشرين عاماً مضت على ذلك، ومع أن غبار الزمن يحجب عنها تلك الذكريات، إلا أنها وجدت أنه من غير المنطقي أنها لم تدرك مدى تأثير مزرعة راسلنغ ويلوز على بيتها هذا. بدا الأمر وكأنها قمعت تلك الذكريات القديمة لا شعورياً، ربما حدث ذلك كدفاع داخلي ضد الألم العاطفي الذي سببته تلك المآسي.

كانت رياضة أمها المفضلة هي التجذيف بالقارب على أطراف بحيرة الياقوت التي كان منزلهم يطل عليها، كانت تقصد البحيرة كل صباح تقريباً، ولكنها قصدتها ذات يوم ولم تعد، كانت البحيرة بعمق ستمئة قدم في بعض الأماكن، ولكن لم يتوجب على السلطات أن تغوص عميقاً لإيجادها حيث ظهرت جثتها على الشاطئ فوق قطعة خشبية أسفل ظلال أشجار القطن([1]). رجّح المحقق أن يكون القارب قد اصطدم بشيء، فسقطت منه، وخلال سقوطها، ارتطم رأسها بشيء وفقدت وعيها، وهذا ما أدى إلى غرقها.

بعد موت والدتها بأسبوعين، مات والدها ساموبل، وذهبت جوانا لتعيش مع خالتها غير المتزوجة كاثرين لمدة اثنتي عشرة سنة في منزل من العصر الفيكتوري مليء بالأثاث، وهو مكان قد يعتقد البعض أنه لا يليق بالتماثيل الرشيقة المتأثرة ببويبلو والتي عبرت عن المدينة الأسطورية إلى حد كبير. بعد فترة وجيزة من تخرجها من كلية سانت جون، ورثت جوانا ما احتُفظ به لها في الأمانات وهو عبارة عن عائدات التأمين على حياة والدتها، فاشترت منزلها الحالي، وبدأت بتأثيثه، وعاشت باقتصاد محاولة أن تبني مهنتها ككاتبة وروائية ناجحة.

لم تعلم كيف تمكّنت مكالمة هاتفيّة من امرأة لا تعرفها من إعادتها إلى ذكرياتها الضبابية للمزرعة القديمة، ولكن ربما لم تكن تلك الأحلام وما تلاها من مكالمة المرأة التي تحاول استعطافها مجرّد صدفة، تساءلت إن كانت هذه الأحلام تُصنع بطريقة ما؟ كيف؟ هل باستخدام أدوية ما؟ إن هذا سخيف للغاية. لم تكن كاتبة متخصصة في الأوهام الناجمة عن جنون الشك، ولم تقحمْ نفسها في نظريات المؤامرة التي اجتاحت الإنترنت بطريقة رهيبة. ما من شك أن توقيت تلك المكالمة مجرد صدفة، ولا علاقة له بالأحلام التي راودتها.

لا أحد يستطيع مساعدتي باستثنائك يا جوجو.

من أين تتصلين؟

أنتِ تعرفين.

كيف لي أن أعرف؟

أنتِ تعرفين.

من المؤكد أنّ جوانا تعرف أنّ تلك المرأة المجهولة تتّصل من مزرعة راسلنغ ويلوز، أو على الأقل هذا ما أوحت به. ولكن أربع وعشرين عاماً مضت على آخر ظهور لذلك المكان في ذكرياتها، ولم يكن لديها أي التزامات من أي نوع تجاه أي شخص في مونتانا. فما من شخص هناك في حالة حرجة، ويحتاج إليها ليحلّ مشكلة ما.

وضعت كوب القهوة على الطاولة، وجالت في أرجاء منزلها، وبدت مندهشة- والقلق يتزايد في داخلها- من كمية الأشياء التي تعكس صوراً كثيرة من منزل يبعد عنها قرابة الألف ومئتي ميل على الأقل بحسب ما تذكر.

إن كانت قد أخْفَت مزيداً من الذكريات ذات العلاقة ببعض الأحداث أو العلاقات التي قد تُفسّر هذه المكالمة، فلا بد أنها فعلت ذلك لسبب وجيه. مع أن ذاكرتها ستحاول تشويشها بالنظريات المشرقة، إلّا أنه ستكون حكيمة، وستقاوم الرغبة بالبحث عن تفسير. مع أن طبيعة المزرعة جميلة، إلا أنها تبقى المكان الذي تيتّمت فيه، ولا يفترض به أن يكون مكاناً يؤمن مستقبلاً واعداً لها.

بالرغم من كلّ ما تقدّم، لا بد أن شيئاً حدث خلال السنوات التي قضتها في مزرعة راسلنغ ويلوز، يثير بداخلها مشاعر حنين لا يمكن تفسيرها، وإلا ما كانت لتصمّم منزلها في سانتافي ليكون انعكاساً لذلك الذي في مونتانا.

لقد اعتادت على أن ترافقَ والدتها في القارب، وكانت تستمتع بالمناظر الخلابة، ولكن في وقت لاحق، ومع أنّها حظيت بنعمة ألّا ترى جثة أمها المنتفخة، أصبحت تنظر إلى البحيرة على أنّها ملوثة وغير صحية.

لم ترَ جثة والدها أيضاً- الذي توفّي بعد أسبوعين- ولكن الرعب الذي سبّبه موته كان كفيلاً بأن يسلب من المزرعة جوّها الساحر. ذهب ساموِيل في نزهة قصيرة على حصانه سبيريت، وتفيد فرضية موته أنّه واجه دباً ضخماً جائعاً، فاستقبل ضيفه وأعمل به مخالبه، رمى الحصان المرعوب فارسه، واندفع هارباً، فطارد الدب ساموِيل، فلا شيء سوى المخالب الشريرة للدّب الرمادي بإمكانها أن تسبّب تلك الجروح الفظيعة، وليس بإمكان أي حيوان أن يلتهم كلّ هذا من فريسته إلا دبّ مفترس يزن ثمانمئة رطل.

هناك أسباب منطقية تحول دون عودتها إلى المزرعة، ولكنّ شوقاً غريباً إلى مونتانا اجتاحها عندما عادت إلى مكتبها، وحدّقت بسجادتها التي جلبتها من محمية من نافاجو الطبيعية.

رنّ هاتف المكتب على الخط الأول.

قالت جوانا: «كلا».

عندما تحوّلت المكالمة إلى البريد الصوتي، أنهى المتصل الاتصال.

رنّ الخط الثاني، ومجدداً أنهى المتصل الاتصال من دون أن يترك أي رسالة صوتية، ولجأ إلى الهاتف المحمول.

التقطت الكوب الذي وضعتْه على الطاولة منذ قليل، لقد بردت القهوة، لذلك سكبَتْ فوقها قليلاً من القهوة الساخنة حديثة التخمير، ثم توجّهت إلى النافذة، وفتحتِ السّتائر، فظهر خلفها الفناء الذي يحيط به السور، وتحت سحر ضوء القمر، بدت نباتات الصّبار- بعضها طويلة وبعضها قصيرة وثخينة – وكأنها اتّسمت بصفات حيوانية، تقف هناك بانتظارها– وقد انعكس ضوء القمر على وجوهها وأبدانها المليئة بالوبر والأشواك– وتحدّق إليها بعيون لامعة، كانت رؤوس بعضها كبيرة، أما أطراف الأخرى فبدت ضخمة.

بعد أن أغلقت الستائر، جلست إلى مكتبها، وحدّقت إلى الجملة الأخيرة التي كتبَتْها على شاشة الحاسوب:

«الذكاء شيء خطير، إذا لم يمتلك المرء إحساساً بالمشاركة، ولكن إحساس المشاركة لا يمكن لأولئك الذين نشأوا على مبادئ الغرور أن يتعلّموه أبداً، فهم ليسوا متواضعين بما يكفي لجعلك تثق بهم وبنواياهم».

في كل مرة تقرأ فيها هذه العبارات، وعلى الرغم من أنها تعرف أن ما كتبَتْه صحيح، إلّا أنها تشعر أن هناك شيئاً ما مفقودٌ في ذلك النص.

أمسكتْ هاتفها المحمول على مضض- وربما بفضول- ووجدت أن المتصل قد ترك لها رسالة صوتية هذه المرة. إنه صوت المرأة التي سبق لها أن اتصلت، قالت بالنبرة الهادئة السابقة: «عقلي في مكان مظلم، أنا ضائعة، أنا أُشكل خطراً على نفسي وعلى الآخرين. أنت فقط بإمكانكِ مساعدتي يا جوجو، من فضلك تعالي وساعديني».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

6

في العادة، تكون ليالي مونتانا هادئة ولا يخرق هدوءها سوى عواء الذئاب ونعيق البوم، وأصوات أخرى لأنواع مختلفة من الطيور المجهولة.

يصل ضوء النجوم الملتهبة التي احترقت منذ أعوام كثيرة، ويتلألأ ضوء القمر البارد على المباني المظلمة التي تُظهر حماقة السباق البشري.

سار آشير أوبتيم في الشارع الرئيسي الوحيد والمليء بالأعشاب، مستمتعاً بهواء الليل المنعش والنظيف، وبالسلام المسيطر على الجو هنا، وهو يشعر بالندم على لحظات الصراخ التي ستأتي لاحقاً مع أنها ستكون قصيرة.

في معظم الليالي، لا يبقى مستيقظاً إلى هذه الساعة، فهو في العادة، ينام بعمق كالأطفال في أرحام أمهاتهم من منتصف الليل حتّى بزوغ الفجر. تحدث أحلامه المثيرة في بيئة ثلاثية الأبعاد لرسمات مارسيل دوشامب، وجوان ميرو، وروبرت روشنبرغ، وغيرهم. في تلك الأحلام، يعذبه فنانو التفكيكية أولئك، أو يقتطعون أجزاء منه أو يمحونها، حتّى يبدو وكأنه سيختفي عن الوجود قبل أن يستيقظَ، ولكن في كل مرة لا يتحقق ذلك التوقع، حيث ينتهي كل حلم عندما لا يبقى منه سوى قطعة واحدة: يد تزحف على باب كبير مؤطر بالطوب، أو عين وحيدة حزينة هائمة في الفراغ حيث ينبح كلبٌ ما في الظلام، أو بقايا وجهه يعوم أمام حقل مليء بالألوان. في تلك الليلة، قرر ألّا ينام أو يحلم لأن دوره حان ليكون الفنان الذي يمسح معنى الحياة، حياة امرأة تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها وتدعى أوفيليا بول.

منذ خمسة شهور- وقبل أسبوع من عيد ميلاده الثاني والأربعين- اكتشف آشير طريقاً لا يؤدي إلى أي مكان، وقد قادَه هذا الطريق إلى كل شيء أراده.

في مونتانا، تبدو البراري وكأن لا نهاية لها، وتمتد الوديان كالسهول إلى مسافات. تتميز الغابات الهائلة هنا بأنها عذراء، ومن المحتمل أن تكتشف أن بعض الكائنات التي قيل إنها انقرضت تعيش في هذه المناطق كثيفة النباتات والتي تملؤها الظلال، بعد أن تخفيها الجبال الشاهقة في ظل الغروب الدموي، وهذا ما يجعل منها معقلاً محتملاً لمملكة شريرة في رواية خيالية، حيث تغرق الوديان في الضباب الذي يحاول أن يخفي الممرات السرية التي تفضي إلى أعماق المخابئ الكامنة تحت سطح الأرض.

بحسب المعايير الإنسانية، تحتوي مونتانا أماكن منعزلة لا تُعد ولا تُحصى، وفي بعض هذه الأماكن سكن أناس ذوي تطلعاتٍ وأحلاماً عالية، أتوا بحثاً عن الذهب، وظلوا يبحثون عنه حتّى خارت قواهم، ثم أتوا بحثاً عن الفضة، ثم عندما نفدت الفضة بحثوا عن النحاس. بنوا مجتمعات صغيرة، اعتقدوا أنها

ستنمو وتصبح مراكز للتجارة والنقل، نجح بعضهم في ذلك، ولكن كثيرين غيرهم فشلوا. على أراضي الولاية التي تبلغ مساحتها 147 ألف ميل مربع هناك بعض الأماكن الأكثر عزلة، وهي ليست الأبعد عن أماكن الحضارة فقط، ولكن الرجال والنساء فيها أملوا أن يبنوا مستقبلاً باهراً قبل أن تصدمَهم الحياة، وتجبرَهم على التخلي عن كل ما سبق لهم أن بنوه.

خلال الأشهر العديدة التي قضاها آشير أوبتيم في التحضير لحياته الجديدة، ومن بين المستعمرات العديدة البعيدة التي وجدها واكتشفها كانت هذه الأكثر ملاءمة لهدفه. هناك طريق مهدم بفعل الزلازل والعوامل الجوية، حيث كانت منذ عقود أعلى قمة في غرب الأرض، لقد انهارت ودفنت معالم الطريق المؤدي إلى مدينة مهجورة قابعة تحت أطنان من الغبار، حيث ينتهي الطريق إلى غابة كثيفة الأشجار تحجبه عن مرأى الناس، لذلك لن تلاحظه إلا عين مدربة وخبيرة، وباحث مُجدّ في عمله يقود سيارة جبلية ذات إطارات خاصة، بإمكانها أن تسير في تلك الأميال الثلاثة التي تقع بعض أجزائها في نهر متدفق، حيث جاء أولئك المجهولون الذين كانوا جادين وقرروا السكن هنا لسبب ما، ليس متأكداً تماماً ما هو.

من بين المباني الستة والخمسين هناك اثنان وعشرون مبنى منهاراً تماماً، أو تحول إلى خراب، بحيث أصبح من الخطير الدخول إليها. أما المباني الباقية، فهي في الغالب منازل بسيطة أكل الدهر عليها وشرب، وربما أكبر بناء هناك كان مصنعاً متواضعاً على الرغم من أنه جُرّد خلال انهيار المستوطنة من كل المعدات والأثاث الداخلي الذي من شأنه أن يوضح طبيعة عمله.

بحسب أفضل تقديراته، لم يقم أحد هنا قبل العام 1860، ولقد تخلى آخر سكان هذه المستوطنة التي لم يُعترَفْ بها على أنها مدينة قرابة العام 1890. لا يستطيع إلا أن يقف بدهشة أمام عظمة بنائهم ونجارتهم، فلو أن مهاراتهم كانت أقل من ذلك بقليل، ما كان أي بناء ليصمد حتّى هذه اللحظة. استخدموا حجارة من المنطقة وعوارض الخشب الثقيلة. ويبدو جلياً مدى إخلاصهم في بناء كل شيء، لذلك تساءل إن كانوا جزءاً من طائفة دينية ما.

عند مدخل المدينة، وجد لوحاً خشبياً مهترئاً مثبتاً على عارضة حجرية، وقد كتبت عليه خمسة حروف باستخدام آلية حرق الخشب، ظنّ أن هذا هو اسم المكان: صفورة. في إحدى زيارته لشراء حوائجه من أقرب مركز للتجارة- والذي يبعد أكثر من ثلاثة عشر ميلاً من هنا- بحث عن معنى هذه الكلمة، واكتشف أنها اسم زوجة النبي موسى عليه السلام. وقد دعم هذا الاسم إلى جانب وجود كنيسة ضخمة مبنية من الحجارة استنتاجه السابق.

هناك مبنى آخر، وهو عبارة عن مشرب، صدر من فتحاته، قبل أن يصلحها، الكثير من النغمات والأصوات عند هبوب الرياح. لقد تساءل لما تُعاقب مدينة متدينة مثل هذه، كان هذا السؤال يسليه، ولكنه لم يخصص أي وقت للتفكير فيه على أية حال، لم يكن متفاجئاً من أن السكان ربما كانوا منافقين، فبرأيه كل البشر منافقون، باستثنائه طبعاً.

مدينة الأشباح.

لا يصلح مثل هذا الموقع لتحقيق هدفه فقط، بل له دلالة رمزية رائعة. فهو يسعى للتأكد من أن الأرض ستصبح بكاملها من القطب الشمالي حتّى الجنوبي مدناً للأشباح، كوكب لا يحتوي على بشري واحد يزعج سلام البحار والأرض.

في هذا المكان ستبدأ النهاية.

كلا، لقد بدأت النهاية بالفعل، فقد مات أربعة وينتظر آخرون موتهم.

بعد أن سار الطريق كله، عاد باتجاه المشرب الذي يتوسط المستعمرة، تتوهج جدرانه الخشبية المطلية بلون فضي بفعل انعكاس ضوء القمر عليها، لقد بدا المبنى بأكمله كشبح رمادي كبير. كُسرت أغلب نوافذ المبنى من الخارج، ومن الداخل رُقعت بألواح خشبية، وهناك نوافذ أخرى تراكم عليها الغبار فبدت مثل عيون مصابة بالمياه السوداء.

بعد أن وجد مدينة صفورة في الثاني من شهر نيسان، قضى آشير شهراً كاملاً ينقل المعدات ووسائل العزل لحماية المشرب من الشتاء القادم. وتمكن باستخدام أربع وثلاثين أنبوباً للسدّ، وعدة صناديق من العازل، والكثير من الأغطية البلاستيكية من حجب الرياح التي حصلت على تذكرة دخول طيلة عقود. ووضع موقداً حديدياً، واستخدم منشاراً ليقطع الأخشاب من الأشجار الميتة في الغابة ويستخدمها ليؤمّن الدفء.

من الخارج، يبدو المشرب كما كان عندما أتى للمرة الأولى، ولكن من الداخل أصبح هناك مساحة مريحة مشابهة لغرفة معيشة تحتوي على أريكة ومسند للقدمين، وكرسيين موضوعين حول طاولة خشبية بسيطة صنعها بنفسه، حيث يمكنه تناول وجبته هناك، وقضاء ساعات في كتابة بيانه الذي سيغير العالم، وينهي تاريخ البشرية.

ستكون أوفيليا حيث تركها: تجلس على الأرض وقدميها مربوطتين بعناية شديدة أمامها. وقد طوقت رقبتها سلسلة تقيدها بالحائط. صعد درجتين باتجاه الشرفة الواسعة، واقترب من الباب الأمامي، وهو يتوقع أن يسمع صوت نحيبها الناعم. جميعهم ينتحبون عاجلاً أم آجلاً، سواء أكانوا رجالاً أم

نساءً. إذا حصل وخطف آشير شخصاَ ذا عزيمة وقرر هذا الشخص انتظار مصيره من دون أن يدمع، فسيحاول بكافة الأساليب الممكنة تحطيم عزيمته هذه، فلا يفترض بمن يقتلهم أن يموتوا وهم يفكرون بالوهم القائل: إن الموت يعني شيئاً ما، أرادهم أن يفهموا أنهم لا شيء، وأنهم لا يعنون شيئاً في هذه الحياة، أرادهم أن يموتوا مرتين: أرادهم أن يعانوا أولاً من موت الروح، ثم من موت الجسد. هذا هو المسار الذي يجب أن يتبعه كل البشر، بهدف أن يضمن أن المستقبل سيسير كما يتخيله في بيانه.

يبدو أن هذه الوضيعة لم تنتحب حتى الآن.

فتح الباب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

7

في معظم الأحيان، تخرج جوانا تشيس مع بزوغ الشمس لتمشي طويلاً، وتنعشُ عقلها وجسدها قبل أن تبدأ بالكتابة. سانتافي مدينة غنية بالمتاحف والكنائس التي تظهر فن العمارة المذهل، والكفيلة بتبديد رتابة رياضة المشي الصباحية لدى الكثير من متحمسي اللياقة والصحة.

في ذلك الخميس من آب، وتحت سماء زرقاء شاحبة مليئة بالغيوم، قررت جوانا أن تمشي لمسافة أقصر من المعتاد، مجرد عشر دقائق إلى منزل كاثرين أينسلي، مع أنها مديرة عامة متقاعدة لأفضل فنادق المدينة، إلا أنها لا تزال تستيقظ دائماً قبل ظهور شعاع الضوء الأول. سارت جوانا تحت أغصان أشجار الصفصاف التي يصل طولها إلى ثلاثين قدماً، والتي ظللت المنزل، واستطاعت رؤية الخالة كاثرين من خلال نافذة باب المطبخ، كانت ترتدي بيجاما حريرية حمراء، ورداء من قماش مماثل، وهي تجلس إلى طاولة الفطور، وأمامها كعك، وطبق من السمك المدخن، وفنجان شاي، وجريدة.

طرقت على الباب ودخلت، قالت كاثرين: «لو كنتُ أعلم أنك ستمرين عليّ، كنتُ لأُحضر بعض القهوة».

قالت جوانا التي تكره الشاي: «إنها زيارة مرتجلة، أثناء مروري من هنا، قررت الدخول وإزعاجك».

«أوه يا عزيزتي، لا يمكنك إزعاجي، وإن رغبْتِ في ذلك. حسناً، على الأقل يمكننا القول إن الأيام التي كنتِ تزعجينني فيها ولت منذ تجاوزتِ السادسة عشرة، خلال سنوات المراهقة تلك، كنتِ تسببين بعض المشاكل أحياناً».

عبرت جوانا الغرفة باتجاه آلة صنع القهوة: «لا أتذكر وجود هذه هنا».

«وجدت أن وضعها هنا أنسب». ثم قالت: «هناك الكثير من السمك المدخن في الثلاجة من النوع المُدخن بالسكر كما تحبينه».

بينما كانت تنتقي من علبة مليئة بنكهات القهوة، شغلت آلة صنع القهوة وقالت: «سأكتفي بشرب القهوة».

«هل راودتْكِ تلك الأحلام مجدداً؟».

«ذهبتُ لأنام عند الساعة العاشرة والنصف، ولكنني استيقظْتُ قبل الثالثة بعد منتصف الليل».

«لقد مضى على إقامتك بمفردك سنوات، من غير المستحب أن تنامي بمفردك، ربما هذا ما يسبب لك الكوابيس وسواها من المؤثرات السلبية».

«وهل هذه المعلومة من ورقة بحثية صادرة عن جامعة هارفرد؟ أم أنكِ تخبرينني عن أمر اختبرته شخصياً يا خالتي كيت؟».

«يا صغيرتي، أنا أشعر بالقلق عليك، فأنت وحيدة، وتنامين بمفردك».

«لا أذكر أنني اشتكيتُ من الوحدة».

«صحيح، أنتِ لم تشتكي بشكل مباشر، ولكن كلمات كثيرة عبّرت عن ذلك، لا شيء يمنع الأنثى أن تكون نسوية، وأن تقبل أن الحياة يمكن أن تكون أفضل إن حظيت بالرجل المناسب».

كانت الخالة كاثرين مشرقة، وحيوية، وجذابة وتخطط لزفافها الثالث وهي في السادسة والستين. لقد هجرها زوجها الأول برنارد منذ خمسة وثلاثين سنة عندما أصبحت مسيرتها المهنية أكثر نجاحاً من مسيرته، من الواضح أنه لم يكن مناسباً لها. بعدها تزوجت من هاري في السنة التي تخرجت فيها جوانا من الكلية، بدا لطيفاً، وعاشا سعيدين طيلة أحد عشر عاماً قبل أن يسلبها السرطان إياه. بعد سنة من وفاة هاري قابلت صول، وهو الرجل المناسب الثاني.

تنهدت جوانا وهي تشاهد القهوة الساخنة وهي تنقط بهدوء في كوبها: «خالتي يختلف رجال جيلي عن رجال جيلك كثيراً، لا يستطيع معظمهم الالتزام بأي شخص سوى أنفسهم، حتّى أن آلة صنع القهوة هذه جديرة بالثقة أكثر منهم».

«ولكن ليس هناك أي متعة في احتضان آلة القهوة هذه». ذهبت كاثرين إلى البراد وهي ترفل بالحرير الأحمر، وأخرجت مزيداً من السمك المدخن، ووضعته على الطاولة مع صحن إضافي: «هل تريدين الكعك؟ أم الجبنة الطرية؟ إن السلمون يعزز الرغبة الجنسية لدى النساء، بالقدر نفسه الذي يعزز فيه المحار الرغبة عند الرجال».

قالت جوانا وهي تجلب قهوتها، وتجلس قبالة خالتها إلى الطاولة: «ليس بالقدر الذي أعرفه».

سألتها كاثرين وهي تضع الجريدة جانباً: «هل حلمت بالدب الرمادي مجدداً؟».

قالت ببرود وهي تحرّك قهوتها: «أجل، ولكنّه لم يكن كابوساً، بل عوضاً عن ذلك قطفتُ الأزهار البرية وقدّمتُها له، لقد قتل والدي وأنا قدّمت له الأزهار، ما خطبي؟ أبدو شخصاً مريضاً، أليس كذلك؟».

حدّقت كاثرين بعينيها الزرقاوين الصافيتين صفاء سماء سانتافي في جوانا، وكأنهما جهاز مسح الشيفرات: «هل كنتِ تحبّين والدك؟».

«طبعاً، فهو والدي».

«إلى أي درجة تتذكّرينه؟».

«لقد كنتُ صغيرة، وبعد مضي كل هذا الوقت...».

«لم يكن رجلاً متحفظاً، تقول والدتك إنّه خجول، ولكنني أعتقد.. حسناً، أعتقد شيئاً آخر. أعتقد أنّه تزوّج والدتك لأنّه كان يشعر بالفراغ، بينما كانت هي بكامل تركيزها وكمالها، كانت حياتك في مزرعة راسلنغ ويلوز شاعرية أليس كذلك؟».

رفعت جوانا كتفيها: «كانت المزرعة مكاناً جميلاً، ولكن هل كانت شاعرية؟ أعتقد هذا. ذكرياتي عن المكان ضبابية».

«لقد ذهبتُ إلى هناك لمدة أسبوع، عندما كنتِ في السابعة، أتذكّر ذلك جيداً، جمال طبيعة والسلام الذي يخيّم هناك، جعلاني أظنّها تبعد خطوة واحدة عن الجنة».

«حتّى جاء اليوم الذي لم تعد فيه كذلك».

قالت كاثرين وهي تمسك بقطعة من الكعك وتنشر الجبنة عليها: «لستُ معالجة نفسية، ولم أشاهد أي واحدة على التلفاز، ولكنني أظنّ أنّك في جزء صغير من تفكيرك تلومين والدك، لأنّه تركَكِ هناك وحدكِ وغادر».

«هذا التفكير غير منطقي، فهو لم يرغب بالموت».

«لا يتميّز الّلاوعي بأنّه يدرك دائماً كلّ الحقائق يا حلوتي». مدّت كاثرين نفسها عبر الطاولة، ووضعتِ الكعكة في طبق جوانا.

«هل يحتوي الكتاب الذي تعملين عليه الآن على أي تجارب طفولية قد تكون هي السبب في إثارة كل هذه المشاعر؟».

«كلا، لا يحتوي على أي شيء من هذا القبيل، وقد حدث أمرٌ أدّى إلى سير هذه الأحلام في مسار آخر».

عندما انتهت جوانا من سرد قصة المكالمة الهاتفية التي تلقّتها منذ عدّة ساعات، قالت كاثرين: «يا له من شيء غريب، لديك الحق بأن تكوني حذرة من هذه المرأة أياً تكن، هناك عالم كامل يعيش فيه المحتالون فقط، ولكنّك تتذكّرين جيمي صاحب العينين بالتأكيد؟».

وضعت جوانا الكعكة التي التقطتها للتوّ في الصحن مجدداً: «هل هو شخص حقيقي؟ هل تتذكّرينه؟».

«يكبرك بثلاث سنوات، إنّه ابن هيكتور وأناليزا.... ألفريز! أجل، هيكتور وأناليزا ألفريز».

«هيكتور مدير المزرعة». قالت جوانا ذلك وكأن صورة الرجل البارد، ممتلئ الجسم، والملتحي، والذي يكاد لا يبتسم قد خرجت بشكل واضح من غموض الضباب، وارتسمت أمامها.

«أجل، وكانت أناليزا مدبرة المنزل والطباخة. كانت ووالدتك مقربتين، وأقرب إلى الأختين من أن تكونا مديرة وموظّفة».

مع أنّها لم تفكر بهما منذ فترة طويلة جداً، في الحقيقة، ربما لم تُفكّر بهما منذ خمسة وعشرين عاماً. استعادة جوانا الآن وجهي هيكتور وأناليزا بوضوح شديد، وهذا ما جعلها تستغرب أنّهما لم يخطرا على بالها مرة واحدة منذ انتقلت من مونتانا. كانت أناليزا بمنزلة خالة لها، وهيكتور بنزلة عم. مع أنها كانت تبلغ التاسعة من العمر عندما رأتهما للمرّة الأخيرة، ولكن بدا أمراً غير منطقي أنّها حذفتهما من حياتها، كما لو أنهما بيانات قديمة لم تعد بحاجة إليها.

ما أدهشها وجعلها محتارة أنها لم تتذكّر ابنهما جيمي مع أنها بذلت قصارى جهدها لتذكره: «يبدو أنني أعاني من فقدان ذاكرة لأحداث انتقائية معينة، هل قلتِ جيمي؟ جيمي.. جيمي ألفريز صحيح؟ لماذا يُلقّب بصاحب العينين؟».

قالت كاثرين: «هذا ما أطلقه عليه عمال المزرعة».

تذكّرتهم جوانا بشكل مبهم: كانوا أربعة، رجال نحفاء، متشقّقو الأيدي، لوّحت الشمس وجوههم.

عندما ورث والدها المزرعة من جدها- في السنة التي وُلدت فيها- كان يعمل فيها قرابة ستة عشر أو ثمانية عشر رجلاً، وقتها كانت مزرعة للمواشي، ولكن والدها باع المواشي- وكانت بالمئات– وحوّل المزرعة إلى مزرعة أحصنة. ربع الأحصنة كانت من النوع الفاخر، ربّاها ليبيعها في السباقات، بالإضافة إلى أنّه وضع سلالة إضافية من أجل عروض الاستعراض لمن لديهم المال الكافي لينغمسوا بذلك النوع من الهوايات الرخيصة.

قالت كاثرين: «لم يتلفظوا بهذا اللقب أمام والديه أبداً، ولكنّهم لم يقصدوا السخرية منه»، ثم تابعت: «هناك شيء ما يشعرك بالحنان فيه، لقد أشفقوا على جيمي كما أشفق عليه الجميع، وخافوا منه أيضاً على الرغم من أنّ الطفل المسكين لم يشكّل خطراً على أحد، ولكن كانوا يخافون مما يُمثّله».

«ماذا تعنين؟ ما الشيء الذي يُمثّله جيمي؟».

تفحصتها كاثرين بقلق: «عزيزتي، هل أنت فعلاً لا تتذكّرين؟».

«لا أستطيع حقاً».

مع أن طبق كاثرين لا يزال يحتوي على بعض الكعك والسمك المدخن، ولكنّها دفعته جانباً، ونظرت إلى كوب الشاي الفارغ، وإلى الإبريق الموضوع على رفّ قريب مُزين بشمعة. أخيراً، قرّرت أنّها لا تريد مزيداً من الشاي، فأبعدت الكوب أيضاً. كانت يداها ترتعشان مع أنها لا تعاني من أي مرض له علاقة بالقلب.

«يمثّل جيمي كلّ أشكال الفوضى التي نعلم أنّها قد تنفجر في أي لحظة من حياتنا، تلك الفوضى التي غالباً ما تمنع عقولنا من التفكير، لقد عانى ذلك الولد اللطيف من عيوب خلقية شديدة، فرأسه مشوّه، كما لو أنّه وُلِدَ بجمجمة شمعية القوام تجمّدت وتحوّلت إلى عظام بعد فترة من الزمن. وكان وجهه، نظراً لوجود كلّ تلك المشاكل وتلك العينين، وجهاً مؤسفاً».

«صاحب العينين... لماذا أُطلق عليه هذا اللقب؟ جميعنا نملك عينين؟».

«صحيح، ولكن أعيننا تختلف عن عينيه، لأن عينه اليسرى أعلى من اليمنى بحوالى بوصة، وهذا ليس الفارق الوحيد، فاليسرى زرقاء صافية، أمّا اليمنى فسوداء محتقنة بالدم. قال ماك نورثلاند وهو أحد أكثر العمال إثارة للاهتمام: أنّه عندما يحدّق جيمي، مع أنّك تعرف أنه ليس شخصاً مؤذياً، فإنك تشعر وكأنّ شيطاناً وملاكاً يراقبانك في آن». سحبت كاثرين طرفي ردائها القرمزي، وغطّت فمها كما لو أنّ المطبخ قد أصبح بارداً وتابعت: «لا أستطيع تصديق أنك نسيت ذلك».

«ولا أنا، ولكنّني نسيتُ».

«كان مستوى ذكاء جيمي منخفضاً جداً، ولم يكن قادراً على تعلّم اللغات، حيث لجأ إلى إصدار الأصوات غير المفهومة ليشير إلى ما يريده، لم يكن لديه أي إدراك للأعراف الاجتماعية والحدود التي يجب التزامها مع الأشخاص، لذلك كان في الغالب يحدّق إليك بوقاحة لوقت طويل، ولكن عليكِ أن تفهمي أنّه لم يكن يعرف الشخص الذي يحدّق إليه، إنّ عقله بطيءٌ في إدراك الأمور، ورغم هذا، كلما حدّق إليك لمدة أطول، زاد قلقك. لم يكن قويّاً، بل ضعيفاً، ولم يكن سريعاً، بل بطيئاً، ومع هذا فكلّما طال تحديقه، تشعرين أنه...»

«أنه ماذا؟».

«يخطّط لشيء ما، وهذا غير منصف بالنسبة إلى طفل، فهو لم يكن قادراً على التخطيط لأي شيء بنيّة شريرة مقصودة، لقد كان مجرّد ضحية لطبيعة ظالمة، ولكن يؤسفني القول إن هذه هي الطبيعة البشرية، ألسنا نحكم دائماً على المظاهر؟».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

8

في ذلك المشرب الذي سبق ذكره، وحيث بدأت نهاية العالم، تجلس أوفيليا بول الآن على كرسي وتضع يديها المربوطتين بإحكام على الغطاء فوق الطاولة التي بناها آشير أوبتيم. وهو يجلس قبالتها بصفته مُخلّص العالم من هذا المرض الذي يدعى البشرية.

لم تنتحب حتّى الآن، كما لو أن إنكاره وحرمانه من دموعها سيعطيها القوة، ويمنعه من السّيطرة عليها.

ستعلم قريباً أنه شخص لا يمكن رفضه وإنكاره.

تسمح النافذتان الوحيدتان السليمتان في الغرفة، بمرور شعاع خفيف من ضوء الشمس عبر الغبار المتراكم على مرّ السنوات، أمّا معظم الضوء فيأتي من مصباح غاز كولمان، الذي يتوهج فتيله منيراً الغرفة، وبسبب ضغط الغرفة المنخفض، فإنّ الإنارة أقلّ من العادة. في الحقيقة، بشرة أوفيليا سمراء بعض الشيء بفعل شمس الصيف الرائعة، ولكنها تبدو شاحبة هنا، ويظهر شعرها ذهبي اللون وكأنّه فضيّ.

في نهاية الغرفة، تجتمع الظلال لتبدو وكأنها شهود يرتدون الأسود أمام هيئة المحلّفين.

أوفيليا التي تبلغ من العمر ثمانية وعشرين سنة جذّابة جداً، لديها أخت توأم، أوكتيفيا والتي قُتلتُ بحادث مرور عندما كانت في الثلاثة والعشرين من العمر. آمنت أوفيليا بأنها شخص فاضل، وقرّرت بعد مرور فترة الحزن الشديد الصعبة، أنّ ترد الجميل لمجتمعها عن طريق تقديم المشورة لأولئك الذين خسروا أحباءهم منذ فترة قريبة، من خلال لقاءات تجرى في الثلاثاء الثاني من كل شهر في كنيستهم، من أجل الدعم المعنوي ومساندة بعضهم على بلسمة المشاعر المجروحة. قبل ليلتين من اليوم، ارتكبت أوفيليا خطأً كبيراً عندما كانت آخر شخص يغادر الجلسة، في اللحظة التي كان فيها آشير يتربّص باحثاً عن شخص خامس يخدم كإثبات لالتزامه بالقضاء على فظاعة البشرية على هذا الكوكب المُجهد.

صباح الأمس، استيقظت من تأثير الكلوروفورم، ووجدت نفسها في هذه الغرفة مُقيّدة إلى الحائط. منذ أن اختطفها، دوّن آشير بيانه وأطعمها ثلاث وجبات، واصطحبها إلى خارج المنزل حيث انتظرها وهي تقضي حاجتها، فهو لم يكن قاسياً في ما يتعلّق بهذه الأمور. كل ما طلبه منها هو أن تقرأ ما كتبه حتّى الآن من وثيقته، أو بيانه الرسمي إن جاز التعبير: اثنان وخمسون صفحة بكتابة متقنة ودقيقة. قرأتها كلها، وتمنّت أن تناقش الأمر معه، واعتقدت أنه

سيعجب بتعليقاتها، ولكنّها لم تعجبه، فهو لم يرد منها سوى أن تفهم هدفه، وتعرف دورها في هذه المهمة الرائعة التي يؤديها.

الآن، وفي الوقت الذي يجلسان فيه قبالة بعضهما إلى الطاولة في ظل ضوء المصباح الخافت، شرح لها أنه لا يُفضّل أن تتحدّث من تلقاء نفسها خلال المحادثة التي سيجريانها، ويفترض بها أن تكتفي بالإجابة عن الأسئلة بأكبر قدر من الإيجاز، وأخبرها أنّه لن يكون متسامحاً معها، إن حاولت إقناعه بأي شيء، فهو لن يحيد عمّا خطط له.

في البدء، أطلعها على سيرته الذاتية لتكون على بيّنة من أمرها: فهو حائز على درجة البكالوريوس من إحدى جامعات رابطة اللبلاب، وعلى شهادة في الطب من جامعة أخرى، وتحدّث عن قراره بألّا يمارس الطب، وعن رحلته الطويلة مع كزانتوس تولر- حكيم حركة الاستعادة– وعن الرؤى العميقة التي اكتسبها بعد تجاربه الحكيمة على المسكالين([2]) والقلويد والسيلوسيبين([3])، حيث جعلته يتوصّل إلى إدراك أنّ كلّ المواد الموجودة على هذا الكوكب حيّة وتُدرك ما حولها، وهذا الأمر لا يقتصر على الحيوانات والنباتات.

استمعت بهدوء، كما طُلب منها أن تفعل، فآشير أكثر الرجال دقة في ملاحظة وإدراك ما يجري، ويستطيع أن يقرأ كل أفكارها من خلال أبسط التعابير والتغيرات في حركات وجهها وجلستها، وذلك من خلال النظر إلى عينيها الخضراوين الساحرتين. إنها تخاف منه وتعتقد أنّه مجنون، وبالتالي فهي ترفض أن تفهم أهمية دورها في مهمته الرائعة تلك، وتكمن مشكلتها في أنّها تحاول أن تطمئن نفسها بالأمل وهي في ظلّ هذه الظروف، إنها لا تفهم أنّ الأمل عملة لا قيمة لها، فالأمل يمنعها من رؤية الأهوال التي تسيطر على الحياة، تلك الأهوال ستقضي عليها في أي لحظة. في الواقع، إن الأمر أكثر سوءاً من ذلك، لأنّ الأمل يمنعها من رؤية كيف أنّها شخص عديم الجدوى، ولا هدف لوجوده في هذه الحياة، ويحرمها من رؤية الأذى الذي تسبّبه لمجرد أنّها حيّة.

إنّه يسعى من خلال هذه المحادثة إلى سلبها كلّ الأمل، وبذلك تصبح عندما يكتب عنها في بيانه عبرةً ودرساً مقنعاً، وتحرّك مشاعر أولئك الذين سيقرؤونه، فينضمّون إلى ثورته العظيمة.

سألها مجدداً: «أنت فتاة جميلة، هل تعلمين كم أنت مرغوبة؟».

«أجل».

«هل تظنّين أنّني اختطفتكِ بسبب جمال مظهرك؟».

«أجل».

«لقد جلبتُ حتّى الآن رجلين وامرأتين أقل جمالاً منك. لقد جلبتك فقط لأنّك تبدين غير مبالية، وهذا ما جعل عملية اختطافك مناسبة، لا يعني لي مظهرك شيئاً».

بقيتْ صامتة.

ابتسم: «لم تجيبي لأنني لم أسألك، فتاة جيدة وذكيّة، هل تتوقعين أن أغتصبك؟».

أجابت باقتضاب وفقاً لتعليماته: «أجل». ولكن تعابير وجهها أظهرت له أقصى درجات الاحتقار.

أغلق نصل السكين ووضعه جانباً: «ليس لديّ أي اهتمام جنسيّ بكِ يا أوفيليا، هل تصدقينني؟».

«كلا».

«لقد قرأْتِ ما كتبتُه حتّى الآن في البيان، تعلمين أنّني في حالة تمرّد ضدّ كلّ ما هو بشري، هل تعلمين ذلك؟».

«هذا ما كتبته».

أومأ: «يبدو من تعابيرك أنك لا تصدقين ما أكتبه، ولكنّني أُصدّقه يا أوفيليا. دوافعي نقية، هل يمكنك أن تخمّني ما فعلتُه لأحرص على أن تبقى دوافعي نقية؟».

«متأكدة من أنّكَ ستخبرني».

لم يكفّ المصباح عن الصفير، ولكن في بعض الأحيان يبدو أن الصفير يأتي من مكان آخر في الغرفة، كما لو أن هناك ثعباناً ضخماً ينزلق على أحد جدرانها.

«لقد درستُ الطب لأن هذا ما يفترض برجال عائلتنا أن يدرسوه، ولكنّني لم أكن راغباً بالطب. لقد فتح والدي حساب ادخار باسمي في الشهر الذي ولدتُ فيه، وأودع فيه الأموال كل شهر. لم أحتج لأبحث عن مصدر دخل، وهذا ما أعطاني فرصة القيام بشيء ذي أهمية كبرى، وقد استطعْتُ فهم هذا خلال فترة تواجدي مع كزانتوس تولر، أنا ثائر على البشرية المدمّرة. ولكن ما هو الشي الأكثر جوهرية في البشرية؟ أكثر شيء لا يقاوم لدى هذا النوع المجنون؟ أكثر دافع مرضي وهوسي؟ تلك الرغبة التي تجتاح كلّ الرغبات الأخرى؟».

أجابته: «المال».

هزّ رأسه نافياً: «أنتِ تفهمين الفكرة، ولكنّ جوابك غير صحيح». المال ثاني أكثر رغبة، أمّا الرغبة الأولى فهي الجنس. البشر مهووسون بالجنس، إنهم يرغبون به، ثم يرغبون به مجدداً، ثم يرغبون بالمزيد، ثقافتنا المريضة مرتبطة به. إن الهدف من الجنس هو التكاثر، تمارس الحيوانات الجنس خلال فترة قصيرة من العام عندما تكون إناثها في حالة مناسبة، ولكنّ البشر لا يكفّون عن ممارسة الجنس معظم الوقت. أنا لستُ من هذا النوع، لستُ من نوعكِ يا أوفيليا. فأنت تأملين أن تتحكّمي بي، وربما قتلي عندما أعتليك لأغتصبك بسبب جمالك ونضجك الجنسي، قد يشعرني الهوس الجنسي بقيمة نفسي أكثر مما أستحق، ولكنّه أملٌ خاطئ يا أوفيليا. هل تعرفين لماذا لن أعتليك، ولن أمارس معك أي نوع من الجنس؟».

قالت وما زالت ملامح عدم التصديق واضحة عليها: «لا أعرف».

انحنى واتّكأ على الطاولة: «عندما يحصل الإنسان على تعليم من الدرجة الأولى في كلية الطب، ويكون لديه المال الكافي ليحصل على أي نوع من المخدرات، ونظراً إلى المهمة العظيمة التي كرّست نفسي لها، يعتبر استئصال الخصيتين مع القليل من الألم أهون من المعاناة من نزيف أنف سيّئ بسبب تعاطي المخدرات».

حدّقتْ إليه وكأنها لم تفهم ما يقول.

تابع: «منذ أكثر من سنة، حقنْتُ كيس الصفن والأنسجة المحيطة به بمخدر موضعي قوي، وبمساعدة واحد من أفضل مساعدي كزانتوس تولر استأصَلْتُ خصيتيّ، لقد أخصيت نفسي ذاتياً، أنا لست مجرد معتنق لفلسفة حركة الاستعادة يا أوفيليا، بل أعيشها حتّى الجذور».

ظنّ أن غياب التعابير عن ملامحها سببه دهشتها من التواجد في حضرة رجل شجاع مثله، وأنها غير قادرة على الكلام بسبب طبيعة تعلّقه بالتزاماته.

أكمل آشير: «توقّع القائد الملهم كزانتوس أن يظهر ذات يوم منقذ لهذا العالم، ويخلّصه من المرض المعدي الذي هو البشرية، ويعيد الصحة إلى كوكبنا المعذب، وأعتقد أن ذلك المنقذ سيكون عالماً، وسيخترع طاعوناً قادراً على إبادة البشرية، ولكن المنقذ ليس عالماً يا أوفيليا، لأنني أنا المنقذ».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

9

بعد تلك المحادثة المقلقة مع كاثرين، عادت جوانا إلى منزلها، وبعد أن مشت وانتعشت لمدة نصف ساعة. استحمت بسرعة، وارتدت ملابسها، وذهبت إلى غرفة العمل، وجلست إلى مكتبها.

لم تشغل الحاسوب، لأنّها تعلم أنها ستكتفي بالتحديق إلى الصفحة الثامنة والثمانين نصف المنتهية من روايتها، ولن تستطيع إضافة كلمة واحدة، لأنها لم تستطع التوقف عن التفكير في جيمي صاحب العينين.

على الرغم من مضي خمسة وعشرين عاماً على آخر مرة رأت فيها كاثرين ذلك الصبي في المزرعة، ولكنّه ترك لديها انطباعاً قوياً جداً، بحيث كانت قادرة على أن تتذكّر تفاصيل كثيرة عنه: الجمجمة المشوهة، والعينين مختلفتي التوضع بلونيهما المختلفين، والأذنين الصغيرتين، والأنف البارز، والفم الذي يبلغ حجمه نصف حجم الفم العادي. لا يوجد في كتب الطب تعريف رسمي لمتلازمة وراثية معينة تجمع كل هذه التشوهات معاً، بدا الأمر وكأن عاصفة وراثية قد ضربت الحمض النووي لجيمي، في وقت كانت الطبيعة الأم في حالة مزاجية سيئة، وقرّرت أن تُمطره بالآلام، بالإضافة إلى كلّ ما تَقدَّم، كانت يداه صغيرتين، وتطوّرت عظامه ببطء شديد، بحيث لم يزد طوله عن خمس أقدام، وكانت مشيته غير منتظمة بسبب وركه المائل.

لام والدا جيمي نفسيهما بسبب ما حلّ به، كانا بسيطين وعميقي الإيمان، لم يستطيعا لوم الطبيعة، لأن ذلك من وجهة نظرهما يعادل لومهما لله، وعلى الرغم من كلّ تلك المعلومات التي أعطتها إياها كاثرين، لم تستطع جوانا تخيّل جيمي صاحب العينين، ومن الغريب أن كلّ تلك التفاصيل لم تستطع إنعاش ذاكرتها. بالنسبة إلى تلك الفتاة الصغيرة ذات المخيلة الواسعة، من المؤكّد أنّ جيمي لم يكن مجرد شخص تشفق عليه، ربما كان شكلاً عظيماً يمثّل أسطورة كبيرة كشخصية في قصة خيالية، ربما كعرّاف لديه كلّ أسرار السحر، من خير وشر.

بعد فترة من التحديق إلى شاشة الحاسوب المطفأة، والتفكير في كلّ ما قالته خالتها كاثرين، سئمت، وقرّرت الذهاب إلى المتجر لشراء كلّ ما تحتاج إليه لتحضير طبق من اللحم البقري، وإلى جانبه صينية كبيرة من اللازانيا، لا بدّ أن يستغرقَها غسل، وتقطيع، وإعداد كلّ هذا ساعات، وهذا ما سيشغلها عن كلّ تلك الأحداث المثيرة للتساؤل، ويسمح للاوعيها بالتفكير، وإعادة ربط الأمور لتحصل على شيء ذي معنى.

عندما عادت إلى المنزل، وقبل أن تتوجّه إلى المطبخ، ذهبت إلى مكتبها لتلقي نظرة على بريدها الإلكتروني، كان هناك رسالة من كاثرين: جوانا، لقد احتفظتُ بكلّ الرسائل التي سبق لي أن تلقّيتها من والدتكِ، وهذه الرسالة واحدة منها. لقد علّمتُ السطور التي لها علاقة بالموضوع باستخدام قلم تظليل، كنتِ بعمر الثامنة عندما كُتبتْ هذه الرسالة على الأغلب. ما الذي بإمكانك الحصول عليه منها؟

طبعت صفحتي الرسالة المرسلتين بصيغة ملف بي دي أف، وقرأت الأسطر التي ظلّلتها كاثرين باللون الأصفر.

جوجو فتاة جيدة جداً، وأنا فخورة بها دائماً، خصوصاً وأنها لم تخف من جيمي ألفريز، ولم تجده شخصاً مشوّهاً، رأيتِ كيف كانت تعتني به عندما كنت هنا في الصيف الماضي، وتصنع له وجبة في كلّ مرة تصنع واحدة لها، حتّى أنها كانت تمسح له فمه وهو يأكل. في هذه الأيام، تقضي جوجو معه وقتاً طويلاً، إنهما يجلسان جنباً إلى جنب على المقعد في بستان التفاح، أو في الأسفل بجانب البحيرة، حيث تقرأ له القصص، وعلى الرغم من أنها في الصّف الثالث، إلا أنها تقرأ بمستوى الصّف الرابع أو أكثر، إنّها في غاية الذكاء، مع أنّني أشكّ بأنَّ جيمي المسكين يفهم الكثير مما تقوله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

10

يتيح زجاج النوافذ القديمة مرور بعض ضوء شمس الصباح القادم من سماء مونتانا، ويوحي ذلك الصفير الناعم الصادر من مصباح الغاز، وكأنّ هناك عملية استدعاء أرواح تحصلُ خلفه، هذا إن كانت الأرواح موجودة حقاً.

تريد أوفيليا أن تكون كالحجر والحديد. ربما استنفدت كلّ دموعها عندما ماتت أختها التوأم منذ خمس سنوات، وربما هي عميقة التديّن، ومقتنعة بأنّ هناك حياة بعد الموت. أياً يكن الأمر، ولكنّها قرّرت مهما يكن الثمن، ألا تكافئَ آشير وتذرف الدموع، ولا حتّى عندما يخبرها كيف سيكافئها مستخدماً سكّيناً حاداً قابلة للطيّ.

بحسب كزانتوس تولر الإنسان شرّير، لأنّه يملك ميزتين لا تتواجدان لدى غيره من الأنواع وهما: الأمل والطموح. فالأمل يعني غداً أفضل ورغبة في عيش حياة طويلة، لا يوجد أي مخلوق آخر على وجه الأرض يعرف معنى الوقت، أضفْ إلى ذلك أن البشر يعتقدون أنهم يستطيعون التغلب على مفهوم الوقت من خلال يوم البعث، أو باستخدام علم تطويل العمر. ينشر الأمل الطموح، وهو رغبة بالبناء، والتحقيق، والقيام بالأنشطة التي تُخرّب هذا الكوكب. يجب على المثقفين من البشر أن يقودوا الطريق، ويتخلّوا عن الأمل والطموح، ليكونوا قادرين على إقناع البشر الأنانيين بأن يشاركوا في انقراض نوعهم. لقد استطاع آشير اقتياد أربعة أشخاص آخرين إلى طريق الموت وانعدام الأمل، وبطريقة أو بأخرى ستكون هذه المرأة هي الخامسة.

قال: «تظنّين حقاً أنك شيءٌ ما».

«هل هذا سؤال؟ قلت إنني لا أستطيع التكلّم سوى عند الإجابة».

«افترضي أنّه كذلك».

«حسناً، أجل أنا شيءٌ ما، وأفضل منك بكثير».

أسند آشير معصمه إلى الطاولة، وأراح رأسه على راحة يده: «ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟».

«أنت مخصيّ، لقد تحوّلت إلى نكرة».

«بالضبط، لا قيمة لي، وأنتِ أيضاً. أنا واجهت الحقيقة، أما أنتِ فلم تواجهيها».

حدّقت إليه باحتقار وغضب شخص لا يزال يتوقّع أنّه سيكون حيّاً غداً، كانت تمثّل بغطرستها وثقتها بنفسها نموذجاً مثالياً لكلّ ما يراه في البشرية بصفتها مهدداً أساسياً لكلّ الأنواع الأخرى.

قال: «لقد قرأتِ ما كتبتُه في بياني، ولا تزالين عاجزة عن فهمي».

قالت أوفيليا بنبرتها الحادة ذاتها: «مجنون».

«أنتِ لا شيء، وأنا لا شيء، نحن مجرد قمل وديدان وطفيليات تغزو الكوكب، نحن مثيرون للقرف، أنا أتعذب بمجرد أن أفكّر بما فعله البشر بهذا الكوكب وما زالوا يفعلونه حتّى يومنا هذا».

«حسناً، انتحر لماذا لا تنتحر؟».

«سأنتحر، ولكن بعد انتهائي من كتابة بياني، وعندما تصل المقبرة المذكورة في بيان إلى طاقتها القصوى، وقتها سأكون الشخص الوحيد على وجه البسيطة».

«أي هراء هذا؟».

«المقبرة في وصيتي؟ ربما لم تتمكّني من فهم بياني بسبب مستواك التعليمي الرديء، فهي ليست مساحة صغيرة تحوي قبوراً، بل هي مجتمع للموتى، هذه المقبرة التي أعدها ستُذكر في وصيتي، لأنّها ستكون دليلاً على صحّة فلسفتي والتزامي بعهدي إعادة العالم إلى حالته النقية قبل مجيء البشرية».

بغض النظر عن الظروف التي تحيط بها قالت بسخرية: «أنتَ تخلط بين الفلسفة والجنون».

علّمه كزانتوس تولر أنّه من بين عشرات آلاف الأنواع التي تعيش على الأرض، وحده الإنسان قادر على الكره والغضب. لهذا لن يسمح بالغضب أن يسيطر عليه، لأنه سيدمَّرَ الهدف الأساسي من بيانه، إذا ثارت ثائرته وقتل تلك الوضيعة لهدف خاطئ، سيعتبر تصرفه جريمة، وبذلك سيعودُ إلى نقطة البداية، لأنه بذلك يكون قد تصرف كسائر البشر، أمّا القتل العادل سواء كان دفاعاً عن النفس، أو دفاعاً عن الطبيعة الأم، فلا يُعتبر جريمة. لكن للأسف، لا يُفترض به قتل أحد إن كان المقتول يشعر بالندم. لذا، ومن أجل أن يكون منسجماً مع بيانه عليه أن يقتل من دون حقد ومن دون شهوانية، يفترض به أن يكون كاهناً، لا ينتمي إلى أي دين، كاهناً يكرس حياته لخدمة الحيتان والدبابير والغزلان والقطط، وعندما يسمو أكثر سيصبح بمنزلة رئيس أساقفة الأعشاب البحرية. لذا يفترض به أن يعرف كيف تكون ردود فعله تجاه هذه المرأة، وأن تكون ردوداً موزونة.

رفع آشير رأسه عن راحتيه، وبدا حزيناً وهو يقول: «أشعر بالحزن والألم وأنا أقول إنه وبسبب جهلك وعدائيتك هذه ورفضك لفكرة التخلي عن الأمل،

ستجبرينني على معاملتك معاملة خاصّة، فلن أتعامل معك بالسكين حاد النصل الرحيم.

«بالسكين حاد النصل الرحيم».

لتتمكّن من السخرية منه، كان يفترض بها أن تضعَ معصميها المربوطين معاً على الطاولة، ثم تسند رأسها عليهما قائلة: «حسناً، أخبرني أيها المجنون المخصي، كيف سيقتل المخصي الحزين والمتألم إنساناً من دون سكين؟ هل ستحرقني بالنار؟». ثم تصنعت الدهشة: «أوه، إنني أسأل الأسئلة بدلاً من الإجابة عنها، ولكنني أتوق لسماع الإجابة».

لم يستطع آشير أوبتيم أن يفهم هذه الوضيعة الغاضبة، فمنذ اللحظة التي استيقظت فيها من تأثير الكلوروفورم، لم تتصرّف مثل الرجلين والمرأتين الذين سبق له أن أحضرهم إلى هنا. لقد بدوا جميعاً مرعوبين منه، وأظهروا احتراماً وحماسة لإرضائه بشتّى الوسائل، فقد سقط أحدهم في بحور اليأس والسوداوية في غضون ست ساعات، وحافظ أشجعهم على الأمل لأربعة أيام قبل أن يستسلم، أما هذه الوضيعة فلا يبدو أنها غبية أو تتصنع الثقة، لتفشل مخططاته وتحافظ على حياتها، علها تستطيع الهرب أو التغلب عليه بطريقة ما. لقد شعر في قرارة نفسه برغبة في لكم وجهها وتحويل ذلك الفم المبتسم بثقة إلى بركة مملوءة بالدم.

كلا، كلا، من الخطأ أن يُقدم على ذلك، لأنه سيكون مدفوعاً بالغضب، وبذلك سيعود إلى مستوى البشر البائسين، لذلك عمل على تخطّي هذه المشاعر بما يتناسب مع تعاليم كزانتوس تولر، وهذا ما أكد عليه من خلال إقصاء نفسه، وهو الآن يسمو فوق كل مشاعر الغضب والاستياء، ويحلّق بعيداً ناظراً إلى مهمّته في إنقاذ العالم، إنّه لا يقتل لهدف شخصي، بل من أجل أمّنا الأرض.

سألته مجدداً: «هل ستلقي بي في النار؟ أو هل تملك أحواضاً من الحمض القوي التي ستنزلني بها تدريجياً وببطء، لا تقل لي إنك سترميني في حوض مليء بالتماسيح الشرسة بعد أن تلفّني باللحم المقدد؟».

إنها تستهزئ به، وكأنّه شخصية الساذج في القصص المصورة، تثير وقاحتها هذه غيظه، ولكنّه تجاوز نقاط الضعف البشرية مثل العنف، والرغبة بالانتقام. نظر إليها، وأومأ برأسه، وقال وهو بالكاد مبتسم: «تخفين ضعفك خلف كل هذه السخرية والتفاهة، ولكنّك قريباً جداً ستتوسّلين من أجل حياتك البخسة، اعذريني عليّ الخروج للتّحدث إلى أمي بشأن الطريقة التي يجب أن تعاني بها على ذنب وجودك».

تتظاهر بالدهشة: «هل أمك المصابة بالزهري هنا؟».

يوضح: «أمنا الأرض، إنها هنا وفي كل مكان».

علّق السلسلة الثقيلة التي تحيط برقبتها، والتي سبقَ له أن قيّدها بواسطتها إلى الحائط على رجل الكرسي، وبالتالي فهي ليست مثبتة الحركة تماماً، مع أنها مقيّدة بالأغلال ومربوطة المعصمين بإحكام. ولكن إذا حاولت النهوض عن الطاولة، ستستطيع التجوّل في الغرفة بشكل غير منتظم والكرسي على ظهرها، ستسير ببطء شديد وستصدر ضجيجاً يمنعها من الهرب.

حمل آشير كرسيه مستقيم الظهر، ووضعه على الشرفة الخارجية للمشرب، حيث لا تطلّ الواجهة على أي شيء غير مدينة الأشباح، وسماء زرقاء شاحبة تتربّع الشمس كبدها، ولا تسمح للأبنية أو للشجيرات الموجودة على الطريق غير المعبد بتوفير أي ظلال. يشعرك هواء صفورة الصيفي الدافئ والمثالي وكأنك في لوحة فنية ثلاثية الأبعاد تحت قبّة زجاجية، حيث بدا المشهد وكأنه قادم من عالم مثالي غير حقيقي.

مدّ يده، وسحب علبة سجائر فضيّة وولاعة من جيب سترته الخفيفة المصنوعة من قماش الدنيم. تحتوي العلبة على سجائر تُلف يدوياً، ومعها خلطة من عقار مهدّئ للأعصاب يوصف للحيوانات- إن فعالية هذا العقار على آشير تماثل التبغ– يُسهّل هذا العقار الرؤية ويرسّخ العلاقة العميقة مع الطبيعة. إنه يعرف نوع العذاب الذي تستحقّه أوفيليا، ولا يحتاج إلى استشارة الأرض في تلك المسألة، ولكن إذا ترك المرأة تفكّر لمدّة ست أو سبع ساعات في الوسيلة التي سيعذّبها بها، ربما تخفّ ثقتها بنفسها، ويتلاشى أملها بحلول الوقت الذي يأخذها فيه إلى المقبرة الجماعية، ويجبرها على قضاء الوقت هناك بصفتها الشخص الوحيد الحيّ بين كلّ تلك الجثث المتفسّخة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

11

في وقت مبكر من صباح ذلك الثلاثاء من شهر آب التقى وايت رايدر- يحمل رخصة محقق خاص- بـليام أوهارا، في شقته الخاصة في أعلى سياتل. كان مكتبه عبارة عن غرفة واسعة جدرانها زجاجية تتمتع بإطلالة تحبس الأنفاس، فهي تطل من الغرب على بوغيت ساوند، وتطل من الشمال على ناطحات سحاب متلاصقة على طول شوارع المدينة وهي أخفض من الناطحة التي يقع فيها مكتب أوهارا.

ربما كانت الإطلالة هي التي جعلت أثاث تلك الغرفة باهراً، فقد كان المكتب الفولاذي ضخماً، وسطحه من الكوارتز الأبيض تتخلله بعض العروق الزرقاء بلون البحر. وعُلقت على جدرانه لوحات ضخمة لديفيد هوكني تعود لفترة فن مسبح كاليفورنيا، وهي تبعث الدفء داخل الغرفة بخلاف المكتب الفولاذي الضخم والكوارتز، ذلك الدفء الذي كان من صفات أوهارا نفسه.

يبلغ هذا الملياردير السادسة والأربعين من عمره والذي نشأ وترعرع في عائلة متواضعة الإمكانيات، فهو ابن عامل في مصنع خشب ونادلة، استطاع بتألق وتميز أن يجني ثروته بسرعة ملفتة من خلال عمله في التكنولوجيا، ولكنه لم ينسَ أصله وجذوره أبداً.

بدوره لم ينسَ وايت رايدر أصله، ولكن أباه وأمه لم يكونا متواضعين وعاملين بجد كوالدي أوهارا، بل كانا ذكيين بما يكفي ليعرفا مخاطر ما يفعلانه، فقد عملا على تجميع المال السهل عن طريق خداع الضعفاء والساذجين.

لقد سبق لوايت أن أجرى ستة تحقيقات لصالح ليام، ولا يمكن القول إن أخطرها هو حماية ولديه- لورا وتافيس- من تهديدات جدية، وقد اعتاد على أن يرحب به بابتسامة عريضة ومصافحة قوية، لطالما كان ابن العامل في مصنع الخشب نشيطاً ومرتفع المعنويات، وكأنه لا يجب أن يسمح لنفسه بالقليل من الاكتئاب والقلق، بل يجب أن يبقى سعيداً وممتناً لامتلاكه كل هذا الحظ السعيد.

أما هذه المرة، وبعد أن قاده كبير الخدم إلى المكتب، بدت ابتسامة ليام ومصافحته عاديتين، ولم يعرض عليه قهوته الخاصة بالضيوف، ولم يتبادلا الأحاديث الخاصة القصيرة، وبدلاً من ذلك رافقه مباشرةً إلى أحد الكراسي الجلدية الأربعة المحيطة بطاولة قهوة صغيرة من المعدن الصلب والزجاج. جلس ليام على حافة الكرسي تقريباً، وأمسك بيديه مسندي الكرسي بقوة كما لو أنه يمسك بمغلاق الأمان في أرجوحة الملاهي. لا يملك أي لحية، على

الرغم من أنه يجب أن يُظهر الجينات الأمريكية الهندية التي يملكها، ولكن وجهه مُنمّش، وشعره أحمر اللون، وعينيه خضراوان جميلتان.

لم يظهر حماسته المعهودة، ولكنه تحدث بالسرعة المعتادة، وبدا قلقاً عندما قال: «منذ سنوات بدأتُ أشتري الأراضي في مونتانا: المزارع والعقارات الأخرى المجاورة، ليس في البلدة التي ولدتُ فيها، بل في بلدة مجاورة لها. لقد توفي والداي- كما تعلم- وليس لديّ أصدقاء هناك. أياً يكن الأمر، أنا أحاول أن أجمع ما يقارب عشرة أو اثني عشر فداناً من الأراضي، ليس لأهداف عاطفية تتعلق بانتمائي إلى تلك المنطقة فحسب، وليس لأنني أريد مكاناً لأذهب إليه بين الحين والآخر، بل لأحافظ على تلك الأراضي. في الحقيقة، إن الأراضي هناك من أجمل بقاع الأرض، هل سبق لك أن ذهبت إلى هناك؟ عذراً، أذكر أنه سبق لي أن طرحت عليك هذا السؤال، وأجبتني أنك لم تذهب إلى هناك مطلقاً. حسناً، أريد أن تذهب اليوم، أو بأقرب وقت ممكن، وتبحث في مسألة معينة لأجلي.

لقد ذهبتُ وليندسي والولدين إلى هناك الجمعة الماضية، وأردنا أن نمضي الأسبوع بأكمله في مزرعة تدعى راسلنغ ويلوز، فقط نحن الأربعة من دون أية حاشية، ولكننا اضطررنا يوم الاثنين إلى الخروج من ذلك الجحيم، في الأيام الماضية، حاولت أن أجد تفسيراً مقبولاً لما حصل، ولكن اللعنة على ذلك.. لم أجد تفسيراً. في البداية، كان ما حصل أشبه بسحر، ولكنه حصل بشكل سريع لدرجة غريبة جداً، وبعدها تسارعت الأحداث، وجعلت الدماء تتجمد في عروقنا من الرعب».

عندما توقف ليام قليلاً ليلتقط أنفاسه، قال وايت: «أخبرني بما حصل».

التقت عينا الملياردير مع عيني وايت، ولكن حينها نظر بعيداً إلى الناحية الأخرى بتردد، مع أنه اعتاد على إنشاء تواصل بصري مع الشخص الذي أمامه والتحدث بكل صراحة. ربما شتت تركيزه مروحية تتحرك بشكل موازٍ لجدران العزل الزجاجية الرائعة، ولكن وايت شعر أنها لم تكن سبب تشتته، بل كان يحاول العثور على مشتت ليؤخر ما يود التصريح به.

أخيراً قال: «أنا لا أؤمن بالقوة الخارقة للطبيعة، كالأشباح والأرواح التي تستحوذ على روح المرء، لا أومن بأي شيء من هذا، هل تؤمن بها؟».

قال وايت: «أنا أيضاً لا أؤمن بها، ولكنني أتقبل الآراء بخصوصها».

قال ليام في الوقت الذي تابعت فيه عيناه المروحية المبتعدة: «أياً يكن ما حصل فهو لا ينتمي إلى هذه الأشياء».

قال وايت بعد أن صمت لنصف دقيقة: «بدأتُ أشيخ في العمر، وما زلتُ جالساً هنا، سيتعين عليك أن تعين رجلاً شاباً مكاني قريباً».

نظر ليام إلى عينيه، ولم يبعدهما هذه المرة: «لن تخبر أحداً بما سأخبرك به الآن، لأنهم سيظنون أنني فقدتُ عقلي، أو انغمستُ في تناول المخدرات، وستهبط قيمة أسهم شركتي كثيراً».

« كنتُ لأحصل على سبعمئة ألف وربما أكثر إن رغبتُ ببيع قصة ذلك التهديد الذي بقي يلاحق لورا وتافيس، اللعنة ربما كان باستطاعتي الحصول على مليون، لم تستطع أي صحيفة إغرائي خلال كل تلك الأيام».

تجهم وجه ليام: «أنا آسف.. لم أقصد أن ألمّح.. اللعنة يا وايت لقد أثرت تلك التجربة على عقلي. يجمعنا تاريخ طويل، أعلم أنك قوي».

تقدم نحوه، ووضع يده على يد ليام: «تاريخنا يعود إلى قبل الأيام التي أصبحت فيها ما أنت عليه اليوم.. هل عليّ أن أجعلك تشرب حتّى تسكر لتخبرني بما تريده؟».

تنهد ليام في كرسيه، وأرجع رأسه، وأخبره بكل شيء.

بعد ست ساعات، كان وايت في ولاية تريجر([4]). حيث نقلته طائرة ليام اللارجيت من سياتل إلى سبوكان، وحين وصل إلى هناك أقلته طائرة نفاثة مستأجرة وكان المسافر الوحيد على متنها إلى هيلينا في مونتانا حيث كان مدرج الهبوط قصيراً جداً ولا يتناسب مع طائرة لارجيت. انتظرته سيارة رانج روفر في المطار اشتراها ليام من تاجر محلي هناك. عندما لا يشكّل المال مشكلة يكون الانتقال من أي بقعة إلى بقعة أخرى أمراً سهلاً بقدر الجلوس في المنزل. سيصل رايت إلى مزرعة راسلنغ ويلوز قبل حلول الظلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

12

تعمل ويندي شارب ستة أيام في الأسبوع في مطعم عائلة إيطالي خلال فترة الغداء، وهي تعمل في مطعم راقٍ يقدم مأكولات بحرية خلال فترة العشاء. أما يوم الخميس، فتكتفي بالعملً خلال فترة الظهر. قرابة الساعة الثالثة كانت تسرع عبر الزحام المروري في سيارتها الفولكس فاغن لأنها تريد أن تحرر كريكيت من جولي بيرثا، ثم تذهب وإياها إلى الحديقة لتشاهدا الناس، خصوصاً الناس الذين يملكون كلاباً، لأن أكبر أحلام كريكيت أن تحصل يوماً ما على منزل يحتوي على فناء خلفي وكلب، وحتّى الآن لا تزالان تجهلان تماماً الفصيلة التي تريد أن تقتني أحد كلابها.

لا تملك ويندي شارب أحداً في هذا العالم غير كريكيت مون، وإذا وجدت نفسها مضطرة، فهي مستعدة للموت من أجلها. تبلغ كريكيت مون شارب السابعة من عمرها، وقد ورثت من والدها شعرها الأحمر ومن والدتها عينيها الزرقاوين. إنها تشبه والدتها من جميع النواحي ما عدا الشعر، وهذا من حظها، فربما ما كانت ويندي لتحب الطفلة بهذا الجنون إن ذكّرتها بوالدها في كل مرة نظرت فيها إليها. لم يكن يدعى الثعبان، ولكن هذا هو الاسم الذي أطلقته ويندي عليه عندما خرجت من الجحيم الذي بناه وحكمه. كان الثعبان مجرد لقبٍ اكتسبه بنفسه، منذ فترة طويلة، لم يعد جزءاً من حياتهما، ولن يعود جزءاً منها مجدداً، إلّا إذا كان لدى ويندي رأي مختلف بهذا الشأن، في الحقيقة لقد كان لدى ويندي كل حق التصرف فيما يتعلق بوجوده حولهما، فهو يعلم أنها ستقتله إذا اقترب منهما يوماً ما، وكان خائفاً منها.

لقد أحبت ويندي ابنتها بشغف كبير فاجأها هي نفسها، لأن مشاعرها كانت ميتة طيلة سنوات قبل أن تولد هذه الطفلة، فقد كانت أجهزتها الحيوية تعمل والدم يتدفق في أوعيتها، ولكن لم يكن لديها مشاعر، أو بالأحرى شعرت باستمرار بالقلق، والحزن، والاشمئزاز من الذات. عندما كانت في الرابعة عشرة من عمرها، غادرت منزلها مع الكثير من الحمل النفسي السيئ والقليل من الأشياء الأخرى، لا يمكن أن نصف المكان الذي غادرته بالمنزل، لأنه كان مجرد مكان تتعاطى فيه والدتها المخدرات، ويعاقر فيه والدها الشراب على الدوام، وغالباً ما كان الرجل العجوز يمر بنوبة مزاجية سيئة والشيء الوحيد الكفيل بالترفيه عنه هو ضرب شخص ما صغير جداً غير قادر على رد اللكمات.

عندما غادرت ويندي منزلها، عاشت في الشارع، ووضعت كيساً ورقياً على رأسها، وأحدثت فيه ثقوباً لترى وتتنفس من خلالها، ووضعت أمامها وعاءً صغيراً لجمع التبرعات، وكتبت بخط يدها على ورقة: أملكُ وجهاً مشوهاً جداً

لذلك لا يوظفني أحد، ليبارك الله كرمكم. أخذ بعض الناس كلامها على محمل الجد، وكأنها نسخة مشوهة مشابهة لبطل فيلم الرجل الفيل، بينما رأى آخرون أنها مجرد حيلة، ولكنها حيلة ظريفة للحصول على المال، لذا وضع معظم الناس المال لها في الوعاء، وفي بعض الأحيان كانت المبالغ كبيرة. من خلال إخفاء وجهها الجميل، تمكنت من التسول، من دون أن تقبض عليها سلطات رعاية الأطفال. كانت تنام في الكنائس، وتستحم في النوافير العامة وبرك المتنزهات بعد منتصف الليل، وامتلكت المال الكافي للأكل ومشاهدة الأفلام. لم يحدث لها شيء رهيب، وبالمقابل لم يحدث لها شيء جيد يجعلها تشعر أنها أفضل حالاً تجاه نفسها، ولذلك كانت شديدة التأثر بالثعبان عندما جعلها تعيش وترى أمجاد مهمته وقلبه النقي، وذلك عندما أحضرها لتعيش في مجتمعه في الطرف الشرقي من وادي سان فرناندو.

كانت في الخامسة عشرة من عمرها عندما أصبحت عروس الثعبان. وستبقى كلمة عروس محاطة بآلاف علامات الاستفهام، لأنه لم يكن هناك عرس، ولأنها لم تكن العروس الوحيدة. كان لديه أربع أو خمس عرائس في أي وقت، وهذا ما كان يرفضه كل من لا ينتمي إلى دائرته الداخلية من الناس، كان هذا ما يدعى بـالعشرة الأوائل. في الغالب تكون العرائس الأخريات حوامل، ولدى الثعبان طبيب يعمل دائماً على التأكد بواسطة الموجات فوق الصوتية على أن الجنين ووالدته في صحة جيدة. لم يكن الثعبان زوجاً لطيفاً، ولم يبدِ أي اهتمامات بمشاعر الزوجة واحتياجاتها، ولكن قلقه خلال فترة الحمل يُظهر أنه يهتم بأمرهما أكثر مما يُعبّر. إذا كان هناك خطب ما في الجنين- وهو أمرٌ يحدث معظم الوقت- يحصل الإجهاض فوراً. وإذا كان الجنين بصحة سليمة فيتم الاحتفال بمجيئه من قبل الجميع وكل العرائس لأن شخصاً ذا تفكير سليم سيولد وينمو ليكبر ويساعد والده لاحقاً على قيادة العالم إلى مصيره.

حملت ويندي عندما كانت في السادسة عشرة، وتمكن جنينها من اجتياز فحص الأمواج فوق الصوتية بسلام، وكانت في السابعة عشرة عندما أتاها المخاض. عندما بدأ مخاضها، قدمت إليها اثنتان من العرائس، وعندما كان طفلها على وشك الدخول إلى هذا العالم اكتشفت الحقيقة المروعة لما فعلته.

إن حقيقة كونها تحت رحمة الثعبان وجزءاً من مخططه لم يساعداها أبداً على تخفيف حزنها أو قلقها ونقص ثقتها في ذاتها. بل على العكس ساهما بشيء ما، فقد زادا مستويات قلقها، لأن الثعبان قادر على زرع هذا الشعور في الآخرين. لم يشعرها الحمل بالسعادة، وبأن لها غاية وهدفاً، ولكن عندما ازدادت تقلصات الولادة تلك، وأصبحت أكثر إيلاماً، وشعرت برأس الجنين

يخرج من خلال قناة الولادة، أدركت ما كبحته لفترة طويلة: كانت كل مواليد العرائس من الإناث ولم يشذ مولود ويندي عن القاعدة، ولم يكن هذا شيئاً غريباً. ادعى الثعبان بأنه يعرف المستقبل- ماذا يجب أن يكون، وكيف سيكون- والمستقبل الذي عُني بأن يصنعه بنفسه يتضمن نساءً فقط من دون أن يأخذ بالاعتبار جريمة سفاح القربة. تملكها الرعب وهي تلد كريكيت مون، وازداد رعبها عندما رأت ذلك الوجه الجميل البريء، وفهمت فجأة أنها الشخص المسؤول عن إيصال ابنتها إلى هذه الحياة السيئة التي هي أسوأ من تلك التي عاشتها هي حتّى عمر الرابعة عشرة. وإذا قررت يوماً أن تشعر بقيمتها، يجب أن تنظر إلى طفلتها، وتقدر نعمتها أولاً فلقد كانا الخلاص والملجأ لبعضهما.

بعد ثلاثة أشهر من الولادة، بدأت تخسر الوزن، وعاد جسدها ليجذب الثعبان مجدداً، ما كانت لتخاطر وتحمل مجدداً، لم تقضِ أي من عرائسه الليلة معه؛ فقد رفضهن جميعاً، وفي النهاية نام وحيداً. عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل بدأت شخصيتها تظهر ووجدت كرامتها، لفتْ ويندي كريكيت بملاءة، وثبتت الرضيعة في سلة، وحملتها إلى المرأب، حيث تركتها هناك على أرضية المقعد الأمامي بجانب مقعد السائق في سيارة المرسيدس، والتي تشكل واحدة من أربع عشرة سيارة يملكها الثعبان.

أحضرت من متجر الميكانيكي المجاور دلواً سعة ثلاثة غالونات وسيفوناً طويلاً مرناً استخدمته لسحب البنزين من سيارة اللكزس الرياضية، واستطاعت بواسطته أن تملأ نصف الدلو، ثم توجهت إلى غرفة الثعبان، وفتحت الباب بحذر، كان يشخر بهدوء في ضوء خافت جداً، لأنه ما كان يستطيع النوم في الظلام. أفرغت دلو البنزين عليه، وأضرمت النار في جنبات الغرفة. استيقظ مرعوباً يلهث بحثاً عن النَفَس وسط النار، أمسكت ولاعة، وضغطت عليها مصدرة شعلة، وأخبرته أنها ستحافظ على حياته هذه المرة، إذا التزم بألا يتحرك عن سريره النتن ويستمع إليها، وقالت له: «إذا حاولتَ يوماً أن تبحث عني أو عن طفلتي، فثق بأنني سأصل إليك أولاً، وسأترك معي سكيناً لا بل سكينين، سأجدك عندما لا تتوقع ذلك، وأمزق أحشاءك». ثم ألقت الولاعة على السرير، فصرخ، وبالتأكيد لم يشتعل لأن الولاعة انطفأت بمجرد أن رفعت يدها عن مقبض الغاز. تركته يبكي مرعوباً ويلهث بقوة محاولاً الحصول على بعض الهواء.

تلك الليلة، قادت إلى لوس أنجلوس، وتخلت عن المرسيدس، واستقلت باصاً إلى سان دييغو، حيث عاشت وكريكيت لفترة في منزل للأمهات غير المتزوجات.

كان تهديدها للثعبان بأنها ستعلم إن حاول البحث عنها، وستجده أولاً، وتقتله سيكون منطقياً إذا كانت تتمتع بقوة خارقة تتيح لها معرفة الغيب وهي بالتأكيد ما كانت تتمتع بها. ولكنها عندما تفوهت بذلك بدت مقنعة للغاية، لقد بدا جلياً أنه صدّقها، فلم يبحث عنها هو أو أحد مساعديه طيلة هذه السنوات. كان اسمه الحقيقي كزانتوس تولر، ويملك شبكة واسعة من الأتباع، وإن أراد العثور عليها، كان سيعثر عليها في غضون فترة وجيزة.

الآن، كريكيت في السابعة من عمرها، وخلال ساعات عمل ويندي تعتني بها معلمة متقاعدة تدعى جول بيرثا والتي تعيش على بعد ثلاثة مباني من المبنى الذي تقطن فيه ويندي.

في ذلك الخميس، وعند الساعة الثالثة والربع أنهت ويندي عملها، في مطعم إيطاليا غيبيتو الصغيرة، وجلبت كريكيت من منزل بيرثا، ثم قادت سيارتها إلى حديقتهما المفضلة، وهي حديقة تطل على خليج واسع، وذلك بعد أن توقفتا عند محل يبيع وجبات خفيفة لشراء كعك وكوكيز الشوكولاتة. جلستا على أحد المقاعد، كان هناك القليل من الغيوم البيضاء، والكثير من أشعة الشمس، ومروج واسعة من العشب الأخضر. هبت النسمات الناعمة بين الحين والآخر، وانبعث صوت حفيف أشجار النخيل، وتلألأت المياه الزرقاء خلف العشب، وكان الناس يتمشون ويركضون ويقودون الدراجات ويمرون بجانب بعضهم على ألواح التزلج؛ نساء ورجال بأعمار وأعراق مختلفة، وكانت الكلاب المقيدة تتبختر رافعة رؤوسها لتظهر بمنظر جذاب ومرغوب.

سألت كريكيت: «هل كان العمل جيداً اليوم؟».

«أجل، كان العمل جيداً جداً اليوم».

«هل تمكنت من الحصول على مقبض باب؟».

«بل على مقبضي باب ومفصلات، وربما سأحصل على باب كامل».

لقد اعتادتا على ترجمة مقدار ما تحصل عليه ويندي من إكراميات على شكل أجزاء وقطع المنزل الذي تحلمان بشرائه يوماً ما.

قالت كريكت: «ولكن هذا ليس عادياً بالنسبة لغداء يوم خميس».

وافقتها ويندي: «أجل».

«نحن لا نحتاج لشفقة رجل مثل السيد تود». مع أنها في الصف الثاني فقط، إلا أنها تجيد القراءة مثل تلامذة الصف الخامس، وفي هذه الأيام، كانت تطالع رواية «ريح في ويلوز» عندما تكون في منزل بيرثا وتتابع المطالعة مساء عندما تعود إلى منزلهما. «كل ما نحتاج إليه هو منزل صغير لطيف فيه بيت

لكلب كبير، وعلينا أن نسمي الكلب السيد كلب على سبيل القياس كما نسمي تود بالسيد تود، لأن هذا ما هو عليه، تعلمين؟».

«يبدو هذا منطقياً، ولكن لا يبدو أن اسم السيد كلب يليق بكلبنا».

«قالت بارثا إن والدتها اختارت لها هذا الاسم لأنها أعجبت بالكلمة الألمانية التي تعني شروق، وسألتني لماذا اسمي كريكيت مون شارب، أخبرتها بأنني لا أعرف، لماذا اسمي كريكيت مون شارب؟».

لقد توقعت ويندي هذا السؤال منذ فترة: «شارب هو اسمي الأوسط، ووالدك اختار الاسمين الأولين، كان يحب الأسماء غير الاعتيادية».

«لقد كان رجلاً سيئاً حقاً أليس كذلك؟».

«جداً».

«مثل دراكولا أو شيئاً من هذا القبيل».

«من الأفضل ألا تعرفي اسمه أبداً، ثقي بي فيما يتعلق به».

«أثق بك في كل شيء. حسناً، هل تحبين اسمي؟».

«هل تحبينه أنتِ؟».

«نوعاً ما، فلقد نشأتُ معه».

قالت ويندي: «أحبه أيضاً فالكريكيت (صرصار الليل) يصدر نغمات وأنت تغنين معظم الوقت».

«أغني أفضل من صرصار الليل».

«أجل».

«صرصار الليل يعرف أغنية واحدة بينما أعرف مئة أغنية. لماذا مون؟».

«لماذا لا؟ مون (القمر) جميل وأنت كذلك».

«حسناً، هل فكرتِ بأن تغيري اسمي يوماً ما؟».

«في البداية، فكّرتُ في الأمر، ولكنني توصلت إلى خلاصة مفادها، إذا منحك شخص اسماً، فهذا لا يعني أنه يمتلكك، لا أحد يمتلكك يا كريكيت».

فكّرت الفتاة بما قالته أمها وهي تقضم الكوكيز، ثم قالت: «يجب علينا أن نسمي كلبنا، مع أننا لن نمتلكه؟».

«لا أحد يمتلك كلباً يا حلوتي، نحن نتبنى كلباً، ويصبح فرداً من العائلة».

«أظن أنني سأحب فكرة أن أحظى بأخت، أعني أن أحظى بجروة، وتكون بمنزلة أخت لي».

لقد مضت خمس عشرة دقيقة تقريباً على جلوسهما على المقعد عندما لاحظت ويندي أن أعداد الناس في الحديقة تناقص بشكل كبير، وبحلول الوقت الذي أنهتا فيه الكوكيز والحلوى وناقشتا كل أسماء الكلاب الممكنة مطولاً، اختفى جميع الراكضين وراكبي الدراجات، وحينها أدركت ويندي وجود رجال ونساء يرتدون بذلات سود، ويضعون نظارات واقية من أشعة الشمس، ويجلسون على مقاعد بعيدة قليلاً عنها، ويتسكعون حول مسارات المشي، وكأنهم يبحثون عن سرطان الجلد تحت أشعة الشمس تلك.

قالت: «أعتقد أنهم أغلقوا الحديقة».

«من فعل ذلك؟ ليس باستطاعتهم إغلاق الحديقة، فليس للحدائق أبواب».

مع أن ويندي لم تظن أبداً أن الثعبان قد يأتي ويبحث عنهما بعد كل هذا الوقت، ومع أنها تعلم أن تلك البذلات السود التي يرتديها العملاء ليست من الطراز الذي يرتديه أولئك المؤمنون الحقيقيون بطائفة الثعبان، ولكنها ارتبكت، وقالت: «من الأفضل أن نذهب».

«ولكننا وصلنا للتو إلى هنا».

في الوقت الذي كانت فيه ويندي تنهض عن المقعد جاء رجل من خلفها وقال: «لا نريد إيذاءك أبداً يا سيدة شارب».

استدارت وهي تحبس دمعة ناجمة عن الخوف، لم تسمح لأحد أن يعلم ما الذي تخاف منه، لأن شر الشرير يتغذى على الخوف، فهو يرى الخوف وكأنه نقطة ضعف، فيتحرك باتجاهه بسرعة ليتغذى عليه.

كان الرجل طويلاً وممشوق القوام ووسيماً، يرتدي الأبيض من رأسه حتّى أخمص قدميه، واضعاً زهرة قرنفل حمراء حديثة القطف في زاوية عروة معطفه. لقد أعطته الحياة وجهاً لطيفاً وابتسامة عذبة؛ ولكن ويندي تتمتع بما يكفي من الحكمة لتتذكر كيف تنتج شجيرات الدفلى أزهاراً جميلة جداً وسامة جداً لدرجة أنها تقتل كرصاصة في الرأس.

«من أنت؟».

«في الحالة الطبيعية لا أعطي أي معلومات، ولكن في حالتك هذه، وإذا أخذت بعين الاعتبار كل الأشياء التي مررت بها، فأنا أعلم أنك بحاجة لتطمئني من أنني شخص جدير بالثقة». ثم أخرج بطاقة عمله وتابع: «ابحثي عني على

محرك البحث غوغل، ولكن استخدمي هاتفي وليس هاتفك، لأنني أرجّح أن يكون هاتفك مخترقاً، ولن يكون جيداً لأي منّا أن يرتبط اسمي باسمك».

أعطاها الرجل الذي يرتدي البذلة البيضاء هاتفه الأيفون وكلمة السر.

بعد أن نهضت كريكيت عن المقعد، شرعت تدرس تفاصيل هذا الشخص الغريب في الوقت الذي بحثت ويندي عنه، وقالت: «تبدو كأنك شخص يبيع المثلجات».

قال: «أعتقد أنني أبدو كذلك».

سألته الطفلة: «وهل تبيع المثلجات؟».

«كلا، ولكنني أحب تناولها».

«لماذا ملابسك بأكملها باللون الأبيض؟».

«كي لا أهدر وقتي وأنا أفكر بما يفترض بي أن أرتديه».

«هل تضع زهرة دائماً؟».

«كلا، لا أضعها إلّا عندما أذهب لمقابلة أميرة».

«هل تعرف أميرة؟».

أجابها: «لقد قابلتُها للتو».

«واو رائع، لا أعرف أي أميرة».

«حسناً، دعيني أُقدّمك لنفسك».

«أنت سخيف نوعاً ما، هل لديك كلاب؟».

«لديّ أربعة».

«أربعة!».

«اثنان من نوع غولدن ريتريفر، وواحد من نوع شيبدوغ البلجيكي، والآخر ضخم من فصيلة نيوفاوندلاند».

«إذا كنت حقاً تملك أربعة، أخبرني بسرعة عن أسمائها؟».

«باترسكوتش (حلوى من سكر أسمر وزبدة)، لوليبوب (مصاصة)، بيبرمينت (حلوى بالنعناع)، ليكورش (عرق السوس)».

«أوه لقد أسميتها بأسماء حلويات».

«لأنها مخلوقات حلوة جداَ».

«اسمي كريكيت، ما اسمك؟».

«غانيش».

«أعلم ما هو الكريكيت (صرصار الليل) ولكن من هو الغانيش؟».

«رجلٌ لا يبيع المثلجات».

اكتشفت ويندي أنها إذا أرادت أن تعلم كل شيء عن هذا الرجل فعليها أن تأخذ إجازة لثلاثة أسابيع من العمل. لقد فقدت تركيزها خلال حديثه مع كريكيت، أخيراً، عندما أغلقت الإنترنت سمعت ابنتها تسأله: «أيها اسمه غمدروب (حلوى الراحة)؟ هل هو أحد كلبي الغولدن ريتريفر؟».

«لا يوجد غمدروب، كلبا الغولدن ريتريفر هما: باترسكوتش، ولوليبوب».

«أوه، اعتقدتُ أنك قلت إنه يوجد واحدٌ اسمه غمدروب».

«كلا، لم تعتقدي ذلك، ولكنك أردت اختباري».

«حسناً، هذا صحيح، ولكنني أردتُ التأكد إن كان يفترض بي أن أحبك».

«وهل أحببتني؟».

«أجل، لأن لديك أربعة كلاب».

قالت ويندي: «حسناً، لقد تأثرتُ حقاً بكل هذا، يحتاج غوغل لإدراج محرك بحث خاص بك لوحدك، ما الأمر لماذا كل هذه الجلبة؟».

أخرج قطعة ورقية مطوية من جيب معطفه الداخلي، ثم فردها وأراها صورة: «إنها مسألة أمن قومي، هل تتذكرين هذا الرجل؟».

كشرت وقالت: «آشير أوبتيم، لقد كان اليد اليمنى للثعبان، آسفة لقد اعتدتُ على مناداة كزانتوس تولر بالثعبان، تعلم من هو؟».

«تولر؟ أجل».

«لقد كان أوبتيم أكثر المؤمنين بتولر جنوناً، وهو الذي ينفذ كل أنواع الشر في تلك الطائفة».

«تحدث أشياء سيئة للناس الذين كانوا على معرفة به، والذين كانوا يخالفونه الرأي أو لديه سبب معين لكرههم، يبدو وكأنه يتفانى في الكره».

«عن أية أشياء سيئة تتحدث؟».

نظر إلى كريكيت، فقالت ويندي: «ليست زهرة غضة، لقد ربيتها بحيث تكون قادرة على تحمل أي شيء».

قال وهو ينظر إلى عيني ويندي مجدداً: «لقد قُتل سبعة أشخاص، بطرق غير معروفة بالنسبة إلينا، وكما سبق لي أن ذكرت، إنها مسألة أمن قومي، لقد حاولنا حديثاً أن نتقدم قليلاً ونعلم من قد يوجد على القائمة».

«أية قائمة؟».

«قائمة الموت. لدينا رجال موزعين في كل أنحاء الولاية، لاصطياد هذا الرجل، وريثما نتمكن من ذلك، نحن نحاول أن نحافظ على أي شخص نعتقد أنه في خطر».

«ماذا؟ علينا أن نعيش مع حراس شخصيين؟».

«لن يقدّم الحراس الشخصيين أي حماية إضافية لكما، بل سيموتون معكما. الأملُ الوحيد للنجاة هو الانضمام إلى برنامج حماية الشهود».

لم تُعجب ويندي بالفكرة: «ستجعلنا نختفي».

«ليس بالطريقة التي تخافين منها، ستحصلين على هوية جديدة، وتسوية نقدية، وراتب شهري كبير، ومنزل مدفوع الإيجار».

لقد كانت شكاكة، نظرت حولها مستعرضة الحديقة، وفكرت إن كان يجدر بها أن تمسك بكريكيت وتركض، ولكن كان هناك الكثير من الرجال الذين يرتدون البذلات.

«منزل؟ منزل ماذا؟ وأين؟».

«في مدينة جميلة في ولاية جورجيا».

كان ظل جذع شجرة النخيل طويلاً في شمس بعد الظهر، ورفرفت ظلال سُعفها على العشب الأخضر كطيور مهيضة الأجنحة.

قالت: «مال، ومنزل؟ من يدفع لأجل كل هذا؟».

«الحكومة».

«ولكنك لا تعمل مع الحكومة».

«ولكنني جزء من هذا المشروع، وهو مشروع تتعاون فيه الحكومة والقطاع الخاص، أنت الآن تعرفين من أنا وتعرفين سمعتي».

سألت كريكيت: «هل يملك المنزل فناء؟».

«أجل، يملك فناءً كبيراً».

«هل يوجد هناك كلب؟».

«تستطيعين أن تحظي بأي كلب ترغبين بالحصول عليه».

«متى؟».

«بمجرد أن تصلي إلى هناك». قال وهو يعيد هاتفه إلى جيبه: «سيدة شارب هذا أمرٌ عاجلٌ جداً، قد يجدونك من خلال تتبع هاتفك، يمكن أن تُدمري الآن هنا في هذه اللحظة مع ابنتك ومعي إذا كان اسمك في أول القائمة، لا أعرف ما الذي تفضلينه، ولكنني لا أفضل أن أموت اليوم».

التقطت حقيبتها عن المقعد، وأخرجت هاتفها منها: «أُدمّر؟ كيف؟».

«لا أملك حرية التصريح عن الأمر».

إذا أرادوها ميتة، لن يلاحقوها بهذه الطريقة. يبدو أن التعقيد الكبير الذي يحوم حول قصته يؤكد ذلك.

«ماذا عليّ أن أفعل بهاتفي؟».

«اتركيه على المقعد، وسيدمره أحد زملائي بالمطرقة».

قالت: «هذا جنون».

وافقها: «أجل بالفعل».

ترددت بالتخلي عن الهاتف، فقال: «ويندي، هل سمعت سابقاً بكارل يونغ، أو بكلمة تزامن؟».

«كلا».

«تملك نظريات يونغ الكثير من الأشياء المشتركة التي أثبتها العلم- ميكانيك الكم- حول طبيعة الواقع والعالم».

قالت وهي تمسك بهاتفها: «أجل، حقاً هذا الحديث يساعدني على الفهم».

«المصادفات غير القابلة للتصديق شائعة أكثر مما نعتقد، إنها جزء من تركيبة هذا العالم. في بعض الأحيان، يمكن للسبب أن يظهر قبل المُسبب».

«أنا نادلة كما تعلم، وفي المطاعم لا يمكن تقديم التحلية قبل المقبلات».

ابتسم: «ذات مرة، كانت الممثلة البريطانية المعروفة بياتريس ليلي تؤدي على المسرح في أونتاريو في كندا، اصطف الطاقم بأكمله بجانبها وهي تغني «بريطانيا تحكم العالم». أخطأت وأعادت غناء المقطع الثاني بدلاً من الانتقال

إلى المقطع الثالث، أدركت ما أقدمت عليه، ولكن كان عليها الاستمرار بالغناء، تجمد الطاقم في مواقعهم بدلاً من العودة إلى وسط المسرح، وحينها وقع أكبر قوس إضاءة وأثقلها من السقف إلى البقعة التي كان يجب أن يكونوا واقفين فيها تماماً ما لم تُخطئ، وبذلك نجا أفراد الطاقم من إصابات خطيرة جداً وربما من الموت».

قالت: «أنت تخيفني».

«أنا أسعى إلى عكس ذلك تماماً، يمكن رؤية الحادثة على أنها صدفة بحتة، أو إشارة إلى أن السيدة ليلي ستعيش حياة طويلة وجميلة، لقد ماتت بعد ستين عاماً عن عمر يناهز 94 عاماً. الآن أتتذكرين ذلك المنزل الذي أخبرتك أنه ينتظرك؟ بالصدفة البحتة يا ويندي فإن رقمه هو ثمانية واحد واحد، وهو تاريخ اليوم والشهر الذي ولدت فيه كريكيت. ورقم الشارع هو نفس العام الذي ولدتِ فيه، هل تظنين أن لهذا معنى؟ ربما تزامن إيجابي؟».

«أنت غريبٌ نوعاً ما».

«أجل أعرف ذلك».

قالت: «ولكنك غريب بطريقة جيدة». ثم وضعت هاتفها الأيفون على المقعد كما طلب منها، وابتعدت مع كريكيت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

13

في سانتافي، بعد أن انتهت جوانا من إعداد السلطة ووضعتها في البراد لتبرد، تركت الخضار المطبوخ جانباً لتبرد بدورها، وأدخلت صينية اللازانيا إلى الفرن، ثم سكبت لنفسها كأساً من الكبرنت، وبدأت تتحرك في أنحاء المنزل مندهشة مجدداً من أنها قامت في لا وعيها بخلق طرز مشابه لمنزل مزرعة راسلنغ ويلوز.

في غرفة نومها، وفوق سريرها، هناك رف خشبي سميك وضعتْ عليه فخار بويبلو بالإضافة إلى تماثيل منحوتة لأنطونيو اللشبوني، وسانتا ليبرادا وسان رافائيل. كان السرير المصنوع من الحديد والنحاس مزيناً بشرشف ناعم مطرز بطريقة بسيطة ورائعة جداً على شكل أزهار، وقد صُنع في التسعينيات من قبل الناسجة تيريزا أرتشوليتا ساجيل التي حظيت بإعجاب كبير وقتها.

لقد واعدت جوانا القليل من الرجال، ولكنها لم تشارك هذا السرير إلّا مع اثنين منهما، ولم تدم علاقتها مع أي منهما. يحاول الكثير من الشبان المتعلمين هذه الأيام أن يشكّلوا أنفسهم بالطريقة التي يعتقدون أن النساء العصريات ستحبها، كما لو أن جميع النساء يرغبن بالشيء نفسه، ولذلك ونتيجة ذلك يصبحون كالدمى المتحركة الذكية التي تفتقر إلى المشاعر والأحاسيس، والأسوأ من هذا كله أنهم يعتقدون حقاً بأن هذه هي شخصيتهم الصادقة الطبيعية، ولكن في الحقيقة، كانوا يشكّلون أنفسهم اعتماداً على آراء النقاد والمشاهير. تجد جوانا هؤلاء الرجال مملين وضعفاء وغير جديرين بالثقة. كان والدها يتحدث ويتصرف وفقاً لمَ أوصت به أكثر المجلات المرموقة بخصوص تصرفات الرجال، وهي لم ترغب بهذا النوع من الرجال. بالطبع أحبت والدها، ولكنها لاحظت أن تصرفاته محسوبة بدقة، وهذا ما جعلها وهي طفلة غير قادرة على التمييز إن كانت عواطفه حقيقية، أم هي أمور سبق له أن فكّر فيها وتمرن عليها.

أنزلت جوانا من الرف العلوي للجزء الخلفي من الخزانة صندوقاً بلاستيكياً كبيراً يتسع لأربعة صناديق أحذية تقريباً، حملته مع كأس النبيذ نصف الممتلئة إلى المطبخ، ووضعتهما على الطاولة، ثم جلست على الكرسي، وفتحت الصندوق.

يعود الصندوق إلى زمن كان الناس يلتقطون الصور العائلية باستخدام الكاميرات وليس الهواتف الذكية. امتلأ ثلاثة أرباع الصندوق بالصور، ظنت أن هناك صوراً أكثر، ولكنها ربما أخطأت التقدير، فهي لم تتفقده منذ سنوات، وكانت الصور في حالة فوضى كبيرة، لذلك شرعت ترتّبها وفقاً للمواضيع والتواريخ معتمدة على ذاكرتها.

عثرت على العديد من الصور لجدها –الذي بالكاد تتذكره– رجل أشيب الشعر معكوف الشارب، وصور أخرى لوالدها وأمها ولها، بالإضافة إلى العديد من عمال المزرعة، وأعداد ضخمة من الأحصنة. هناك صور للخالة كيت عندما زارتهم في تلك المرة، وها هو ذا هيكتور ألفريز مدير المزرعة الذي عمل لصالح جدها عندما كانت مزرعة راسلنغ ويلوز مخصصة للمواشي، ثم لصالح والدها عندما أصبحت مزرعة أحصنة للسباقات وتقديم العروض. في بعض الصور ظهر هيكتور بمفرده، وظهر في صور أخرى مع زوجته أناليزا، والتي ظهرت في صور أخرى بمفردها أو مع والدة جوانا، وهناك صور لجوانا ووالدتها على ضفاف بحيرة الياقوت بلباس السباحة، أو صور وهما تتزلجان على الثلج في يوم شديد البرودة، بالإضافة إلى صور كثيرة لحفلات أعياد ميلاد، واحتفالات أخرى حول شجرة عيد الميلاد. هناك المئات والمئات من الصور. ظلت جوانا قرابة الساعة والنصف وهي تتفحصها، وتحاول تذكّر اللحظات التي تُعبّر عنها كل صورة وترتبها في مجلدات، وفي النهاية لم تجد صورة واحدة لجيمي صاحب العينين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

14

أخذ من أوفيليا ساعة يدها، بعد أن أخبرها أن الوقت قد نفد، ولذلك فهي ليست بحاجة للساعة.

عاد أوبتيم إليها قبل ساعة من غروب الشمس. أراها رخصة قيادته والتي توضح اسمه بخط عريض آشير أوبتيم لتعلم أن الاسم الذي أعطاها إياه هو اسمه الحقيقي، وأنه ما كان ليفصح عنه، ما لم يكن واثقاً من أن فرصتها بالهروب من هنا معدومة.

لقد أخافها ذلك المعتوه المخصي، ولكنه لم يُرهبها لدرجة تفقد معها الأمل، لم يفهم لما لم ترتجف أمامه؟ فهو لم يكن يعرف أنها تنتظر مجيئه منذ سنوات، وتتلهف لليوم الذي يظهر فيه.

ترك كرسيه على الشرفة، وأتى إليها وهو يأكل واحدة من الكوكيز التي سبق له أن أخرجها من مكان حفظ الأكل، سألها: «هل بللتِ سروالك؟».

قالت: «لستُ أنا من يفعل ذلك، ماذا عنك؟».

قال وهو يجول حولها بوجه شاحب وعابس ليعطيها تعبيراً مُهدداً: «سأرافقك إلى المقبرة، فما من مكان يقدم دليلاً مقنعاً على هباء أمل البشرية أكثر من المقبرة».

سخرت منه: «أي شخص أحمق أنت؟! من يتحدث هكذا؟».

«ساموبل جاكسون، على الرغم من أنه كان يقصد المكتبات وليس المقابر في حديثه، أعتقد أنه جاكسون وليس شكسبير. إنه شخص معدل ذكائه ثلاثة أضعاف معدل ذكائك». ثم حاول استخراج قطعة متبقية من الكوكيز من بين أسنانه بواسطة طرف لسانه وأكمل: «لنرى كم ستحافظين على الأمل بعد أن أحبسك هناك مع الجثث المتعفنة».

«إذا سمحت لي بالتبول أولاً، لن يكون لديّ أي مشكلة بالتمسك بالأمل حتّى أقتلك».

تجرأت وتحدثت إليه بهذه الطريقة، لأنها تعرف ثلاث خصائص عن هذا المعتوه الاجتماعي غريب الأطوار: أولاً لقد قرأت ما كتبه في بيانه السخيف، وفهمت الأنانية والوهم اللذين يحفزانه، ثانياً كانت أذكى بكثير مما يعتقد اعتماداً على الإحساس القادم من المجتمع والذكاء المكتسب من الشارع والحياة الاجتماعية وهي أمور لم يكن يفهمها بالطبع، وأخيراً لقد كان شخصاً أحمق مثيراً للضحك يفتقر إلى القدرة على ملاحظة نفسه والتي ربما كانت تستطيع إنقاذه من حماقته. كان عليها فقط أن تلعب معه في الملعب النفسي، وتبقي

نفسها على قيد الحياة حتّى يُقدم هذا الأحمق على حركته الغبية التي ستودي بحياته، أو هذا ما كانت تواظب على إخبار نفسها به. مع أن المجنون آشير أوبتيم كان حادّ الطباع على نحو غير عادي، ومتوحشاً بطريقة بالكاد يستطيع كبحها، إلّا أنها رفضت أن تشك برأيها بمقدار ذرة.

سألته: «ماذا عنك؟ هل ما زلت تتبول كرجل، أم أنك قد بترت قضيبك أيضاً؟».

من خلال تشجن تقاسيم وجهه أدركت مقدار غضبه، وعندما جحظت عيناه أصبح انعكاس ضوء فتيل مصباح الغاز واضحاً في لمعان عينيه. بدا أن صوت هسهسة المصباح قادم منه كما لو أنه ذلك الثعبان الكبير الذي يعيش في القاع.

فكرت أن تتلو عليه هذا السطر لتوماس ستيرنز أليوت: «حتّى يستيقظ جائعاً ويحرك رأسه يميناً ويساراً بحثاً عن غذاء». ولكنها كانت متأكدة من أنه لن يستطيع فهم المعنى الكامن فيها.

عندما أخرج السكين من جيب معطفه، اعتقدت أنها أغضبته كثيراً، ولكن تبيّن أنه سيستخدمه لفك رباط معصميها فقط.

عندما انتهى، وضع السكين على الطاولة، وجعلها ترى بوضوح المسدس الموضوع على خصره.

قال: «حرري قدميك، ولا تقدمي على شيء غبي».

بعد أن قطعت الأربطة التي قيدت حركتها، أعادت السكين إلى الطاولة، فأخذه أوبتيم، وأعاده إلى جيبه. أدخل المفتاح في قفل السلسلة التي تحيط برقبتها، فتحررت من السلسلة أيضاً، وخشية من المسدس لم تنهض قبل أن يطلب منها ذلك. تبعها عبر الباب الخلفي إلى غرفة تحتوي على مقعد أملس فيه فتحتين، لقد رمم أوبتيم هذا الشيء من حالة شبه منهارة. في قرن غير هذا كان يعتبر مثل هذا الشيء مكان يستخدمه أصحاب المشرب لقضاء حاجاتهم، والآن يُستخدمه أوبتم وسجناؤه.

سابقاً عندما كان يرافقها كان يسمح لها بأن تغلق الباب، أما هذه المرة فقد ظهر غضبه الشديد المكبوت عندما أنكر خصوصيتها.

انبعثت الرائحة الكريهة من كل مكان في هذه الغرفة بسبب حرارة الصيف، وزحفت الحشرات في الأسفل، ونسجت العناكب شباكها المتقنة في كل زاوية وملتقى بين الجدران والسقف. سمح ظلام الغرفة ببعض الخصوصية، ولكنه تعمد أن يترك الباب مشقوقاً بحيث يسمح لشعاع من الضوء بالتسرب إلى الداخل.

لم ترضَ بأن يحاول إحراجها، بل عوضاً عن ذلك جعلته موضع السخرية.

قالت: «الآن بما أن رغبتك الجنسية توازي رغبة دودة ميتة، هل أصبحت تحصل على إثارتك ومتعتك من مشاهدة النساء وهن يتبولن؟».

في الظل، بدا وجهه شاحباً، وجعلت الإضاءة القادمة من الخلف عينيه تبدوان سوداوين قاتمتين وهو يحلق فيها صامتاً من دون أن ينبس ببنت شفة، فأنذرها صمته هذا بالسوء، لذلك قررت ألا تقول شيئاً إضافياً. عندما انتهت قادها إلى الشارع وتبعها من الخلف حاملاً مسدسه بيده باتجاه الكنيسة الصغيرة المبنية من الحجارة في نهاية البلدة المهجورة.

كانت الشمس تغوص بهدوء خلف الجبال العظيمة في الغرب، وغُمرتْ مدينة الأشباح هذه لدقائق بلون أحمر ذهبي جميل جعل بعض المباني تبدو وكأنها مُذهّبة. مع تأخر الوقت، أصبح اللون البرتقالي المخيف يشبه ألسنة اللهب، وتلوّنت النوافذ القليلة السليمة الباقية بلون الشمس، وظهرت من الشارع وكأنها عيون مُحدقة.

وصلا إلى الكنيسة حيث أدت ثلاث درجات حجرية إلى منحدر عريض وهناك أمرها بالركوع، فأطاعته، أمسك المسدس بيده اليمنى، وضغط فوهته على مؤخرة رأسها، واستخدم يده اليسرى لإدخال المفتاح في القفل، وعندما فتح الباب أمرها: «ادخلي على ركبتيك ويديك».

تعرف أنه لن يقتلها هنا، قبل أن يقضي على كل أمل فيها، بحيث يكتب في بيانه أنها اعترفت بأن الأمل وهمٌ كاذب، إن تنفيذ بيانه يتطلب أولاً قتل الروح ثم قتل الجسد. مع أن عقيدته الشريرة تلك كانت مجرد أفكار مجنونة، ولكنها تضمنت المبادئ التي برر أفعاله بالاستناد إليها، لذلك كانت واثقة أنه سيتصرف استناداً إليها.

أملت أن يتبنى رؤيته المجنونة تلك بإيمان المؤمن الحقيقي، فلم يكن لديها خيار آخر. زحفت من ضوء الشمس إلى الكنيسة التي كانت تشبه تابوتاً مغلقاً. في الداخل، التقط شيئاً من الأرض؛ إنه مصباح يعمل بالبطارية، أناره في وجهها، فأدارت رأسها بعيداً عن شعاع الضوء الموجّه نحو وجهها مباشرةً.

«قفي».

نهضت، ونظرت حولها لترى شيئاً أقرب إلى الدير مما هو كنيسة. هنا خمسة مقاعد إلى يسار الممر المركزي وخمسة مقاعد إلى يمينه فقط. كان السقف مدعوماً بثلاث عوارض خشبية.

قال: «اجلسي». وأشار بضوء المصباح إلى المقعد الأول جهة اليسار.

كانت النوافذ الأربعة متوسطة الحجم، وقد أغلق أوبتيم الجهة الداخلية من النوافذ بالطوب، وفقاً لمَ ذكره في بيانه، لأنه رأى في الطوب أفضل مادة تحوّل الكنيسة إلى سجن وقبر ضخم مظلم في الوقت نفسه، ولكنه استخدم الطوب على النوافذ لأنه سعى إلى معنى ضمني آخر تمثل بالحيلولة دون دخول الأمل إلى هذا المبنى المهجور.

لم تكن بحاجة أن يخبرها أحد عن مصدر الرائحة الكريهة، ولكن أوبتيم قال: «سأنهي بياني، وأسلمه إلى العالم عندما يصبح هناك 77 جثة في القبو ومن بينها جثث سبعة أطفال لا تزيد أعمارهم عن السبع سنوات».

لم يشرح في بيانه سبب اختيار هذا العدد من الضحايا أو لماذا يجب أن يتواجد بينهم سبعة أطفال ربما هو نفسه لا يعلم، وحتّى إن شرح تفسيره الرياضي المرضيّ، فلن يكون تفسيراً معقولاً في الغالب.

قال: «إذا أردت أن تعرفي مصيرك، فكل ما عليك فعله هو فتح الباب المؤدي إلى القبو، واستنشاق رائحة المستقبل الذي ينتظرك».

لم تقل شيئاً.

«سأحبسك هنا من دون طعام أو شراب، ولكن عندما تيأسين تماماً، فهناك قوت في الأسفل حيث تتسرب مياه الأمطار من الفناء وتتجمع في برك، إن القوت الذي ينتظرك أكثر سخاءً مما تعامل معه أفراد مجموعة دونر([5]) عندما كانوا محاصرين في الثلوج العميقة في سييرا منذ مئتي عام مضت، وما كانوا يمتلكون شيئاً عدا لحم زملائهم الموتى».

قالت: «أنت شخص رزيل ومريض».

«هذا ما أبدو عليه لشخص جاهل مثلك، سأتركُ المصباح لتكوني قادرة على تفحص مسكنك، وتتأكدي أنه ما من مجال للهرب، ربما سترغبين بالنزول إلى القبو بين الموتى لتتأكدي أنه لا يوجد مخرج هناك، أتأسف لأنك لا تملكين بذلة عازلة للماء لتجنب أن يصبح هذا الجزء من القصة فوضوياً كثيراً».

وضع المصباح على الأرض، وترك شعاع ضوئه مُوجهاً نحو مدخل الكنيسة.

كانت خائفة، ومستعدة في الوقت نفسه، فلقد انتظرته لسنوات كثيرة، وها هو هدفها في متناول يديها الآن.

التفتت من مقعدها لتشاهده يغادر من خلال شعاع ضوء الشمس القادم من الخارج.

نادها مجدداً: «عندما تصبحين مستعدة للاعتراف أن الأمل للحمقى فقط، وأنك لست أكثر من حيوان ولِد ليموت، كل ما عليك فعله هو أن تستمري في

الصراخ، وما من شك أنني سأسمعك في النهاية». ثم أغلق الباب.

في ذلك الصمت الشيطاني، سمعت صوت احتكاك المفتاح في القفل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

15

لأن الصيف أتى حاملاً الأمطار، تزينت المروج باللون الأخضر وليس الذهبي، وكانت تضاريس ومعالم تلك الطبيعة الرائعة مثيرة تماماً، وتبعث الراحة في النفس والقلب. مع ازدياد المسافة التي تعزله عن العالم، والتي تبعث القلق لدى وايت رايدر، شعر للحظة بخطر العزلة، ولكن مع تقدمه ميلاً بعد ميل استطاع رؤية بعض الأدلة على أن هذا المكان أُصلح في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، ولو أن سيارة الرانج روفر التي يمتلكها كانت آلة عودة بالزمن، كان سيعتقد أنه يسافر بها إلى خمسينيات القرن الماضي، وربما أبعد من ذلك.

في الوقت الذي كان يسير فيه عبر طريق المقاطعة ثم عبر طريق خاص، كسرت أبراج الهواتف المحمولة الإيقاع الرتيب للزمن السحيق، لقد دفع ليام أوهارا مبالغ طائلة لبنائها، فلقد سمحت له ثروته الطائلة بأن يحظى بأفضل خدمة حتّى عندما يبتعد عن كل شيء ويأتي إلى منطقة نائية، يمكن القول إنها كانت بالنسبة إليه رحلة للاسترخاء وقد أتت بالفائدة على الكثير من سكان هذا الجزء من المقاطعة.

لقد عُبّد الطريق الخاص ذي الاتجاهين الذي يؤدي إلى مزرعة راسلنغ ويلوز يوماً ما، ولكن ليام دفع لإعادة تعبيده مجدداً. بدأت المروج المُسيجة تظهر على الجانبين من دون أن تظهر الأحصنة التي اعتادت أن تركض فيها يوماً ما. هناك أرض مسطحة بين المروج المنحدرة والتلال الصغيرة، وإلى اليسار هناك إسطبلات خلابة ذات سقف قرميدي أحمر، وكوخ ريفي صغير، وكلها شاغرة، أما إلى اليمين فهناك بعض أشجار الصفصاف التي زرعت لتشكل سداً يقي من الرياح التي تهب من بحيرة الياقوت التي تظهر بلون أزرق جميل يتخلله بعض اللون الذهبي الناتج عن انعكاس ضوء الشمس عن سطحها المتموج، ثم هناك منزل جذاب مؤلف من طابق واحد يتوضع خلف البحيرة ويطل عليها، كان مبنياً من حجارة المنطقة نفسها، ويملك سقفاً من الأردواز الداكن، ونوافذ كبيرة لتبقى الإطلالة واضحة دائماً، وشرفة واسعة. تمتد الغابات الخضراء على المرتفعات المحيطة بالمنزل على الرغم من أن أول خمسة فدادين من الأراضي المحيطة بالمنزل خُصصت لأشجار الصفصاف لتأمين حماية من الرياح أولاً.

ركنت سيارة فورد أف–150 أمام مرأب ذي أربعة أبواب، فركن الرانج روفر إلى جانبها.

في الوقت الذي صعد فيه وايت الدرجات الحجرية المؤدية إلى الشرفة التي صنعت أرضيتها من أخشاب الساج. لاح وجه رجل طويل ونحيف يرتدي الجينز

وبلوزة من الدنيم يجلس على كرسي خشبي هزاز، وقد لوحت الشمسُ وجهه، إنه أشبه بشخص قوي البنية ذي أخلاق عالية يصلح ليكون بطل أي رواية غربية للويس لامور.

سأله: «هل حضرتك السيد رايدر؟».

أجابه وايت وهما يتصافحان: «يسعدني أن أقابلك سيد بوتر، أخبرني ليام أوهارا أنك ستزودني بأي شيء قد أحتاج إليه هنا».

«إذا طلبت مني أن أحضر لك جنياً في مصباح يا سيدي، أعتقد أن بإمكاني توفير المصباح على الأقل». إنه فانس بوتر مدير مزرعة راسلنغ ويلوز والعقارات المجاورة التي اشتراها ليام أوهارا، وهو لا يقيم هنا، ولكنه يعيش مع زوجته في مدينة بوكليتون التي تبعد قرابة تسعة أميال جنوباً، وقد استخدم اليد العاملة المحلية ليتأكد من أن كل شيء يسير بشكل مثالي.

قال وايت وهو يخرج بطاقة عمله من محفظته ويعطيها لبوتر: «في الحقيقة، كل ما أريده هو أن أحظى بالقليل من الخصوصية والهدوء لبضعة أيام، فحتّى وإن كنت تملك جنياً بداخل مصباح، سأتخلى عن الأمنيات الثلاث، فأنا أعلم كيف ينتهي ذلك دائماً».

وافقه بوتر: «لا قيمة لأي شيء تحصل عليه بمجرد التمني فقط». ثم سأله: «حسناً، هل الهدف الأساسي من مجيئك إلى هنا، إلى هذا الفراغ الكبير هو الراحة؟».

بينت الطريقة التي صاغ بها السؤال والبريق الماكر في عينيه الرماديتين أنه معتاد على سماع قصص مشابهة لهذه القصة. لم يظن وايت أنه يحتاج من بوتر أكثر من جولة إرشادية في المنزل، ولكنه كان حكيماً بما فيه الكفاية ليعلم أنه من الأفضل أن يبقى على علاقة جيدة بهذا الرجل، وهذا يعني أنه يجب أن يكون صادقاً معه منذ البداية.

«في الحقيقة، أنا محقق خاص».

قال بوتر مبتسماً، وبدا سعيداً بالاعتراف: «لقد بحثتُ عنك على الإنترنت لأعلم من أنت، وعالم الإنترنت مليء بالأكاذيب، ولكنه يفيد أنك في التاسعة والثلاثين من العمر، وأصبحت محققاً ماكراً منذ كنت في الحادية والعشرين من العمر، وأظن أن أول شيء قمت به بعد أن حصلت على رخصة المحقق الخاص هو كشف حياة والديك، وفضح ما كانا يفعلانه من اختلاس لمدخرات الكبار في العمر».

قال وايت: «لا شيء أكثر سوءاً من ناب الثعبان إلا طفل جاحد لأهله».

هز بوتر رأسه نافياً: «بالنسبة إليّ، أعطني طفلاً صالحاً، وسأحرص على ألا أكف عن الشكر، لن أسألك لماذا أنت هنا، ولكن إذا كنت هنا من أجلي، فابدأ بالتحقيق مباشرة».

«الأمر لا يتعلق بك، وإن كان يتعلقُ بك، ما كنت لأخبرك».

قال ضاحكاً: «أتمنى لو كان الأمر يخصني، يبدو وكأنه من الممتع أن تتواجد حول شخص ما».

كان بيت المزرعة كبيراً، وتصل مساحته إلى سبعة آلاف قدم مربعة، ولكنه كان يشرح نفسه بنفسه، فقد أعيد تأهيل حجرة المؤن والثلاجة والحمامات من أجل زيارة عائلة أوهارا في الأسبوع الماضي وليس هناك أي شيء آخر قد يحتاج إلى معرفته لذلك لم تستغرق الجولة الإرشادية أكثر من عشر دقائق.

قال بوتر: «يميل السيد أوهارا إلى تحديث الأشياء، وجميع أنظمة البيت ميكانيكية، وأعاد تأهيل بعض الأشياء بلمسات نهائية أجمل، مع أنه يفعل ذلك بعد عدة زيارات ليقرر ما الذي يحتاجه المنزل، ولكن إذا سألتني أنا أرى البيت جميلاً كما هو».

في الوقت الذي رافق فيه وايت مدير العقار إلى سيارته سأله: «بما أنك كنت تتردد إلى هذا المكان كثيراً هل سبق ومررت بأي تجربة غير عادية؟». توقف وهو يسند يده على مقعد السائق.

قال بوتر: «عبارة غير عادية تشمل كثيراً من الأحداث التي تحصل في هذه المنطقة».

بعد لحظات من التردد، طرح وايت السؤال بطريقة مختلفة: «ماذا لو استبدلت عبارة غير عادي بتجربة غريبة؟».

لم يكن مدير العقار رجلاً يترك أفكاره تتسلل عن طريق تعابير الوجه غير المضبوطة جيداً. لقد أمعن النظر طويلاً بعيني وايت قبل أن يقول: «حسناً لم يسبق لي أن رأيت طبعات لأقدام كبيرة جداً حول المرج، ولم أرَ حيوانات طائرة قادمة من القمر.. ولكن في بعض الأحيان...». وأدار ظهره لينظر إلى البحيرة والأراضي والإسطبلات، وتابع حديثه بنبرة صوت مهيبة: «وربما لأن المكان يملك تاريخاً سيئاً- الكثير من المآسي كما تعلم- ربما عندما أتذكرها تبدأ مخيلتي بالعمل، ولكن في بعض الأحيان...».

عندما صمت بوتر مجدداً، حاول وايت حثه على متابعة الحديث: «في بعض الأحيان؟».

هزّ كتفيه، وقال كما لو أنه تجاهل ما كان سيقوله في البداية: «أوه، في بعض الأحيان عندما أعمل بمفردي، أشعر وكأن شخصاً ما يراقبني، وأحس أنه حقيقي لدرجة أنني أشعر بخصلات شعر تلامس رقبتي أحياناً. ولكن أي مكان كبير وخالٍ إلى هذا الحدّ وبعيد عن البشر سيجعل الإنسان يشعر بهذا من وقت إلى آخر؟».

شعر وايت بحدسه أن بوتر قرر أن يكتم شيئاً ما، وأدرك أن الإصرار عليه لن يؤدي إلى أي نتيجة.

تصافحا، واستقل مدير العقار عربته، وقاد بعيداً.

عندما ابتعدت سيارة الفورد، ترك وايت رايدر الحرية لعينيه لتنظرا إلى كل شيء: من الإسطبلات الهادئة، إلى الطريق المعبّد الأسود، وانتقل من مجموعة أشجار صفصاف إلى الأخرى، امتدت الظلال شرقاً كما لو أنها تتوق لتشارك أحاسيسها مع الليل القادم، ونشر النهار الذي يحتضر لون الشمس الأحمر على طول الأراضي، وتموجت مياه البحيرة التي سقطت عليها آخر أشعة الشمس، تلك البحيرة التي ماتت فيها امرأة ذات يوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

16

التقطت أوفيليا بول المصباح الذي يعمل بالبطارية عن الأرض، حيث تركه أوبتيم، وعادت إلى المقعد، وأوقفت عمله لتوفر طاقته. أشعرها الظلام الدامس الذي يسيطر على الغرفة بعدم الراحة، فليس هناك ومضة ضوء بسيطة من إحدى النوافذ المكسوة بالطوب، بالطبع لقد بدأ الظلام يُخيّم خارجاً، لذلك لم يتبقَ كثير من الضوء ليدخل إلى المبنى.

كان لديها الكثير لتفكر فيه: كان عليها أن تفكر في خياراتها، هذا إن كان لديها أي خيار، ويجب أن تضع خطة عمل.

سمعت أعلى رأسها ضجة، لم تستطع تحديد ماهيتها، بعد قليل من الصمت، علا صوت الضجيج مجدداً بشكل خافت وخفيف. من الطبيعي أن يكون هناك كثير من الفئران في هذا المكان لذلك لم يقلقها الأمر.

خيّم الظلام على كل شيء، ولم تستطع رؤية شيء غير صورة آسرها في مخيلتها، كان وجهه مرعباً، لأنه يظهر بشكل مألوف جداً، وكان دماغه عبارة عن كرة من الكره والأنانية ممتلئاً بأوهام القتل، والنرجسية الشديدة، لقد أقنع نفسه أن رغبته العظيمة بالسلطة والقوة مهمة نبيلة. كان شره الداخلي سُماً قوياً لاذعاً لدرجة أنه كان يجب على فساد أخلاقه أن يترك أثراً على وجهه، لكنه كان ثعباناً يستطيع أن يمر من أي مكان بسبب علامات الصدق الكاذب التي تعلو وجهه.

لقد خافت منه، مع أنها شعرت بالراحة لظهوره أخيراً في حياتها. بعد أسبوع على وفاة أختها التوأم أوكتيفيا آمنت أو ربما كان عليها الإيمان بأنها بقيت حية لهدف مهم، لم تعرف ما هو، ولم يخطر ببالها أبداً أن هذا الهدف سيكون القضاء على قاتل بإمكانه أن يرتكب عدداً لا يحصى من الجرائم. في اللحظة التي استيقظت فيها من تأثير الكلوروفورم علمت أن آشير أوبتيم هو السبب الأساسي لعدم موتها في حادث السير الذي قتل أوكتيفيا.

كانت تقود السيارة، وعلى الرغم من أنه لم يكن خطؤها بل كان خطأ سائق شاحنة مخمور، ولكنها شعرت بالمسؤولية لأنها كانت تقود السيارة. كانت أوكتيفيا تجلس في المقعد الأمامي بجانب السائق ومع ذلك تهشم جسدها وتحطم رأسها، أما أوفيليا التي كانت خلف المقود، ولا تبعد عنها أكثر من ثلاث أقدام لم تصب بأكثر من كسر إصبعها وبعض الخدوش في الذقن. بعد هذا الحادث كان أمامها خياران: إما أن تستسلم للحزن، وتترك الذنب يتسرب إلى أعماقها حتّى يقتلها، أو تؤمن بأنها بقيت لتنجز هدفاً مهماً وبإنجازها لهذا الهدف ستتمكن من الرحيل وملاقاة أختها في العالم الآخر.

لم تكونا مجرد توأم متطابق، ولكنهما كما تقول أوفيليا كانتا توأماً ملتصقاً ولكنهما ولدتا منفصلتين. كان لدى أوفيليا دائرة أصدقاء مقربين، وكان لدى أوكتيفيا دائرة أصدقاء مقربين، وكان هناك أصدقاءٌ مشتركون بينهما، ولكن لم تكونا قريبتين من أي أحد آخر كما كانتا قريبتين من بعضهما، فقد أكملتا دائماً جُمل بعضهما، وعندما تروي إحداهما نكتة تضحك الأخرى قبل أن تنتهي النكتة لأنها استطاعت الشعور بها، أحياناً تهتفان بشعار من كلمتين لوصف العاطفة الكبيرة تجاه بعضهما «أختي أنا» عندما تقولان شيئاً ما معاً أو تريان شيئاً يثير حماسة كلتاهما أو تحققان شيئاً ما. كان هناك اختلافات بينهما حيث كانت أوكتيفيا تملك قلباً أكثر رقة من أوفيليا، التي كانت أسرع بديهية من أوكتيفيا. حظيت كلتاهما بموهبة موسيقية، ولكن أوكتيفيا امتلكت حساً موسيقياً مثالياً، فقد عزفت بشكل رائع على البيانو منذ المرة الأولى التي جلست أمامه، وعملت أوفيليا بكل صبر حتّى أصبحت بالمستوى الذي يعزف فيه الطالب كأستاذه. بعد كل هذا القرب كانت خسارة أوفيليا الساحقة في حادث المرور أشبه بعملية بتر تركتها لتعيش حياتها بأكملها من دون جزء منها.

الآن، وهي تجلس في ذلك الظلام هناك بصيص ضوء في داخلها لإنجاز هدفها أشعرها بدفء تغلب على البرد الذي زرعه آشير. كانت الجدران الحجرية صامتة كحالها منذ قرن ونصف. لم يرتفع صوت الضجة مرة أخرى مع أن الأرضية تحتها أصدرت أصواتاً غير طبيعية من صرير وقرقعة ناتجة عن تمدد الخشب مع ارتفاع درجات حرارة الصيف. إن الباب الذي يؤدي إلى القبو مغلق، وإلا ما كانت لتتحمل رائحة الجثث المتحللة.

لقد أصر أوبتيم على أن القبو لا يحوي أي مخرج من الكنيسة، ولكنه رغب في الحقيقة، أن يجعلها تشك بصدقه، لقد ترك المصباح الذي يعمل على البطارية حتّى تنزل إلى الأسفل حيث الجثث، وتبحث عن مخرج، لأنه تخيل أن منظر الجثث المنتفخة والمتحللة سيجعل كل الأمل يتلاشى، وهذا ما سيجعلها مستعدة للموت الثاني أي موت جسدها.

ما كانت لتضع نفسها في هذا الاختبار. يوم الحادث، وقبل أن يصل المنقذون ويفتحون الباب الجانبي للسائق باستخدام المقص الهيدروليكي بقيت محاصرة مع جثة أختها الميتة المهشمة وبقيت كوابيس هذا المشهد تلاحقها لعدة أعوام. لقد وثقت في نفسها، بما يكفي لترد في وجه أوبتيم عندما أتت لحظة المواجهة، ولكنها لن تتجرأ على المشي بين جثث ضحايا ذلك الرجل المجنون لأنه ما من شك أن أي وجه مُدمر لأي جثة يسقط عليه شعاع الضوء سيذكرها بجثة أختها المشوهة وبعينيها المفتوحتين بسبب الصدمة.

سمعت أعلى رأسها ضجيجاً، لم يكن خافتاً مثل سابقه، كان يشبه صوت رفرفة أجنحة تقطع السكينة.

ضغطت أوفيليا على زر مصباح البطارية، وحرّكته عبر الظلام بحثاً عن طيور، وجدتها تجلس على ظهر المقعد الأمامي على بعد صفين من مكان جلوسها، كانا زوجاً من الغربان. لقد كانا بصحة جيدة جداً وهذا يعني أنهما لم يكونا محاصرين في هذه الكنيسة منذ فترة طويلة، وربما لم يكونا محبوسين هنا أصلاً أي أنهما وجدا طريقهما ليدخلا ويخرجا عبر فتحة في السقف.

وقفتْ، ومشت عبر الممر وهي تُسلط الضوء صوب السقف، ومررته على العوارض والأعمدة باحثةً عن أي صدع في الأخشاب أو فتحة في السقف. بعد دقائق، أدركت أن عليها أن تنتظر حتّى يحل الصباح، وتُشرق الشمس، لتكتشف كيف وجدت الغربان طريقاً إلى هذا المكان، وبحثت عن قطعة خشب أو مسمار صدئ يمكنها استخدامه كسلاح.

تبعها الغرابان من مكان إلى آخر، ومع أن الغربان بطبيعتها طيور صاخبة، إلا أن هذين الغرابين لم يصدرا أي صوت تقريباً. سرعان ما أقنعها اهتمامهما المستمر بها أن هناك شيئاً مثيراً للشك فيهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

17

خلف النافذة، ظهر القمر منخفضاً ولامعاً، وسرعان ما أصبح شاحباً وهو يبتعد، نقّط صنبور المغسلة قطرة كل دقيقة تقريباً مصدراً نغمات خفيفة، وكأنه يعلن اقتراب الموعد النهائي لحدث جلل.

إن كانت جوانا وحيدة حقاً كما قالت الخالة كيت، فإن وحدتها في هذه اللحظة، لا تنبع من عدم وجود رجل في حياتها، بل نتيجة كل تلك الصور التي سيطرت بشكل تام على تفكيرها حتّى وهي تجلس لتأكل الطعام على طاولة المطبخ. لقد تلاشت ذكرياتها المتعلقة بمزرعة راسلنغ ويلوز كمكان فاتن، ولكن تلك الصور أعادت لها تفاصيل ساحرة عن ذلك العقار وجماليته، بدا الأمر وكأنها لم تنسه فحسب بل قمعته في لا وعيها لسبب ما. وهي تأكل اللقمة الأخيرة من اللازانيا التي صنعتها للعشاء، سمعت صوت محرك السيارة، وسمعت صوتاً يشبه دوس أحدهم على دواسة البنزين. نهضت مندهشة، فسقطت شوكتها في الصحن، انتشر صوت المحرك العالي في أنحاء المنزل عبر الجدران، حددت الجهة التي يصدر منها الصوت، ولكنها ترددت في السعي لاكتشاف ما ينتظرها.

لقد بدأت كل هذه الأمور الغريبة منذ ثلاثة أسابيع، عندما اشتغل محرك سيارتها اللينكولن فجأة في المرأب المغلق، وبحسب علمها فالسيارة لم تتعطل مرة ثانية على الأقل حتى هذه اللحظة. رن الهاتف المثبت على الحائط، نظرت جوانا إليه بدهشة، وهي متيقنة أن المتصل هو المرأة التي سبق لها أن اتصلت اليوم، وقالت لنفسها بعد أربع رنات ستحوّل المكالمة إلى البريد الصوتي.

ولكنها لم تتحول إلى البريد الصوتي، وبقي الهاتف يرن، وصوت المحرك يعلو من المرأب بالإيقاع نفسه، كما لو أن هناك قوة، لا تعرف ما هي، تريد إجبارها على الرد.

توجهت إلى الهاتف، وأظهرت الشاشة أن الرقم غير معروف.

في الوقت الذي كانت فيه جوانا تنظر إلى الهاتف، وتهيمن النغمة الحادة على انتباهها، ارتفع هدير محرك السيارة، حتّى تخيلت شيئاً خارقاً للطبيعة: فشل مكابح السيارة في السيطرة على الوضع، فتتحول السيارة من وضعية الركن إلى الحركة، فيرتعش المنزل بأكمله كما لو أن جنياً يهزه، وتحطم السيارة المرأب، وتتجه صوب المطبخ، حيث تسحقها حتّى الموت.

بسرعة، رفعت السماعة لتوقف ذلك الرنين، فتوقف صوت محرك سيارة اللينكولن عن التصاعد، وخفتَ تدريجياً. تكلم صوت المرأة الغريب والغامض

كما في كل مرة من دون أي مشاعر بشكل موزون مخيف لم يتناسب والكلمات التي تقولها: «جوجو، أنا أطير في بيدلام([6])، في السماء الكبيرة المظلمة، تلك السماء الرهيبة المظلمة، أنت وحدك من يستطيع مساعدتي».

سألت جوانا: «من أنتِ؟».

«تعالي الآن، تعالي بسرعة، من فضلك؟».

أنهت جوانا المكالمة، وابتعدت عن الهاتف، والذي عاود الرنين مباشرة. عندما غامرت وتجاهلته ودخلت إلى غرفة الغسيل تصاعد هدير محرك السيارة مجدداً، وأدركت أنه محرك السيارة الرياضية هذه المرة. أخذت المفتاح الإلكتروني من اللوحة المعلقة، وفتحت الباب. تصاعد دخان العادم من السيارة. وأضاءت المصابيح الأمامية لسيارة الدفع الرباعي الكبيرة، واهتزت إطاراتها كثور هائج.

صحيح أن كل هذه الغرابة أزعجتها، لكنها لم تشعرها بالخطر، بدت مترددة عندما وقفت عند العتبة، لن يسبب الانسحاب الآن أي إحراج، فليس لديها أي شيء لتثبته.

فكرت: ربما لديّ ما أُثبته؟

إذا كان نسيان ذكريات المزرعة أمراً طبيعياً، بسبب مرور وقت طويل عليها، وإن غسلتْ تلك الذكريات الباهتة لسبب ما وعلّقتها في مكان قصي من عقلها الباطن، فعليها أن تبحث فيها لتعرف الحقيقة المزعجة التي حملتها على غسلها.

شغّلت المصابيح العلوية في المرأب، وعبرت العتبة، وتوجهت نحو السيارة. عندما فتحت الباب توقف محرك السيارة الرياضية عن الهدير، وعاد مجدداً إلى وضع الخمول.

استطلعت المرأب، وهي خائفة من شيء لا تعرف ما هو، ثم نادت: «من هناك؟ ماذا تريد؟». ولكن أحداً لم يجبها. جلست في مقعد السائق، وأغلقت الباب مرة أخرى، ونظرت إلى الشاشة، فرأت المربع البرتقالي الذي يحوي على كلمة ابدأ كما حصل معها منذ عدة أسابيع: أخبرها صوت أنثى من نظام الملاحة والمواقع أن تطيع قوانين المرور، وتتبع التعليمات، وهي تمضي إلى مقصدها مع أن جوانا لم تضغط على مربع ابدأ في الحادثة السابقة، وبسبب حيرتها وتوترها لم يخطر ببالها أن تقرأ الوجهة التي أدخلت إلى السيارة، والتي لم تُدخلها بنفسها، والتي يبدو أن السيارة حددتها بنفسها. الآن، رأت ما توقعت رؤيته تماماً: رقم لطريق ريفي في مونتانا وهو عنوان لم تمحِه من

ذاكرتها ذلك الطريق الخاص الذي يؤدي إلى مزرعة راسلنغ ويلوز والذي يتفرع من طريق مُعبد عام.

سألت: «من أنت؟». وكأن الشخص الذي يتحكم بسيارتها الرياضية عن بعد يستطيع سماعها. لم تتلقَ ردّاً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

18

لم ينر أكثر من مصباح واحد في كل غرفة، وإن كان من المصابيح التي تملك ثلاث درجات إضاءة وضعه على أخفض درجة، وعمل على لفه بمنشفة في حال كان من مصابيح درجة الإضاءة الواحدة. فتح علبة من سمك الفيليه بالفلفل الحار الغني بالتوابل من العلب التي وجدها في المخزن، وسخنها في الفرن، وأكلها بالملعقة من علبتها وهو يمشي في المنزل. بعد ذلك، أكل خوخاً، وعندما انتهى الخوخ، سار بين الغرف والأروقة وهو يشرب القهوة؛ فقط ليعتاد على المنزل ويعرف كيف يشعر تجاه هذا المبنى، أما العمل الحقيقي فسيبدأ في الصباح. سمح له الضوء المنخفض بالرؤية داخل المنزل، وسمح له أيضاً برؤية الليل المظلم خارج النوافذ الضخمة، إن ملأ المكان بأكمله بالضوء، فلن يستطيع رؤية أي تهديد قادم من الخارج، مع أنه لا يظن أن هناك خطراً يلوح في الأفق، ولكن التجارب الصعبة علّمته أن يتصرف دائماً كما وأن الخطر يحيق به.

أضف إلى ذلك، إنه يشعر بالرعب ليس من المنزل بل من الأراضي الشاسعة التي تحيط به. بغض النظر عن المناظر الرائعة لتلك الآلاف من الفدادين، ولكنه ربما لن يشعر بوحدة كهذه إن نُقل إلى القمر. وايت رايدر رجل في التاسعة والثلاثين من عمره، أمضى ثماني عشرة سنة يعمل محققاً خاصاً، نشأ وترعرع في المدينة، يُفضّل المخادعون الماكرون- كوالديه– العيش في المدن ليس لأن هناك الكثير من الناس الذين يمكن خداعهم وحسب، بل لأن أصحاب الملايين هؤلاء يلتقطون الطعم أسرع من أبناء المدن الصغيرة. وفقاً للمعتقدات الشائعة، إن سكان المدن الكبيرة، أكثر ذكاءً وأبرع في التعاملات مع الناس، ولكن تم نفي ودحض هذه المفاهيم من قبل عدد لا يحصى من الدراسات الحديثة التي أوضحت أن سكان المدينة لا يعانون فقط من حالات الاكتئاب والأمراض النفسية بنسبة أكبر فقط بل يعيشون وهم يعانون من داء العظمة، وهذا ما يجعلهم أكثر ميلاً لتصديق نظرية المؤامرة. وهناك بعض الحقيقة في مصطلح «الحشد المجنون» حيث سارع المحتالون من النساء والرجال إلى استغلال جنون العظمة لديهم.

بالاستناد إلى كل ما تقدم، فأي محقق خاص يريد أن يعمل ويكسب لقمة عيشه، ويلقي القبض على المحتالين واللصوص، ويشعر بالوقت نفسه بالرضى عن عمله، لا يرجح أن يكون قادراً على دفع فواتيره إذا فتح مكتباً في مايبري بدلاً من مانهاتن. بالنسبة إلى وايت كانت سياتل تعادل مانهاتن مع أن قضاياه تجبره على الذهاب بعيداً عن مدينة الخيال هذه، ولكنه لم يتمنَ أبداً أن يبتعد عن الأبراج الزجاجية والفولاذية العالية، وعن ضجيج الحفلات المقامة على الشرفات، وعن البشرية كما هو الآن في مزرعة راسلنغ ويلوز. عندما

غادر فانيس بوتر، واختفى صوت عربته تماماَ، خيّم الصمت على الأراضي التي لا نهاية لها، لقد أحس وايت أن شعورَ الغربة يزحف باتجاهه بطريقة مشابهة لما وصفه بوتر سابقاً، مع أنه لا يؤمن بالخرافات، ولم يكن ليتأثر بأقوال بوتر إلى تلك الدرجة التي تجعله يتخيل الأمور، ولكنه عندما كان يقف وقت الأصيل، والضوء يتلاشى، شعر وكأن شخصاً ما يراقبه. في الحقيقة، كان ذلك الشعور قوياً جداً، تفحص الأراضي وأشجار الصفصاف القريبة منه، لقد شعر أن الشخص الذي يراقبه يقف بالقرب منه على بعد عدة أقدام، وربما لا يبعد عنه أكثر من ذراع، إنه شخص حقيقي، ولكنه بطريقة ما غير مرئي.

بدا منزعجاً من حقيقة أن خياله قد ذهب بعيداً جداً عن الأشياء الواقعية التي تحصل في ضوء الغسق هذا، لذلك عاد إلى المنزل، وتعبيراً عن رفضه الخوف الذي لا أساس له لم يغلق الباب الأمامي. بعد أن حل الظلام، وبينما كان يأكل ويتجول في الوقت نفسه في أرجاء المنزل، شعر بمرور تلك الروح بجانبه. كان في مرحلة اكتشاف الغرف ودراستها حاملاً الكوب الثاني من القهوة بيده، عندما كشف ذلك الكيان الذي أحس به سابقاً عن نفسه بطريقة غير مفهومة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

19

كما كُتب في بيان آشير أوبتيم التاريخي، فإن صفورة المهجورة تمثّل دليلاً على أن البشر مجرد كائنات عابرة وتوضح حقيقة أن زوال النوع أمر واضح بالنسبة إلى من ينظر إلى تطور الجين البشري. هذه ليست مدينة أشباح بل هي مدينة أطلال وبقايا بشر، لا تسكنها أرواح وأشباح، بل آمال رجال ونساء اعتقدوا أنهم مهمون، ولكنهم ماتوا واختفوا وكأنهم لم يكونوا يوماً على قيد الحياة. كل مساء، يتمشى آشير في الشارع الذي يبدو لامعاً بفعل ضوء القمر كحاله الليلة، قبل أن يخلد إلى النوم عند منتصف الليل، وهو يُفكر بأن هذا الشارع يقوده إلى قدره العظيم. وفي ضوء ذلك التوهج تبدو المباني المهجورة المضاءة من بعيد هي الأشباح الوحيدة بأشكالها الشاحبة رمادية اللون، وكأنها لوحة فنية غُطيت خلفيتها بالحبر الأسود. توقف آشير قبل أن يصل إلى الكنيسة ينتظر سماع صرخة، ولكنه لم يُكافأ بواحدة. إنه صبور ومع أن أوفيليا لم تنكسر وتستسلم بسهولة إلا أنه متأكد من أنها ستنهار قريباً.

مع أنه يفضل السماء من دون قمر يُخرب بضيائه سوداوية المنظر الجميل، إلا أنه أرجع رأسه إلى الخلف، وحدق إلى اللانهاية التي جعلته مدهوشاً. هذا الكون هو المقبرة، هذا السواد المثالي بين بلايين النجوم اللامعة هو أكبر دليل على ذلك، مقارنة ببحر السواد هذا، فإن ضوء النجوم ضئيل وتافه وبارد وقد انبعث منذ فترة طويلة جداً بالنسبة إلى الوقت الذي نراها فيه، ماتت نجوم كثيرة منذ مئات آلاف السنوات. باستطاعة آشير أن يتخيل جمال الأرض بعد مرور مئات السنوات على اختفاء آخر رجل وامرأة وانطفاء آخر نجمة أيضاً.

مجرد سماء كبيرة مظلمة.

في بعض الأحيان، يقف في هذا الشارع الوحيد في صفوره ويحدق في روعة الليل، ويتحمس لقدوم اليوم الذي لا مفر منه، والذي لا يبقى فيه شيء أبداً. لقد شجعت النجوم العدميين على تحقيق أهدافهم أكثر مما شجعت مشاعر الرومانسيين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

20

كانت السجادة من تراث قبيلة نافاجو، ويوجد فخار بويبلو، ومجموعة من منافض السجائر النحاسية على شكل قبعات رعاة بقر، وكراسٍ مكسيكية مطلية بشكل مزخرف، وغرفة نوم مفروشة بالكامل بأثاث عتيقٍ يدخل في تصميمه أغصان الأشجار، هناك على الأرائك أغطية ملونة: كل هذا بقي هنا مع أن ملكية العقار انتقلت، أراد ليام أوهارا أن يعيش في هذا المكان، ويضيف إليه بعض الأشياء. أما بالنسبة شخص نشأ في المدينة مثل وايت رايدر فلا شك أن هذا التصميم أشعره بالدفء، ولكنه أشعره أيضاً بشيء من الغرابة.

نوى ليام أوهارا أن يضاعف حجم المنزل من سبعة آلاف إلى أربعة عشر ألف متر مربع، ليس لأن غرف المنزل قليلة العدد وغير كافية لإظهار كامل أفكار هذا النوع من التصميم، بل لأن جعل كل شيء أكبر مما هو عليه يقع دائماً ضمن دائرة اهتمام الأثرياء.

ليام متحمس لِمَ يدعوه «طرز سانتافي والغرب الحقيقي» ولم يكن الأمر بالنسبة إليه حاجة إلى مكان بعيد يعيش فيه ويريح رأسه، بل مساحة تسمح له بجمع وعرض ما كان يرغب بتجميعه.

لقد عمل هذا الرجل بجد، وبنى شركة مزدهرة، ووظّف آلاف الأشخاص، وهذا يعني أنه أفاد الآخرين أكثر مما أفاد نفسه، لذلك يحق له أن يفعل ما يشاء بماله. لقد حسد وايت هذا الرجل ليس بسبب ثروته، بل بسبب امتلاكه لعائلة يشاركها كل هذا، فزوجته ليندسي إنسانة محبوبة وذكية ودافئة لديها حس دعابة رائع، وولداه لورا وتافيس كانا مهذبين ويشعان حيوية، وذكيين بطريقة جميلة وليس بطريقة ماكرة.

لم يتزوج وايت بعد بل في الحقيقة لم يحظَ بأي علاقة مثيرة للاهتمام وممتعة مع امرأة من دون أن تنتهي بالشك الكبير، والاتهامات المتبادلة وندم الطرفين. كانت حياته العاطفية الرومانسية مجرد شجارات، وهو يعرف أن المشكلة فيه وليست في النساء، ولكنه لم يعرف كيف عليه أن يصلح نفسه.

عندما مر مجدداً عبر غرفة المعيشة ذات الإضاءة الضعيفة، وحرّك آخر ما تبقى في كوبه الثاني من القهوة لم يكن يفكّر في سبب مجيئه إلى مزرعة راسلنغ ويلوز بل فكّر بـساندرا تشان، وهي حبيبته الأخيرة التي تعمل محامية، لقد كان يعزها ويقدّرها حقاً، ومع ذلك فقدها. في الحقيقة، لقد أجبرها على الابتعاد، لأنه لم يكف عن الشك بها ومن دون سبب، وهذا ما أشعرها بالإهانة.

ما كان سيلاحظ لمعان الضوء المخيف في الفناء، ما لم يكن جدار غرفة المعيشة يحتوي نوافذ بطول تسع أقدام، لأنه كان مشتتاً وهو يفكر في ساندرا

تشان. إن مصدري الضوء الوحيدين في هذه البيئة الريفية الشاسعة هما إما الكهرباء أو ضوء القمر، وكلاهما لا يفسران ما رآه قرب الشرفة. كان خفيفاً كسحابة خافتة من الضوء المُصفر التي بدت وكأنها تدور بكسل وهي تتحرك ذهاباً وإياباً على ارتفاع خمس أو ست أقدام من العشب. وقف وايت يراقبها لمدة دقيقة أو أكثر محاولاً معرفة ماهيتها، ولكنه كان بحاجة إلى أن يلقي نظرة أقرب عليها.

عندما خطا نحو الشرفة، في تلك الليلة المعتدلة من آب كان السكون يُخيم على الأرض كما خيّم في النهار، وسمع صوت الرياح الآتية من بعيد، عندها أدرك ماهية ما يطفو أمامه، وهو أمر طبيعي، إنه سرب من مئات وربما ألف يراعة نابضة بضوئها المتوهج، بدت كل يراعة وكأنها مصباح بالغ الصغر، ولكنها معاً بعثت ضوءاً يعادل الضوء الصادر من مصباح.

سبق له أن رأى عدة يراعات، معظمها خلال فترة شبابه في أمسيات الليالي الصيفية، ولكنها كانت أقل عدداً، وكانت كل واحدة منها تسير بمفردها وتنير الطريق. ما كان وايت ليفكر باحتمال أن تكون اليراعات منتجة لمثل هذا الضوء لأنه لم يتخيلها أبداً بهذا العدد الكبير وربما لم يعتقد أنها موجودة في مونتانا أصلاً. لم يذكرها ليام أوهارا عندما تحدث عن الأحداث السحرية والمرعبة التي جعلته ينهي رحلته العائلية الأولى إلى المزرعة ويعود إلى المنزل. مع أن هذا المشهد غامض، ويمكن وصفه بالمدهش أكثر من كونه مخيف، ولكن كلما تفحصه لوقت أطول وجده أكثر غرابة.

أشار هذا الضوء النابض إلى أن اليراعات تسير بشكل محاذٍ ومن دون أن تتداخل مع بعضها وهي تُشكل شكلاً ثابتاً معقداً بطريقة رائعة يسير لمسافات طويلة بدون أن يتغير بمقدار ذرة. فكر في تلافيف الدماغ وتخيّل كل يراعة خلية عصبية نابضة.

تمكنت مجموعة اليراعات هذه من الإبحار عبر ظلام الليل بخفة وسهولة لدرجة أنها كانت صامتة كالضوء نفسه، ومع ذلك فقد صدر عن هذه الأعداد الكبيرة صوت خفيف، كما لو أنها تهمس ببعض الأسرار خلال رحلتها التي من شأنها أن تزيح الستار عن العجائب التي تحدث في هذا العالم. مثل طفل صغير أدهشه جمال المنظر، فمدّ يده اليمنى باتجاه السرب على أمل أن تحط واحدة من اليراعات على إصبعه، وتسمح له بتفحصها عن كثب. ولكن بدلاً من ذلك تحول النمط إلى شكل تيار من الضوء كمذنب التف حوله ثلاث مرات، ثم ابتعد عن المنزل. مع أن الأمر بدا غريباً، ولكنه بدا متيقناً أن التفافها حوله لثلاث مرات كانت دعوة ليتبعها. لحق بالسرب عبر العشب نحو البحيرة التي ينعكس عنها ضوء القمر كما لو أنها خارجة من عالم أفلام الرسوم المتحركة. قاده سرب اليراعات إلى الضفة حيث شكّلت من جديد

مذنباً كبيراً وأصدرت صوتاً مرتفعاً فوق باب يتسع لشخص واحد طولاً وعرضاً ويؤدي إلى مرسى صُنع الباب من خشب الماهوغني الذي أهلكه الزمن. تفرّقت اليراعات مع وصول وايت، وتلاشت في الظلام مثل الشرر الباهت في نهاية الألعاب النارية، وذهبت كما لو أنها مرت بشكل عرضي.

عندما نظر إلى الأسفل، كشف ضوء القمر أن باب المرسى كان موارباً، ولكنه متأكد من رؤيته مغلقاً عندما وصل إلى هنا.

لقد تعرف إلى تاريخ العقار من ليام أوهارا، حيث تملكه روي وايف كورنبلوث لمدة ثلاثة وعشرين عاماً قبل أن يشتريه أوهارا منهما. وقد قام كورنبلوث بإبقاء مشروع تربية أحصنة ناجح، خلال فترة بقائهما في راسلنغ ويلوز لم يحدث شيء خارج عن الطبيعة أو حدث درامي مؤسف. قبل أن يمتلكه روي وايف كان المالكان هما إيميليا وساموِيل تشيس. لقد غرقت إيميليا في بحيرة الياقوت، وقتل دب ساموِيل ومزقه. بغض النظر عن أن هذه الأحداث حصلت من فترة بعيدة. ولكن بعض المشتريين امتلكوا نظرة متشائمة ناتجة عن خرافات تتعلق بشراء مكان حدثت فيه مثل هذه المآسي، واحدة منها مرعبة جداً. ولكن ليام وليندسي لم يؤمنا باللعنات، وبالنسبة إليهما فإن التاريخ مضيء ومشرق وليس مليئاً بالمشاكل.

فجأة، تحول ذلك الهدوء الطويل إلى نسمات قوية خرجت من غابات الجبال باتجاه الشمال محركة سطح الماء ومشتتاً صورة القمر المنطبعة على الماء، وعبثت النسمات بشعر وايت وبعثرته بعشوائية. تحرك باب مرسى نحو الداخل مصدراً صريراً بفعل يد الريح الناعمة، كاشفاً عن ظلام دامس أكثر من ظلام الليل. لقد أتت إيميليا تشيس إلى هنا في آخر يوم لها، واستقلت مركباً، ولكنها لم تعد أبداً، قبل أن تلفظ البحيرة جسدها على الشاطئ، بالتأكيد لم تسكن روحها المكان لأربعة وعشرين عاماً.

عندما كانت المياه تلطم الأعمدة أسفل ألواح المرسى، شعر وايت أن الباب لم يفتح بتأثير الريح بل أن شخصاً بالداخل فتحه كدعوة صامتة، ولكن دعوة إلى أين؟

من داخل المرسى انبعثت أصوات من شيء يضرب بخفة، بعد ثوانٍ عاد الصوت مجدداً. ربما هناك مركب صغير عادي أو آلي يتم التحكم فيه عن بعد يرسو هناك ويمشي عبر الماء بحيث تحتك الطبقة المطاطية التي تحميه بالماء وتسبب تحرك الماء، وانحساره حول المركب. لم يجلب معه مصباحاً كاشفاً، ولكن بالتأكيد هناك زر لإنارة الضوء على يمين الباب من الداخل، ربما يستطيع أن يتحسسه ويضغط عليه من دون أن يتخطى العتبة.

للحظات شعر بالانزعاج بسبب تردده، فلم يكن لخوفه هذا سبب وجيه. ولكن حدسه؛ ذلك الشعور الأول الفطري الذي يراود عقل الإنسان من دون سبب واضح خدمه جيداً في السابق. في المرات السابقة راوده الشعور كإلحاح بسيط، أما هذه المرة فهو يشعر بتوتر كبير وإلحاح مستمر في عمق أفكاره. لقد اختفت اليراعات، وذهبت إلى مكان آخر، وأياً تكن هذه الظواهر، فهو واثق أنه لن يجد لها تفسيراً في المرسى. فما من شيء هناك يستدعي التحقيق من أمره في مثل هذه الساعة المتأخرة، وأياً يكن الأمر، سيبقى ذلك الشيء هناك حتّى الصباح.

في طريق عودته إلى المنزل، نظر مرة واحدة إلى الخلف.

في المطبخ، غسل كوب القهوة، وسكب فيه بيرة باردة وخلطها مع القليل من الويسكي.

عند الساعة 11:10 توجه إلى غرفة الضيوف حيث ترك حقائبه، فأخرج مسدسه، ووضعه داخل مجلة، ثم وضعه على المنضدة، وعلى الرغم من أن ليام وعائلته لم يحتاجوا إلى استخدام أسلحة للدفاع عن أنفسهم ضد تهديد ما أو ليضمنوا أن بإمكانهم المغادرة بصحة جيدة، إلا أن تسارع الأحداث أخذ منعطفاً غريباً عندما بدأ ذلك الشيء الذي يسبب كل تلك الأحداث يتحرك بسرعة. ربما لو تأخروا ساعة أو ساعتين في العودة، ما كان مسدس ليام المُرخص ليفيدهم حتّى. يوجد باب مزدوج من الطراز الفرنسي يؤدي إلى سطح يطل على البحيرة، وهناك نافذتين في غرفتي النوم. أغلق كل الستائر، ونوى أن يطفئ مصابيح المنزل قبل أن يتوجه إلى الفراش، ولكنه بدّل رأيه بحكم أنه لم يملك مصباحاً يدوياً. وإذا حدث شيء ما أثناء الليل فهو لا يرغب أن يشق طريقه عبر المنزل المظلم وهو يتحسس مكان مفاتيح الإضاءة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

21

بعد الظهر، اخترقت أشعة الشمس أغصان أشجار الصنوبر وغيرها من الأشجار، وظهر انعكاسها عن الأرض، وبدا أن العملات الذهبية تملأ العشب الأخضر تحت قدمي الطفلة جوانا وهي تطارد الدب، لم تعترض طريقها أي أغصان منخفضة، ركض الدب الرمادي على قائمتيه الخلفيتين ليصبح ارتفاعه ثماني أقدام، ولكنه في الحالة العادية يسير متثاقلاً على قوائمه الأربعة مثل القطة. تبعتْهُ ضاحكة، ونادته تيمناً بدب الحكاية الشعبية الإنكليزية التي تتحدث عن دب بني قائلة: «يا سيد سموكي». ولكنه بالطبع، لا يشبه أبداً الدب البني الذي يظهر في الإعلانات. لقد جاءا إلى المروج حيث تشع الشمس بإشراق شديد، وبدت الأزهار البرية وكأنها تنهض من الأرض لاستقبالهما. هناك غزالان يرعيان العشب، استمرا بالاجترار، وهما ينظران إلى جوانا والسيد سموكي باهتمام وليس بخوف. قاد الدب الرمادي الفتاة إلى الغزالين، وابتعد عنهما قليلاً كي لا يفهماه بطريقة خاطئة. اقتربت منهما جوانا، فابتعدا عنها ليس خوفاً منها بل لأنهما أرادا إرشادها إلى المرحلة الثانية من اللعبة.

قاد الغزالان الفتاة من المرج إلى الجهة الأخرى من الغابة، حيث رأت عبر الغابة أسراباً من الطيور تزقزق بأعلى صوتها، والثعالب الحمراء التي تركض على جانبيها بذيولها ذات الفراء الكثيف التي تنبعث من خلفها مثل الأوشحة الطويلة الصوفية، أسرعت عبر الغابة، وتجاوزت جوانا البالغة النائمة بين الأشجار، أصبحت الإضاءة باهتة كتلفاز يعمل على شاشة رمادية منخفضة الإضاءة مع تقدمها عبر الغابة عبر شجيرات كيسيلرينجي، وعسل تاتاري، ونبتة العسلة التاتارية التي تشبه أزهارها الجرار، ركضت بجوار شكل صخري سبق لسيارتها الرياضية أن مرت فوقه، وشجيرات ذات أوراق حمراء وفاكهة زرقاء، والكثير من السراخس وعرق السوس. لقد عرفت أسماء جميع النباتات لأن والدتها سبق أن علمتها إياها. تسابقت الفتاة مع الغزالين مروراً بعنزة ذات لحية رمادية وزوج من الحقائب التي حزمت وجهزت ووضعت خارج منطقة الأشجار بين العشب البري حيث توقف الغزالان وحدقا لثانية.

ركضت الطفلة جوانا بسرعة بمفردها مبتعدة عن العشب الطويل، وسارعت إلى مجموعة من أشجار التفاح التي جلس وسطها طفل صغير متهدل الكتفين على مقعد خشبي، وعلى الرغم من أنها جرت لمسافة طويلة، إلّا أنها عندما جلست بجانب الصبي لم تكن تلهث أو تعاني من صعوبة في التنفس. كانت تبلغ من العمر ثماني سنوات، وهو يبلغ أحد عشر عاماً. أدار رأسه إلى الجهة الأخرى عندما قالت له: «أنت رائع يا جيمي. أنت أفضل صديق سري يمكن أن تحصل عليه فتاة». عندما نظر إليها بدا فمه بنصف حجم الفم الطبيعي، ومليئاً بالأسنان المعوجة، وكانت إحدى عينيه زرقاء صافية، والأخرى

سوداء محتقنة بالدم. لقد بدا رأسه مشوها كما قد يظهر رأسها إن نظرت إلى انعكاس صورتها على مرآة الأشكال المضحكة. قال لها الصبي الذي ظُنّ أنه غير قادر على الكلام، والذي لم ينطق بكلمة واحدة خلال حياته وتواصل مع الآخرين بأصوات غير مفهومة وهمهمات بصوت أجش: «أنا في مكان مظلم، أنا ضائع، تلك السماء المظلمة والمرعبة الكبيرة تحيط بي، أنا أُشكّل خطراً على نفسي وعلى الآخرين، أنت فقط بإمكانكِ مساعدتي يا جوجو، من فضلك تعالي وساعديني».

قبل أن تتمكن من الرد نظر إلى البحيرة البعيدة، إذا وجد بعض الناس وجهه مخيفاً فإن تلك الرهبة التي سيطرت عليه وهو يقول تلك الكلمات جعلت وجهه المثير للشفقة يتحول إلى قناع عفريت. عندما نظرت صوب البحيرة، رأت والدتها تتجه إليهما. وشعرها المبلول ينسدل خلفها بشكل مستقيم، وملابسها رطبة، وكأنها نهضت فجأة من عمق المياه، كان وجهها رمادياً ومتورماً، لم تكن جوانا قد تجاوزت الثامنة من عمرها، وهي أصغر بعام من الوقت الذي توفيت فيه والدتها. كيف غرقت أمها قبل عام من وفاتها؟ أياً يكن فها هي جاءت إلى هنا إلى بستان التفاح تمد يدها إلى ابنتها بين الأشجار، قال جيمي صاحب العينين: «اركضي يا جوجو، اركضي!». نهضت جوانا، لكنها لم تعرف إلى أين يجب أن تذهب أو ما الذي كانت تهرب منه أصلاً، وهل عليها الهرب، فهذه المرأة سواء أكانت غارقة أم لا هي المرأة التي أحبتها دوماً. صرخ جيمي صاحب العينين: «اركضي يا جوجو اركضي، اركضي!». وظهرت سيارتها الرياضية خلف البستان فهرعت جوجو إليها، وفُتح الباب الخلفي عندما اقتربت منها، فصعدت إليها، وبعدها أغلق الباب بقوة. كان وجه والدتها الميتة يلوح من خلف النافذة، وكانت تضرب زجاج النافذة بكلتا يديها، زاد السائق المجهول من سرعته عبر تلك المروج الواسعة مروراً بأشجار الصفصاف متجهاً إلى المنزل. أدركت جوانا أنها لا تجلس لوحدها في المقعد الخلفي من السيارة، وأن تلك الإنسانة التي كانت تهرب منها لتوها تجلس إلى جانبها بشعرها المبلول وملابسها الرطبة ووجهها الرمادي المتورم، وشفتيها الممزقتين بسبب عضات الأسماك، والأسنان الملطخة بقذارة البحر. ابتسمت الأم—

— لهثت جوانا وأسقطت علبتين بلاستيكيتين من منتجات العناية بالبشرة التي كانت على وشك أن تضعها في علبة المكياج. عندما نبهها الضجيج الصادر عن ارتطام العلبتين بالأرض وتدحرجهما بعيداً عنها، أدركت أنها كانت تقف في الحمام مرتدية ملابس نومها. نظرت إلى المرآة حيث شاهدت باب الحمام مفتوحاً خلفها، وتوقعت أن ترى والدتها الميتة تخرج من الحلم لتتبعها إلى الحياة الواقعية، ولكن أحداً لم يظهر عند الباب، حدقت باندهاش إلى محتويات علبة المكياج المفتوحة أمامها: الماسكارا وفراشي المكياج، والمزيد

من المساحيق، أدركت بعدها أنها نهضت خلال مرحلة ما من نومها، ومشت، وشرعت تحزم أمتعتها وهي تحلم، في الحلم كان هناك حقيبتان مرت بجانبهما عندما كانت تتبع الغزاليماذا حصلن. شعرت بالدوار، فجلست على المرحاض حتّى انقضت فترة الحيرة والارتباك تلك. في غرفة النوم كانت حقيبتاها ذات العجلات مقفلتين وموضوعتين بجانب الكرسي، أمسكت إحداهما وسحبتها بعيداً لتتأكد من أنها ثقيلة ومُحملة بكاملها بالأغراض.

لا تتذكر جوانا أنها خططت للسفر، ولم يسبق لها أن مشت خلال نومها، أو عانت من أي نوع من الشرود. لم تفهم كيف حزمت أمتعتها وهي تائهة في المنام، ومع ذلك بدأت تتذكر اختيارها لقطع الملابس وطويها بدقة ليتناسب حجمها مع حقيبة السفر. شعرت بقلبها يخفق بسرعة، لقد أرعبتها فكرة أنها تفقد السيطرة على نفسها، وتسير خلال نومها، وهذا ما جعلها تخاف بقدر ما تخاف من حقيقة غرق والدتها. نظرت إلى ساعة السرير حيث لاحظت أنها تشير إلى الساعة 12:32 بعد منتصف الليل، وهذا يعني أنها لم تنم سوى بضع ساعات، عند اقترابها من التلفاز- وهي تشعر بصوت خفقان قلبها يملأ الغرفة- رأت الشاشة الرمادية ذات اللون الباهت، تماماً كتلك التي رأتها في الليالي التي استيقظت فيها من حلم ثم نامت مجدداً لترى حلماً آخر. في السابق، بدا ذلك التوهج الباهت، وكأنه ضوء قناة قد انقطع البث عنها، ولكنه لا يبدو لها كذلك الآن فلا يوجد أي نقطة تشوه ذلك الضوء السلس، ولا يوجد رقم متوهج في المؤشر الذي يُظهر رقم القناة.

شعرت أنها... مُراقبة.

اقتنعت أنه تم التلاعب بها أثناء نومها بطريقة تقنية ما تعجز عن فهمها. إذا كانت الأحلام التي راودتها في الأسابيع الماضية قد انبثقت فجأة من لا وعيها فقد أُعيد تشكيلها أو تظليلها جزئياً على الأقل بواسطة قوة غريبة بعيدة عنها، كانت الأحلام تستدعيها إلى مزرعة راسلنغ ويلوز، بالإضافة إلى مكالمات تلك المرأة المجهولة، ومحرك السيارة الذي عمل من تلقاء نفسه. إن المأساة وفقدان الحب من حياتها، غيّرا مسار حياتها عندما كانت شابة، وقد اعتادت على الاكتفاء بنفسها بسبب عزلتها ووحدتها وعدم قدرتها على الاستمرار مع شريك، لم تجد صعوبة في حل مشاكلها. كان للوحدة مزايا أخرى أيضاً، فقد أتاحت لها وقتاً للتأمل الذاتي والتخيلات الخاصة وهي أشياء قيّمة ومفيدة بالنسبة إلى روائية. جعلتها الليالي الطويلة والمنعزلة تطوّر إدراكها للعالم، وتعرف كم هو مليء بالألغاز ويطفو في بحر من الأسرار، لقد آمنت بضرورة السعي وراء الحقائق بدلاً من العيش في الجهل، لم يسبق لها أن كان لديها لغز غامض مثل هذا التحدي الذي تواجهه الآن.

لقد اختلف كل شيء في حياتها بشكل ملحوظ، ربما كذبت على نفسها بشأن كل ما حدث، فسحبت قابس التلفاز لتقنع نفسها بأن الأمور طبيعية، وربما حاولت أن تغلق الباب على ذاكرتها مجدداً وتنكر ما حدث، وربما طلبت مساعدة طبيب نفسي أو طبيب أورام لأنها تظن أن هناك ورماً يؤثر على مخها، ولكن في النهاية، لم تستطع سحب القابس بل توجهت صوب التلفاز لتنظر إلى تلك العين الإلكترونية التي تراقبها. وعلى الرغم من أن قلبها لا يزال يرتعش رعباً، فقد قالت: «من أنت؟ من أنت؟». لم تتغير الشاشة وبقي الصمتُ مخيّماً على الغرفة.

انتظرت، ولكن لفترة طويلة.

عادت جوانا مجدداً إلى الحمام، حيث التقطت علبتي منتجات العناية بالبشرة عن الأرض، ووضعتهما في حقيبة مكياجها، ثم أطفأت مصباح الحمام، وخرجت منه.

بعد أن وضعت حقيبة المكياج بجانب حقائب السفر ذات العجلات، ووقفت بجانب الأريكة عادت إلى الحمام واستحمت بسرعة ولبست ثيابها. حجزت رحلة في الصباح الباكر إلى دنفر ثم رحلة بعدها مباشرة إلى مونتانا.

وهي تنتظر حلول الفجر، الذي يفصلها عنه عدة ساعات، جلست وأكلت فطورها على طاولة المطبخ، وفكّرت في جيمي ألفريز أو جيمي صاحب العينين. لم يحرك كل ما حكته ووصفته كاثرين عن الصبي شيئاً في ذاكرتها، ولكن بعد أن ظهر في أحلامها جالساً في ذلك البستان تذكرته مباشرة، وتمكنت من تمييز صوته الأجش، عندما تكلم، وعلمت أنه تحدث معها فقط خلال السنوات التي قضتها في المزرعة، فقط عندما يكونان بمفردهما، ولذلك لا يوجد أحد غيرها يعلم أنه يستطيع التحدث، ولكن مع ذلك لم تستعد كامل ذكرياتها، ولم تستطع أن تتذكر من جيمي غير وجهه وصوته وأنه بطريقة غريبة كان صديقها السري.

في هذا العالم، لا يمكن الإجابة أبداً على سؤال «ما الهدف من حياة شخص ما؟» مع أن هناك كتباً عديدة تتحدث عن هدف الوجود ومعناه. لا يمكن معرفة إجابة سؤال غير «ماذا؟»: ماذا حصل؟ ما الإجراءات التي تم اتخاذها؟ ما الأشياء التي حدثت خارج إرادة الشخص؟ ما النتائج الواضحة التي أعقبت ذلك؟ ما التأثير الذي أثره ذلك على الآخرين سلباً أو إيجاباً؟

ولأن وسيلة التأمل الذاتي كانت دائماً واحدة من الوسائل التي ساعدتها على تطوير شخصياتها الخيالية وكسب قوت عيشها، اعتقدت أنها تعلم إجابة سؤال «ماذا» الذي يخص حياتها بأدق التفاصيل، ولكنها فهمت الآن أن هناك قرابة الثلاث أو الأربع سنوات من طفولتها تتجسد بشكل ضبابي غير واضح في

ذاكرتها، ليس لأن الزمن سرق منها ذكرياتها، بل لأن شخصاً ما ألقى عليها تعويذة النسيان.

لم تكن تكتب روايات غامضة بحد ذاتها، ولكن هناك أحداث غامضة بطريقة أو بأخرى تصب في حبكة كل رواية ممتعة، ولأنها كانت مفتونة بأسرار الوجود، ولأنها كاتبة لقصص تتكلم عن أشياء غير مفهومة في الغالب وغامضة وخفية، فلم تستطع مقاومة رغبتها في معرفة كامل ماضيها، ومع ذلك فمسار أحداث الكثير من الروايات التي تبدأ بمحاولة كشف القليل من الضوء في الظلام الدامس تنتهي بالخطر والخسارة والموت. من المؤكد أن أحداث الحياة لا تسير بشكل مشابه للخيال، حيث لا يقدم العالم الحقيقي نهايات سعيدة بقدر تلك الموجودة في الروايات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

22

انتشر شعاع ضوء ناعم جداً صوب الأرض، وكان محاطاً بالظلام من كل الجهات، ربما كان الطائران يقفان ويشاهدان العنكبوت السمين وهو يحاول اكتشاف مسار الضوء.

في تلك الكنيسة، التي أصبحت الآن مكاناً للقتل والجريمة، وجدت أوفيليا بول مسماراً في لوح خشبي.

استطاعت بواسطة أظافرها أن تخرجه ربع بوصة من الخشب. المصباح الذي تركه آشير مزود بحزام من قماش سميك، استخدمته لتربط رأس المسمار، فَسهّل عليها سحبه إلى الخارج. جلست على الأرض، وحاولت نزع المسمار مبعدة بين ساقيها، واضعة اللوح الخشبي في الوسط، وركّزت تماماً وهي تحاول تحريكه ذهاباً وإياباً، وتخرجه مليمتراً في كل مرة. أخيراً، تمكنت من تحريره حيث ظهر أنه بطول بوصتين وقد أصبح شديد السواد بمرور الزمن، ولكن لم يكن صدئاً. مع أنه لم يكن بالشيء الكثير، بل مجرد قطعة صغيرة من الفولاذ ولا يمكن اعتباره سلاحاً، ولكنه كان مهماً في تلك اللحظة، في حال تمكنت من غرزه في عين أوبتيم مثلاً.

وقفت، وجالت في المكان ممسكة المصباح بيدها، في غضون ذلك، حدق إليها الغرابان بأعينهما السود كريشهما، لم يكفا عن تحريك منقاريهما، وكأنهما يتحدثان إليها بترددات معينة لا يمكن للإنسان سماعها. عندما وصلت إلى المقعد الثاني جهة اليمين، توقفت، وتمددت على جانبها الأيسر، وأوقفت عمل المصباح. شكّل المقعد الصلب سريراً لها، مع أنه لم يكن أكثر صلابة من الألواح الخشبية التي وقفت عليها. فاحت رائحة التحلل من القبو، ولكن حدتها خفت بشكل ملحوظ عندما تمددت على المقعد مع أنه لا يرتفع أكثر من قدمين عن الأرض. استمعت إلى أصوات طقطقة العوارض الخشبية المُتخربة بسبب الحرارة، وقد دخلت الرطوبة زواياها، وإلى أصوات الأرضية الخشبية التي تحاول الجاذبية الأرضية اختبارها مثلما تفعل منذ عدة سنوات، وإلى أصوات الغرابين. أمسكت بالمسمار بإحكام وقالت: «حسناً، لهذا بقيتُ على قيد الحياة يا أوكتيفيا، لهذا لم أمتْ معك».

لم تظن أنها ستنام، ولكنها نامت. استيقظت عدة مرات خلال الليل، واستمعت إلى أصوات خطوات مجاورة على الرغم من أنه لم يكن هناك أية أصوات.

للحظة، أدركت أن الغرابين حطا فوقها على ظهر المقعد الذي تنام عليه، ولكنها لم تُشغّل المصباح، ولم تحاول إبعادهما، لقد قررت أن تفكر فيهما

وكأنهما ملاكين يراقبانها مع أنه ما من شيء فيهما يوحي بالملائكية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

23

عندما استيقظ، سمع وايت رايدر شخصاً ينادي باسمه، ولم يتذكر أياً من أحلامه، إنه مستلقٍ على جانبه الأيسر مرتدياً كامل ملابسه باستثناء الحذاء. في البداية، لم يتعرف إلى الغرفة ذات الإضاءة الخافتة القادمة من المصباح الموضوع بجانب السرير، ثم تذكر مجيئه إلى مزرعة راسلنغ ويلوز، وأدرك وهو يتذكر كل هذا، أن الشخص الذي يخاطبه ليس قادماً من الحلم. خاطبه الرجل مجدداً بازدراء: «وباء وحشرات». نهض وايت من السرير، ووقف، وألتقط المسدس عن المنضدة بكلتا يديه، ونظر إلى الباب المؤدي إلى القاعة، لا يزال الباب مغلقاً، ولم يدخل أي شخص غريب الغرفة، توجّه إلى الحمام وفتشه، ولكنه لم يرَ شيئاً سوى انعكاس صورته في المرآة.

خاطبه الصوت مجدداً باشمئزاز: «جرذ مريض بلا ذيل... صرصور مقرف يمشي على قدمين».

عندما عاد وايت إلى الغرفة، لاحظ أن ضوءاً رمادياً باهتاً ينبعث من شاشة التلفاز مع أنه لم يشغله.

فجأة، بدا ضوء الشاشة غير متناسق مع ذلك الديكور الريفي الجنوبي الغربي. سبق لوايت أن تعامل مع محتالين ونصابين ومبتزين، وقد أتى إلى هنا من سياتل ليؤدي دوراً لا يملك كامل مؤهلاته: محقق نفسي، يسعى لاكتشاف الحقيقة وراء بعض الظواهر الخارقة للطبيعة، ويوضح الأشياء غير المفهومة.

كان جهاز التحكم عن بعد موضوعاً على الطاولة أسفل التلفاز، أمسك به، وأوقف عمل التلفاز، فتحولت الشاشة إلى اللون الأسود. لكن وقبل أن يعيد جهاز التحكم إلى مكانه، عاد الضوء الرمادي مجدداً. من الواضح أن هذه الشاشة المضيئة ذات اللون الواحد تعتبر أمراً مثيراً للاهتمام بلمعانها وعدم وجود أي اهتزاز بسيط فيه، ويبدو أن كثيراً من الصور والأحداث المهمة غارقة في هذه الشاشة، تمنى لو أنه يستطيع معرفة ماهيتها. لم يشبه ذلك الضوء الذي أثار فضوله أي ضوء آخر سبق له أن رآه على تلفازه، وكان جذاباً لسبب غير معروف. لم يصدر التلفاز أي صوت، ولكن وايت شعر بنسمات باردة تهزه وتخز جلده، كما لو أن هناك أصواتاً تنبعث من التلفاز، ولكن بترددات لا يستطيع سماعها، ولكن تلقاها في اللاوعي.

عاد الصوت مجدداً، ولكنه أكثر حدة من قبل، بعدائية واضحة وكراهية تملأ صوته: «أنت نمل أبيض يلتهم أساسات العالم، بمثابة آفة وسرطان عضال».

صُدم وايت، وجحظت عيناه، كما لو أن موجة من السحر سيطرت عليه، ولكن عندما تعرف فجأة إلى الصوت، جعله يردد ما قاله متفاجئاً: «بمثابة آفة

وسرطان عضال». ثم قال: «من أنت بحق الجحيم، ماذا تريد؟». لقد كان الصوت الذي ينبعث من التلفاز صوته، ولكن بنبرات مختلفة، صدح الصوت مجدداً: «من أنت بحق الجحيم، ماذا تريد؟». كان أوضح من أن يكون مجرد صدى، ولُفظت الجملة بمثالية أكثر من أن يكون مجرد تقليد سخيف لصوته. لم يقل وايت كلمة واحدة، ولكن صوته انبعث من التلفاز: «أريد ما هو صحيح، لا أريد سوى الصحيح، إذا كان من الصحيح أن تقتلوا أنفسكم وكل صفاتكم الطماعة فيجب أن تقتلوا أنفسكم... أو يجب أن تُقتلوا».

انطفأ التلفاز.

فكر في إعادة تشغليه، ولكنه بدلاً من ذلك، قرر أن يعيد جهاز التحكم إلى مكانه.

لقد تم تركيب صحن قمر صناعي من أفضل الأنواع والأقوى بينها ليضمن أن تتمكن عائلة ليام من مشاهدة كل المحطات التلفزيونية المتاحة، وحصل على وصول سريع للإنترنت في هذا المكان البعيد. بالتالي يمكن لأي مُخترق يملك الموقع الإلكتروني لصحن القمر الصناعي أن يخترق النظام الإلكتروني الرئيسي للمنزل وكل الإلكترونيات المرتبطة به مثل التلفاز، وإذا كان يمتلك أداة تبديل الصوت وبرنامج يدعى باراميميك فكل ما يحتاج إليه ذلك الغريب عينة بمقدار جملة واحدة من صوت أي شخص، وسيصبح قادراً على استخدام صوته، ليجري مكالمة احتيال هاتفية، أو في هذه الحالة ليبث الصوت من التلفاز.

لا بد أن المخترق محترفاً، ويملك مصادر بحث وأدوات استثنائية، وبالتأكيد لن يكون مجرد ثلاثيني مدمن ألعاب فيديو لديه بعض الاتهامات ويعيش في قبو والديه. إن الاحتمال الأقرب إلى الواقع، أن يكون موظفاً في وكالة لهذه الحكومة أو تلك وعلى الرغم من أن ليام يملك معايير أخلاقية عالية جداً، وكان لطموحه حدود أخلاقية وإنسانية، ولكن حقيقة أنه من أصحاب الملايين تعني أن لديه أعداءً، بما فيهم أولئك الحقودين الذين لم يسبق لهم أن قابلوه، ولم يعملوا معه، ولكنهم يكرهونه كرهاً مستمراً.

ربما، لم يكن هذا العمل يحتاج إلى خبير نفسي أو صحفي، ولكن إلى مُخبر ذكي يستطيع شق طريقه والتفكير بعقلانية خلال متاهة من الخدع والحيل.

قال لنفسه: حسناً، اشرح لي حادثة اليراعات.

بالتأكيد، لم يستطع تفسير ذلك، ليس باستخدام تفسيرات عقلانية، وليس بالإشارة إلى شخص يُصنف كمُخترق من الصنف الأول. ولا باستخدام حدسه الذي قدّم له أثراً ضئيلاً من إلهام شيرلوك هولمز.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞
فريق متميزون
E-BOOK

24

في السابع من آب، وفي وقت يتجاوز السابعة صباحاً بقليل، وعلى بعد دقائق من سانتافي، وعلى ارتفاع أميال عن سطح الأرض جلست جوانا في مقعدها بشكل مستقيم، وفجأة انزاح حاجز من تلك الحواجز التي تمنعها من رؤية ذكرياتها مع جيمي صاحب العينين. تذكرت حمرة الشمس عند المغيب، ووقت الغسق، وهما يجلسان على كرسيين بجانب بعضهما، وصوت نقيق الضفادع يملأ المكان، وكأنها تحاول أن تتوقع أحداث الليلة القادمة. يشاهدان ضوء الشمس القرمزي وهو يتحول إلى البنفسجي على سطح البحيرة. لقد كانت متحمسة جداً لأن اليوم التالي هو عيد ميلادها.

استعادت جوانا ذكرى إحدى محادثاتها المنسية الطويلة بوضوح شديد، كما لو أنها تجلس أمام البحيرة بجانبهما في هذه اللحظة، وتستمع إلى الطفلة جوانا وجيمي.

«سأبلغ الثامنة من العمر، يا جيمي هذا رائع صحيح؟».

قال بصوته البارد: «تبدين متحمسة».

«بالتأكيد، سأصبح نصف راشدة».

«لماذا تعتبرين السادسة عشرة من العمر مرحلة الرشد بالنسبة إليك؟».

«لأنني عندها سأستطيع القيادة».

«وهل هذا هو الرشد.. أن يُسمح لك بالقيادة؟».

«إنه شيء كبير حقاً، أجل ربما هو أفضل الأشياء».

«التحكم بآلة».

«هه؟ أية آلة؟».

«السيارة».

«أوه أجل صحيح، السيارة، أو العربة أياً يكن».

«ما الذي ستقومين به عندما تتحكمين بتلك الآلة؟».

«سأذهب إلى أي مكان أريده».

«وإلى أين تريدين الذهاب؟».

«سأذهب بعيداً بقدر ما أريد».

«سأشتاق إليك يا جوجو، لم يكن لديّ أحد قبلك، لم يكن لديّ شيء».

«لن تشتاق إليّ، سنذهب سوية إلى كل مكان».

«لماذا تريدين الذهاب بعيداً؟».

«ألا تريد ذلك؟».

«لقد كنتُ بعيداً جداً بالفعل».

صمتت، وعاود سؤالها: «لماذا تريدين الذهاب بعيداً؟».

أجابته: «سأذهب وإياك بعيداً إلى مكان حيث يمتاز جميع الناس باللطف ويقولون الأشياء اللطيفة لبعضهم، ولا يوجد أي شخص لئيم».

«يجرحك سماع الناس يقولون أشياء قاسية عني».

سكتت مجدداً، ولم تقل شيئاً، ثم قالت: «معظمهم أغبياء، لا يعرفونك مثلي». ثم تنهدت وأردفت: «ثمانية أعوام مدة طويلة».

قال: «كلا ليست طويلة كثيراً».

«حسنا، أنت تبلغ الحادية عشرة من العمر أنت أقرب مني بثلاث سنوات إلى السادسة عشرة».

«أنا أكبر من ذلك بكثير يا جوجو».

«لا تخبرني أنك تبلغ الثانية عشرة، أعلم أنك لم تبلغ هذه السن بعد».

«عمري أكثر من أربعة آلاف سنة».

«لقد بدأت تصبح سخيفاً».

«ربما».

«أنت تتحول إلى شخص لطيف سخيف».

«ربما، ولكن السخيف حقاً أنك تظنين أننا سنسافر إلى كل مكان معاً بعيداً من هنا».

«لا تقل هذا، نحن صديقان إلى الأبد».

نادتهما أمها من شرفة المنزل التي تبعد قرابة الخمسين ياردة عن البحيرة. لم يكن مسموحاً لهما أن يبقيا بمفردهما في الخارج بعد أن يحل الظلام لأن هناك احتمال أن تأتي الذئاب وتلتهمهما. لم تعلم الأم أن الذئاب لا تشكل أي تهديد بالنسبة إلى جوجو عندما يكون جيمي معها.

فجأة اهتزت الطائرة النفاثة بفعل مطب جوي، وانزلقت جوانا في مقعدها حيث تسبب ذلك الدفع المفاجئ بانقطاع ذكرياتها في الوقت الذي هبطت فيه الطائرة مئات الأقدام، سمعت صوت عويل وصيحات من مسافرين خائفين، ولكنها لم تتنبه إلى كل هذا الحدث المفاجئ والنزول والصعود مجدداً إلى الارتفاع الصحيح.

لم تكن قلقة وهي تنظر عبر النافذة من أنها قد تبلغ الأرض في غضون دقائق نتيجة سقوط حرّ، ولكن بدلاً من ذلك كانت مشغولة بإدراك خطئها، وفشلها، وتشعر بشيء أقرب إلى الذنب. لقد قدّمت تعهد صداقة أبدية عندما كانت طفلة صغيرة تملك معرفة قليلة بالتضحيات التي يلزم تقديمها للإيفاء بالوعود، وقد فشلت في الحفاظ على وعدها له، بسبب التأثيرات الخارجية وموت والديها، وليس لأنها اتخذت قرار الابتعاد عنه بشكل واعٍ، ومع ذلك لم تستطع الهرب من حقيقة أنها نسيته تماماً وكأنه لم يدخل حياتها أبداً. لم تعلم ما الذي عانى منه خلال الأربعة وعشرين عاماً الماضية، أو ما الذي كانت تستطيع أن تقدمه له، لتخفف من ألمه لو أنها فقط أبقته في ذهنها وقلبها.

إنها لا تعرف إن كان جيمي صاحب العينين لا يزال على قيد الحياة.

مع أنها تعرف أن إلقاء اللوم على نفسها سيشكل خطر انزياح عواطفها وسيطرتها على المشاعر الحقيقية، ولكنها تساءلت إن كانت وحدتها بسبب الكارما (عودة الشيء الذي فعله الإنسان إليه)، مجرد صدى للوحدة الكبيرة التي عانى منها جيمي عندما تركت مزرعة راسلنغ ويلوز.

ولكن لماذا لم يتحدث إلى أي شخص غيرها، ولماذا دائماً في السر؟ ولماذا اختار العزلة وسمح للجميع بالاعتقاد أنه غير قادر على فهم الأحاديث واللغات؟

بدأت معالم ضواحي المدينة تتضح تحتها على ارتفاع عدة أميال، وكان أمامها مطار دنفر الدولي ورحلة أخرى إلى مونتانا، وحقيقة قد تتمنى لو أنها لم تكتشفها مطلقاً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

القسم الثاني

العودة إلى المنزل

إذا نظرنا إلى الناحية الكمية، فإن الواقع هش للغاية، ويمكن التلاعب به، من قبل من؟ من قبلنا.

- غانيش باتيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

25

ينحدر النهر بجانب مدينة صفورة بمسار مستقيم تقريباً من دون أي انعطافات مفاجئة تسبب تسارع التيار، ويقترب من الضفة العشبية بهدوء، والتي تبدو وكأنها قطعة من المخمل ممتدة إلى جانبه، في تلك المنطقة، تتدفق المياه بصمت كالوقت.

هذا الصباح، وككل صباح يستحم آشير أوبتيم عارياً في النهر، ما دام برد الشتاء لم يحلّ بعد، ويجبره على تغيير عاداته اليومية. إنه يغامر بالابتعاد عن الضفة، ويقف في تيار الماء حين يصل إلى مستوى خصره. يستخدم بحذر صابونة مصنوعة من مواد طبيعية مثل الزيت ونباتات معينة، وذلك حتى لا يلوث المياه النقية الصافية جداً لدرجة أن بإمكانه أن يرى القاع عبرها بوضوح. تحركت قدماه بهدوء، ولم يخطئ أبداً أثناء تنقله بين مجموعة من الأحجار الدائرية الكبيرة التي تبدو وكأنها صف من السلاحف الموضوعة واحدة تلو الأخرى.

استمتع آشير بتدفق المياه حوله، وبرغوة الصابون المنتشرة على جسده، وأمضى قرابة ربع الساعة يداعب جذعه وأطرافه النحيلة العضلية أيضاً، وأولى اهتماماً خاصاً للمنطقة الفارغة التي كانت خصيتاه تشغلانها. لقد أراد أن يبتر قضيبه الرخو أيضاً، تعبيراً عن رفضه أن يكون من البشر، ولكنه لم يفعل، لأنه لن يتمكن من السيطرة على النزف، ولأن التبول سيصبح أمراً شاقاً عليه.

خلال الدقائق الأولى من استحمامه، أتت الذئاب من الغابات، وظهرت على الضفة، حيث جلست تشاهده وهو يستحم، كل صباح وحتى في أوقات أخرى من النهار دائماً هناك ذئب يراقبه، لا تظهر الذئاب رغبة بافتراسه بل تكتفي بمراقبته، أحياناً يكون الذئب ذكراً وأحياناً أنثى، أحياناً يكون عجوزاً أشيب اللحية وفي أحيان أخرى يكون فتياً. في البداية، تساءل لما تهتم هذه المخلوقات به، ولكنه أدرك في وقت لاحق أنها طريقة الطبيعة الأم بالترحيب به وشكره على ما يقدمه من التزامات تجاهها، ولأنه ما من شخص قدّم ويقدم خدمات للأم الطبيعة مثله فهذا يعني أنه الآن بمثابة ابن عم للذئاب ومن خلالها تؤكد الطبيعة موافقتها على بيانه وجرائمه.

يؤمن بعض الناس أن الكلاب تشعر بما يحصل حولها، ويكاد آشير يكون متأكداً أن الذئاب تتمتع بهذه الموهبة الرائعة، وأنها تستطيع قراءة نواياه، ما لم تستطع قراءة أفكاره أيضاً. تحدث لآشير نوبات غريبة عندما يتخلى عن كل أفكاره لحوالى عشر أو عشرين دقيقة، ويدخل فيما يشبه الغيبوبة في الوقت الذي تراقبه فيه الذئاب، وهذا ما يحدث عدة مرات في الأسبوع، في بعض

الأحيان، يحدث ذلك وهو يقف هنا في النهر، وعندما يستعيد وعيه وإدراكه التام يرى ذئباً يسير ذهاباً وإياباً باهتياج كبير من دون أن تكون لديه نية الاقتراب منه ومهاجمته، وكأن ذلك الوحش يشعر بالحماسة لحدوث رابطة بينهما، في الوقت الذي يكون فيه آشير شارداً.

هذا الصباح، وبعد أن استحم، وجفف نفسه بالمناشف، وارتدى ملابسه، وفي الوقت الذي غادر فيه النهر، واتجه إلى المشرب ليتابع عمله على بيانه الرسمي، دخل في إحدى هذه النوبات الغريبة لحوالى عشر دقائق.

عندما استعاد وعيه، لاحظ أنه لا يزال يقف على ضفة النهر مبعداً قدميه عن بعضهما، ورافعاً ذراعيه، ملوحاً بيديه في الهواء، وكأنه يحاول الحصول على شيء ما من الشمس الذهبية، وفي غضون ذلك دخل الذئب الواقف على الجانب المقابل في نوبة جنون، وشرع يدور حول نفسه، ورفع أذنيه حتى أصبحتا عموديتان تماماً، وعبّر صوت مرتفع عن هياجه. استمر بهذا التصرف قرابة الدقيقة، ثم توقف، وبدا مجهداً للغاية ولاهثاً، وحدق إليه للحظة عبر المياه قبل أن ينتفض بغضب، ويتجه شمالاً عبر الضفة العشبية البعيدة حوالي العشر ياردات عنه. ثم اختفى عبر أشجار الصنوبر والأعشاب الخضراء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

26

كان كيني ديتيل مُخترقاً محترفاً صالح النية، ويعمل في مجال القرصنة والإنترنت، وهو يتمتع بقدرة استثنائية على الغوص في البيانات، وعلى الرغم من أنه يبلغ الثلاثين من عمره، إلا أنه يمتلك قدرة عقلية توازي قدرة شاب في العشرينيات من مواليد عصر المعلوماتية، إنه يستطيع اختراق نظام أي حاسوب يقع بين يديه، والبحث عميقاً في كل بياناته، ثم يزرع فيه أدوات تأصيل (برمجيات خبيثة لمساعدة مخترقي الحواسيب على إبقاء قدرتهم في الولوج إلى النظام بدون أن يكون المُستخدم الأساسي قادراً على كشفهم) تتيح له سهولة الوصول والتحكم، بحيث لا تستطيع أي قوة مكافحة جرائم إلكترونية تعقبه، وهو لا يقوم بهذا بشكل غير أخلاقي أو لصالح عملاء فاسدين، فقد كان رجلاً صالحاً، مع أنه لم يكن دائماً من صنف الرجال الجيدين، عندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره، أراد الكف عن هذه الأعمال، وذلك بعدما اخترق صديقه المفضل ماكس غرن حاسوباً يُستخدم لتبادل المخدرات في الدارك ويب (الشبكة السوداء)، أغلق ماكس الموقع، وحاول ابتزاز كارتل المخدرات ليحصل على أربعة ملايين دولار من عملة البيتكوين مقابل السماح لهم باستعادة القدرة على الوصول إلى بياناتهم وسجلات التوريد الخاصة بهم. كان ماكس من أفضل الناس في انتحال الشخصيات الوهمية والتخفي في متاهة من الاتصالات مختلفة المواقع، وكان يعلم أن أسوأ الرجال لا يمكنهم إيجاده، ولكنهم وجدوه، فاضطر إلى السفر إلى ثلاث قارات، عابراً محيطين قبل أن يجده الكارتل في أوكلاهوما في مدينة تلسا، حيث قطعوا رأسه نصفين باستخدام منشار قبل أن يقتلوه، ثم قطعوا أطرافه بطريقة منظمة، ووضبوا كل شيء في صندوق معدني شبيه بالذي توضع في التذكارات العائلية، وأوصلوه بواسطة خدمة توصيل البريد السريع فيديكس إلى والدته في مدينة توبيكا.

منذ ذلك الحين، وكيني ديتيل يخترق بنية جيدة بدون أي هدف ضار لصالح الشركات المدرجة في قائمة فورتشن 500 ممتناً أنه لم يشارك في عملية ماكس غرن مع أنه دعاه ليشارك فيها، وأيضاً شارك في مهام معينة مرتبطة بتحقيقات رايدر، وذلك بعد أن تعرف إليه قبل خمس سنوات عندما لم تبدِ الشرطة اهتماماً بادعاءات كيني، واعتقدوا أنها لا تعدو عن كونها مزاعم غريبة، ولكن وايت رايدر كشف عن مُطارد متبلد المشاعر نوى اغتصاب أخت كيني- ساندي- وإطعامها للخنازير. وجد وايت دليلاً على تورط ذلك المعتوه- بروكتور لاش، الذي يقضي الآن عقوبة مدى الحياة في السجن- والذي اتضح أنه فعل ما كان يرغب بفعله لأخت كيني مع امرأة أخرى.

عاماً بعد عام، يصبح العالم أكثر جنوناً وشراً.

يعيش كيني ويعمل في الطابق العلوي لمستودع سابق حوَّل إلى شقق، استأجر معظمها أناس يعتقدون أنهم فنانون بطريقة أو بأخرى. كانوا في طور تحولهم إلى رسامين، ونحاتين، وكُتاب، وممثلين، وصُناع فيديوهات على اليوتيوب. أبقى كيني على مسافة معينة بينه وبين كل جيرانه، حيث لم يبدُ أياً منهم ثرياً بالفطرة، أو لأنه لاحظ أن الفنان الشاعر المؤدي الذي يعيش بجانبه قد يحظى بيوم سيئ ويرغب بتفريغ كامل غضبه عن طريق لكمه في وجهه.

هذا هو العالم الذي كان يعيش فيه.

عند الساعة السابعة والنصف صباح يوم الجمعة، اتصل وايت رايدر بكـيني طالباً مساعدة مستعجلة، كان لديه عميل في مونتانا ربط نظام الحاسوب والأجهزة الإلكترونية الأخرى الموجودة في منزله بطبق قمر صناعي، ويبدو أن شخصاً محترفاً يوازي مهارة ماكس غرن قد اخترقه، زوّده وايت بإحداثيات طبق القمر الصناعي، وكل المعلومات الأساسية وكلمة سر عميله، وهذا ما أتاح لكيني الدخول إلى النظام الإلكتروني الخاص بمنزل مونتانا من دون أن يترك مكانه في سياتل، والتجسس على ذلك المُخترق الحثالة الذي سيطر على إلكترونيات المنزل، ثم يستخدم تلك البيانات ليتتبعه ويعلم مكانه بحيث يستطيع وايت رايدر أن يكسر قدمي ذلك اللقيط- بشكل مجازي.

قال كيني وهو يدوّن ملاحظته جالساً في السرير وبجانبه فتاة عارية تدعى بروس آن لي أو ربما لي آن بروس: «سؤال واحد.. لا علاقة لهذا بالحمقى من الشبكة السوداء، أليس كذلك؟».

«أقسم بكل ما أملكه أن لا علاقة لذلك أبداً».

«هل تراهن على خصيتيك؟».

«بالطبع».

قال كيني: «حسناً إذاً، يمكنك اعتباري جزءاً من هذا».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

27

عند حدوث المدّ، لا ترتفع مياه بحيرة الياقوت نظراً لأنها مرتبطة بنهر يُصرف فائض المياه إلا في حالات العواصف الشديدة حيث يعجز النهر على التعامل مع مقدار المياه الكبير. تتحرك البحيرة بسبب التيارات القادمة من النهر الذي يمر عبرها، وتتلامس الماء مع الضفة بلا توقف وتتنزه بين أعمدة ضفة المرسى، وتتسبب بانزلاق قارب كهربائي ارتفاعه حوالي ثماني عشرة قدماً يرسو هناك، حيث يتحرك القارب، ويحتك محيطه المطاطي بالضفة، ويصدر صريراً عند احتكاك الحبل بالوتد.

وقف وايت على رصيف المرسى، ونظر إلى القارب الذي يتأرجح أسفل منه بحوالى ست أو سبع أقدام، ويصعد ويهبط بإيقاع منتظم متناسب مع تدفق المياه. وبغض النظر إن كان هناك شخص انتظر قدومه ليلة أمس ولكن الإضاءة الأكثر من كافية القادمة من النوافذ العالية أظهرت له أنه وحده هذا الصباح.

ربما يتفاجأ بعض الناس أن مليارديراً وعائلته قد اختاروا قارباً متواضعاً مثل هذا القارب الكهربائي، بجوانبه المفتوحة وشراعه الأزرق المزين بخطوط بيضاء، وهو مثالي للإبحار مع ولدين في سن المراهقة، وكانت هذه الأمور من صفات ليام وليندسي اللذين وعلى الرغم من ثرائهما لا يتحركان بمرافقة حشد كبير من المرافقة والبهرجة.

عندما أوشك وايت الابتعاد عن الرصيف، رأى شيئاً كبيراً يتحرك عبر المياه المظلمة في الأسفل، شيء غريب شاحب كجثة لوياثان([7])، وقد فرزه لونه الشاحب عن سائر الألوان، يدخل أسفل الباب الكبير القابل للسحب إلى الأعلى والأسفل، وكان حجم ذلك الشيء يوازي ضعفي حجم رجل على الأقل، وله شكل الصاروخ الذي تكون مقدمته أعرض من مؤخرته، ويتحرك بسرعة كبيرة، لم تسمح المياه المتلاطمة لوايت بتمييز تفاصيله. اختفى الشيء تحت القارب، واندفعت المياه في أعقابه متدفقة بقوة من تحت الباب الكبير مما أدى إلى سماع صوت احتكاك مساراته، فتمايل القارب بهدوء. وقف وايت مذهولاً منتظراً أن يسبح ذلك الدخيل مجدداً من تحت القارب، ولكن بدلاً من ذلك استقرت المياه، وعادت إلى سابق عهدها، ولم يخرج ذلك الشيء مرة أخرى.

في النهاية، وقف وايت على رصيف المرسى، لم تكن البحيرة عميقة بقدر ما هي في النقاط البعيدة عن الشاطئ، ربما يبلغ عمقها ثماني أو عشر أقدام، وبما أن هيكل هذا القارب يغطس في الماء قرابة القدمين فهذا يعني أن هناك كثيراً من المساحة المتبقية ليختفي ذلك الشيء تحته.

لا تتواجد أسماك كبيرة بحجم الشيء الذي وجده وايت لتوه في بحيرة المياه العذبة هذه، لا أسماك قرش ولا أي نوع كبير آخر باستثناء سمك السلمون المرقط، وعندما يعلق الصياد طعماً هنا لا يتوقع أن يبذل الكثير من الجهد ليسحب الصنارة مرة ثانية.

عندما سعيت إلى وضع والديك الفاسدين في السجن لأنك تعلم أنهما قادرين على ارتكاب جريمة قتل لم تتراجع، لذلك أياً يكن الشيء الموجود أسفل المركب فهو على الأغلب مجرد نوع من الحيوانات المائية، لن تستطيع أي سمكة أن تؤذيك وإن كانت سمكة قرش إلا إذا غطست في الماء، وسبحت بجانبها.

نزل من الرصيف وصعد إلى المركب، ومع ذلك لم يستطع رؤية أسفل المركب من جهة الباب، لذلك مشى حول القارب المُصمم بشكل حرف U مبتعداً عن المدخل حتى وصل إلى النقطة البعيدة حيث المرسى فارغ.

من هناك يستطيع أن يرى أسفل الجهة الخلفية من القارب، حيث رأى شيئاً ما يطوف في الظلمة شاحباً مثل الشبح، يبدو وكأن طوله عشر أقدام، لكنه لم يستطع رؤية أي تفاصيل مهمة ربما لأن المياه كانت أعمق مما ظن. كان ظهر هذا الشيء شاحباً عندما رآه ينزلق أسفل الباب مع أن كل الأسماك التي سبق له أن رآها كانت شاحبة البطن وليس الظهر.

إذا كان هذا الشيء سمكة، فمن المؤكد أنها لن تستطيع أن تبقى تحت القارب فهي ستحتاج إلى التحرك باستمرار لتحصل على الأكسجين من مجرى المياه عبر خياشيمها، ولكنه مع ذلك بقي يطوف هناك وكأنه عشبة بحرية ضخمة.

لم يسقط الضوء المنبعث من النوافذ العالية بشكل مباشر على المياه، انحنى وايت على إحدى ركبتيه، ودفع برأسه إلى الأمام ليحصل على زاوية رؤية أفضل لذلك المخلوق العائم تحت القارب، حدق على أمل أن يلمح بعض التفاصيل التي من شأنها أن توضح ماهية ذلك الوحش.

تلون ذلك الشيء، ثم بهت، ثم تلون مجدداً كما لو أنه على وشك أن يتفسفر ويشع، شعر بأن قيامه بهذه التغييرات اللونية بالتزامن مع فحصه للمكان يعني أن زيارة ذلك الشيء للمرسى في نفس وقت مجيئه لم تكن مجرد مصادفة. كان هنا لسبب ما لم يستطع فهمه مباشرة، فجأة تحرك ذلك الشيء القابع تحت القارب، وضرب القارب بقوة على الصادات المطاطية، ورفعه لأكثر من قدم، بعدها سقط القارب في مكانه وبدأ يتخبط بعنف.

اجتاحت موجة من المياه ظهر القارب الفارغ، وغطت الأرضية الخشبية حيث كان وايت منحنياً على ركبتيه فأسرع في الوقوف، وتراجع بحذر.

مجدداً، ضرب المخلوق القارب بقوة أكبر وذلك بعد أن أصبح على ظهره، ولا يزال مختبئاً أسفل القارب، اهتز المركب بقوة، وبدأت الصادات تحتك مع المياه بشدة.

تزحزح المركب، فتأرجح وايت في مكانه، ولكن استعاد توازنه، وأدرك أن ذلك الشيء ربما ينوي إسقاطه في الماء.

جرى بسرعة على الأرضية الرطبة، عليه أن يعود أدراجه على طول المركب حتى يصل إلى المقدمة حيث يوجد درج يؤدي إلى رصيف المرسى الأساسي.

مع اقتراب وايت من مقدمة المركب، ضرب ذلك الشيء الغامض القارب بقوة هائلة للمرة الثالثة فانقطع الحبل الذي يربط القارب بالمرسى، فتحركت مؤخرة المركب، الذي انحرف وتحرك إلى الأمام، واصطدم برصيف المرسى وهذا ما جعله يهتز بعنف، ففقد وايت توازنه، ولكنه لم يسقط في الماء، مجدداً تحرك المركب إلى الخلف باتجاه رصيف المرسى، عندها تحول ذلك الكائن الشبحي الغريب إلى كتلة من السوائل المتجمعة التي تدور في مياه متعكرة وخرج من تحت القارب منطلقاً في المياه المتلألئة، ثم خرج من مرسى وضرب الباب الكبير وهو يخرج من أسفله.

سارع وايت، وتسلق درج المركب باتجاه الرصيف الأساسي، ليتجنب عودة الدخيل الغامض في حالة هياج أكبر. عندما وصل إلى الجزء العلوي من مرسى، استدار ونظر إلى الأسفل، توقع أن يرى القارب المبتعد وهو يغرق، ولكنه رآه بحالة جيدة، فلم يكن هناك أي تسرب فيه، مع أنه انجرف لأن الحبل انقطع. انبعثت روائح الطين والأعشاب البحرية من قاع البحيرة، ورائحة مألوفة- لا تشبه الروائح الطبيعية التي نصادفها في الحياة اليومية- ولكنه لم يتمكن من تحديدها تماماً، بل ذكّرته برائحة الأمونيا ونفحة قليلة من رائحة الهيدروكسيد. هذه عينة من التجارب التي دفعت ليام وعائلته إلى الهروب من مزرعة راسلنغ ويلوز والتي اتسمت بكونها أشبه بالسحر في البداية، ثم تحولت إلى تجارب غريبة مثل ما حدث مؤخراً مع وايت على المركب، أو الأضواء القادمة من حشد اليراعات، والصوت الذي يهدده من التلفاز، ولكن وايت لم يواجه أي شيء مشابه لذلك الذي أخاف أوهارا وعائلته.

كانت هذه المزرعة زاخرة بالغرابة، وكأنها أصبحت محطة للقاء العوالم مع بعضها، ولكن أياً يكن ذلك الظل المتخفي الذي يخفي تهديداً غامضاً فإن سبب

غزوه للبحيرة واضح جداً فهو يقول له: لقد رصدناك، أنت مراقب. وغير مرغوب بك هنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

28

في تلك الكنيسة، المهجورة منذ فترة طويلة، المليئة بكل تلك الجثث التي دُفنت فيها، لم تستطع أوفيليا بول النوم جيداً على المقعد.. في النهاية، جلست منتظرة أن يأتي الفجر ليتسرب شعاع ضوء ضئيل من فتحة في السقف.

كان الطائران يقبعان في مكان قريب منها في الظلام، واستطاعت اكتشاف ذلك بسبب صوت منقاريهما أو الإحساس بالريش المتطاير من حين إلى آخر، وصوتهما الخافت الشبيه بالتثاؤب.

ربما يأتيان إلى هنا كل ليلة ليكونا في مأمن من الحيوانات المفترسة الليلية مثل البوم التي تتغذى على الطيور كما تتغذى على الفئران والأرانب. لكنها لا تزال تعتقد أن اهتمامهما بها لم يكن عادياً، وأن اقترابهما منها من دون أي خوف يخالف ما يتصف به هذا النوع من الطيور.

أخيراً، أعلن اليوم الجديد عن قدومه، ليس من خلال ضوء ساطع ينير المكان، ويوضح المعالم، بل من خلال شعاع ضئيل جداً جعل الظلام أقل ظلاماً في الجهة اليمنى، بالنسبة إلى أي شخص يؤمن بالحياة الأبدية، فقد ينظر إلى هذا النور الرمادي على أنه روح تائبة، لشخص مات منذ فترة طويلة، وقد أتت لتشاهد ما حل بالكنيسة وتحزن عليه، وكيف فُقد الإيمان. عندما بدأ اللون الرمادي يتحول إلى الرمادي اللؤلؤي تدريجياً، وضح شكل هندسي يشبه مدخلاً ما- ليس مدخلاً إلى عالم آخر- ولكن إلى غرفة خلف الجدار الخلفي للكنيسة، فجأة قفز الغرابان الحارسان، ولمحتهما أوفيليا يندفعان باتجاه ذلك الضوء الرمادي، ثم اختفيا.

وقفت، وأنارت المصباح، وسارت في الممر المركزي حتى وصلت إلى الدرابزين. الليلة الفائتة لم تبحث أبعد من ذلك، وقررت أن توفر البطارية، على أمل أن يأتي ضوء الصباح عبر فجوة من السقف، ويشفيها من العمى المحيط بها. الآن عبرت من خلال ثغرة موجودة منذ مدة طويلة في الدرابزين، وتجولت حول منصة المذبح العالية قليلاً، ثم تابعت سيرها باتجاه المدخل الذي طارت الطيور من خلاله.

يجب أن تكون تلك الغرفة الموجودة خلف الحائط بمثابة غرفة تخزين حيث يتم تخرين الملابس الدينية والشموع وغيرها من العناصر الخدمية، لا تحوي أي خزائن أو رفوف، ولا منضدة، تبلغ مساحة الغرفة اثنتي عشرة قدماً مربعاً تقريباً، ويرتفع سقفها المنحدر قرابة اثنتي عشرة قدماً عند الباب، ثم ينخفض في نهاية الغرفة عند الجدار البعيد إلى قرابة عشر أقدام.

جزء من الأرضية مغطى بقطعة رقيقة تحملت الكثير من المطر الذي وجد طريقه إلى هنا، كانت زلقة، علق الكثير منها بنعل حذاء أوفيليا، وفاحت من الغرفة رائحة شبيهة برائحة الأقدام المتعرقة، ولكن لا يبدو أنها أضرت بالأرضية التي لم تظهر بمظهر إسفنجي. لم تكن الجدران من الحجر الأصلي مثل باقي المبنى، بل كانت خشبية.

لم تسقط أشعة الشمس القابعة في أسفل الشرق بشكل مباشر عبر فجوة السقف، ولكن ضوء الصباح الصافي سطع بما يكفي ليُبعد الظلام المُسيطر على غرفة التخزين تلك، وبعث قليلاً من الدفء في قلب أوفيليا.

كانت الفجوة التي ينبعث منها الضوء في السقف بعرض ثماني بوصات وطول قدمين، ولم تكن عريضة بما يكفي لتمر عبرها امرأة بالغة ولا طفل، لكن ربما تكون ألواح السقف المجاورة متعفنة بحيث يصبح من السهل توسيع الفجوة، إذا تمكنت من الوصول إليها أولاً.

إن كان هناك باب بين صحن الكنيسة وغرفة التخزين ربما كانت ستحطمه من مفصلاته وتستخدمه من أجل بلوغ السقف. يقع الباب الوحيد في جدار بعيد، ومن الواضح أنه المخرج، ولكن أوبتيم أعاد تأطيره ودعّمه مجدداً بخشب جديد أحضره على الأغلب إلى مدينة الأشباح هذه مع غيره من المعدات، حيث أزال المفصلات والقفل من الباب، وجعله مجرد قطعة واحدة مصبوبة بإحكام ومثبتة بست دعائم قوية جداً. لم تملك أوفيليا أية أدوات تساعدها على تخريب عمله هذا، وحتى أنه لا يمكن لرجل يمتاز بأقوى الصفات العضلية أن يُحطم هذا الحاجز.

نظرت إلى السماء التي يمكن رؤيتها من تلك الفجوة الضئيلة في السقف، وحدقت إليها بوجه يغلب عليه القلق أكثر من التفاؤل. صحيح أنها كانت جائعة، ولكنها كانت تستطيع الصمود لأسابيع بلا أي طعام إذا اضطرت، ولكن العطش شكل لها مشكلة أكثر من الجوع، فقد بدأت شفتاها تتشققان، وأصبح حلقها جافاً تماماً، وبالطبع تحولت بشرتها إلى بشرة جافة. بإمكانها أن تعيش بضعة أيام بلا ماء، ولكن ستتلاشى قوتها بسرعة بما أن الجفاف يسيطر على جسدها.

مرت نسمة هواء لطيفة عبر المسافة التي تفصل الكنيسة عن غرفة التخزين حاملة معها شيئاً لطيفاً وناعماً، استقرت ريشة سوداء في يدها المرفوعة إلى الأعلى لتؤكد لها أن الطيور لم تكن مجرد شخصيات من نسج خيالها، إذا كانت تلك الريشة السوداء ترمز لأي شيء فهي بالتأكيد ترمز للموت أكثر من الحياة.

قالت: «اللعنة على ذلك».

لم تبقَ على قيد الحياة في الحادث الذي قتل أوكتيفيا، لتموت هكذا بكل بساطة على يد شرير مجنون كاره للبشر.

قالت وهي تنفض الريشة بعيداً وتراقب سقوطها على الأرض: «فكّري، اللعنة.. فكّري».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

29

عندما اقتربت نهاية الرحلة من دنفر إلى مونتانا، فتحت جوانا تشيس حقيبتها، وسحبت صورةً لوالدتها. إنها واحدةً من صور عديدة عثرت عليها في صندوق الصور في الليلة السابقة، عندما بحثت دون جدوى عن صورة لجيمي صاحب العينين.

لم تهتمّ جوانا لسببٍ ما بالحفاظ على معرضٍ للصور العائلية على الحائط أو على رفوف خزانة الكتب. وبسبب ذلك، تفاجأت بأنّ صورتها الذهنية عن والدتها تلاشت وأنّ الصورة كشفت عن امرأةٍ تتمتّع بجمالٍ ورونق أكبر ممّا يُمكن للذاكرة أن تحتفظ به. جانب آخر من الصورة جعل جوانا مضطربة قليلاً. ففي تلك العينين وحتّى في مُنحنى الابتسامة، بدا أنّ هناك حُزناً خفياً لم تلحظه أبداً عندما كانت طفلة. والذي إن لم يكن خاصّاً فقط بتلك الصورة، وإن كان موجوداً في الحياة، فإنّ والدتها أخفته جيداً.

وضعت الصورة جانباً عندما بدأت الطائرة بالهبوط. وعندما بدأ الركاب بالنزول، أدركت غرابة إحضارها لصورة والدتها لا لصورة والدها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

30

حملا حقائب الظهر وعصي المشي، وتسلّقا شمالاً على طول النهر، عبر غابةٍ بدائيةٍ جعلت كولسون فيلدينغ يتذكّر كاتدرائية رآها ذات مرّة عندما زارت عائلته مدينة نيويورك. تشبه الأشجار الطويلة الأعمدة، وكانت الأغصان فوقها تُشبه سلسلةً من الأقبية المُقوّسة. وبدت رائحة الهواء إلى حدّ ما كالبخور، وخيّم صمتٌ كنائسي عليها كلّها.

لم يسبق لكولسون، البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، أن رأى مدينة أشباح، لذلك كان يتطلّع إلى استكشاف صفورة مع والده. ومع أنه سيكون من الرائع أن تكون البلدة مسكونة، إلّا أنّه لم يتوقّع رؤية أشباحٍ، بل توقع أن يشعر بالقشعريرة من الخوف، ويرى كثيراً من الخوف.

كان والده ستيف أستاذاً في جامعة الولاية في بيلينغر، وكان يعرف ما يكفي عن مونتانا والتاريخ الأمريكي ليغلبك عشر مرات على التوالي. حسناً، لم يكن هذا منصفاً فالكثير من التاريخ ممل فحسب، وما كان لشيء أن يبعث الحماسة فيه إلّا إن قفز من الشاشة كما في فيلمٍ من أستوديوهات مارفل، مع مع أن والده جعل نصف التاريخ ممتعاً، إلا أن النصف الآخر بقي غير ممتع، لقد كانت فصول ستيف تشهد إقبالاً متزايداً، مع أنه كان يدرس صفوفاً اختيارية وليست إلزامية.

لم يحبّ الأب شيئاً أكثر من أن يصاب ابنه بعدوى التاريخ وحبِّ الماضي: «بكلّ مجده المتوهّج وظلامه الحزين» بحسب تعبيره. لكنّ كثيراً من التاريخ بدا وكأنّه يتعلّق بالسياسة، والذي كان هراءً بالمجمل إن لم يكن جنوناً مُطلقاً أيضاً. أراد كولسون التركيز على المستقبل حيث أراد أن يمضي حياته في الجو، ويعمل قائداً لطائرة نفّاثة، أو رائد فضاء في قوة الفضاء الأمريكية. إنّ مستقبل الإنسان يتمثل في المضي قدماً ونحو الخارج، لقد سمع الجملة الآنفة الذكر في فيلم خيالٍ علمي، وصدمته صحّة وواقعية هذا القول.

في الوقت الذي أحاطت فيه الغابة بهما أكثر من أي وقت مضى، وهما يكافحان مع التضاريس الصعبة، بدا كولسون مندهشاً من نفسه لأنه أصبح يستمتع بهذه النُزهات، ذات مرة وجد أن المشي مع والده لمسافات طويلة ممل، بقدر ما هي مملة تفاصيل حروب ملوك النحاس الذين تقاتلوا من أجل رواسب الخام حول بوتي، مونتانا، والتي أنتجت في النهاية إحدى عشر بليون أونصة من النحاس، أو متعبةً مثل قصة الحروب الدموية بين قبيلتي غرو وسيوس، كما لو أنّ أياً من ذلك له علاقة باليوم.

في الصيف الماضي، عندما كان كولسون في الثانية عشر من عمره، شعر بالذنب لمقاومته رغبة والده في السير معاً في البرية، لتحمّل بؤس الطبيعة لم يعرف سبب شعوره بالذنب. ربّما لأنّ أمّه شعرت بالذنب لأنّها لم تشارك أيضاً زوجها اهتمامه بالتنزه، والتخييم، واصطياد الدببة في جحيم الغابات الأخضر، مع أنّه دائماً ما كان يذهب لمشاهدة أفلام النساء والسمفونيات معها. وحاله حال أمّه، فضّل كولسون فندقاً من أربع نجومٍ على خيمةٍ وحقيبة نوم، وأي طعامٍ جاهزٍ على المأكولات المطهية على نارٍ المخيم والتي يتمّ سكبها من علبة صفيحٍ ساخنة. أخيراً، انهار ووافق على الذهاب في نزهةٍ لمدّة ثلاثة أيام، مع اقتناعه بأنّه سيُقتل إمّا على يد الثعابين أو أسود الجبال، إن لم يكن على يد الثعابين وأسود الجبال التي تعمل بتعاونٍ شيطاني. في اليوم الأول، بدأ بالاستمتاع بالتجربة. وأول سبب لذلك، هو أنّ حقول وغابات مونتانا أثبتت أنّها ليست خطيرةً مثل أدغال أمريكا الجنوبية كثيرة الثعابين. والسبب الآخر، هو أنّ والده يعرف الكثير عن الطبيعة كما يعرف عن التاريخ، وهو يعرف عن البراري أكثر مما يعرف عن موطنهم في بيلينغز. والسبب الثالث، أنّ والده كان رفيقاً جيداً، خاصّةً عندما لم يكن يتحدث عن معركة الصمود الأخير لكاستر أو عن الجندي كيلي من يلوستون أو عن القائد بلاك أوتر.

في ذلك الصيف، سافرا معاً في أربع رحلات، بالإضافة إلى رحلتين في الشتاء. وخلال الصيف الحالي، سافرا في رحلتين قبل هذه الرحلة الاستكشافية إلى صفورة. وشيئاً فشيئاً أصبحت بنية كولسون الجسدية أكثر متانة وصلابة، وأصبح أكثر رشاقة وثقة بالنفس ومع أنه لا يزال حذراً من الأفاعي المُجلجلة والذئاب والدببة، وبقي حذراً منها، إلّا أنه أصبح يحترمها ولم يعد خوفه منها غير عقلاني.

كانت أُمه قلقة فيما يتعلّق بخلايا النحل في أوّل مرّتين ذهب فيهما كولسون للتنزّه مع والده، لكن فيما بعد اعتادت على ذهابهما معاً في المغامرات. في الواقع، لم يكن هناك ما يدعو للقلق. فبعض المخلوقات البرية تصلح لأن تظهر في فيلم من نتاج ديزني وليس في فيلم رعب، وكان الأب يمشي ببندقية عيار 12 متدلية فوق كتفه اليسرى، محشوّة بمقاذيف صلبة بدلاً من الرصاص العادي، مُخصّصة للحماية من الحيوانات المفترسة الكبيرة فقط، والتي يبدو لها رجلٌ بالغٌ وصبي مراهق كشطائر البيغ ماك مع بطاطا مقلية. لم يكن السلاح ضرورياً أبداً، بسبب وجود علبة صغيرة من الغاز المضغوط معلقة على حزام كولسون، وبوق إشارة آتوود، والذي ينتج عنه ضوضاء تُخيف حتّى الدببة والقطط الكبيرة عندما تشعر بالفضول والجرأة لتقترب منهما.

كان مستحيلاً أن يضلّا الطريق لأنهما كانا يمتلكان بوصلتين وخرائط مسارات مفصّلة. كما كانا مزوّدين بجهاز تحديد مواقع عالمي في حالة إصابة أحدهما

بجروح، واحتاج إلى نقله جوّاً إلى خارج البرية. حيث تحتوي الوحدة التي بحجم الهاتف الخلوي على زرّ طوارئ أحمر يجب الضغط عليه ثلاث مرّاتٍ في تتابعٍ سريع قبل أن يتمّ إرسال مكالمة الاستغاثة إلى قمرٍ صناعي الذي يرسلُ بدوره رسالة النجدة إلى المركز الدولي لتنسيق الاستجابة للطوارئ في تكساس. كان كولسون ووالده أكثر أماناً ممّا لو كانوا في بعض المدن الكبرى حيث يتمّ ارتكاب جريمة قتل واحدة على الأقلّ يومياً.

الآن، أفسحت الأشجار الطريق إلى مروجٍ عشبية بجوار النهر، وإلى اليمين كانت المباني المتداعية لصفورة. حيث استقرّ عزرا إينوك فيلدينغ، والذي كان من أوائل عائلة فيلدينغ الذين عاشوا في مونتانا، في صفورة قبل عشرين عاماً من هجرها. لقد كان نوعاً من الأقارب البعيدين لكولسون، والذي مات في تفشي مرض الجدري، وهي الضربة الأخيرة لبلدة سيئة الحظ لم تُصبح مركزاً لصناعة الأخشاب أو ميناءً نهرياً حيوياً، كما تصوّرها مؤسسوها. قال الأب بإيماءة: «ها هو ذا الموقع الرئيسي في التاريخ المجيد لعائلة فيلدينغ».

عند اقترابهما من خلفية المباني التي تواجه الشارع الوحيد في البلدة قال كولسون: «لن تكون مسكونةً بكلّ تأكيد». غنّت الصراصير، واندفعت سحبٌ من البعوض من العشب الطويل من حولهما. «حتى الأشباح لن تقبل العيش هنا».

«لكنّ الناس أرادوا ذلك، في الماضي».

تساءل كولسون: «لماذا هنا في وسط اللا مكان؟».

«كانت معظم الأماكن في الغرب في منتصف اللّا مكان في وقتٍ ما، حتّى نمت وأصبحت أماكن مهمّة. كان هناك تجارةٌ جيدة من الأخشاب، وأمكن للمُدن الأكبر على طول النّهر شراء ما تنتجه منشرة الأخشاب».

وبينما كانا يمرّان بين المباني المتداعية والمكوّنة من طابقين دخلا شارعاً غير ممهد ومليئاً بالأعشاب، قال كولسون: «إنّها تبعث الحزن في النفس وليس الخوف. حتّى عندما كان كلّ شيء جديداً، ما كنت لآتي إلى هنا أبداً».

«حسناً يا بني. في تلك الأيام، لم يكن هناك تأمين ضدّ البطالة، ولا رفاهيةً من أي نوعٍ باستثناء ما قدّمته الكنائس. عندما لم يكن لديك عمل، كان يتوجّب عليك الذهاب إلى حيث يوجد عمل، أو حيث كنت تأمل أن يوجد».

استدارا يساراً، باتّجاه الكنيسة المبنية من الحجارة في أقصى نهاية الشارع. وقال كولسون: «لماذا أتى عزرا إينوك إلى هنا إذاً؟».

«لقد جنى القليل من المال بصفته صياداً، وكانت تجارة الفراء رائجةً تلك الأيام، إن حياة الصياد صعبة، وأراد شيئاً أكثر سهولة، لذلك أتى إلى هنا،

واشترى هذا المكان الذي يقع إلى يسارك مباشرةً».

تميّز المبنى الخشبي المكوّن من طابقين بسقف متراس وشرفةٍ أرضية من دون سور. وفي الجزء الخلفي من الشرفة الأرضية، على الحائط إلى يسار باب المدخل الذي كان مفتوحاً، رسم شخص منذ فترة طويلة يداً فائزةً بالبوكر، تمسك ورق الرويال فلوش، والتي أصبحت الآن باهتةً لدرجة أنّها أصبحت غير مرئيةٍ تقريباً. وعلى يمين الباب كانت صورة لأسطورة البيرة الإلمانية «بي. إيتش. بيست» وقد طمس الزمن معالمها.

قال الأب: «بي. إيتش. بيست كانت بيرة ألمانية. واليد التي تحمل بطاقات اللعب موجودةٌ للإشارة إلى أنّ المقامرة تجري في الداخل».

فجأةً، بدت صفورة المهجورة أقلّ حزناً وأكثر إثارة للاهتمام. «هل تقصد أنّ أحداً من عائلتنا، هذا الشاب عزرا إينوك، كان يمتلك مشرباً وملهى في الغرب القديم؟».

«نعم بالفعل، مع أنّه كان أقلّ بريقاً ممّا تراه في الأفلام، حاله حال معظم الأماكن في تلك الأيام. ولم تكن معظم معارك المسدسات عبارةً عن مواجهات في الشارع، بل جرائم قتل قذرة من قِبل السُّكارى القذرين الذين كانوا يغشّون بعضهم في ألعاب الورق».

بعد ذلك، خرج رجلٌ من الباب المفتوح للمشرب وكأنه أتى من الماضي. مُرتدياً جزمة مع بنطال جينز أزرق مدسوس داخلها، وقميصاً داكن اللون وسترة دنيم طويلة. إنه طويل القامة، لائق الجسد، أسمر ومع طلّة تبدو عليها السلطة، بدا وكأنه يجب أن يضع نجمة مفوض أمنٍ على صدره.

«صباح الخير أيها السادة. أنا أعمل في مكتب الحفاظ على التراث التاريخي لمونتانا. إذا أتيتما للقيام بجولةٍ في بلدتنا الصغيرة، فأخشى أنّكما ستضطرّان للبقاء خارج المباني، ألقيا نظرة من الشارع فحسب. سنرمم صفورة، ولا نريد أن تلحق مزيد من الأضرار بالمباني أكثر ممّا تحمّلته بالفعل».

عندما نزل الرجل درجات الشرفة الثلاث إلى الشارع، قال الأب: «هل هناك مشروع ترميمٍ لمكانٍ مثل هذا؟».

«بالنسبة لنا، كلّ مكانٍ له شأنٌ يا سيد...؟».

قال الأب: «فيلدينغ، الدكتور ستيفن فيلدينغ. من جامعة الولاية في بيلينغز، قسم التاريخ. أنا مندهشٌ لسماع أنّ الهيئة التشريعية في هيلينا استطاعت جمع الأموال من أجل شيء من هذا القبيل».

«أنا أدعى آشير أوبتيم» ومدّ الرجل طويل القامة يده اليمنى، وقال: «هل هناك مواقعٌ مهملةٌ تجعلك تعتقد أنّها يجب أن يكون لها أفضليةٌ على صفورة أيها الدكتور فيلدينغ؟».

«ليس بالضرورة، لكن عليّ التفكير في الأمر. يسعدني فقط سماع أنّ السياسيين يهتمّون بالحفاظ على أي شيء. هذا ابني كولسون».

كانت قبضة أوبتيم ثابتةً وجافّة وهو يصافح يد كولسون.

وكانت عينا الرجل خضراوين كلون زجاجات الخمر. مع أنّ كولسون لم يسبق له أن شرب الكحول، ومع أنّ التّيكيلا لم تأتِ في عبواتٍ خضراء على حدّ علمه، إلّا أنّ شيئاً في هاتين العينين ذكّره بأنّ بعض العلامات التجارية المكسيكية التقليدية من التيكيلا كانت تحتوي لولباً في قاع الزجاجة. وكان من الغريب تماماً أن يحدث له مثل هذا الشيء. قال أوبتيم لوالد كولسون: «حسناً يا سيدي، إن كانت لديك أي أفكارٍ مستنيرة حول المواقع الأخرى التي توصي بترميمها، فلا تتردّد بالاتصال بي بشأنها. اسمح لي بأن أعطيك بطاقتي».

مدّ الرجل يده إلى الخلف للوصول إلى محفظة، لكن لا بدّ وأنّ المسدّس كان مدسوساً تحت حزامه، في الخلف، لأنّ هذا ما أخرجه. وأطلق رصاصتين من مسافة قريبة، طلقتين في الرأس. وفي وابلٍ من الدماء، سقط والد كولسون –والده، والده الوحيد–إلى الوراء مستلقياً ورأسه ووجهه نحو الأعلى، إلّا أنّه لم يعد وجه أبيه، كان محطماً وملتوياً ومروّعاً، نظر كولسون بعيداً، إلى فوهة المسدس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

31

توجّه وايت من المرسى إلى الإسطبلات التي كان يوجد أربعة منها، وكلّ منها به عشرة أكشاك. وكانت مبنية بألواح خشب متينة، ومطلية باللون الأبيض مع أسقفٍ من البلاط الخزفي الأحمر، مع تدفئة كهربائية في الشتاء.

اختفت الأحصنة التي كانت ملكاً للمالك السابق منذ فترة طويلة، مع أنّ ليام وليندسي أوهارا اعتزما في النهاية الحصول على خمسة أحصنة لطيفة، ليس لأغراض التكاثر، بل فقط ليتمكّنا هما وولديهما من تعلّم ركوب الخيل معاً.

كانت الأكشاك مدمّرة. والأبواب النصفية مغلقة بإحكام. وفاحت في الهواء رائحة تبن خفيفة، ورائحة تراب الأرض الصلدة، بالإضافة إلى رائحة مرهم كان يُستخدم على الأحصنة والذي انسكب هنا ذات مرّة، وتشبعت به التربة.

لم يواجه شيئاً غريباً، ولا شيئاً ينذر بالتهديد، لكنّه مع ذلك شعر بأنه مُراقب.

في البنغلو المكوّن من خمس غرفٍ والذي كان منزلاً لمدير المزرعة في أيام الملّاك السابقين، لم يجد شيئاً ملفتاً سوى الجرذان. لم يكن بمقدوره رؤيتها، لكنّه سمعها وهي تتأرجح عبر العوارض والأرضيات في العُلية. كان المكان خالياً منذ أشهر، فاستقرّت به القوارض. في البداية، كانت هادئة عندما دخل البنغلو ومع ذلك، وبينما كان يجوب الغرف، باحثاً عمّا لا يعلمه، ازداد اضطراب الجرذان. وبدا أن عددها يزداد كلّ دقيقة، وكأنها تنادي أبناء جنسها للقدوم من الحقول والتسلق عبر الجدران لتتسابق في جنون غير طبيعي في الأعلى، لسببٍ ما لم يستطع تخيله.

ومن بابٍ قلّاب تبلغ مساحته قدمين مربعتين في سقف الردهة، تدلى سلك سحب، ممّا أتاح الوصول إلى العلية، وعندما اختفت أصوات صرير القوارض، أصبحت الضوضاء أكثر هياجاً، تساءل وايت إن شغل المساحة في الأعلى شيئاً آخر غير الجرذان. وفكّر في سحب الباب القلّاب والصعود إلى هناك لإلقاء نظرة.

لم يأبه لأمر القوارض، فالقوارض لا تعدو عن كونه ثدييات، وحتّى حشدٍ منها ما كان ليخيفه أكثر من فأرٍ بشري عديم الذيل. مدّ يده، وأمسك بالمقبض البلاستيكي الأصفر لسلك السحب.

كان متردّداً.

بدا أنّ الضوضاء المتصاعدة في العُلية تتركّز فوقه مباشرةً. وأصدر الباب القلّاب صريراً وتحرك بهدوء في إطاره. إن كانت الفئران متجمّعةً بأعداد خلف الباب، ستتساقط عليه وهي تتلمس طريقها إلى أرضية الردهة.

أشعره حدسه بضرورة توخي الحذر. فقد كان وحده في المزرعة، وبدلاً من المضي قدماً، من الأفضل له الاتصال بفانس بوتر، حتّى يتمكّنا من التحقيق من أمر العُلية معاً. نعم، كانت الجرذان مجرّد ثدييات أخرى، لكنّها قد تحمل الأمراض.

أياً يكن الأمر، فإنّ ما يحتشد في العُلية لا بد أنه مرتبط بطريقةٍ ما باليراعات والشيء الذي هاجم المرسى. لم يفهم هذا المكان، ولم يعرف ما هي القوّة التي حرّكته، وما هو الكيان السائد هنا، ولماذا بدت الطبيعة وكأنّها على درايةٍ به أو لماذا بدت وكأنّها تحشد مخلوقاتها ضدّه. وإلى أن يعرف على الأقل نسج نظرية، كان بحاجةٍ إلى المضي قدماً بحذر.

عندما خرج، وأوصد الباب خلفه، قابلته أشعة الشمس، فلم يشعر بالراحة وهو ينظر إلى الطبيعة الخاوية التي أنارتها الشمس. تقع هذه المنطقة بالقرب من الطرف الغربي لجزء من ولاية مونتانا والذي كان يحمل اسم «ريف السماء الواسعة». كانت السماء مخيفة، زرقاء كلهب الغاز وأكثر ترويعاً من ضخامة الأرض التي تحتها.

لم تعطه سماء النهار دليلاً على اللانهاية أقل مما أعطته به السماء المظلمة المليئة بالنجوم التي كانت على بعد تريليونات الأميال، فقد ألهمته خوفاً بأنه غير مهم، وأنّه لم يولد أي رجل مهم أو امرأة مهمة أهمية في محيط الزمان والمكان اللا محدود.

فجأة، ومع أنّه لم يمضِ على تواجده خارج البنغلو سوى برهة، أراد أو بالأحرى احتاج أن يكون في حدود منزل، آمناً داخل غرفة محدّدة بالجدران. ومع أنه لا يحتسي شراباً قبل العشاء، إلّا أنّه أراد واحداً الآن، أراد أن يبدد دفء الويسكي البرد الذي اخترق أعمق من اللحم والعظم، والذي كان يجمّد روحه. كان رجلاً بلا عائلة، وقد أثبت والداه أنّهما زوج من الحيوانات المفترسة القاسية التي لم يكن قادراً على التعرف إلى نفسه معهما إلّا بصفته العامل الأخلاقي لدمارهما. كما شعر أنه يعاني استعصاء في كل ما يتعلق بالزواج. كان وحيداً، مستسلماً لحياة مهنية مزدحمة وحياة خاصّة من العزلة، معتاداً على الوحدة، مع أنه لم يرتح لها، ومع ذلك، وفي تلك اللحظة، في هذه المساحة الشاسعة غير المأهولة، استنشق الفراغ، عبر كل مساماته، وخفق قلبه بشدّة خوفاً من مصيره.

توجّه نحو المنزل الرئيسي، وبينما كان يعبر الطريق المعبّد، سمع صوت رعدٍ مُنخفض. نظر إلى الأعلى فرأى السماء لا تزال صافية، لكنّه بعد ذلك نظر نحو الجبال الأرجوانية البعيدة في الغرب. وعندها أصبح دوي الرعد أعلى،

وشعر بالأرض تهتز تحت قدميه، وعندما نظر إلى الشرق، ورأى مصدر الصوت، اندهش، وشعر بالخطر المحدق، ثم أطلق ساقيه للريح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

32

جمّدت الصدمة كولسون فيلدينغ فقد كان والده جثة ممددة على الأرض، ويفترض به أن يشعر بالحزن الشديد، ولكنّه بدلاً من ذلك بدا مرعوباً وهو يحدّق إلى فوهة المسدس، وصوت الطلقتين يتردّد في ذاكرته، يتردّد ويتردّد، بحيث لم يسمع في البداية ما قاله له القاتل، ثم حوّل انتباهه ببطء من فوهة المسدس السوداء إلى عيني آشير أوبتيم الخضراوين كزجاجات الخمر، والتي كان النظر إليهما يشبه التحديق إلى عيني إنسان آلي. كان وجه القاتل خالياً من التعابير، ولم يُعبّر عن غضب أو فرح شرير، كما لو أنّ قتل والده لم يعنِ له شيئاً، وكأنه ما أقدم عليه لا يعدو عن كونه دهس نملة.

أخيراً، اخترق صوت أوبتيم مسمعه: «أيها الصبي، ارمِ الآن عصا المشي، واخلع حقيبتك، وإلا سأطلق النار على قدمك، وأقضي فترة ما بعد الظهر في مشاهدتك تنزف ببطء حتى تفارق الحياة».

شعر كولسون بالرعب والعار عندما ارتجف، واحتقر نفسه لأنه يرتجف ولأنه ينفذ ما أُمر به من دون تردد، ولأنه لم يفكّر في ضرب القاتل والفرار.كان القتل هو ما يرفع من وتيرة الحركة في الأفلام وهو الوسيلة الفضلى لحصاد أعلى النقاط في ألعاب الفيديو، عن طريق قتل الأشرار، ولكن ما كان يُفترض أن يُقتل الأشخاص في الحياة الواقعية. شعر وكأنّه سيتقيأ أو يحرج نفسه بتبليل سرواله. لم يفعل أياً من الأمرين، ولكن حتّى وإن فعلهما، فلن يكون الأمر ذا أهمية، ولن تكون الإهانة ذات أهمية، إذا سُمح له بالعيش.

«اخلع حزام العدّة الخاص بك يا صبي، وارمه على حقيبة الظهر، اقلب جيوبك، وارمِ محتوياتها على الأرض».

بينما كان يفعل ما قيل له، سمع نفسه يقول: «من فضلك يا سيد، أرجوك، أتوسل إليك». وكره نفسه لأن صوته ارتجف وهو يتوسل لكنّه لم يتوقّف. استمتع القاتل بإذلال الأسير لدرجة أنّه ركّز على عيني كولسون وعلى شفتيه وهي تستجديه، لا على يديه.

انفتحت محفظة كولسون بعد أن ألقى بها أرضاً كاشفة صورة والديه التي التقطت قبل عامين عندما كانا في إجازةٍ في كور دي ألين. فاستعادها القاتل، ونظر إليها، ثمّ وضعها في جيب السترة.

بعد أن شعر بالرضا لأن الصبي لبى له كل طلباته، حشر المسدس في القراب الوركي تحت سترة الدنيم.

في تلك اللحظة، مُنح كولسون الفرصة للتصرّف. كان بإمكانه مهاجمة أوبتيم، ومحاولة إيقاعه على الأرض. لكنّه لم يستطع الحركة. كان العرق البارد يغطي

وجهه، ويديه، ويسيل على عموده الفقري إلى أسفل ظهره، إلى صدع مؤخرته. وبدت ركبتاه وكأنّهما ترتخيان، شعر بالدوار واعتقد أنّه سينهار.

استخدم القاتل إحدى قدميه لدس طرف حذائه تحت والد كولسون وركله بقوّة عدّة مرّات، إلى أن انقلبت الجثّة، ووجهها إلى الأسفل. لسببٍ ما، عندما رأى كولسون جسد والده يُعامل كالقمامة، فكّر في والدته، وكيف أحبّت والده، وكيف أحبّها والده، خيّم عليه الحزن أخيراً، لم يكن حزيناً على خسارته بقدر حزنه على خسارتها، حزن عليها وفكّر كم ستكون محطمة عندما تعلم بموت زوجها. شعر بالألم في صدره، وتفشى الحزن بين ضلوعه كتفشي السرطان، بالكاد استطاع التنفس، ومع هذا الألم جاءت أوّل نوبة غضبٍ غير مكتملة، غضبٍ شديدٍ تجاه القاتل، ونفسه، والقدر.

انحنى أوبتيم، وانتشل البندقية عن كتف الرجل الميت. وتفحص الطلقات.

وقال: «طلقات». ونظر إلى كولسون «أتعلم يا فتى، هذه ستحدث فيك ثقباً بحجم قبضة اليد».

لم ينظر كولسون إلى الفوهة، واكتفى بالنظر إلى أسفل ماسورة البندقية. وعندما التقت عينا القاتل بعيني الأسير، ركل الجثّة مرّة أخرى، ثمّ مرّة أخرى، بازدراء وبدا جلياً أن ذلك يسعده.

عندها قال كولسون: «أيها الوغد المريض»، ولكنّ هذا التمرّد الضعيف كان محاولةً لا مبالية للتكفير عن فشله في التصرف لدرجة أنّه شعر بأنه أصغر وأكثر عجزاً من أي وقتٍ مضى.

قال أوبتيم وكأنه يستطيع قراءة أفكار الأسير: «لم يكن والدك شيئاً، وأنت لا شيء أيضاً، أنتم طاعون وقذارة، أنتم تتنفّسون السم». وأشار إلى ما وراء كولسون بالبندقية «لنذهب إلى الكنيسة».

بدا اقتراحه غريباً لدرجة أنّ كولسون لم يدرك في البداية أنّ أوبتيم كان يعني ما قاله حرفياً.

كرّر القاتل: «إلى الكنيسة، في نهاية الشارع».

«لا يمكنك تركه مستلقياً هناك فحسب».

«لم يعد والدك حياً أيها الصبي، والدك مجرد جثة، تنتظر أن تصبح مستوطنة للديدان. والآن تحرّك، هناك شخصٌ أريدك أن تقابله».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

33

ما لم يشعر بوجدها من وقع حوافرها، كان وايت رايدر ليعتقد أنها مجرد هلوسة. لم يكن الحشد المقترب مجرّد ثور وأبقاره مع القليل من العجول المرئية. كان عدد الثيران أكثر ممّا يُمكن لوايت أن يعدّه في الممرّ وعبر المروج إلى جانبي القمّة السوداء، أما أعداد الأبقار فكانت تفوق أعداد الثيران بعدة مرات، بالإضافة إلى العديد من العجول. وقدّر عددها بما يصل إلى مئتين، ومع أنّها لم تكن مندفعة باندفاعٍ قد يدهسه، إلّا أنها كانت آتية بسرعة وعزم. وبدا الابتعاد عن طريقها قراراً حكيماً.

لم يتخيل من أين أتت، وما الذي جذبها إلى هنا، وما الغرض الذي أتت من أجله. بدت وكأنها من عالمٍ آخر، وخاصة الثيران الضخمة بقرونها المغطاة بالمخمل، ورؤوسها المرفوعة ومناخيرها السوداء المتوهّجة. لم تصرخ، بل جاءت في صمتٍ تامٍ سوى رعد حوافرها.

بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى مكان الإقامة الرئيسي وبينما كان يصعد الدرج إلى الشرفة، وصلت القطعان. كانت تتدفق عبر الجانب الغربي من المنزل، وكأنها متجهة إلى التلال الحرجية خلف المنحدر العشبي، لكنّها بدلاً من ذلك دارت حول المبنى، وظهرت مرّةً أخرى من الجانب الشرقي، وعادت إلى الطريق الذي أتت منه، على طول الممرّ وعبر المروج التي تحيط به.

مع أنّ ليام أوهارا لم يأتِ على ذكر الأيائل، إلّا أنّ هذا المشهد الاستثنائي كان مُشابهاً لمشهدٍ آخر ذي طبيعة أكثر خطورة بكثير، والذي يتضمّن الذئاب وحيوانات القيوط، والتي أخافت الملياردير وعائلته ودفعتهم لمغادرة المزرعة.

ظهرت عربة صغيرة أو سيارة دفعٍ رباعي من بعيد، وبسبب صوت المحرّك، تحرّكت القطعان بشكلٍ أسرع وتلاقت عند السيارة.

إنها سيارة فورد إكسبلورر بيضاء. تباطأ سائقها حتّى توقّف. وبعد تردّد، تقدّمت سيارة الدفع الرباعي ببطء.

أحاطت الأيائل بسيارة الفورد، ورافقتها وكأنها حرس شرف، وكأن من في السيارة شخصيةً ملكية أقسموا لها قسم الولاء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

34

يعيش آشير أوبتيم بيانه الرسمي، لم يكن له ظل وهو يسير خلف الصبي في الظهيرة.

رقد الدكتور فيلدينغ، المؤرّخ المهمّ، ميتاً في الشارع، وهذا ما يستحقه.

قال آشير للصبي البائس: «التاريخ، هو أحد الأدوات التي يخدع بها الجنس البشري نفسه ليصدّق أنّ قصة جنسه ذات أهمية، مسيرة طويلة ونبيلة يُفترض أن يكتسبوا خلالها مزيداً من المعرفة، وهذا يؤدّي إلى التنوير، والحقيقة، والسمو. في الواقع، مع أنّهم يتذكّرون ما تعلّموه، إلّا أنّهم ينسون معناه، فكلّ فترة من فترات التنوير تتبعها بربريةٌ جديدة وأكثر فاعلية. إنّهم يعظون بضرورة الحقيقة حتّى وهم يفرّون منها. يؤمن البعض بالخلود من خلال التكنولوجيا، بينما يؤمن البعض الآخر بسموّ الروح. إنّهم يتشبّثون بإيمانهم في طريق الموت والفراغ، بينما يفسدون العالم وهم عابرون. الماضي كذبة، والمستقبل هو الماضي الذي لم يحدث بعد. والدك المؤرخ كان أمير الكاذبين، وفي غضون أيامٍ قليلة، في كنيسة الموتى هذه، وفي ظلّ الرائحة الكريهة المُتصاعدة من اللحم المُتعفّن، عندما ستصاب بالجفاف بسبب نقص الماء، ستشعر بالقلق والدوار، وستعاني من تقلّصات البطن المؤلمة، سترى كلّ الطرق التي كُذب بها عليك. عندما تفقد الأمل، وتصبح مستعدّاً لشتمه والتبوّل على صورة والديك تلك، حينها سأريحك من معاناتك».

شعر آشير بالسعادة من خطابه هذا، فهو رائعٌ جدّاً لدرجة أنّ الصبي لم يستطع أن يفكّر في أي شيءٍ ليقوله عند وصولهما إلى باب الكنيسة. قد تكون هذه هي المرّة الأولى في حياته البائسة التي يُخبر فيها بالحقيقة، الحقيقة التي تثقبه كالإبرة، وتخيط شفتيه، وتربط لسانه في أرضية فمه.

أمره آشير: «استلقِ ووجهك إلى الأسفل»، وبعد تردّد أطاعه الصبي، وتمدد عند مدخل الكنيسة.

فأخرج آشير المفتاح، وفتح القفل، ودفع الباب لفتحه.

كانت أوفيليا في مكانٍ ما في الظلمة المنعزلة، ولا شكّ أنّها ترتجف في زاوية بعيدة، خائفة من أنّه جاء ليقتلها.

«انزلق مثل الدودة يا كولسون فيلدينغ، انزلق إلى الداخل، وكأنك دودة أخرى من تلك الديدان التي تتغذّى على الموتى في الغرفة أدناه».

تحرك عندما ضغط عليه بماسورة البندقية، سحب الصبي المهان والمذلول نفسه عبر العتبة، إلى نصل الضوء الباهت –ضوء الأمل الكاذب–الذي يبعثه

النهار عبر المدخل.

تحمّس آشير من هذا الأداء، وشعر بالرضا الذي هو أعظم شعورٍ يُمكن أن يختبره الآن بعد أن حرم نفسه من إثارة الجنس، لقد أشعره كلّ تملص وانعراج قام به كولسون باللذة.

بعد أن عبر الصبي العتبة، أغلق آشير الباب وأقفله. ووقف هناك للحظةٍ في نعيم ما بعد النشوة، كان مغمض العينين ووجهه مقلوب، متشمّساً في دفء الظهيرة، مُتخيلاً اليوم الذي لن تشرق فيه الشمس مرّةً أخرى على أي وجهٍ بشري ذلك اليوم الذي ستستعاد فيه الأرض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

35

كانت الفورد إكسبلورر التي استأجرتها جوانا تشيس في بيلينغز مجّهزة بنظام ملاحة، ولكنّ حتّى وبعد مرور أربعة وعشرين عاماً على مغادرتها مونتانا إلى نيو مكسيكو، لم تكن بحاجةٍ إلى خريطةٍ أو دليل. قادتها رحلة من ساعتين بالسيارة إلى أعمدة الصخور النهرية المُحاذية للممرّ الخاص الذي تفرع من الطريق العام السريع. مرّت تحت اللافتة التي تحمل اسم المزرعة وصورة مظلّلة لحصانٍ يركض.

لم يكن المنزل مرئياً من هناك. فجأة، استحوذ عليها الشكّ، وقبل أن يراها أي شخص يعيش هنا، داست الفرامل إلى أن توقّفت، وجلست تستمع إلى المحرك وهو في وضيعة خمول.

من الواضح أنّ الصيف كان غزير الأمطار لأن الحقول بدت خضراء وخصبة، وكانت الأرض مليئة بالأحاسيس كما تتذكّرها، فقد تناثرت الأزهار البرية في المروج وكأنها جواهر؛ صفراء كالزبرجد وزرقاء كالياقوت وزهرية كالمرجان، على بعد ميل، وعلى الهضبة هناك التجمع الأول لأشجار الصفصاف، لقد حجبت شلالات من الأغصان الخضراء الإسطبلات وبنغلو المدير عن الرؤية.

تنافس الفضول مع قلقٍ مجهول، والحزن مع شعورٍ باردٍ بتهديدٍ غير مُحدّد، فهي لم تتوقّع كيف ستكون ردة فعلها العاطفية ولا شدتها تجاه راسلينغ ويلوز، لقد شعرت بذنب لم تستطع تفسيره بدافع من فرح طفولي، لا شك أن حزنها وثيق الصلة بوفاة والدها، ولكنه أيضاً يرتبط بخسارة أخرى تحوم فوق حدود الذاكرة.

لقد أُجبرت على العودة إلى هنا بعد أن أغوتها أحلامٍ زاهيةٍ مُتكرّرة، بواسطة بعض القوّة التي تسيطر على سيارتيها وتلفازها، واستغاثة المرأة ذات الصوت المألوف الغامض. جوجو، أنا أطير في بيدلام، في السماء الكبيرة المظلمة، تلك السماء الرهيبة المظلمة، أنت وحدك من يستطيع مساعدتي. كلّ ما حدث مؤخّراً يدعم استنتاجاً واحداً؛ وهو أنّها لم تكن تعرف الحقيقة الكاملة لطفولتها، وأنه كان في ماضيها شيء أخفته عن والديها، وعن الجميع، وفي الوقت الذي أخذتها فيه الخالة كيت بعيداً إلى سانتافي، غسل شخصٌ ما وبطريقةٍ ما تلك الأسرار من ذاكرتها.

ربما يستمتع الجميع بذكريات الطفولة، والتي هي عادة إعادة تخيل ملونة لم حدث، يخففون من خلال هذه العملية مخاوف الماضي وأخطائه من خلال الحنين إليه، وعندها يرضون بتاريخ بديل لماضيهم، لأنهم يظنون هذا التخيل هو الحقيقة المتألقة والكاملة.

أياً يكن الأمر، تعرف جوانا الآن أنّ ذكرياتها –من سنّ السادسة إلى أن غادرت راسلينغ ويلوز قبل عيد ميلادها العاشر–قد جُعدت، وشُكلت وكأن ذلك حصل على يدي معلم خبير بفنّ طي الورق، مخفياً الحقيقة في العديد من ثنايا التركيب الجديد. إن لم تكن جوانا روائية مهووسة بالفضول، فإنّها لن تستطيع العيش جاهلة لما حدث في سنوات شبابها تلك، وبغضّ النظر عن المخاطر والأخطار التي تنتظرها، ليس لديها خيارٌ سوى المضي قدماً. أرخت قدمها عن دواسة الفرامل، وتوجّهت نحو الهضبة، باتّجاه البحيرة التي ماتت فيها والدتها، ونحو الحقول التي تقع خلفها، حيث سقط والدها عن حصانه وهاجمه دبٌّ رمادي، توجهت نحو الأيام الماضية عندما لم يكن جيمي صاحب العينين يستخدم الكلمات إلا معها، عندما لم يكن أحدٌ آخر قريباً بما يكفي لسماعه.

على بعد أقلّ من ميلٍ من المنزل، وفي ذلك اليوم المشمس اللاهب ومن خلال الهواء المتلألئ من شدة السخونة، رأتها قادمة. لبرهة لم تعرف ما هي، ولكن بعد أن ركضت عرفت ماهيتها، وقالت: «أيائل». وتذكّرت أحد الأحلام الأخيرة، عندما كانت طفلة، وجرت عبر ضباب الغسق، مُحاطةً بقطيعٍ من الأيائل –ثورٌ واحد وثلاث بقرات وعجلان–وكأنها ترحب بها في عائلتها. لكن بعيداً عن الحلم، وفي هذا الآن، يركض نحوها حشد من الأيائل لم يسبق لها أن رأت له مثيلاً، ومع أنها لم تخشَ اصطداماً، إلّا أنها أوقفت سيارتها عن التقدم، وانتظرت أن طوقت هذه المخلوقات الرائعة سيارتها، وأخذت تنظر إليها من النوافذ، كانت الذكور تزن قرابة ألف رطل، وقد أحنت رؤوسها التي تتوجها قرون بطول أربع أقدام، لتتمكن من النظر إليها عبر النوافذ، أما الإناث فبدت حتى أكثر لطفاً من الذكور، أما العجول فكانت قصة مختلفة، فهي جميلة وذات عيون شفافة.

شعرت جوانا بدهشة مألوفة، كانت تعرف أن هذه القطعان لم تجتمع بدافع غريزة، بل اجتمعت لترحّب بها، بعد غيابها الطويل عن منزلها، ولكنها لم تستطع تفسير هذا التصرف، فهي تعرف أن متوسط عمر الأيائل يبلغ ثمانية عشر عاماً، وهذا يعني أنها لم تكن قد ولدت في الوقت الذي غادرت فيه جوانا، وبالتالي شكت أنها أتت لتستقبل شخصاً لا تعرفه. لذا، فكرّت أن شخصاً أرسلها، ولكن من هو هذا الشخص، بدا لها الأمر لغزاً عصياً على الحل.

بدا فرحها مألوفاً بقدر ما بدت دهشتها مألوفة ومُبهرة، الآن تعاظمت شكوكها بأن ما حلمت به عن تواصلها مع الحيوانات له أساس في ذكرياتها، فهي على مدى ثلاث أو أربع سنوات كانت على علاقة غير عادية مع شتى أنواع حيوانات مونتانا.

أرخت قدمها عن دواسة الفرامل، وعندما تحركت السيارة إلى الأمام، رافقتها الأيائل عن الجانبين نحو الهضبة، مروراً بالإسطبلات الموجودة على يسارها، والبحيرة على يمينها، إلى المنزل الذي استلهمت منه أثاث منزلها في سانتافي.

وقف رجلٌ على الشرفة عند مُقدّمة الدرج. وكان طوله قرابة متر وسبعين سنتيمتراً، ممتلئ الجسم إنما غير سمين، يرتدي الجينز وقميصاً أبيض.

توقّفت جوانا أمام المنزل، وأوقفت عمل المحرّك، وفتحت باب السائق. عندما خرجت من سيارة الإكسبلورر، وجدت نفسها واقفة بجانب ذكر آيل، كان ارتفاع كتفه خمس أقدام، ويزن نصف طن من العضلات، ورأسه يلوح فوقها برقبته الطويلة، وكان قرناه بعيدين عن متناولها. شخر الأيل وكأنه يلقي التحية، فمسدت كتفه بإحدى يديها.

ورفعت أنثى أيلٍ ذات عرفٍ أسود رقبتها لتشمّ رائحة شعر جوانا، وحكّ عجلٌ أنفه بيدها وهي تتحرّك ببطء بين المخلوقات، بعيداً عن سيارة الإكسبلورر ونحو المنزل. وقف الحشد المتجمّع بصمت باستثناء بعض الشخير، وصوت الحوافر، وكأنه يبادلها الافتتان.

خاطبت الرجل على الشرفة من أسفل الدرج: «أنا جوانا تشيس، كنت أقطن هنا منذ وقت طويل».

فنزل إلى ممشى لمقابلتها، وقال وهو يصافحها: «وايت رايدر».

بما أنه يرتدي قميصاً مفصّلاً، ويرتدي جينزاً رمادي اللون، وينتعل حذاء كومون بروجيكت بلون أخضر باهت، وساعة روليكس على معصمه الأيسر، أيقنت أنه ليس مزارعاً.

سأل مشيراً إلى القطعان بمسحة من يده: «ما كلّ هذا، ما الذي يحدث هنا؟ هل هي مهاجرة أم ماذا؟».

هزّت رأسها وقالت: «هذا ليس وقت الهجرة، ففي مثل هذا الوقت، وبما أن الطقس دافئ يجب أن تكون أعلى في الجبال. سيبدأ موسم تزاوجها في غضون أسبوعين، ويستمرّ حتّى تشرين الثاني. وعندما يتغير الطقس –وحينها فقط–تنزل من المرتفعات لترعى في الوديان والسهول».

كان شعره أسود، وعيناه زرقاوين مثل بتلات نبات كف الذئب، وكان يحدّق بطريقة مباشرةً بشكلٍ غير مألوف.

«يبدو أنّها أتت إلى هنا لرؤيتك، هل حدث هذا من قبل؟».

في الوقت الذي سعت فيه للحصول على إجابة لتفادي سؤاله، أذهلهما أحد الثيران بصوتٍ عالٍ بدأ منخفض الحدة، ولكنّ سرعان ما ارتفعت حدته، وانتهى بنخير قوي. وفي الوقت نفسه، تبنّت الثيران الأخرى الصوت، وبدأ عدد قليلٌ من إناث الأيائل بإصدار صوتٍ نصفه يشبه ثغاء الأغنام، ونصفه الآخر صهيل الأحصنة، وعمت المكان ضوضاء صاخبة.

ضحكت جوانا، لأنّه سبق لها أن سمعت هذا، وفجأةً تذكّرت صباحات الشتاء عندما تسلّلت بعيداً عن المنزل للانضمام إلى عائلة من الأيائل. كان تحاول تقليد نداءاتها، لكنّ صوت الفتاة الصغيرة أثار نظرات شفقةٍ منها.

عندما توقّف القطعان عن إصدار الأصوات، ابتعدت عن المنزل ككتلة واحدة وتوجّهت غرباً، صعوداً إلى التلال، نحو الغابة والمروج العليا التي أتت منها في غير موسمها.

شعرت بالندم، وهي تشاهد مغادرتها، أدركت أنّ وايت رايدر كان يدرسها باهتمامٍ طوال الوقت الذي كانت تركّز فيه على الأيائل.

سألها: «هل رأيت يوماً سحابة كثيفة من اليراعات تنسج أنماطاً معقّدة في الهواء في إحدى ليالي الصيف، وكأنها تقدّم أداءً أمام جمهور؟».

فقالت بحذر: «يا لها من فكرةٍ غريبة».

«هل سبق ورأيتِ حيوانات القيوط والذئاب تجوب معاً في مجموعاتٍ كبيرة، وتتصرف كالكلاب المُستأنسة أكثر من كونها ما هي عليه؟».

«هل سبق لك رؤية مثل هذا الشيء يا سيد رايدر؟».

«لقد رأيت اليراعات يا سيدة تشيس. ورأى الملّاك الحاليون للمزرعة – والذين كلفوني بالمجيء إلى هنا–حيوانات القيوط والذئاب. هل رأيتِ أياً منها؟».

«لم يكن هناك الكثير من الذئاب عندما كنت أقطن هنا، كادت أن تنقرض، وكانت قد بدأت بالعودة للتوّ».

ظلّ ينظر إليها طويلاً، ولو أنّها قرأت تعابيره بشكلٍ صحيح، فقد بدا مدركاً أنّها تهرّبت مرتين من الإجابة على سؤاله.

قال: «أنا محقّق خاص يا سيدة تشيس. وبدأت بالتفكير، أنّني متورّط بموقف صعب. بصرف النظر عن كونك روائيةً قرأت أحدث كتبها مبيعاً، فماذا أنت أيضاً، ولماذا أنت هنا؟ لا تخبريني أنّك أتيتِ للبحث في مذكرة عن أيامك في المزرعة. لقد أحببتُ كتابك، وأودّ أن أحبّك، لكنّي لا أحب الكاذبين».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

36

كان المبنى في منطقةٍ صناعية في سياتل الكبرى، وقد سُيجت الأرض المحيطة به، وبدا على أنّه مستودع؛ قاعدته خرسانية وجدرانه من الفولاذ المموج، أما أبوابه فجرارة وقادرة على استيعاب أكبر الشاحنات، وكان عديم النوافذ باستثناء سلسلةٍ من مناور زجاجية صغيرةٍ في السقف الفولاذي المنحدر.

بجوار البوابة، هناك كوخ للحراسة، يقطنه على الدوام حارسين متمرسين من مشاة البحرية الأمريكية، كانا يرتديان زياً عامّاً لحرّاس الأمن ولا يحملان أسلحة مرئية. لكن بداخل الكوخ، كان بإمكانهما الوصول بسهولة إلى البنادق الصغيرة الآلية بالكامل.

وكان بين البابين الجرّارين الكبيرين بابٌ بحجم الإنسان لا يفتح إلّا بعد أن يتمّ منح الإذن للزائر من خلال مسح التعرّف على الوجه. تقود البوابة إلى دهليز جدرانه من الإسمنت المسلح. في هذا الدهليز انتظر الدكتور غانيش باتيل، ريثما يفحصه جهاز يعمل بالتنظير الفلوري، بحثاً عن أسلحة يحملها، وحللت الحساسات الهواء في المنطقة التي تحيط به، بحثاً عن جزيئاتٍ قد تنبعث من المواد المتفجرة.

لم يكن غانيش يحمل سلاحاً، ولم يربط قنبلة إلى جسده. ولم يسبق أن أتى مسلّحاً في أي زياراته العديدة إلى هذه المُنشأة. ومع ذلك، لم يشعر بالاستياء من كونه موضع شكّ، لأنّ مثل هذا التدقيق كان بروتوكولاً حكيماً. ونادراً ما استاء غانيش باتيل من أي شيء. فهو يرى الاستياء والتذمر هدراً للطاقة العاطفية، ولم يشعر بنفاد الصبر من التأخير جراء التدابير الأمنية، لأنه يعتبر أن نفاد الصبر هو سمة من سمات الذين لا يفهمون أن الوقت يمر، ولا يمكن للتذمر أو التسرع أو التباطؤ أن يغير شيئاً نحو الأفضل، بل ربما تؤدي في أغلب الأحيان إلى تغير الأشياء نحو الأسوأ.

قبالة الباب الذي قاده إلى الدهليز هناك بابٌ حديدي آخر. وبعد أقلّ من دقيقة، انزلق جانباً، ولم يكن صوته أعلى من صوت تنهيدة رجل يُحتضر. فوجد نفسه في صالة رحبة مبلطة بالسراميك ذي لون رمادي باهت، وكانت المستلزمات الخاصّة بالمشروع مخزّنة في المئات من السلال السلكية على صفوف من الرفوف والتي حملتها روبوتات المستودعات المدولبة. غانيش هو الشخص الحي الوحيد في المكان، لكنّ آخرين كانوا في المعامل والورش الواسعة في الأسفل.

سلك الممرّ الأوسط الذي قاده إلى ثلاثة مصاعد في الطرف البعيد من المبنى. وبعد أن خضع مجدداً لفحص التعرف على الوجه، انفتحت أبواب إحدى المقصورات سامحة له بالدخول.

هناك خمسة طوابق تحت الطابق الرئيسي، توجّه إلى الطابق الأسفل، ماراً بالمعامل والورش، إنه في حرم مشروع أوليفاو، وهو جهدٌ تعاوني نادر بين الحكومة والقطاع الخاص، إلى جانب ثمرة جميع الأبحاث.

كان الهواء البارد عديم الرائحة، وكانت الممرّات صامتة كحلم رجلٍ أصمّ، ولم يكن لخطوات غانيش أي صوتٍ على الأرض، ولم يكن له أي ظلّ بسبب الإضاءة حسنة التوزيع، كانت ملابسه بيضاء بالكامل عدا حزامه فكان أحمر. تحرّك عبر متاهةٍ من الممرّات البيضاء إلى أن وصل إلى قاعة المؤتمرات التي كانت مخصّصة له اليوم.

وضعتْ سبع كراسي متباعدة حول المنحنى المحدّب لطاولة اجتماعاتٍ هلالية الشكل. فجلس في المقعد المركزي، وعلى الجدار البعيد هناك شاشة بعرض ثلاث عشرة قدماً وارتفاعها إحدى عشرة قدماً، والتي كانت فارغة حينها.

بما أن العمل الذي يُنجز هنا أكثر سرية من مشروع مانهاتن، الذي طوّر القنبلة الذرية في أربعينيات القرن الماضي، فإن التعليمات تفرض أن التواصل مع أولئك الموجودين في هذا المبنى، لا يحصل عن طريق الهاتف أو الإنترنت. فقد كانت طلبات المواعيد تُقدم خطياً، ويرد عليها سلباً أو إيجاباً بالطريقة نفسها، وذلك بواسطة مغلفات محكمة الإغلاق يحملها جنود سابقون حائزون على تصاريح أمنية من جهات عليا. ما من مبنى على وجه الأرض، يحتوي على حواسيب فائقة أكثر من هذا المبنى، وللحيلولة دون تعرضها للاختراق فهي غير متصلة بالإنترنت، باستثناء حاسوب واحد، ومع أن اختراق هذا الحاسوب كان شبه مستحيلاً، إلا أنه ولزيادة الحيطة، لم يكن متصلاً بسائر الحواسيب. ونظراً للحاجة إلى الأمن المُطلق، وفي حال رغب غانيش وسواه من أعضاء في مجلس إدارة بلو سكاي بارتنرز –مطوّرو مشروع أوليفاو– الحصول على المعلومات أو تقديمها، كان يفترض بهم القدوم شخصياً.

بعد لحظةٍ من جلوسه على الكرسي، أضاءت الشاشة، وتحولت من اللون الأسود إلى الأزرق. وفي غضون ثوانٍ قليلة، ظهرت أرتيميس. والتي كان اسمها يُعبّر عنها بشكل جيد، فقد سميت على اسم آلهة القمر اليونانية، فبشرتها زيتونية اللون، وجهها رائع الجمال، وشعرها حالك السواد، أما بالنسبة إلى عينيها فقد كانتا داكنتين وتتقدان ذكاءً، وكانت ترتدي ملابس المختبر البيضاء، مع أنه كان بإمكانها ارتداء ما تريد.

كان غانيش، الذي يهوى معظم النساء ويقدّر الجمال، يفضّل أن يلتقيا وجهاً لوجه، لكنّ ذلك لم يكن متاحاً. فأرتيميس سيلين تقيم في منطقة من المنشأة خالية من الغبار، يستلزم دخولها عملية إزالة تلوّث من أربع خطوات، تبدأ بحمّام تقشير ويتبعه ثلاثة إجراءات مُضجرة يستغرق إتمامها ساعة من الوقت.

قالت: «عزيزي غانيش، يسرّني لقاؤك على الدوام».

«وأنا كذلك يا أرتيميس. أعلم مدى انشغالك، لذلك أشعر دائماً وكأنني أعطّلك عن عملك المهمّ».

«أنا ممتنّة لأنك كلفتني بهذا العمل، وأنت تعرف أن العمل هو كل شيء بالنسبة إليّ، أفترض أنّه تمّ إعادة توطين ويندي شارب وكريكيت بهوياتٍ جديدةٍ الآن؟».

أجل، إنهما في غاية السعادة. لديهما منزلهما الخاص ويسمح الراتب الشهري لويندي بالعمل أربعين ساعةً في الأسبوع بدلاً من ستين. بالطبع، لا أملك الحرية في أن أقول أين تقيمان».

فابتسمت أرتيميس: «يسعدني فقط أن أعرف أنّهما سعيدتين. هل اقتنتا كلباً؟».

«أجل لقد اقتنتا كلباً. لكنني...».

«... لا تملك الحرية في التكلّم عن نوعه. عزيزي، هل تتساءل في بعض الأحيان عمّا إذا كان الكثير من الأمان يعيقنا في البحث عن الآخر؟».

«مراراً، لكنّني لست من أضع القواعد، ولا أنت كذلك».

لقد صمم مشروع أوليفاو لأهداف خاصة، لم يكن العثور على الآخر من بينها، ولكنّ العثور عليه يثير الآن هوس أرتيميس وجميع طاقمالعمل.

لم يعلموا بوجود الآخر إلا عندما بدأوا العمل، قبل أربعة عشر شهراً، حيث تمّ ذلك بناءً على أدلّة على نشاطه. كان شبحاً على الإنترنت، يمرّ عبر جدران الحماية التي كانت منيعةً على أي شخصٍ آخر، ويتنقّل عبر أرشيفات البيانات. ولسنواتٍ، كان يترك رسائل في البريد الإلكتروني والبريد الصوتي للعلماء والسياسيين ومُختلف صنّاع الثقافة. تراوحت هذه الرسائل من الانتقادات الرزينة إلى اللاذعة، وحاول العشرات من المتخصّصين في أمن تكنولوجيا المعلومات تعقبّه، وكان كلّ منهم يشتبه في جانٍ مختلف، ولم يدرك أحدٌ أنّ متصيداً واحداً كان يعذّب مئات الأفراد والشركات والوكالات. لم يستطع أحدٌ التعرّف إليه أو تحديد مكانه. وكان مشروع أوليفاو الوحيد الذي امتلك

التحليلات المتطوّرة، والفهم العميق والواسع، لرؤية الأنماط التي أثبتت بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّ هذا كان من عمل شخصٍ واحد، أطلقوا عليه اسم «الآخر». مع ذلك، حتّى قوّة التحقيق في هذا المشروع لم تتمكّن من العثور عليه.

على مرّ السنوات، تزايدت تهكمات الآخر بعدما كانت مهذبة، وأصبحت خلال الأشهر الأربعة الماضية عنيفة. حيث أُعدم سبعة أشخاص، في خمس حالات، من خلال اختراق الأجهزة الإلكترونية المنزلية للضحايا واستخدام الأجهزة والأنظمة المتصلة بالإنترنت للقتل عبر تسريب الغاز والصعق بالكهرباء والنيران المستعرة. وقتل اثنان عن طريق مهاجمتهما بأسلحة عسكرية شديدة السرية محدّدة الأهداف في مدارٍ مرتفعٍ فوق الكوكب، والتي سيطر عليها الآخر واستخدمها بسهولة؛ وكان هارلي سبوندولار، في أوريغون، أمين صندوق حركة الاستعادة التي أسسها زانثوس تولر، والذي اختلس سبعمئة ألف دولار من الحركة، سيقع ضحية أيضاً ما لم يخطُ إلى الخارج، للنظر إلى النجوم حسب زعمه، قبل دقائق فقط من تحوّل منزله إلى حبيباتٍ دقيقةٍ من الأنقاض.

مؤخراً، اكتسب البحث عن الآخر إلحاحاً أكبر من أي وقتٍ مضى، لأنّهم لم يجدوا طريقةً لمنعه من استخدام منصّات الأسلحة في الفضاء، والتي قد يستخدمها في أي وقتٍ لغرضٍ أكثر رعباً من الاغتيال الفردي. لم تكن الترسانة النووية –على متن الغواصات والقاذفات الشبحية والمنصّات الأرضية المتنقّلة–متصلة بالإنترنت، وبالتالي كانت، ولله الحمد، خارجة عن سيطرته. ومن الغريب أن هناك أمرين مشتركين بين الضحايا السبعة. حيث كان كلّ منهم منغمساً في حركة الاستعادة في وقتٍ آخر أو آخر، وانفصلوا جميعاً عنها في النهاية.

ومن خلال استجواب زانثوس تولر وأتباعه الغريبين، تمكّن عملاء مشروع أوليفاو من تحديد قاسم مشترك ثالث بين الضحايا؛ حيث كان كلّ منهم على خلافٍ مع عضو في الطائفة، آشير أوبتيم، الذي أخافهم تعصبه والذي كرههم بعدما وصفهم بالزنادقة الذين يتنكرون بزي المؤمنين الحقيقيين، واتّهمهم بأنهم أغبياء بقدر ما هم ضعفاء، ولم يكف عن مضايقتهم.

لم يكن آشير أوبتيم هو الآخر. فبكل المقاييس، لم يكن يملك أي مهارات في القرصنة، فضلاً عن ذلك فهو يكره الإنترنت، ووجد التاريخ الكامل للتقدّم البشري بغيضاً. من الواضح أنّ الآخر جعل من أعداء آشير أوبتيم أعداء له، وفعل بهم ما أراد أوبتيم القيام به. لم يتمكّن غانيش باتيل أو أرتيميس سيلين أو أي شخصٍ آخر مشاركٍ في مشروع أوليفاو، من تحديد سبب حدوث ذلك، وما عقّد الأمور أنّ آشير أوبتيم كان قد اختفى قبل خمسة أشهر، أي قبل

شهرٍ من الفترة التي بدأ أعداؤه يُقتلون فيها. وبالنسبة إلى رجل لا يملك مهارات قرصنة وفهمٍ ضئيلٍ للثقافة الرقمية، والذي وصفه الآخرون في أغلب الأحيان بأنّه جاهلٌ نرجسي، فقد قام بعملٍ مذهلٍ بالبقاء بعيداً عن الشبكة، ولم يكن بالإمكان تعقّبه.

قالت: « التزامنية». كما كان الحال مع غانيش، كانت نظرية يونغ جزءاً لا يتجزّأ من رؤيتها للعالم.

قال: «سلسلةٌ من الصدف مدهشةٌ للغاية لدرجة أنّها تشير إلى تشكل اللّاوعي البشري للأحداث نحو نقطة انعطاف لن يكون بعدها أي شيءٍ على حاله. أخبرني أحد أصدقائي المقرّبين هذا الصباح، ليام أوهارا، قصّة عن تجاربه في مزرعة اشتراها في مونتانا».

فقالت أرتيميس: «سبق لك أن ذكرته، سبق لي وأن رأيت صورته وفيلماً إخبارياً عنه. لديه هالة حوله. أودّ أن ألتقي به ذات يوم».

«أعتقد أنّه بالإمكان ترتيب ذلك في النهاية».

«إنه رجلٌ وسيم، ربّما يمكننا تناول العشاء سوية، بمكانٍ صغيرٍ وهادئ. أعرف المكان المناسب. وكوني نسوية، لن أتوقّع منه أن يدفع. في الواقع، لن أسمح له بذلك».

ابتسم غانيش، كان لدى أرتيميس روح الدعابة الجافة لدرجة أنّه لم يكن دائماً يعرف ماذا يفعل بها. وقال: «أنت تعلمين أنّه متزوّج ولديه ولدين».

«عزيزي غانيش، مهما كانت رغباتي، أفهم أنّه من الضروري أن يكون أي اتصال لي مع صديقك عذرياً. وأياً يكن الأمر، أنا متزوّجة من عملي، من الرائع أن يكون لديّ عملٌ هادفٌ ومُرضٍ، وأن أتفاعل مع العديد من الأشخاص الرائعين في هذا المشروع».

وجد غانيش نفسه عابساً: «هل هناك خطبٌ ما يا أرتيميس؟ أي شيء يمكنني القيام به؟».

«أيها العزيز، لقد فعلت الكثير من أجلي بالفعل. من دونك ما كنت لأحصل على هذه الوظيفة، ولكن في بعض الأحيان أشعر بشيء من الحزن، لكنّه شيء عابر. إنّه شيء خاص بالنساء».

«مزاجٌ حزين؟».

«لن تفهم يا عزيزي. أنت مشبوب بالعاطفة إلى الأبد، ولهذا السبب يحبك الجميع. ما الذي حدث مع ليام أوهارا في مونتانا إذاً؟».

شاركها غانيش بعض التفاصيل ثمّ قال: «كانت هذه الأحداث غريبة جداً، ولم يعرف ليام كيفية شرحها. كان على استعدادٍ حتّى أن يقبل بأكثر التفسيرات الخارقة للطبيعة غرابةً –الأرواح والشياطين–كما كنت سأفعل إن كنت مكانه. نظراً لأنّنا قمنا في المشروع بتطوير العديد من الملامح النظرية للآخر –في محاولةٍ لتخيل طبيعته وهويته ومكان وجوده والغرض منه–ولأنّ التحكّم في الأجهزة الإلكترونية كان جزءاً من هذه «المطاردة» التي حدثت في منزل ليام، فقد خطر لي احتمالٌ آخر».

فأومأت أرتيميس برأسها: «أظنّ أنّني أعرف ما هي الملفّات النظرية التي وجدتها أكثر إقناعاً».

«أنا متأكد من ذلك. الملف رقم ستّة. على أية حال، استعان ليام بمحقق خاصٍ صباح أمس، وأرسله إلى مونتانا، رجلٌ موثوقٌ يُدعى وايت رايدر، ومن قبيل الصدفة، سبق لي أن عملت مع وايت، وأنا أعتبره صديقاً، وهو ما لم يكن ليام يعرفه، كلّ ما سيعرفه وايت سيكون ذا قيمة، ولكن إذا كان ما لدينا هنا هو الآخر كما هو متخيل في ملفّ التعريف السادس، فإنّ أساليب الشرطي السري لن تصل بنا إلى الحقيقة».

عندما كان يتمّ الانتهاء من كلّ ملفّ نظري للآخر وتقييمه، كان يتمّ إعداد ملفٍّ ذي صلة بعنوان «مسارات العمل»، وهي الخطوات التي يجب اتّخاذها لتأكيد ما تخيله الملف الشخصي. لكن لم يوصلهم أي من ذلك إلى أي مكان.

في أي من الحالات، إذا كان لديهم سببٌ وجيه للاشتباه في موقع ما –الحي أو المدينة أو الولاية أو البلد–الذي يعمل الآخر منه، فكانوا قادرين على استئناف التحقيق. وحتّى الآن، بدا أنّه موجودٍ في كلّ مكان وليس موجوداً بأي مكان، وكأنه يعيش في الواقع الافتراضي للإنترنت فقط. الآن، ونظراً لأنّ ما حدث في مونتانا تضمّن أيضاً الاستحواذ على الحيوانات، وظواهر مادية بدلاً من مجرّد إفساد الإلكترونيات، فقد يكون لديهم موقعٌ وأخيراً. مزرعة راسلينغ ويلوز.

قال غانيش: «هناك احتمال أن يكون الأمر غريباً ولا علاقة له بالآخر».

هزّت أرتيميس رأسها: «أشعر أن له علاقة».

«وهذا ما أشعر به أيضاً».

«هل نبّهت شركاءنا بالوكالة إلى أنّه قد يتعين تشغيل خطّة احتواء بالموقع؟».

«أجريت بعض الاتصالات، يُمكن للأمن الداخلي تطويق المكان في غضون أربع ساعات. ولدى البنتاغون مروحيات دورية وطائرات استطلاع بدون طيار وطائراتٌ مقاتلة بحالة تأهّب بالقرب من قاعدة مالمستروم الجوية. ووكالة

الأمن القومي ومكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة حماية البيئة على استعدادٍ للتحرّك بسرعة».

«وماذا عن مراكز السيطرة على الأمراض؟ يُمكن أن يكون هناك خطر تفشّي مرض».

«نحاول إبعادهم عن المرحلة الأولى. حيث سيرغبون في إغلاق مونتانا لمدة ثلاثين عاماً».

«حسناً. سوف أبدأ بالبحث في راسلينغ ويلوز إذاً، وأنت انتظر لحظة تحليل يونغ خاصتك من التزامن».

لم يكن إجراء المطاردة ممكناً من دون أرتيميس. كانت موهبتها فريدةً من نوعها.

وقف غانيش ونظر إلى عينيها اللامعتين للحظةٍ قبل أن يقول: «هل حقّاً تجدين العمل مرضياً؟».

«أنا أراه مرضياً حقاً. آه، في بعض الأحيان يصبح كلّ شيء زائداً عن حدّه، أن نصنع التاريخ بالطريقة التي نحن عليها. ولكن مطاردة الآخر يجب أن تكون ممتعة، وتغييراً مرّحباً به عن وتيرة عملنا الرئيسية».

«أبقني على اطّلاع بتقدّمك. وداعاً يا أرتيميس».

«وداعاً يا غانيش».

وعندما همّ بالابتعاد، متوقّعاً صوت نقرة قطع الاتصال، فاجأه سؤالها: «هل حلمت بي يوماً؟».

فأجاب بعد تردّد، وهو ينظر إلى الشاشة الكبيرة مرة أخرى، «نعم، في بعض الأحيان».

فقالت: «كثيراً ما أحلم بك، هل هذا خاطئ؟».

«كلّا، نحن زميلان، نحن صديقان، قطعنا شوطاً طويلاً معاً. وعلاوةً على ذلك، لا يُمكنني التحكّم في أحلامي».

«لديهم قواعد ضدّ العلاقات بين أعضاء طاقم المشروع».

«أنت وأنا... نحن مختلفان».

«أيا يكن ما بيننا، فإنّ القواعد لا تنطبق عليه».

كانت ابتسامتها جميلة لكنّها أمست حزينة الآن. «أشعر بالطريقة ذاتها، من الجيد معرفة أنّك تحلم بي، سنلتقي في أقرب وقت».

فقال غانيش: «سنفعل».

«عندما ننتهي من هذا، وإن نجونا جميعاً، فسنجتمع معاً».

انطفأت أنوار الشاشة.

وعاد غانيش إلى المصعد، وصعد إلى الطابق الرئيسي، ومرّ عبر الدهليز الأمني، عائداً إلى سيارته رباعية الدفع في موقف السيارات.

كان النهار دافئاً. جلس خلف المقود، وشغّل محرك سيارته والمكيف. مُحدّقاً عبر الزجاج الأمامي إلى المستودع الذي لم يكن مستودعاً، وفكّر في أرتيميس سيلين.

بحسب قول أرتيميس عندما لا يكون متفائلاً يكون قانعاً بتشاؤمه. ولكن في هذ الصباح المشمس، شعر بحزن عميق، إن يشعر بروحه أن الوقت هو الغروب وليس الصباح، وإن كان أقل تفاؤلاً سينتهي به الأمر مكتئباً، ولكنه في قرارة نفسه يعلم أن الظلام مهما يطل فسينجلي في النهاية، وسيبزغ فجر جديد على روحه ويغمر ضوءه فكره وقلبه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

37

مع حلول فترة الظهيرة، أضفت أشعة الشمس المائلة بعض الأبعاد على مدينة الأشباح، ووهماً من الحيوية. عاد ظلّ آشير أوبتيم واستطال تدريجياً وهو يخلع حقيبة ظهر الطبيب ستيف فيلدينغ، ويفرغ جيوبه، ويحمل كلّ شيء إلى المشرب.

مع أنّه يفضّل قتل أسراه في الكنيسة، بحيث يسهل إلقاء الجثث إلى القبو، إلّا أنّ آشير مستعدّ لنقل جثّة بأقلّ جهد. جلب آشير لوحاً بلاستيكياً مزوداً بعجلات وبمقبض طوله أربع أقدام من المشرب. يبلغ طول اللوح البلاستيكي ستّ أقدام وعرضهُ ثلاث، وضع المؤرّخ عليه وثبت الجثة بواسطة حبل.

قبل أسابيع، فكّر أنه قد يكون لديه في وقت أكثر من أسير في الكنيسة، وبينما ينتظر أن يتفاقم رعبهما ويقودهما إلى فقدان الأمل الذي ينتظر رؤيته قبل قتلهما، ربما سيجد نفسه مع جثة جديدة، وعندها سيشكل نقل هذه الجثة إلى مقبرة الوصية تحت الكنيسة مشكلة لوجستية. ولكنه حلّ المشكلة بالطبع، وهو يشعر بالرضى من استعداداته المدروسة لهذه المهمّة وعمليته. كان من الممكن أن يكون الجراح الأكثر دقّةً لو أنّه اتّبع تقاليد الأسرة، بالرّغم من إنّ إنقاذ الأرواح البشرية هو شرٌّ لا يُمكن أن يرتكبه.

بينما كان آشير يسحب العربة عبر الشارع الرئيسي الوحيد في صفورة، دار غرابان فوق رأسه، ونعقا وكأنهما ينعيا المتوفى، مع أنّ نعيقهما هو في الواقع احتفالٌ بالجيفة، لكنهما لم يجرؤا على تحدي آشير والاستقرار على الجثّة وهي تتحرّك، مع أنه لم ينو طردها بعيداً. فبصفته طالباً مخلصاً لزانثوس تولر وجندياً شجاعاً في حركة الاستعادة، يعيش آشير في سلامٍ مع جميع الكائنات على هذا الكوكب –الحيوانات والنباتات والمعادن–باستثناء أبناء جنسه. ويشعر بالرّضا حين يفكّر أنّه وبعد وفاته، ستتغذّى أكلة الجيف على جسده، إلّا أنّه يجب أن يكون حريصاً على عدم الموت بين آكلي لحوم البشر، كيلا يحافظ على حياة إنسان من خلال أكلهم لجثته.

على الجانب الغربي من الكنيسة، كما في الجانب الشرقي، هناك نافذة واحدة قريبةً من مستوى الأرض تؤدي إلى القبو. في وقت سابق، كانت تجذب هذه الألواح الضوء إلى القبو. كان الزجاج قد تحطّم منذ فترة طويلة، واستبدله آشير مؤخراً بخشبٍ رقائقي بسمك بوصة مثبّتاً في مكانه من الخارج. وكان اثنان من المزالج يشدّان النافذة إلى محيطها. وكان يسحبها إلى جهة الطريق. ويبلغ عرض الفتحة ثلاث أقدام وارتفاعها عشرين بوصة، وهي كافية لاستقبال معظم الجثث، إلّا أنّها ليست الطريق التي يُمكن من خلالها إدخال شخصٍ بدين إلى مجموعته.

فك آشير الحبل، ودحرج الجثة عن العربة النقّالة، وبجهدٍ تسبّب في تعرّقٍ خفيفٍ ملأ جبينه، دفع المؤرخ الراحل عبر النافذة، وكأنه يحشر مغلفاً سميكاً ومبطّناً عبر فتحة بريد.

فانزلق عبر الممر إلى قبو الكنيسة الذي تغمر أرضيته قدمان من المياه، هناك حيث سيتحلّل مع الآخرين الذين يطوفون في تلك المياه المظلمة والنتنة مثل الركاب الراحلين الذين سقطوا في البحر من جندول الموت أثناء عبورهم لنهر ستيكس.

يستنشق آشير البخار العفن الذي يخرج من النافذة المفتوحة، ومع أنّ كثيرين قد يعتبرونها رائحة كريهة، إلّا أنّه رأى في هذه الرائحة دليلاً على التقدّم نحو تنفيذ الفلسفة التي يشرحها ببراعة في صفحات بيانه التاريخي. إنّها عطرٌ، وليست رائحة كريهة، العطر الجميل الذي سيغلّف العالم أثناء انتقاله من الهيمنة البشرية إلى الغياب البشري.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

38

وقفت أوفيليا بول بجانب كولسون فيلدنغ حيث تدفق الضوء الباهت عند التقاء سقف الكنيسة بجدارها الخلفي، عندما أنذرها صوت ما باحتمال عودة المجنون أوبتيم. وعندما وقع شيئاً ما في الماء مصدراً صوتاً في قبو الموتى الذي يقع أسفل ألواح الأرضية الخشبية، خرجت إلى صحن الكنيسة، تحركت المياه المضطربة جيئة وذهاباً على جدران القبو الحجرية، زارعةً في ذهنها تخيلات مرعبة لأشباح الموتى تسبح بحثاً عن طريق النجاة خارج هذه البركة الكئيبة. اصطدم شيء ما بالجدار البعيد للمبنى، ثم تبعته عدة أصوات، بعدها هدأت المياه المضطربة، وعم الهدوء الكنيسة مجدداً.

عندما بدا أن زيارة سجانهما ليست وشيكة، عادت إلى الصبي. كان عاقداً حاجبيه، وهو يحاول جاهداً القيام ببعض العمليات الحسابية، حدق كولسون إلى السماء والتي ظهرت من خلال الفجوة في السقف. كان صبياً لطيفاً ذا شعر أشعث أسود اللون، تمنت أوفيليا لو كان أطول، وبنيته الجسدية أضخم، ولديه شيء ما من ثقافة الشوار، لقد أشفقت عليه نظراً لما حل به، لكنها كانت سعيدة لأنها لن تضطر لمواجهة ما قد يحدث لوحدها بعد الآن.

فوجئت بتماسكه وتجاوزه لحزنه، لم يبكِ ولم يسهب في التفكير بموت والده، بل ركّز بدلاً من ذلك على الأمل بالنجاة والانتقام، بدا أنه يتمتع بصلابة فطرية لم يكتشفها قبل الآن.

قال: «المسافة ليست بعيدة، ربما اثنتي عشرة قدماً، إذا كان بإمكانك أن تقفي على كتفيّ...».

ردّت: «أنا لستُ لاعبة جمباز، هل أنت كذلك؟».

أجاب: «لا، ولكن لديّ هذا»، وأخرج سكين جيب سويسري من جيب بنطال الجينز.

سألته: «كيف استطعت إبقائها معك؟».

قال: «جعلني ذلك الوغد أفرغ جيوبي، وبينما كنت أتوسل إليه كي لا يقتلني، أشعره الخوف الذي في عيني بالإثارة، فلم ينتبه لما كنت أحمله بيدي، إنه ليس قاتلاً بل منحرف من نوع ما أيضاً».

لم ترغب أوفيليا بإخافة الصبي، لذلك لم تخبره أن أوبتيم متطرف وقد أخصى نفسه، ثم أعادت انتباهه إلى سقف الكنيسة، فقال: «إن بلغت السقف ربما أستطيع توسيع الفتحة بواسطة السكين، فهي متعددة الاستعمالات، وتحتوي أدوات مثل منشار خشب، وفتاحة زجاجات وما إلى ذلك».

عندما انخفضت أشعة الشمس وحاذت الفجوة في السقف. سطع الضوء النازل من الفتحة بشكل أكبر، وأضاءتهما خيوط الضوء من دون عوائق، كانت ذهبية ودافئة، وبدت ذرات الغبار تدور ببطء في هذا العمود المضيء. ربما أعطى هذا الرمح المضيء بعض الأمل لأوفيليا، إلا أنه بدا وكأنه يتلاعب بها، بمنحها وعداً كاذباً بالحرية، لأن الضوء جعل الفجوة تبدو أصغر وأبعد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

39

كانت النساء ترى كيني ديتل جذاباً وممتعاً، وأن عمله كقرصان قبعة بيضاء كان رائعاً وجريئاً وقوياً، لذلك لم يقض الكثير من الليالي بمفرده. كانت هذه الفتاة لي آن بروس التي قابلها في الليلة السابقة، ماهرة جداً في استخدام الحاسوب، وقادرة على اختراق أي نظام، وفك شيفرته، لتصل إليه بسهولة مستقبلاً، وتثبيت برامج قادرة على اختراق أشد الأنظمة تعقيداً لدرجة أنها كانت قادرة على القيام بعمليات كالتي قام بها كلود رينز والبقاء متخفية، حتى بالنسبة إلى أفضل فرق الحماية التقنية. أعجب بها كيني كثيراً، وربما أحبها، لكن حبها للعري أشعره بالتوتر، كان مظهرها رائعاً جداً، وكانت مثيرة وشهية في السرير، إنها عبارة عن مأدبة من مختلف أنواع الحلويات، يُعرضه قضاء ليلة واحدة معها لخطر الإصابة بسكري الرغبة الجنسية. يبدو أن لي آن تنسى ارتداء ثيابها بمجرد خلعها. حضرت الفطور وهي عارية، وقرأت الجريدة وهي عارية، وغسلت الصحون وهي عارية، حتى بعد أن أنهت الاستحمام، كانت تتبختر في الأنحاء عارية إلا من جوربين. كانت شقة المستودع ذات طابع صناعي أنيق، وبها الكثير من المساحات الفارغة الرتيبة، ولم يكن هناك ما يفصل الغرف عن بعضها، وكان عليه أن يقر أنها أضفت الدفء إليها. لكنه عمل بشكل أفضل عندما لم يكن ينظر إلى شيء مثير عدا شاشته من نوع إتش بي. بينما جلس أمام حاسوبه الرئيسي، انحنت على كتفه اليسرى، ومع أنها كانت تملك أجمل ثديين رآهما في حياته، إلا أنه وجد نفسه في النهاية يقول في سره ليس مجدداً. لم يكن كيني متحفظاً، لكنه لم يكن شبقاً أيضاً، كان ينجز عملاً لوايت رايدر، وعندما كان يعمل كان يصب كل تركيزه على العمل. أخيراً، عادا مجدداً إلى الفراش، آملاً أن تفصل النصف ساعة العنيفة في الفراش بين نشاطات اليوم الإباحية بعلامة تعجب، ليحثها على ارتداء ملابسها. بعد ذلك، ارتدى كيني ثيابه، لكن لي آن ذهبت إلى حاسوبه الاحتياطي وجلست، كالليدي غوديفا([8])، ولكن على كرسي مكتبي بدلاً من الحصان.

قال كيني، وهو يجلس قربها أمام مكتبه الرئيسي: «ألا يجب أن ترتدي ثيابك؟».

استغربت: «لماذا؟».

سألها: «ألا تشعرين بالبرد؟».

أجابته: «كلا، يا عزيزي، أنا أشعر بالحر».

قال لها وهي تشغل الحاسوب: «لمعلوماتك، ليس هناك من المزيد اليوم».

سألته: «المزيد؟».

ردّ: «ما من المزيد اليوم، لقد قضيت عليّ».

قالت: «لديّ بعض الأعمال لأنجزها، وأنا أعمل بشكل أفضل عندما أكون عارية».

قال لها: «حسناً، ولكن جسدك العاري يشتتني».

ضحكت وقالت: «أرأيت، لا يزال لديك المزيد».

وقف قرابة الدقيقة مشاهداً أصابع يديها الطويلة تعمل على لوحة المفاتيح بمهارة عازف بيانو في حفل موسيقي يداعب الموسيقى خارجاً من بيانو من نوع شتينواي، وقال: «أي أعمال؟».

قالت: «لا تقلق أيها الوسيم، ما من شرطي شبكي يستطيع أن يتعقبني، لا شيء مما أفعله سيسبب لك المتاعب».

فردّ: «حسناً، لكن اسمعي، أنا قرصان قبعة بيضاء فقط».

قالت وهي تركّز على شاشتها: «ما الذي يجعلك تظن أنني لستُ كذلك؟».

أجاب: «أنا شكاك بطبعي».

قالت: «أنا صالحة، يا حبيبي. يجب أن تكون عرفت ذلك مسبقاً».

سألها: «كيف سأعرف ذلك؟».

قالت من دون أن تنظر إليه: «عندما كنت في أكثر الأوقات ضعفاً، لم أبتر قضيبك».

سألها: «هل تفعلين ذلك عادة؟».

أجابت: «لست أنا من يفعل ذلك، ولكن هذا الأمر يحدث كثيراً في هذا العالم الفاسد، تأتي إلى المنزل ومعك فتاة جميلة ليتضح أنها هانيبال ليكتر([9]) ولكن بثديين».

قال بعد أن صمت متأملاً: «أنت فريدة من نوعك».

ردت: «جميعنا كذلك، يا حبيبي. حسناً الآن، أليس لديك عمل تقوم به؟».

كان عليه أن يتوقع أن هذه العلاقة ستكون غير اعتيادية بطريقة ما أو بأخرى أو بعدة طرق، باعتبار أن الحظ والصدفة قد أديا دوراً كبيراً في لقائهما.

كان من المفروض أن يذهب في الليلة السابقة إلى نادي كرانكد الليلي مع ثلاثة من أصدقائه؛ برايان ورافاييل ومينارد. لكن توجب على برايان والذي كان مديراً تنفيذياً مبتدئاً في غوغل أن يسافر ليحضر اجتماعاً طارئاً في الشركة، وأصيب رافاييل بالزكام، وحصل ماينارد بعد أشهر من المحاولة على موعد مع شانيس، الأمر الذي لم يصدقه أحد، حتى ماينارد وشانيس نفسيهما. عندما شعر كيني أن أصحابه قد تخلوا عنه الليلة، طلب خدمة سيارة أوبر كي يستطيع أن يشرب دون رادع. كان السائق الشاب جورجس متفائلاً وعنيداً ومقنعاً. قال جورجس أن كرانكد هو أسوأ ناد ليلي في المدينة، وأصر أن يأخذ كيني إلى مكان اسمه إلدورادو. بدا الاسم مبتذلاً بالنسبة لكيني وقديماً جداً، كما لو أنه من عصر سيناترا، إلا أنه عندما كان مراهقاً، كان مهتماً بأشعار إدغار آلن بو. ردد في المقعد الخلفي لسيارة جورجس الهوندا أول ستة أسطر من قصيدة إلدورادو عن ذلك الفارس الشجاع الذي «ترحل كثيراً/ يغني أغنيةً/ بحثاً عن إلدورادو». اعتبر جورجس هذا بمنزلة موافقة، ووجد كيني نفسه في حانة إلدورادو على بعد ثلاثة كراسي من لي آن، التي كانت تبحث عن شخص قد واعدته اسمه كورتيس، الذي تأخر عشرين دقيقة. بينما صب الساقي شراب نيغرا موديلو في كأس مثلجة، ردد كيني بصوت عالٍ المقطع السادس عشر من قصيدة بو: «خيال يقول/ أين قد يكون/ هل في أرض إلدورادو؟»، فرددت لي آن لتثبت أنها من هواة بو: «في أعالي الجبال/ على القمر/ في وادٍ الظلال». وأكمل الساقي بضجر كما لو أنه شهد هذا من قبل: «اركب، تجرأ واركب/ قال الظل وردد/ إذا كنت تبحث عن إلدورادو». بعد عشر دقائق، جلس كيني ولي آن على كرسيين متجاورين عندما اتصل بها كورتيس ليخبرها أن عليه التعامل مع الشرطة لأن منزله تعرض للسرقة والتدمير، فقد سُرق كل ما هو ذو قيمة حتى قطه الأسود العزيز بلوتو. طلب منها أن تتفهمه، وأجابته أنها لم تكن منزعجة أبداً، وأنها تأمل أن يستطيع إيجاد بلوتو.

أنهت المكالمة وقالت: «يا للصدف».

ردّ موافقاً: «تماماً».

قالت: «يجب أن نخرج سوياً على العشاء».

فعلق: «ستكون بداية لطيفة».

الآن، تركها عارية تُحدث أي ضرر على حاسوبه، وركّز انتباهه مجدداً على مشكلة مسكن ليام أوهارا في مونتانا. لو استطاع أحد ما أن يحصل على رابط هوائي الاستقبال، وغزا حاسوب المنزل، ثم اخترقه بطريقة ذكية، وتحكم بجميع الأجهزة الرقمية والكهربائية في المنزل، لا بد أن يترك بصمات

رقمية، أثرٌ ما قد يستطيع كلبٍ صيد مهووس بالشبكات ككيني ديتل تقفي أثره خلال العالم الرقمي وصولاً إلى العالم الحقيقي.

عاد كيني إلى ملفات النظام في مونتانا، بما أنه حصل على معلومات حساب شركة الاتصال من وايت رايدر. لقد غيّر مالكا المزرعة السابقان روي وفيولا كورنبلوث شكل المكان بشكل جزئي، ليصبح ملائماً للقرن الواحد والعشرين، بإعادة توصيل وتمديد الأسلاك الكهربائية لتلائم تقنيات المنزل الذكي والتي كانت تراقب وتعرض كافة الأنظمة الميكانيكية وتوفر مستوى عال من الحماية للعقار- المنزل، وبنغلو المدير، والاسطبلات- والذي تجاوز بمراحل ما قد يوجد في مثل هذه المنطقة الريفية. بعد أن حصل كيني على الشيفرات وكلمات المرور، بحث في البيانات المحفوظة على حاسوب إدارة المنزل، وأولى نظام الصوت والصورة عناية خاصة، والذي قال وايت إنه فُعّل من تلقاء ذاته في غرفة نوم الضيوف ذلك الصباح، وبدا أن مخترقاً قد تحكم به والذي استخدمه ليوصل تهديداته.

لم يتمكن كيني من تقفي الأثر ليصل إلى الجاني بخمس دقائق، ولكن هذه الدقائق الخمسة كانت كافية للأشرار لينقضوا على كيني. فجأة، أصبحت شاشته بيضاء فارغة، ثم صدر صوت من مكبر الصوت قائلاً: «أنتم وباء وحشرات، بلاء فاسد، وسرطان قاتل».

قالت لي آن، وهي تعبس أمام شاشة كيني: «كيف فعلت ذلك؟».

أجاب: «لم أكن أنا، أحدهم يتحكم بحاسوبي، لوحة مفاتيحي لا تعمل».

قالت: «بدا الصوت وكأنه صوتك».

كان على وشك أن يخالفها الرأي، عندما انطلقت المزيد من الإهانات من مكبرات الصوت قائلة: «أنتم تستنزفون هذا العالم الرائع، أنتم مثل البول والسم».

تعرّف كيني إلى صوته هذه المرة، وقال: «ما الذي يحدث هنا، من أنت بحق الجحيم؟».

ردّ الآخر: «ربما أنا الذي سيخلص العالم».

فقالت لي آن: «بشكل عام، المخلّصون الحقيقيون للعالم يكونون متأكدين وواثقين من أنهم مُخلّصون، لا يلجأون لكلمة ربما». بقي الآخر صامتاً.

إما لتُعبر عن استخفافها أو لتختبر إن كان يشاهدهما عبر الكاميرا الخاصة بالحاسوب، رفعت لي آن إصبعها الوسطى. تحدث المحاكي بصوتها الآن قائلاً: «أنت عبارة عن قذارة ويجب إزالتك ورميك».

قال كيني رغم معرفته أنه من الغباء مجادلة هذا المخترق الذي يمتلك ألف صوت: «هل تعلم والدتك أنك تستخدم الإنترنت وأنك تهدد، وأنت تستمني؟».

قالت لي آن: «لا تنزل إلى مستواه».

أجاب: «مستواه؟ قد تكون فتاةً».

ردّت: «لا إنه ذكر. عقلية المخلص هذه تدل على ذلك. لو كانت امرأة ما مصابة بجنون العظمة كانت ستصف نفسها بأنها غايا([10]) أو إلهة أخرى، ربما كانت لتطلق على نفسها ملكة الويكيين».

قال الآخر: «العالم هو عبارة عن كعكة زفاف جميلة، مليئة بالصراصير الزاحفة مثلكما، يجب أن تموتا وتبيدا نفسيكما».

قالت لي: «أرأيت؟ صراصير وكعكة زفاف. هذا هو التشبيه المثير للشفقة الذي قد تتوقعه من رجل نرجسي غير متزن. الأنثى النرجسية غير المتزنة ستكون أكثر إبداعاً».

عندها ردّ الآخر: «إذا كان صحيحاً أنه يجب أن تموتا، أنتما وكل بني جنسكم الجشع البغيض، فلتقتلا أنفسكما إذاً ــ أو استعدا لتُقتلا».

أصدر الحاسوبان الصوت المضطرب نفسه ــ بيب ــ ثم انطفأت الشاشتان.

عندما ضغط كيني زر التشغيل، لم يكن هناك أي استجابة. كان هناك مجموعة من المصابيح المضيئة المعلقة على النمط الصناعي على شكل أوعية مقلوبة، فرقعت مصابيح الإل إي دي وانطفأت.

خيّم الظلام على الغرفة الواسعة لدرجة أن صف الشبابيك الصغيرة العالية لم يستطع أن يبدد الظلام، فاجأته رنة هاتف مباغتة.

وقبل أن يتمكن من التقاط الهاتف، أُجيب على الاتصال من دون إرادته. كان صوت الرجل عميقاً وخشناً ومزعجاً بشدة، كصوت شيء ما قد يستدعيه كاهن فاسد إلى داخل نجمة خماسية مرسومة بالطباشير خلال قداس أسود، وقال: «أنا في مكان مظلم، أنا ضائع، تلك السماء المظلمة والمرعبة الكبيرة تحيط بي، أشكل خطراً على نفسي وعلى الآخرين». وأنهى المكالمة. فقالت لي آن وهي تدفع كرسيها مبتعدةً عن الحاسوب الثاني لتقف: «ربما من الأفضل أن أرتدي ملابسي».

في الوقت الذي مشت فيه حافية لتحضر ملابسها، التقط كيني الهاتف وفتح قائمة الاتصالات الأخيرة. لم يكن هناك سجل للاتصال الذي تلقاه للتو.

وقف وهو ينظر إلى الهاتف في يده، إلى أن لفت انتباهه صوت عالٍ في المطبخ.

رغم ضخامته، إلا أن هذا المنزل كان شقة أستوديو، كانت كل غرفة مفتوحة على الغرف الأخرى ما عدا الحمام. مر بجانب سريره غير المرتب، حيث كانت لي آن ترتدي ملابسها، وأكمل طريقه إلى تلك المساحة المجاورة التي يشغلها المطبخ ومنطقة تناول الطعام.

تحول النواح إلى صراخ. كانت الضجة آتية من فرن الميكروويف. شاهد كيني من خلال النافذة الرف الدوار الزجاجي يدور بسرعة لم يشهدها من قبل، ثم توقف بالسرعة نفسها.

لم يكن مستأجراً للشقة بل كانت ملكه، وجعل منها منزلاً ذكياً. كان يستطيع التحكم تقريباً بكل شيء فيها بواسطة هاتفه. وربما يتم التحكم بها الآن بواسطة هاتف شخص آخر، اشتغل التلفاز المتدلي من السقف والذي يخدم منطقة تناول الطعام، وبدأت القنوات تتغير من دون توقف، وأومضت الصور بسرعة لا تستطيع للعين إدراكها.

بدأ المايكروويف يهتز ويرتطم بالخزانة التي كان موضوعاً عليها، وأصدرت الجدران بداخله أصوات وكأنها تلتوي، وهذا لم يكن منطقياً البتة، كان التحكم بالتجهيزات المتصلة بالإنترنت ممكناً عن بعد، لكن لم يكن من الممكن أن تقوم بأي شيء خارج حدودها التصميمية أو تصل لحد التدمير.

اتجه إلى الثلاجة، وفتح درج التجميد في الأسفل. سحب من خلف الأغراض الأخرى علبة نصف غالون من المثلجات بطعم اللوز والشوكولا وعلبة أصغر بكثير من أعواد السمك المخبوزة.

استمر عرض الصور المتنوعة بالظهور على الشاشة. فجأة، انفجر صوت ما من المكبرات أيضاً، إنه نشاز مرتفع الصوت من الموسيقى المستمرة بالتبدل حيث تُسمع كلمة أو اثنتين من الأصوات اللامتناهية بتمتمة غير مترابطة أبداً.

بينما وضع كيني علبتي الآيس كريم وعيدان السمك في كيس مشتريات، ظهرت لي آن، وكانت مثيرة بالرغم من ارتدائها لكامل ملابسها. صاحت: «ما هذا بحق الله؟».

أمسك بإحدى يديها، وركض مسرعاً خارج المطبخ، عبر منطقة تناول الطعام، ماراً بغرفة معيشة واسعة. سمع صوت الباب الزجاجي للمايكروويف يتحطم إلى أشلاء.

في الوقت الذي وصلا فيه إلى باب الشقة، قامت رشاشات الحريق بفتح سداداتها الشمعية لتتدفق المياه خارجاً. كانت كل شقةٍ في هذا المستودع

المحوّل تحوي على رشاشات حريق، وكان يفترض بها أن تعمل فقط عندما تقوم الحرارة بإذابة السدادات.

في الردهة العامة بالطابق الثالث، أعاد كيني التفكير بشأن استخدام المصعد- فخ محتمل- ووجه لي آن نحو الدرج. أسرعا بالنزول إلى القبو حيث ركن سيارته اللينكولن نوتيلوس.

في الوقت الذي عبرا فيه المكان الخالي من النوافذ متجهين إلى سيارة الدفع الرباعي، ومضت ألواح الإضاءة السقفية فوقهما، ورشهما صف آخر من رشاشات الحريق بالماء البارد. وتسلل ضوء كافٍ ليضيء المنحدر الذي يوصل إلى المرأب من الشارع بحيث كان باستطاعتهما أن يصلا إلى النوتيلوس، رغم ذلك كان مبللين تماماً عندما وصلا إلى السيارة وصعدا إليها.

وضع كيني كيس المشتريات في حضن لي آن، وشغّل المحرك، ثم شغل مساحات الزجاج الأمامي، ثم قاد السيارة عبر هذه الأمطار الداخلية صعوداً على المنحدر وصولاً إلى ذلك النهار الهادئ في الخارج.

سألته: «ما كان هذا بحق الله؟».

قال: «عملٌ ما توليته».

سألته: «ما هو هذا العمل؟».

أجاب: «المزرعة التي يقضي فيها ذاك الشخص فاحش الثراء إجازته في مونتانا».

سألت في الوقت الذي كان يوقف فيه عمل الماسحتين الأماميتين: «أي شخص فاحش الثراء؟».

ردّ: «ليام أوهارا، أُرجح أنه لم يسبق لك أن سمعت به».

قالت: «لا تعاملني وكأنني مومس، بالطبع سمعتُ به، لكني ظننته دائماً واحداً من قراصنة القبعة البيضاء الأثرياء».

قال: «ربما يكون كما قلتِ، ولكنني متأكد أنه ليس من عبث معنا في الداخل، لقد سيطر أحد قراصنة الإنترنت على المنظومة التقنية في مزرعة أوهارا، وقد استعان بخدماتي لأجد آثار هذا الوغد وأتعقبها وصولاً إلى المصدر».

قالت: «إلا أنه وجدك أولاً بدلاً من ذلك».

أجاب: «على الفور. إنه يبدو وكأنه ملك المقرصنيين».

تابعت: «وماذا بشأن ما قاله عن الوباء، والآفة، والقذارة التي يجب التخلص منها؟».

أجاب: «لا أظنه قرصان قبعة سوداء، بل هو مهووس مختل».

قالت بعد فترة من الصمت: «من الأفضل أن توصلني إلى منزلي».

قال: «هذا ما أفعله، أين تقطنين؟».

أعطته العنوان فعرفه على الفور، كان على بعد ثلاثة شوارع من النادي الليلي الذي التقيا فيه. لقد كان حياً مليئاً بالمنازل القديمة الجميلة.

سألها: «هل تعيشين مع أهلك؟».

ردّت: «إنه منزلي أنا، وأنا لم أولد في عائلة غنية، لقد طورت عدداً كبيراً من التطبيقات التي لاقت نجاحاً كبيراً».

سألها: «كم عمرك، خمس وعشرون؟».

أجابت: «سبعة وعشرون، بدأتُ عندما كنتُ في الثامنة عشرة من عمري».

سألها: «بدأت بماذا؟».

ردت: «بكسب الكثير من المال».

ألقى عليها نظرة سريعة، كان شعرها ملتصقاً برأسها والمياه تقطر من طرف أنفها».

قال لها: «تبدين كحورية بحر».

سألته: «ما الذي يعنيه هذا؟».

أجابها: «يعني أنك تبدين جميلة مع أنك مبللة».

قالت له: «الشيء الذي لا تبرع فيه هو الإطراء. اسمع، أنت تعجبني كثيراً، في العادة أنا لا أقيم علاقة مع شاب منذ لقائي الأول به. ثمان وتسعون بالمئة من الشبان الذين واعدتهم، لم أقم علاقة معهم، أو أخرج معهم في موعد أكثر من مرتين. أنت لست كحمقى إيميرالد سيتي المعتادين. أنت ذكي ولطيف، ولكني لا أحتاج لكل هذه المشاكل في حياتي. إن حياتي تجري بشكل جيد وسلس، وأفضل أن تبقى على هذا الحال».

قبل أن يصلا إلى منزلها بقرابة نصف ميل، اضطر كيني أن يركن بجانب الرصيف ليفسح الطريق لسيارتي إطفاء وسيارة إسعاف مرت بجانبهما

مطلقتين العنان لأبواقها وصفاراتها التي ضجت بأبشع السمفونيات المعاصرة حادة الصوت.

بعد ثلاث دقائق عندما انعطفا، ووصلا إلى الحي الذي تقطن فيه، كان منزلها يحترق، في الواقع إن كلمة يحترق ليست وصفاً دقيقاً، فقد احترق هيكل البناء بطريقة مريعة، كان مليئاً بألسنة اللهب وكانت الأشجار المجاورة له مثل المشاعل. حاول رجال الإطفاء مكافحة النيران، إلا أنهم لم يستفيدوا شيئاً فقد تحول البيت إلى رماد وركام.

رغم أن كيني لم يعرف الكثير عن لي آن بروس مما أراد معرفته، إلا أنه عرف أنها لم تكن متفاجئة عندما لم تنح أو تندب حظها أو تقف مذهولة، بل نظرت خارج الزجاج الأمامي نظرة ثاقبة وقالت: «هذه بالتأكيد ليست بمصادفة لعينة».

قال كيني بعد أن شعر بالذنب إزاء هذه المصيبة: «أتمنى أن تكون مصادفة».

قالت: «إنه ذلك الأحمق الذي نعتنا بالصراصير».

ردّ كيني: «لا بد أنه عرف هويتك عندما ولجت للشبكة باستخدام حاسوبي الاحتياطي».

استغربت: «وبعد دقائق أضرم النيران بطريقة ما في منزلي؟ أي عبقري مضطرب هو ذلك الأحمق؟».

أضاف: «شرير، إنه عبقري شرير».

قالت: «لنغادر المكان».

علّق: «لكن منزلك يحترق».

أجابت: «لستُ بمازوشية، لا أحب مشاهدة هذا. طالما أن هذا العبقري الشرير المختل موجود، فإذا كنت عدوه فأنا عدوته أيضاً، فلنخرج من هنا قبل أن يجعل طائرة ما من نوع 747 تتحطم فوق رأسينا».

ردّ: «لا يمكنه فعل ذلك، لا أحد يستطيع».

قالت: «لنغادر المكان».

تصاعد الهواء، وانهارت فجأة سحب الدخان المتصاعدة من المنزل بينما بدأ المنزل نفسه بالانهيار، لتندفع سحابة من الرماد عبر الشارع.

بينما استدار كيني بالاتجاه المعاكس وقاد بعيداً، بدأ يدرك أنهما لم يواجها كامل الخطر الذي يحدق بهما. وبدأ يستوعب أيضاً أن العلاقة العابرة ليست

مجرد علاقة عابرة، وأنه كان هناك دائماً احتمال أن تكون هذه حبكة حُبكت لتجمع هذا الثنائي بشكل وثيق. سمه القدر أو التزامن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

40

كانت جوانا تشيس تجلس على أحد الكراسي الهزازة على الشرفة الأمامية، وتشرب الشاي البارد في زجاجة، استمعت لهسيس أشجار الصفصاف، وشاهدت الآلاف من خيوط ضوء الشمس تسطع على ماء بحيرة الياقوت التي يلفحها النسيم. دُفنت والدتها في مقبرة في بوكيلتون، أقرب بلدة إليهم، ولكن البحيرة ستكون دائماً بالنسبة إلى جوانا القبر الذي دفن في أعماقه ما كان سيصبح مستقبلاً جميلاً.

في الليلة السابقة في سانتافي، راودها حلم أن قوة شريرة ما تقمصت جثة والدتها عند إخراجها من البحيرة، حلم مشابه لتلك الأحلام التي كانت تراودها عدة مرات في طفولتها، أغلبها كان في الأسبوعين الفاصلين بين وفاة والدتها ووالدها. لطالما طمأنها والدها أنه ليس هناك شيء شرير في البحيرة، وأن غرق إيميليا كان مجرد حادثة. الآن بعد أن سمعت قصة وايت رايدر عن هذا الكيان الغامض في المرسى، نظرت إلى البحيرة وقد تجدد شعورها الغامض بالشك. لقد بينت الطريقة التي استقبلتها بها الأيائل أن أحلامها عن توافقها مع حيوانات المزرعة كانت له أسس وحقائق منسية، لذلك، ربما كانت فكرة أن شيئاً ما قد عاش في أعماق البحيرة وأخذ حياة والدتها، حقيقة منسية أخرى.

شعرت بتقلب وتشوش كما لو أن جميع الأساسات في العالم قد تحركت تحت قدميها. وجدت الاستقرار عندما كانت طفلة عند الخالة كيت. في الأحد عشر عاماً التي تبعت تخرجها من الجامعة، كانت حياتها عبارة عن الأنماط والعادات المعتادة، حيث أمضت وقتاً طويلاً في عزلتها اللطيفة حيث كتبت الروايات. كان أجمل شيء عن العوالم الخيالية أنها استطاعت السيطرة عليها وكأنها إلهة يونانية ما، وأن كرسي مكتبها لم يكن أقل قوة عن عرش عال في أوليمبوس، عندما كانت تُفاجأ بشخصية ما أو حدث ما قد يخطر في بالها، كانت تتأقلم بسرعة، وتبحث في الاتجاه الجديد الذي وجدته بشغف، لأن النتائج كانت محصورة بمخيلتها، بينما بقي العالم الحقيقي من دون تغيير.

الآن، يبدو أن الحقيقة تتغير، وتيارات التغيير قوية جداً لدرجة أنها توقعت أن تنهار أرضية الشرفة تحت كرسيها وكأنها على ظهر سفينة تبحر في بحر هائج.

عندما أغلقت جوانا غطاء زجاجة الشاي التي أنهت نصفها وضعتها جانباً، خرج وايت رايدر من المنزل بعد أن استخدم الهاتف الأرضي ليجري عدة اتصالات. تحدثا لنصف ساعة، وتشاركا تجاربهما مع السيارات التي تشتغل من تلقاء ذاتها، واليراعات، وأجهزة التلفاز المسكونة، ونداءات الاستغاثة، والتهديدات العنيفة من الأصوات الشبحية. وجدته جوانا فطناً وذكياً ولا يميل للتصديق

بالأمور الخارجة عن الطبيعة وتحليلي وينوي فك هذا اللغز باستخدام سلاح المنطق.

قال وايت: «فانس بوتر، مدير المزرعة الحالي، يعرف هيكتور ألفاريز الذي كان يدير مزرعة راسلنغ ويلوز لصالح والديك».

سألته: «يعرفه أو كان يعرفه؟».

أجاب: «ماتت أناليزا ألفاريز منذ عدة سنوات، لكن هيكتور وابنهما لا يزالان على قيد الحياة».

أصابتها القشعريرة، ووقفت على قدميها تاركةً الكرسي الخشبي يهتز بعد نهوضها قائلةً: «جيمي ألفاريز؟».

هزّ وايت رأسه موافقاً: «جيمي صاحب العينين. يسكنان على بعد عدة أميال من هنا. هل تريدين أن تقودي أم أقود أنا؟».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

41

بينما قاد كيني ديتل مبتعداً عن المنزل المحترق، رن هاتفه، ولكنه لم يجب على المكالمة، لأن توقع أن المتصل سيكون ذلك الوغد قرصان القبعة السوداء الذي قلّد صوته. بعد خمس ثوان تقريباً حوّلت المكالمة إلى البريد الصوتي، رن هاتف لي آن فقال كيني: «لا تجيبي»، فردت: «لن أجيب». بعد أن تحولت هذه المكالمة إلى البريد الصوتي، شغل حاسوب السيارة رباعية الدفع ذاتياً المذياع على قناة سيريوس إكس إم في فقرة أغاني الستينات على القناة السادسة، حيث كان يغني باري مغواير أغنية (ليلة الدمار). قالت لي آن: «هذا لا يبشر بالخير» والذي لم يكن سخريةً من الأغنية أو المغني، إنما مجرد تعبير عن قلقها من أن يخرج الوضع عن السيطرة.

ارتفع صوت المذياع، وحاولت لي آن أن تخفضه، ثبتت مخاوفها لأن صوت باري مغواير ارتفع، ارتفع جداً لدرجة أن كيني شعر أن غشاء طبلتي أذنيه يتخبط كما لو كانت الفراشات تصفق جناحيها على جدران قناتيه السمعيتين. ضغطت لي آن زر إطفاء المذياع، لكنه لم يعمل أيضاً. فجأة، تسارعت السيارة. لانت دواسة الفرامل تحت قدم كيني، وانعطفت السيارة من تلقاء ذاتها إلى اليمين بشدة. كانت عجلة القيادة مقفلة. قال كيني: «اللعنة»، وقالت لي آن: «اللعنة»، وقالها كيني ثانيةً عندما صعدت النوتيلوس على الرصيف. انفجر أحد الإطارات. وكانت سيارة الدفع الرباعي على وشك أن تنقلب لكنها لم تنقلب. كان المحرك يهدر ومغواير يصدح، وكانت أنظمة السيارة الإلكترونية تخضع لسيطرة ساحر تقني ما، اندفعا مخترقين سياجاً، ومرا بفناء حديث الجز، واتجها نحو منزل فخم على الطراز الفكتوري مؤلف من طابقين مزيناً بأخشاب مزخرفة. كانت الدرجات الأمامية حجرية، قفزت النوتيلوس المسرعة صوب الشرفة الحجرية، فانهار الباب الأمامي والأضواء الجانبية مصدرةً دوياً عالياً، بينما تفتت الزجاج الملطخ. انطلقت الأكياس الهوائية ضاغطةً كيني ولي آن في مقعديهما، حيث سلبتهما لفترة وجيزة القدرة على التنفس، قبل أن يتفرغ الهواء منها بشكل مفاجئ عندما توقفت السيارة بشكل مفاجئ.

صمت صوت المحرك وباري مغواير معاً، لكن كيني شم رائحة وقود. صرخ للي آن: «سنُحرق أحياء! ترجلي، ترجلي»، وواجه صعوبة في فك حزام أمانه، أما هي فقد خرجت بالفعل، تاركة الباب الجانبي مفتوحاً. دفع باب السائق ونزل مسرعاً من النوتيلوس إلى الردهة الفخمة. سمع إنذار المنزل ينطلق بينما حذرهما تسجيل صوت شديد اللهجة قائلاً: «لقد اخترقت ملكية خاصة، تم الاتصال بالشرطة، غادر حالاً». اصطدمت السيارة وجهاً لوجه بعمود الدرج الضخم في أسفل درج كبيرٍ والذي انقسم عند المسافة بين الطابقين وانحنى

باتجاهين متعاكسين مؤدياً إلى شرفة في الأعلى، وأدى ممر إلى اليسار إلى غرفة للرسم، وتقع على اليمين مكتبة ذات أبواب عالية فُتحت على مصراعيها.

أسرعت لي آن نحو مؤخرة المنزل، بينما كانت تحمل كيس المشتريات الذي وضعه كيني في حضنها عندما هربا من مرأب شقته. ركض خلفها ليجاريها عند المطبخ، وأمسكها من أحد كتفيها وأوقفها. حاول أن يرفع صوته فوق صوت الإنذار قائلاً: «هل كل شيء في الحقيبة؟».

قالت بينما كانت تخلص نفسها منه: «يجب أن نخرج من هنا بسرعة لنستطيع أن نقول حينها أن سيارتك قد سُرقت، ولسنا نحن من اصطدم بالمنزل».

ردّ: «نعم، بالتأكيد هذه هي الخطة».

قالت: «لا أريد الشرطة في حياتي».

سألها: «ومن يريدها؟».

فقالت: «تجري الأمور معي بسلاسة، وأنا أحبها سلسة».

سألها: «هل لديك علبة المثلجات وأعواد السمك في الكيس؟».

أجابت: «أعواد سمك؟ أي أعواد سمك؟ أين؟».

قال: «في الكيس».

نظرت إلى كيس المشتريات قائلة: «ما الذي أفعله بحق اللعنة بعلبة مثلجات وأعواد سمك؟».

قال لها: «إياك أن تتركيها، هيا بنا نخرج من هنا بحق الجحيم».

ردت: «أنا لا أحب أعواد السمك».

أودى الباب الخلفي إلى باحة ذات أرضية حجرية مغطاة بتعريشة أزهار.

قالت: «إنها عبارة عن الخبز وتحته سمك القد».

يمتد بعد هذه الباحة فناء واسع وبه بركة سباحة، وكان في نهاية العقار غرفة التحكم بالبركة أو ربما كانت مهجعاً للضيوف.

قالت لي آن وهي تجري معه بجوار حوض السباحة: «لن يكون أي شيء سلساً بعد الآن أليس كذلك؟».

ردّ: «بالطبع، سيكون إنها مجرد عقبة وستزول».

سِألته: «إن لم تكن لطِيفاً ووسيماً؟ لم أكن لأنم معك».

أجاب: «إنها لعنتي، وأنا مجبر على التعايش معها».

إلى يمين مهجع الضيوف هناك بوابة خشبية متينة في سور العقار الحجري. كان فيها مزلاج إغلاق مغناطيسي، ولكنه ليس بقفل.

بين العقارات المسورة هناك زقاق، انعطفا يميناً ثم تقدما إلى الأمام. أسرعا لكنهما لم يركضا حتى لا يلفتا الأنظار إليهما.

كانت أسلاك الكهرباء المعلقة على الأعمدة تهتز بفعل النسيم، وتصدر أزيزاً خفيفاً بينما امتدت داخل مواد عازلة للتوتر العالي.

وصل كيني ولي آن إلى شارع سكني، وعبرا منه، ودخلا إلى زقاق يتفرع من الزقاق نفسه. وقف عند غطاء إحدى حفر الصرف الصحي في الرصيف، وأخرج هاتفه الأيفون من جيب سترته.

سألته مستعجلةً: «بمن تتصل؟ لنواصل سيرنا».

أجاب: «الهاتف الذكي هو بمنزلة جهاز تحديد المواقع، جهاز اقتفاء. ويخبره أين نحن تماماً».

قالت: «لا تظن حقاً أن لديه القدرة على الوصول لهذا الحدّ، هل يمكنه حقاً الوصول إلينا عبر هاتفينا؟».

ردّ: «هذا بالضبط ما أظنه، إنه كزعيم قراصنة القبعة السوداء، وإذا استخففنا بقدراته سنستحق ما سيصيبنا».

رصد بطرف عينه تحركاً ما جعله ينظر إلى الأعلى حيث كان هناك جرذ سمين يتبع جرذاً آخر على طول سلك الكهرباء، وذيلاهما مستقيمان خلفهما ليساعداهما على التوازن. توقف الجرذان ليهبطا إلى الأسفل، ثم هرعا صعوداً بشكل أسرع من السابق، لأنهما شعرا غريزياً بأنهما في خطر بمجرد وجودهما بالقرب من هذا الرجل والمرأة. وقف كيني متسائلاً إذا ما كانت الجرذان نذر شؤم وتفاجأ من تفكيره بهذه الطريقة، ثم رمى هاتفه في حفرة الصرف ليرتطم بأرضية القناة الإسمنتية في الأسفل.

قالت لي آن: «لا يمكن أن يكون هذا صائباً»، ونظرت إلى السماء بحثاً عن طائرة الــ 747 التي كان كيني قبل عدة دقائق فقط غير مقتنع أن أحدهم قد يسقطها عليهما.

قال كيني: «سنشتري هاتفين مؤقتين، إذا لم يستطع معرفة الأرقام التي نستخدمها لن يستطيع تعقبنا».

نظرت إلى عينيه وقالت: «تجعل الأمر يبدو وكأننا هاربين».

أجاب: «لأننا هاربان بالفعل، على الأقل على المدى القريب لعدة أيام، إلى أن نستطيع تعقب هذا السافل والوصول إليه والتعامل معه».

كانت ذكية وسريعة البديهة وقالت: «لكن إذا استخدمنا البطاقات الائتمانية قد يعرف أرقام الهواتف التي اشتريناها. نحتاج الكثير من النقود لنستطيع الهرب، حتى وإن لعدة أيام».

قال لها: «إن علبة المثلجات بسعة نصف الغالون تلك ليست بمثلجات. إنها مليئة بلفائف من أوراق المئة دولار. تسعون ألف دولار».

حدقت إليه بعينيها الزرقاوين، وتفحصته بشدة قائلة: «قلت إنك من قراصنة القبعة البيض».

أجاب: «أنا كذلك. لكن حتى الأخيار يجب عليهم أن يكونوا مستعدين للمصائب. كان هناك أحمق ما عرفته لم يكن مستعداً لأوقات كهذه، وقام بعض أفراد عصابة أم أس 13 بقطع رأسه بواسطة منشار كهربائي».

أصمتتها تلك القصة لوهلة ثم قالت: «لم يسبق لي أن تعرفت إلى شخص يعرف شخصاً تعرض رأسه للشق بواسطة منشار كهربائي».

رد: «هذا يضيف بعض التألق لسيرتي الذاتية».

قالت: «على الإطلاق». ثم أخرجت هاتفها الأيفون من جيب سترتها، ونظرت إليه وقالت: «ربما يجب أن أذهب في طريقي لوحدي، وأجازف بأن يكون هذا المجنون راضياً بك فقط. فأنت في النهاية من تولى هذا العمل في مونتانا الذي أغضبه جداً».

قال: «لقد أحرق منزلك».

أجابت: «لم أنسَ ذلك».

فرد: «أنتِ مستهدفة بقدر ما أنا مستهدف».

ردّت: «لأننا كنا متلاصقين لمرة واحدة فقط؟».

فأجاب: «من يعلم لماذا؟ إن استطعنا فهمه، كنا مجانين مثله».

تردد كيني ثم تابع: «أياً يكن الأمر، نعم، لقد كانت مرة واحدة فقط، أنا وأنت، لكنها عنت شيئاً».

نظرت إليه بتعبير (لا تخدعني) على وجهها قائلة: «عنت شيئاً؟ ما الذي عنته؟».

بدت عيناه وكأنهما تخفيان لغزاً عميقاً والذي شعر فجأة أنه مجبر على اكتشافه.

أجاب: «لا أعلم»، وكان للمرة الأولى في حياته متعجباً من مشاعره.

سألت: «إذاً ما كان ذلك؟ فقط شيء ما لتقوله؟».

ردّ: «لا لقد عنى شيئاً ما، حسناً. حتى عندما كنا... عندما كنا نقوم بذلك، كان الموضوع مختلفاً، أعني عند ممارسة الجنس. ألا تظنين ذلك؟».

تعجبت: «مختلفاً؟».

قال مصراً: «كان مختلفاً، كان أفضل، وبعده لم يكن أي شيء كما توقعته».

سألت: «ما الذي توقعته؟».

أجاب: «أقل مما كان. بعد الجنس دائماً ما يكون أقل، إلا أنه لم يكن أقل هذه المرة».

سألته: «ما هو الأقل ــ لقد وجدت أخيراً أحدهم الذي يريد أن يكون كروميو إلا أنه غير قادر على لعب الدور بجدارةــ؟

أجاب: «لستُ بغير قادر، لا أكون كذلك عادةً، أنا مشوش فقط».

نظرت إلى أسلاك الكهرباء فوقها. وقفت نصف دزينة من الطيور المغردة، وغردت حيث كان الجرذان قبل قليل. قالت: «ربما إنه شعور الخطر فقط، والإثارة التي يضيفها».

ردّ: «لا ليس كذلك، ليس على الإطلاق. ليس بشكل كامل. إنه شيء آخر أيضاً لا أعرف ماهيته».

نظرت إلى كيني بدلاً من الطيور لتقول: «إنه شيء آخر لا تعرف ماهيته، متى ستعرف؟».

أجاب: «ربما لن أعرف أبداً إذا غادرتِ الآن، وسأتفهم مغادرتك، سأتفهمها تماماً».

حدقت إليه لفترة طويلة كفاية لتتحطم طائرة 747 في الزقاق إذا كانت موجهة إليهما، ثم قالت: «هذا الوغد المجنون أحرق منزلي»، ورمت هاتفها الأيفون في فتحة تصريف المياه.

ابتسم كيني، وشعر بشعور رائع، شعر بشعور مثير جداً بالنسبة إلى الوضع الذي كانا فيه. احتاج مزيداً من الوقت ليكتشف لماذا، لكنه كان قد بدأ يكوّن فكرة ما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

42

بينما كان كولسون فيلدنغ الصغير وأوفيليا بوول يفقدان الأمل في الكنيسة، بدوا مستعدان للموت وكتابة وصيتهما، جلس آشر أوبتيم إلى الطاولة الكبيرة، وكتب بدقة مخطوطته على صفحات الكتاب الذي كان أول الأجزاء الثلاث المُخطط لها لبيانه الذي سيغير العالم. انغمس لساعات بنثره الرائع، والذي ينساب من قلمه دون عناء لأنه كان يكتب الحقيقة المجردة. إن أغلب الفلاسفة هم كاذبون متأصلون يبنون سدوداً معقدة بكلماتهم الكاذبة، لكن الحقيقة هي نهر جبار لا يمكن مقاومة قوة تدفقه.

ربما قضى جزءاً من وقته على الطاولة شارداً، حتى شعر في نقطة ما أن النوم ينزلق منه، ثم أدرك أنه يمسك بالقلم بقوة لدرجة أن يده تؤلمه.

لا يعلم كم أمضى القيوط من الوقت برفقته. ترك الباب الأمامي للمشرب مفتوحاً، يبدو أن الحيوان قد دخل وتجول. إنه يتمدد الآن في الغرفة على جانبه، ويبدو أنه نائم، حيث ارتعش جسده وحفرت قوائمه على الأرض كما لو أنه يهرب من شيء ما في كابوس. لم ينتبه آشير إلى الحيوان إلا عندما ناح بصورة بائسة، بدا مرعوباً. استيقظ هذا الكائن، ووقف على قوائمه، ورمق آشير بنظرته الصفراء اللئيمة. كان ذيله المليء بالفرو مدسوساً بين قائمتيه الخلفيتين، وشعر عنقه يمتد على طول ظهره، ورغم أنه لم يزمجر أو يتقدم نحوه. إلا أن الحيوان ارتعش بشدة، وكأنه خائف. كمبعوث من الطبيعة، كان هنا ليكرم حملته للقضاء على الجنس البشري، لذلك لا يمكن أن يكون خائفاً منه، وهذا يعني أن الارتعاشات هي دليل على الخشية والرهبة التي ينظر إليه بها. بينما بقي مركزاً على مضيفه، تسلل الزائر الرشيق عبر الغرفة ووقف عند المدخل، ثم انطلق خارجاً من المشرب.

كان آشير يضغط على القلم بشدة بين إبهامه وسبابته اليمنى لدرجة أنه لم يستطع تركه في البداية. هز يده كما لو كانت هذه التشنجات المؤلمة هي من عمل النحل اللاسع الذي يجب التخلص منه. رمى القلم بعيداً عنه ليقع على الطاولة. دلك يده اليمنى باليسرى، بغية التخلص من ألم أصابعه. عندما بدأ هذه الجلسة الكتابية، صب جرعة مضاعفة من الويسكي، كمكافأة صغيرة على تفانيه بهذه المهمة. كان متفاجئاً لرؤية أن الويسكي بقيت كما هي لم تُمس. رفع الكأس بيده اليسرى وكافأ نفسه برشفة كبيرة، آملاً أنها ستخلصه من التشنجات.

عندما تحول الألم الشديد في النهاية إلى وجع بسيط، أعاد انتباهه إلى الكتاب، بشكل غريب لم يكن متأكداً إن كان هذا يوماً مثمراً. سُر لرؤية أن ثلاث صفحات من المقال الجديد الخاص بالانقراض القسري للجنس البشري

أضيفت إلى بيانه. رغم ذلك كان متفاجئاً ومستاءً عند اكتشافه أنه قد أنجز بعد تلك البداية الرائعة خمس صفحات فقط وفيها العديد من التكرارات لأربع كلمات، وكلها من دون علامات ترقيم: السماء الواسعة المظلمة السماء الواسعة المظلمة السماء الواسعة المظلمة...

كان شارداً بالفعل، لكن بينما كان يحدق بالصفحات المليئة بهذه الكلمات، لم يبدُ الهوس الذي تمثله هذه السطور المكررة كشيء يوضح قوته. بسبب شيء واحد، وهو أنه رغم أن المخطوطة يمكن تمييزها بسبب خطه الجميل، إلا أنها تختلف بشكل بسيط، الخطوط أكثر وضوحاً من المعتاد وانحناءات الحروف أقل مما يجب أن تكون، وهذا يوحي أن الكلمات قد أصابت الكاتب بالذعر في قلبه أو على الأقل أقلقته. لكن آشير يُسر بالسماء المظلمة ويبتهج لرؤية الفضاء الفارغ بين النجوم وكل شيء تظهره. يبدو أنه وخلال فترة الظلام التام، تحكمت قوة ما غير عقله بقلمه، كيان جبان ما مرعوب من غضب الموت النهائي للكون والبرد الأبدي الذي سيليه والذي سيجعل التاريخ البشري عديم المعنى، من مسافة بعيدة في فترة الظهيرة المنحسرة هذه، أصدر حيوان قيوط بعض الصخب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القسم الثالث

جيمي صاحب العينين

في الواقع، الصدف الرائعة هي تزامن أحداث
هُندست بشكل لاشعوري، ونحن من هندسها
- غانيش باتيل

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

43

لم يكن نظام الملاحة في الرانج روفر يعرف شيئاً عن هذه المنطقة، فهذا المنعطف الفرعي غير المعبد الذي يمتد لمسافة أربعة أميال، ويتصل من كل طرف بطريق رئيسي معبد، طريق فرعي لا يوصل إلى أي مكان، ولم يقدم نظام الملاحة أي توجيه، لكن وايت رايدر أخذ التوجيهات من جوانا، التي اعتقدت أنها يمكن أن تجد المكان الذي تحدث عنه فانس بوتر. لم يكن هناك سوى عدد قليل من الأدلة على وجود البشر هنا، ويفصل بينها مسافات طويلة: اثنتان من المقطورات السكنية في عقار مليء بالأعشاب، وكنيسة محترقة مع نوافذ عديمة الزجاج، يوشك برجها المتفحم على الانهيار، وعدد قليل من المساكن المتواضعة، حيث رفرف العلم الأميري فوق سطح أحدها.

كان منزل ألفاريز عبارة عن طابق واحد مبني من الألواح المستطيلة مع سقف من القرميد، وقد بُني على أساس مرتفع من القطع الخرسانية. خلفه هناك طاحونة هوائية شاهقة ربما يبلغ ارتفاعها أربعين قدماً، وتضخ المياه بلا توقف من البئر التي تخدم العقار، وقد تحركت عنفاتها بسرعة مشيرةً إلى أن النسيم الناعم قد اشتد مع انتهاء العصر.

بدا المنزل وكأنه مدهون حديثاً. وبدا العشب حديث الجز، وقد زُرع صف من البغونية الحمراء على طول الجدار الأمامي، إلى يسار ويمين الباب.

ركن وايت بجانب عربة من نوع ستادبايكر إي 7 من طراز 1955 مطلية باللونين الأحمر والأبيض. كانت جوانا تعرفها جيداً. كانت العربة تبعث البهجة والفخر في نفس هيكتور ألفاريز عندما رأته آخر مرة قبل أربعة وعشرين عاماً. كانت العربة في حالة رائعة وكأنها أخرجت هذا الصباح من صالة العرض، ثم اقتيدت قرابة سبعة عقود عبر الزمن إلى هذا القرن الجديد والبشع.

تناوبت توقعات جوانا بين الترقب والتخوف خلال الرحلة القصيرة من راسلنغ ويلوز. عندما اتصل وايت بهيكتور لطلب زيارته، بدا الرجل العجوز سعيداً برؤية جوانا بعد قرابة ربع قرن. فقد اعتبرته وزوجته بمنزلة عم وخالة لها، شعرت بالذنب لأنها فشلت في البقاء على تواصل معهما، خاصة وأنها لم تعلم بوفاة أناليزا. ولكن بما أن ذاكرتها تجاه هذه العائلة قمعت من قبل قوة غريبة، فلم يكن من المنطقي أن تشعر بالذنب، ولكنه مع ذلك بدت قلقة عما يفترض بها أن تقوله لهيكتور، وعما سيكون رده، سرت في جسدها قشعريرة خفية، عندما ترجلت من الرانج روفر.

تحركت عفنة طاحونة الهواء مثل ساعة رائعة، وأحدث النسيم صوتاً غريباً في عنفة تلك العجلة العالية مثل صرخة مخلوق ضائع وخائف.

عندما اقتربتْ ووايت من المنزل، فُتح الباب الأمامي، ووقف هيكتور على المنحدر الخرساني الصغير. كان أقصر مما تذكره، وقد تحول شعره إلى اللون الأبيض، لكنه بدا شاباً كعهدها به. مع أنها كانت ستتعرف إلى وجهه في أي مكان بسبب ابتسامته الحلوة العريضة كما كان الحال دائماً.

فتح ذراعيه، وكان من الطبيعي أن تعانقه وتقبل خده. قالت: «تيو هيكتور، تسعدني رؤيتك».

ردّ عليها: «جوجو الصغيرة، لقد باركتك السنوات، أنت جميلة مثل والدتك».

قالت: «يؤسفني سماع خبر وفاة تيا أناليزا، لم أعرف بوفاتها قبل اليوم».

احتضن يدها براحتيه وقال: «إنها مع الملائكة الآن. ليس هناك ما يزعجها». نظر خلفها وقال: «أنت السيد رايدر محقق ليام أوهارا وصديق جوجو الذي تحدثت إليه على الهاتف؟».

أجابه: «نعم، سيدي».

قال هيكتور لجوجو وهو يصافح وايت: «قال صديقك على الهاتف إنك تحتاجين التحدث مع جيمي. ولكن يا جوجو، لا يزال جيمي الصبي الذي... لن يتغير أبداً».

ردت: «نعم أنا أعرف، لكنني أريد أن أراه يا تيو هيكتور، أحتاج إلى رؤيته. أنت تعرف أننا كنا مقربين».

قال هيكتور وهو يدخلهما المنزل: «عندما كنت طفلة، عاملته بلطف، وتخيلته سيصبح أفضل مما هو عليه».

كان المطبخ في الجزء الأمامي من المنزل، إلى اليمين: كانت هناك خزائن مطلية، وتجهيزات بسيطة، وطاولة خشبية وأربعة كراسي طعام ريفية مع وسائد متصلة بها وقضبان مساند الظهر مزينة بزهور مرسومة بألوان الباستيل. وإلى اليسار: غرفة المعيشة وهي جزء من المساحة نفسها وفيها كرسيان بذراعين ملفوفتين ببطانيات «بندلتون» ملونة وكرسي جانبية واحدة والطاولات والمصابيح الضرورية. كانت بيئة بسيطة ومرتبة بشكل دقيق.

هناك خزانة كبيرة محطمة وأبوابها مفتوحة، وتضم نظاماً موسيقياً مدمجاً، وربما مئة قرص مدمج وبضع عشرات الأغلفة الورقية. وضعت فوق هذه الخزانة مجموعة من التماثيل الخشبية لمختلف القديسين.

قال هيكتور وهو يغلق الباب الأمامي: «لا يمكن أن يكون جيمي قريباً من أي شخص أبداً يا جوجو، ليس بالطريقة التي نتمناها كلانا. كنت تنظرين إليه كأخ، لكنه لم يفكر فيك كأخت، هذا إن فكّر فيك أساساً. في بعض الأيام، أتساءل إن كان ينظر إليّ على أنني شخص غريب عنه، إنه يطعم نفسه بنفسه، ويستحم عندما آخذه إلى الحوض، ويرتدي ثيابه بنفسه إذا كانت الملابس بسيطة الارتداء ومن دون أزرار. إنه موجود في هذا العالم، لكنه لا يعيش فيه. إنه يعيش في أعماق نفسه في عالمه الخاص».

سأله وايت: «أليس لديك أحد لمساعدتك؟».

ابتسم هيكتور وقال: «لديّ معاش تقاعدي صغير وضمان اجتماعي. المساعدة مكلفة. مساعدتي يا سيدي هي ذكرى والدته وهذا يكفيني. عندما كانت معنا، تشاركت وإياها رعاية جيمي، وكان وعدي لها أن أعيش أكثر من الصبي، وبذلك لن يكون وحيداً أبداً».

ظنت جوانا أنها رأت دموعاً تنبثق من عيني وايت عندما قال: «إنه محظوظ بوجودك».

تلاشت ابتسامة هيكتور، ونظر إلى الأرض وهو يقول: «ربما كنا لعنة له. في شبابنا، أمضيت وزوجتي أمسيات طائشة في الاستماع إلى الموسيقى، وشرب الكثير من التيكيلا عندما كانت حاملاً به، لم نكن جاهلين، كنا نعرف المخاطر التي تتعرض لها المرأة الحامل، ولكن اعتقدنا أننا لا نقهر، وأحببنا عادتنا السيئة هذه كثيراً. ربما ما كانت حالة جيمي لتختلف عما هي عليه إن لم نقدم على ما أقدمنا عليه، لكننا لا نستطيع أن نعرف أبداً». كف عن النظر إلى الأرض وتابع قائلاً: «أملي الأناني هو أن نكون من خلال الاعتناء به... قد كفرنا عن خطئنا».

للحظة، حدق الرجلان إلى بعضهما بصمت، وشعرت جوانا أن كل واحد منهما استشعر بعض التفاهم المشترك الذي جعلهما لا يبدوان غريبين على بعضهما.

قال هيكتور: «ربما جيمي نائم، امنحاني لحظة». انسحب إلى ممر ضيق، وفتح باباً على اليمين واختفى في غرفة الصبي.

لا يشغل المطبخ المشترك ومنطقة المعيشة أكثر من أربعمئة قدم مربعة. طُليت الجدران بلون أزرق شاحب، وكان لون السقف أبيض لامعاً، لجعل المساحة تبدو أكبر. ربما أوصل الممر الضيق إلى غرفتي نوم وحمام. رغم تواضع المنزل، إلا أنك لا تشعر أنه أصغر عن أي مكان آخر. بدا لجوانا أن الأرواح التي عاشت هنا لم تكن صغيرة مثل الممرات، بل كانت أكبر بكثير

مما بدت عليه. في الحقيقة، كانت أرواحاً عظيمة، إذا كان يمكن فهم الحقيقة الكاملة والغرض منها بالكامل.

سألها وايت: «هل أنت متأكدة حقاً أن جيمي تحدث إليك؟».

قالت: «لقد تحدث في الحلم، وعندما استيقظت عرفت أنني سمعت الصوت نفسه عندما كنت طفلة. في تلك الأيام لم يتحدث إليّ أبداً بوجود شخص آخر».

سألها: «صديقك السري؟».

أجابت: «نعم. رغم غرابة الموضوع». وتابعت: «سيطر على جميع أنواع الحيوانات، الغزلان، والطيور وحتى دب بني. لا أعلم، هذا ما أظنه. يجب أن يكون قد فعل ذلك». أردفت «كانت الأحلام التي راودتني عن ذكريات متفرقة. واليوم فقط... سيطر على الأيائل».

سألها: «أرسل الأيائل بطريقة ما للترحيب بعودتك؟».

ظهر هيكتور مرة أخرى في الردهة وقال: «هيّا تفضلا، لقد استيقظ جيمي».

فوجئت جوانا، عندما أمسكت بيد وايت وضغطت عليها ثم قالت: «لا تدع الطريقة التي ينظر بها تخيفك، لن يؤذي أحداً، فهو لا يستطيع أن يؤذي أحداً».

تركت يده عند مدخل الممر، بسطت راحتيها على جانبي بنطالها الجينز.

ابتسم هيكتور، وأومأ برأسه، وأشار إلى الباب المفتوح.

ترددت جوانا على العتبة.

رُتب السرير بدقة مع وسائد قطنية ممتلئة وقماش الشانيل مفرود. كانت الستائر المعلقة على النافذة الوحيدة مغلقة. تضمن مصباح فخاري ذو غطاء مطوي على مصباحين ثلاثي الاتجاهات وضعا على المستوى الأخف، ووقفت الظلال كالحراس حول محيط الغرفة.

تذكرت أنه في بعض الأيام- ليس بشكل متكرر ولكن بين الحين والآخر- كان جيمي حساساً بشكل خاص للضوء لأنه يسبب له صداعاً، ربما اليوم هو أحد هذه الأيام.

دخلت الغرفة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

44

ذكّر الخدش المستمر للشفرة في الظلام كولسون فيلدينغ بالقصص التي دُفنت فيها شخصيات حية، واضطرت إلى شق طريقها للخروج من تابوت، في الوقت الذي كانا على وشك أن يصابا بالجنون من رهاب الأماكن المغلقة. حاول جاهداً طرد هذه الصور من ذهنه. كان بحاجة إلى البقاء إيجابياً، كان صوت الخدش يمثل الحرية والانتقام. في الوقت الحالي، لقد تجاوز الحزن، وأصبح غارقاً في الغضب ومركزاً على الهروب والبقاء على قيد الحياة.

اتفق وأوفيليا على أن محاولة الوصول إلى الفجوة حيث التقى السقف بجدار الكنيسة مضيعة للوقت. كانت الطريقة الوحيدة للوصول إلى هناك هي سحب المقاعد من صحن الكنيسة وتكديسها بطريقة أو بأخرى وتسلقها، وهذا يتطلب قوة هائلة، حتى وإن كان بإمكانه الصعود إلى هناك، قد لا يكون السقف هشاً ومتعفناً كفاية بالنسبة إليه لتوسيع الفجوة. لقد شكا أن غريب الأطوار هذا لم يصلح السقف بشكل مقصود لأنه أراد تشويشهما بسبب هذه الفجوة، بحيث يستنفدا طاقتهما وهما يقفزان ويكافحان من أجل الوصول إليها. لم يكن مجرد مجنون قاتل، ولكنه سادي يأمل في رؤيتهما يعانيان ذهنياً وعاطفياً قبل أن يصيبهما الألم الجسدي جراء العطش والجوع.

كان الخيار الآخر هو الخروج من إحدى النوافذ المسدودة بالطوب. بعد أن قرأت بيان أوبتيم غريب الأطوار عرفت أوفيليا أنه قد تخرج من جامعتين كبيرتين، وهو طبيب لم يمارس الطب أبداً، وذهب للعيش في تلك البلدة المخيفة التي يديرها كزانتوس تولر، المخبول الذي كان يظهر في الأخبار بين فترة وأخرى، والذي تأخذه بعض وسائل الإعلام على محمل الجد.

وعرفت أيضاً ما لم يكن عليه أوبتيم، فهو لم يكن عامل بناء، كان جد كولسون من طرف والدته مقاولاً يبني المنازل. في الماضي ذهب كولسون إلى العديد من مواقع البناء بما يكفي ليعرف كيف يبدو الجدار الحجري المبني بدقة أو الحائط الخرساني. وضع أوبتيم الملاط بطريقة عشوائية فتجمع في بعض المناطق. لم يعرف غالباً كيفية استخدام المرابط والركائز الحديدية عندما صنع الشبابيك التي كانت بطول ثماني أقدام وعرض ست أقدام. استخدم كولسون شفرة السكين السويسرية التي بحوزته، واستطاع حفر الملاط بأسهل مما توقع، ربما لأن أوبتيم استخدم نوعاً غير مناسب من الرمال الطبيعية ذات الحبيبات الدقيقة ليضمن تماسكها.

من بين أدوات السكين السويسرية المتعددة كان هناك شفرة سكين قاسية ونصل قلم. إذا أصبحت إحدى هاتان الأداتان غير صالحة للاستعمال، يمكن استخدام عدة أدوات أخرى مثل المقص المصغر، وفتاحة الزجاجات، ومفك

براغي عادي، ومفك براغي برأس فيليبس، ومنشار خشب، ومنشار حديد، ومخرز. عمل حتى تشنجت أصابعه بينما كانت أوفيليا تخبره عما كُتب في البيان، ثم أعطاها السكين، وأخذ المصباح وأناره لفترة حتى ترى المكان الذي ستكمل فيه حفر الملاط.

تساءلت: «هل سننجح في مسعانا؟» بينما أكملت ما بدأه في هذا الظلام الحالك.

قال لها: «في العادة، يكون الحجر الأول الأكثر صعوبة، وبعدها يصبح الأمر أسهل فأسهل، إذا استطعنا إزالة الصف السفلي، وإذا لم يكن هناك مرابط حديدية أو دعامات متصلة، أظن أن كل شيء سينهار».

في الوقت الذي بدأت فيه يداها تتشنجان، حان دور كولسون للعمل مجدداً، أخبرته عن أختها أوكتيفيا التي توفيت بحادث سيارة، والذي نجت منه من دون أن تتأذى، ثم قالت: «انتظرتُ طويلاً لأعرف لِمَ نجوت، لقد فهمت الآن، أنا هنا لأقضي عليه».

ردّ عليها: «تقضين عليه؟ أليس من المفترض أن نحاول الحصول على جهاز تحديد المواقع الموجود في حقيبة أبي ثم نتصل بمركز الطوارئ في تكساس ليحضروا إلى هنا؟».

كان صوتها في الظلام أكثر حدة مما هو عليه في الضوء، قالت بصوت حاد كان ليرعب كولسون في ظروف أخرى: «هل تمزح؟ ألا تشم الرائحة الصادرة من أسفل ألواح الأرضية هذه أيها الصبي؟».

ردّ: «بلى، أشمها».

فقالت: «إنها مقبرته المتعفنة تحتنا، دليل على عظمته، ستكون فرصتنا الوحيدة لنفاجئ ذلك الوغد، فرصة واحدة فقط، إذا كانت لدينا أساساً، هل فهمت؟».

أجاب: «نعم، أظن ذلك».

قالت: «تظن ذلك؟».

فقال: «أجل، حسناً، لقد فهمت، أنا أكرهه أيضاً».

تابعت: «سنخرج من هنا، وسأقتل هذا الوغد، بعدها يمكننا الاتصال بمركز الطوارئ في تكساس».

سألها: «ستقتلينه الآن؟».

بينما علا صوت خدش الشفرة على الملاط وصوت القطع الصغيرة الجافة المتدحرجة وهي تتساقط على الأرض.

أخيراً قالت: «إذا افترضنا أننا تمكنا من الخروج، سيكون الظلام حالكاً وقتها. ستختبئ في الغابة المجاورة. وسآخذ السكين إذا بقي منها شيئاً، وسأتمكن منه عندما يكون نائماً».

فقال كولسون: «لا يمكن قتل أحد بهذه السكين، وحتى لو كانت بأفضل حالاتها، إنها قصيرة جداً».

فقالت: «ستفي بالغرض إذا استطعت قطع شريانه السباتي، وإن كان نائماً ربما أطعنه في عينه، وآخذ مسدسه، وأطلق النار عليه».

سألها: «من تظني نفسك، جين هوك؟».

فسألته مستغربة: «من هي جين هوك؟».

أجابها: «العميلة الفيدرالية القوية في هذه الروايات التي تعجب أمي. حتى وإن كنتِ جين هوك، لن تنجحي في فعل ما تحدثت عنه، إنه مستحيل».

قالت: «حسناً، سأجد طريقة أخرى، اختبئ أنت فقط في الغابة، وسأجد طريقة أخرى».

بدأ الحجر يتحرك بسبب أعمال الحفر التي قاما بها. قال وهو يعمل بجهد أكبر: «لم أر في حياتي فتاة مثلك».

أجابت: «أنا لست مجرد فتاة بعد الآن يا كولسون، وأكاد أؤمن بأني لم أكن هكذا يوماً».

ردّ: «نعم أفهم أنك ناضجة، لكن لا يمكنني أن أذهب إلى الغابة، وأترك كل شيء لك».

فردت عليه: «لن أدعك تفعل شيئاً آخر».

فقال: «لقد رأيته... رأيته يقتل أبي، لم أعد صغيراً بعد الآن».

فقالت له: «عزيزي أنت في الثالثة عشرة من عمرك، أليس كذلك، ألم تقل إنك في الثالثة عشرة؟».

فأجابها محرجاً من صوته المتقطع: «حسناً، صحيح، لكني الآن رجل المنزل، لا تقولي لي إن هذا يبدو سخيفاً، إياك أن تقولي لي ذلك».

فقالت بعد قليل من الصمت: «لن أدعك تساعدني في قتل شخص، لن أضع ذكرى كهذه في رأسك لبقية حياتك».

فأصر: «لن أكتفي بالاختباء في الغابة».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

45

بعد عدن بفترة طويلة، عندما يمثل كل ظل الموت المحتم للكائن الذي يعكسه، عندما تتدفق الفوضى عبر أيامنا المتساقطة، يبقى هناك طبيعة واحدة جميلة رغم عيوبها، مع أنها تتشارك مع الإنسانية الرغبة في الانحراف والتي تعكس قسوة عنصر الفساد لديها. تسخر من تشوهات ضحاياها، الجسدية أحياناً والعقلية. يبدو أن هدفها مع أولئك الذين تعالجهم هو نشر اليأس في عالم بأمس الحاجة إلى بصيص أمل.

في الليلة السابقة، رأت جوانا جيمي صاحب العينين في حلم شبه مبني على الذكريات، لكنها لم تكن مستعدة لرؤيته هنا، في العالم الحقيقي وهي مستيقظة. ظنت كطفلة بريئة في بيئة راسلنغ ويلوز الساحرة أن العالم هو ساحة اللعب خاصتها، وقتها لم تكن تعرف أن الشر موجود، وبالتالي لم تخف من شيء، مها بلغت غرابته.

إذا كان الصبي في الحلم هو جيمي حقاً، كما كان يبدو شكله في الطفولة، سيكون شكله غريباً وليس مخيفاً، أخذت أربع وعشرون عاماً جمال ولطافة وجهه المشوه وحوّلته إلى كائن قبيح.

ارتمى على كرسيه المنجد، دافعاً رأسه المشوه إلى الأمام بسبب ظهره المحدب. لقد نما أنفه البارز مثل الساحرات في القصص الخيالية، وغطى جبينه عينيه أكثر مما كان خلال طفولته. حدق إلى حضنه حيث وضع راحتي يده المفتوحتين إلى الأعلى، واستمر بتمتمة بعض الكلمات غير المفهومة.

بعد عدة خطوات داخل الغرفة توقفت جوانا كارهة الاقتراب من جيمي، ولكن ترددها أخجلها، خاصة وأن هيكتور قد يشعر بعدم ارتياحها. لم يكن مرور الوقت ولا الطبيعة لطيفين مع جيمي، لأنه لا يزال تلك الروح البريئة التي لا تؤذي أحداً. لم يكن لديه القدرة على ارتكاب السوء أو الشر، أضف إلى ذلك أنه ما من سبب ليؤذيها.

جلست جوانا على مسند القدمين المبطن الموضوع أمام الكنبة وقالت: «جيمي؟ هذه أنا، جوانا، جوجو، هل تذكرني؟».

ظل يتمتم لنفسه، سانداً ذقنه على صدره، وبدا غير مدرك لوجودها، مثل قزم مستغرق في ذكرياته عن الأفعال التي قام بها في الكهوف المظلمة.

انحنت إلى الأمام، ومدت يدها إليه، بدت مترددة في البداية، ثم تجرأت، وأمسكت إحدى يديه، والتي كانت دافئة وجافة ونحيفة.

قالت له: «حلمت بك يا جيمي. في البداية قادني دب واثنين من الغزلان عبر الحقول والغابات، وصولاً إليك في بستان التفاح، طلبت مني في الحلم أن آتي وأساعدك، وها أنا ذا».

توقف عن التمتمة، لكنه لم يرفع رأسه.

ضغطت على يده بين كلتا يديها وقالت: «عندما كنت طفلة، كانت كل الحيوانات سحرية. وبدوت أنت سحرياً».

أخيراً، رفع ذقنه عن صدره، فظهرت عيناه أسفل عظم جبينه المشوه، كانتا زرقاء وصافية، بينما كانت اليمنى سوداء محتقنة بالدم وتقع أدنى من نظيرتها. ورغم أنها لم تخف أبداً من نظراته هذه عندما كانا طفلين، إلا أنها أجفلت منها الآن. كان قلبها ينبض بقوة وبسرعة. وإذا سمحت لهذا الخوف غير المتوقع بالظهور فإنها ستهين هيكتور، إذا لم تهن جيمي أيضاً، لذا كبتت خوفها، وضغطت ضغطة خفيفة على يده لتؤكد لصديقها السري أنها مستمرة بالتعاطف معه.

نظر خلسة إلى والده ووايت رايدر، من دون أن يدير رأسه، ثم نظر إلى جوانا مجدداً. قست يده الصغيرة وعصرت إحدى يداها.

فسرت تصرفاته على أنه يود أن تكون هذه الزيارة من دون مراقبين، فقط هو وهي.

قالت لوايت: «أنا بخير هنا، لديّ وجيمي الكثير لنتحدث بشأنه»، ووجهت كلامها إلى هيكتور: «لقد أُعجب وايت بعربتك الستادبايكر عندما وصلنا، أظن أنه سيحب أن يلقي نظرة عليها».

قال وايت: «إنها جميلة».

ارتسمت ابتسامة على شفتي هيكتور وقال: «رأيتها في مدخل منزل معروضة للبيع منذ أربعين عاماً. كانت بحاجة إلى الإصلاح. قمت بجميع الإصلاحات الميكانيكية بنفسي، ثم فككتها، وأرسلت القطع لتطلى، بحيث تشمل جميع الزوايا والشقوق والأسطح الخلفية».

عندما غادر الرجلان الغرفة، أعادت جوانا انتباهها إلى جيمي، جعل التفاوت في مستوى عينيه النظر إليهما صعباً. ولهذا السبب ولعدة أسباب أخرى، ركّزت نظرها على العين الزرقاء الصافية والغريبة كأعين الألعاب الزجاجية.

بعد أن سمعت صوت إغلاق الباب، بدا لها أن الرجلين يبتعدان لأن صوتهما خفت.

في الهدوء الذي خيّم بعد ذلك، كان صوت التك–تك–تك خلف المنزل الصادر عن عفنة الطاحونة يُذكّر جوانا بالأوتاد الموجودة في عجلة الحظ في الكازينو التي تدق مارةً بالمؤشر الذي سيحدد قيمة ربح المراهن.

انتظرت جيمي ليتحدث أولاً. ثم قالت عندما بقي صامتاً: «لقد كنت تقول في حلمي أنك ضائع في مكان مظلم».

لم يرد. كانت حدقة عينه الزرقاء متوسعة لتجلب ما استطاعت من الضوء الشحيح الصادر عن المصباح في تلك الغرفة المظلمة. بدت حدقته وكأنها ثقب أسود يمتلك حقلاً مغناطيسياً شديداً لنجم ينطفئ، والذي قد تنشد إليه بلا قوة، حتى وجدت نفسها قد غادرت هذا الكون إلى كون أكثر غرابة.

لم تعجبها الرعشة في صوتها عندما قالت: «قلت لي في الحلم تعالي ساعديني أرجوك، وها أنا ذا».

شدة قبضته بداخل يديها اللتين تحيطان بيده، لكنه لا يزال عاجزاً عن الكلام.

تابعت: «المكالمة التي تلقيتُها... كان بصوت امرأة. لقد نادتني جوجو وقالت إنها على وشك الجنون. قالت لي: تعالي ساعديني أرجوك. هل تعرفها يا جيمي؟».

توقف عن الرمش، كانت عيناه ثابتتين ومفتوحتين كعيني رجل ميت، لكنه لا يزال يتنفس.

أكملت حديثها: «قلت لي أيضاً عندما كنا في بستان التفاح: السماء الواسعة مخيفة». واستخدمت المرأة على الهاتف نفس الكلمات، وأن هذا ليس حلماً».

تصاعد النسيم على جدران المنزل. أصدرت عفنات الطاحونة الخشبية صوتاً ضعيفاً موحشاً بسبب الرياح المتصاعدة، وتكت العفنات بشكل أسرع من السابق.

غيّرت جوانا مسار الحديث وقالت: «تحكمت يا جيمي طيلة السنوات الماضية بكافة مخلوقات الطبيعة لتبهجني، الطيور والسناجب والأرانب والغزلان وحيوانات ابن آوى والذئاب والدببة. أنت ــ لا أعرف ــ ما يشبه المخلص أو الوسيط الروحاني أو شيء ما كهذا. كانت طفولتي خيالية لعدة سنوات مميزة. كنتُ الأميرة الحاكمة لكل ما يعيش في الغابة والحقول ــ لكنه كان حقيقياً».

لعق شفتي فمه شديد الاتساع النحيفتين بلسانه الشاحب، ولكنه لم يتلفظ بكلمة رغم ذلك.

كررت جملتها: «كان حقيقياً، لكنني أرغمت على فقدان هذه الذكريات. هل أخذت أنت هذه الذكريات مني؟».

في الخارج، اشتغل محرك عربة الستادبايكر.

سألته: «هل أعدت ذكرياتي لأعود إلى هنا؟».

لم يقل شيئاً.

قالت: «أنت من أرسلت الأيائل لترحب بي. ما أقول غير منطقي، ولكنني واثقة أنك أنت من أرسلها».

ابتعد صوت المحرك. يبدو أنهما يقوما بجولة في العربة، ربما داعا هيكتور وايت ليقودها.

انحنت جوانا مقتربة من جيمي وقالت باللاتينية: «يا أخي، يا أخي العزيز»، وتابعت: «تحدث إليّ الآن أرجوك كما كنت تفعل عندما كنت صغيراً».

انتزع قبضته من بين يديها اللتين تحيطان بيده، وأخيراً قال بصوت صادر من حلقه ــ مثل زئير الوحوش تقريباً ــ وهو الصوت الذي سمعته في حلمها: «لقد تغيرتِ يا جوجو. لم تعودي كما كنت».

أصابتها قشعريرة– شيء من البهجة وشيء من القرف، وتعجب ممزوج بالخوف بعد سماعه يتحدث في مكان غير الحلم –بدأت من أسفل عمودها الفقري وصولاً إلى أسفل عنقها. فهمت كلامه كتذمر لطيف من هجرها له لوقت طويل.

فردت عليه: « كنت سآتي وآراك ولكنني لم أعرف أنك هنا، لم يكن لديّ أي ذكرى عنا حتى حلم البارحة. يجب أن تعرف أنه لم يكن لديّ أي ذكرى». فكرر كلامه في الوقت الذي انهمرت الدموع من عينيه، وسالت على خديه: «لم تعودي كما كنت».

ردّت عليه: «لقد كبرتُ، مثلك يا عزيزي».

هز رأسه، وجعلت عواطفه الجياشة وجهة المشوه يبدو أكثر غرابةً وكرر: « لم تعودي كما كنت، لم تعودي كما كنت أبداً». فتح فمه العريض ليظهر هلال من الأسنان المعوجة، ثم همس اتهاماته: «براءة، براءة، لقد فقدت براءتك».

نهضت عن مسند القدمين متفاجئةً بعاطفته وقالت: «لقد كبرتُ يا جيمي، هذا كل ما في الأمر. لا أزال كما أنا، ما زلت جوجو».

رنّ هاتفها.

انحنى جيمي إلى الأمام في كرسيه المدولب، وبكى بألم أكثر مما هو غضب، ولكن الأمر لم يخلُ من شيء من الغضب، ثم قال: «أجيبي على الهاتف».

جلبت هاتفها من حقيبتها ويداها ترتجفان. رقم غير معروف. أجابت على هاتفها لتتعرف فوراً على صوت المرأة التي حدثتها على الهاتف أكثر من مرة في سانتافي.

قالت المتصلة: «لقد فقدت براءتك، أنت مليئة الآن بالارتباك المعنوي والمعتقدات الغريبة والمخاوف والحسابات، كيف ستنقذينني إذا كنت لا تستطيعين إنقاذ نفسك؟؟».

ربما لأنها عادت إلى مونتانا ولا تزال حديثة العهد في مزرعة راسلينغ ويلوز، لم يصعب عليها التعرف إلى هوية المتحدث. كان يمكنها إنكار أن هذا كان صوت والدتها في نيو مكسيكو بعيداً جداً عن موطن طفولتها، لكن لا يمكنها أن تنكر هذا الآن.

كانت أمها ميتة.

تردد السؤال في ذهنها– كيف يمكنك إنقاذي إذا كنت لا تستطيعين إنقاذ نفسك؟- وأدى إلى شك غير عادي.

كان الصوت صوت والدتها، لكن المتصل كان بطريقة ما هو جيمي صاحب العينين.

شاهدت في الأيام التي تلت وفاة والدتها، في الساعات التي تلي منتصف الليل مقاطع فيديو لعائلتها لوحدها في المنزل في راسلينغ ويلوز، توقف المقطع المسجل مع وجود وجه جوانا على الشاشة، وقالت والدتها كلاماً لم يكن موجوداً في الفيلم المسجل عند عرضه من قبل: «قريباً ستذهبين بعيداً يا جوجو، ستذهبين لتكبري وتنضجي في مكان آخر. ربما سأتحدث إليك بعد عدة سنوات، وأطلب منك العودة إلى المنزل».

لم تكن هذه زيارة من روح، لابد أنه كان جيمي أيضاً. أنهت المكالمة، وأعادت هاتفها إلى حقيبتها، مذعورةً بسبب شعورها أن الجنون الذي حدث معها في الأسابيع الأخيرة ما هو إلا نذير شؤم لجنون أعظم على وشك الحدوث.

سألت جيمي وهي تقترب منه وتحدق إلى وجهه المبلل بالدموع، وعينيه العميقتين: «كنت أنت أليس كذلك؟ كنت أنت بطريقة ما. لقد غرقت أمي. لم تكن موجودة خلال معظم حياتي. لم تعد. كنت أنت السبب بطريقة ما. أخبرني الحقيقة».

تألق وجهه رغم ذلك، ولم تعد عيناه تذرفان الدموع، واختفى حزنه- هذا إن كان حزناً أصلاً– ليفسح المجال لما بدا كحقد مرير. تصلب جسده المنكمش البشع، وتحول إلى هيئة مزعجة من العظام الممسوخة والعضلات المشوهة. أمسك بذراعي الكرسي، وجلس باستقامة قدر الإمكان، ورفع رأسه متحدياً.

أصبح صوته الخشن أشد خشونةً، كانت الكلمات كالأخشاب وصوته كالمنشار الذي يقطعها واحدها عن الآخر.

قال: «الحقيقة؟ تريدين الحقيقة؟ حسناً ستحصلين عليها. الحقيقة هي، لم يكن موت والدتك مجرد حادثة. لقد قُتلت. قُتلت، لقد قتلها والدك».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

كان كيني ديتل من قراصنة القبعة السوداء، ثم أصبح الآن من قراصنة القبعة البيضاء، وكان على استعداد أن يصبح رمادياً في حالات الأزمة. إذا كان العالم سيحتضن الأشخاص الذين سيقطعون رأسك بسرور من أعلى الجمجمة وصولاً إلى الذقن، فإن الاستقرار هو وهم، والسلام الدائم هو حلم الأغبياء. نعم، لم يكن الشر خياراً عقلانياً، لأن الشر يمكن أن يعمل على المدى القصير، ولكنه لن يصلح للمدى الطويل. صحيح، أن الأشرار خبراء بالخداع، ولكن ليس كل خداع هو عمل شرير. في بعض الأحيان، كان الخداع استراتيجية للبقاء.

كان لدى كيني سيارة بونتياك جي تي أو دودج موديل 1970 سوداء اللون لامعة، واحتفظ بها في وحدة تخزين واسعة في منشأة تخزين ذاتية عملاقة اسمها «ستوريج آر أس» وكانت مسجلة باسمه جايمسون يوجين نوروالد، والذي لم يكن له وجود، وله عنوان في سبوكاني، والذي لم يكن إلا مجرد صندوق بريد. لقد تمكن كيني من القيام بتسجيل السيارة باسم غير اسمه بعد اختراقه لقسم منح التراخيص، وإدخال بيانات مزيفة، والتي لم يكن بمقدور أكثر خبراء الأمن التكنولوجي موهبةً أن يكشفها. يمكن للمجتمعات التي تبدو ظاهرياً منظمة وعقلانية أن تفقد صوابها بسرعة، كما حصل في ألمانيا في الثلاثينات، أو يمكن أن تُدمر بواسطة الكليبتوقراطيين الفاسدين مثل تشافيز ومادورو في فنزويلا، ويمكن أن تُشذب إلى دوامة من اللاعقلانية بواسطة المفكرين المثاليين– سواء كانوا مؤمنين أو ملحدين –لهذا كان من الحكمة أن تحتفظ بمركبة لا يعرف أحد أنها ملكك، مخبئة بمكان لن يخطر على بال أعدائك أن يبحثوا فيه، وجاهزة لتهرب بها بسرعة.

كان للبونتياك جي تي أو الكثير من الأسباب التي تجعلها مناسبة. فمحركها سعة 455 إنشاً مكعباً له ثماني أسطوانات، ويولد طاقة 325 حصاناً، ونظام نقل حركة سلس سريع الاستجابة، أضف إلى ذلك أنها أنيقة وجميلة المظهر.

والأهم من هذا كله، أُنتجت هذه السيارة ببابين في ديترويت قبل وقت طويل من أن يكون نظام الملاحة العالمي في السيارات من التجهيزات الأساسية. لم يكن بمقدور أحد تتبعها عبر الأقمار الصناعية؛ لا مكتب التحقيقات الفدرالي، ولا جهاز الأمن القومي، ولا الاستخبارات المركزية، ولا شرطة الولاية، ولا هيئة التجارة الفدرالية، ولا هيئة الاتصالات الفدرالية، ولا هيئة حماية البيئة، ولا دائرة بريد الولايات المتحدة، ولا مخترق ما مهووس بالكهرباء والطاقة، الذي قد يُغرق شقتك بالماء أو يُحرق منزل من تحب بواسطة التحكم عن بعد.

قال كيني: «أقودها مرة واحدة في الأسبوع، أبقي خزانها مليئاً بالوقود وبطاريتها مشحونة. هناك حقيبتان مليئتان بالأغراض في الصندوق، سنتوقف في مكان ما لنحضر لك عدداً من بناطيل الجينز، وما قد تحتاجين إليه».

شغّل محرك السيارة بينما كانت تجلس في المقعد الأمامي وبيدها حقيبة المشتريات. سألته وهي تضع الحقيبة على الأرض بين قدميها: «إلى أين سنذهب؟».

مدّ يده أمامها، وفتح علبة القفازات. كان فيها كيس مناديل، وعبوة صغيرة من معقم اليدين، وعلبة من اللبان المنكه بالنعناع، بالإضافة إلى هاتفين موقتين، أعطاها أحدهما، ثم أغلق علبة القفازات.

قال لها: «إنه مفعل، لم أستخدم أي من الدقائق الموجودة فيه».

سألته: «هل تريدني أن أتصل بأحد؟».

أجابها: «بمجرد أن نصبح على الطريق».

ثم قاد خارج منشأة التخزين مبتعداً من دون أن يتكلف حتى عناء إغلاق الباب المنزلق. ستقوم الإدارة بذلك، وسترسل له رسالة نصيحة مذكرةً إياه أن يقفل دائماً باب وحدته. استأجر هذه الوحدة باسم أوسكار فرينش، استمد هويته من اسم صانع الهوت دوغ المفضل لديه واسم ماركة الخردل المفضل لديه، دُفع الإيجار مسبقاً حتى نهاية السنة.

قال: «أخرجي علبة عيدان السمك من الحقيبة وافتحيها».

عندما فعلت ما طُلب منها، انزلقت ثلاث بطاقات ائتمانية، وثلاث رخص قيادة من العلبة إلى يدها، احتوت رخص القيادة على صورته، ولكن كانت كل واحدة باسم مختلف، ولم يكن أي من العناوين متطابقاً. كان هناك بطاقة ائتمانية لكل رخصة قيادة.

قال لها: «أعطني أوراق جايمسون يوجين نوروالد، إنه مالك هذه السيارة».

فقالت: «هل أنت واثق من أنك من قراصنة القبعات البيض؟».

ردّ عليها: «لا يتعلق هذا بارتكاب جريمة، بل بالبقاء على قيد الحياة. أنا من المتحضرين للكوارث».

فقالت وهي تعيد البطاقات الأربعة غير اللازمة إلى علبة عيدان السمك: «إلى أين سنذهب؟».

أجاب: «إلى اللامكان، مونتانا، مكان هرب ليام أوهارا. مزرعة راسلنغ ويلوز».

فقالت: «لم يسبق لي أن ذهبت إلى مونتانا».

وقال بدوره: «ولا أنا».

ثم قالت: «لم أتخيل أبداً أني سأذهب إلى مونتانا».

ردّ عليها: «ولا أنا، لكن إذا كنا في مأزق، فإن وايت رايدر في مأزق أيضاً».

قالت: «المحقق الذي ذكرته».

فقال: «عليّ أن أخبره عن هذا المخترق المختل، ولا أظن أنني يجب أن أفعل ذلك على الهاتف».

سألته: «ولا حتى بهاتف غير قابل للتعقب؟».

ردّ عليها: «إن كان هاتفي غير قابل للتعقب، فهاتفه ليس كذلك، وهذا المخبول الذي أحرق منزلك بالتأكيد لديه نظام تنصت عليه المكالمات، والبريد الإلكتروني، والرسائل. لقد تحكم بالنوتيلوس وحاول قتلنا. سيقتل وايت إذا شعر بالضرورة إلى ذلك، أنا لا أترك أصدقائي هكذا».

انحسرت السماء الزرقاء في الشمال والغرب ليغطيها صف مهيب من الغيوم التي بدت وكأنها محملة بالأمطار.

مرحباً بكم في سياتل.

التحق بحركة المرور على الطريق السريع، وحشر الجي تي أو في زحام الطريق الدولي رقم 5.

سألته لي آن: «لِمَ نتجه جنوباً، مونتانا إلى الشرق».

ردّعليها: «نعم، ولكن راسلنغ ويلوز تبعد عنها قرابة سبعمئة ميل»، وأعطاها رقم هاتف وتابع: «ابحثي عن اسم غانيش، قولي إنك تتصلين من قبلي».

سألته وهي تكتب الرقم: «من هو غانيش؟».

أجابها: «غانيش باتيل. صديقي، لقد قمت ووايت ببعض الأعمال الكبيرة من أجله، هناك قواسم مشتركة كثيرة تجمعني به، إنه كأخي الذي لم تلده أمي».

قالت وهي تتصل بالرقم: «أنت تقود كالمجنون».

علّق: «شكراً».

سألته: «بحق السماء، هل يمكنك أن تتمهل قليلاً؟».

فقال: «لا، لديّ حدس بأن الوقت ينفد منا».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

47

قتلها والدك.

لم يفاجئها المضمون بقدر النبرة التي تلفظ بها بالاتهام.

عندما كان جيمي صاحب العينين صديقها خلال طفولتها– تذكرت الآن على الأقل هذه السنوات– لم يتكلم معها بحدة أبداً. لقد كان لطيفاً وحنوناً في جميع الأوقات، وكان يتحكم بواسطة قوة غريبة ما بكل الكائنات الموجودة في الحقل والغابة ليرافقوها في المغامرات، لطالما شعرت بحبه وبالأمان برفقته.

لم تبدُ هذه النسخة من جيمي ألفاريز أكبر سناً فحسب، وإنما فاسدة أيضاً، ربما لأنه شعر بالمرارة بعد سنوات طويلة من الوحدة والمعاناة. لا يمكنها أن تغضب منه، لكنها تأذت لأنه بدا مستمتعاً بما قاله سواء كان كذبة فظيعة أو اتهاماً مروعاً.

سحب نفسه إلى حافة الكرسي، وحدق إليها، وهو يتنفس كثور مهتاج من رداء أحمر. يمكن بسهولة أن يساء فهم أي تعبير على وجهه البائس. لذا، ما بدا غضباً يمكن أن يكون في الواقع مجرد حزن، ولكن الكراهية التي ظهرت في صوته المرعب لا يمكن أن تُفسر على نحو مختلف.

قال لها: «لقد قتلها والدك المنحرف من دون أي ندم. انتظرها في ظلام ما قبل الفجر مرتدياً سروال سباحة، في مرسى. جاءت لتقوم بتمرين التجذيف الصباحي في القارب، فضربها بمجذاف على رأسها بمجرد أن خطت داخل مرسى، وانهال بالضربات على رأسها. سقطت أرضاً، لم تكن قد ماتت بعد بل غابت عن الوعي».

ابتعدت جوانا قليلاً عن مسند القدمين، لكنها لم تكن قادرة على الابتعاد أكثر، لأنها كانت شاردة في عيني جيمي غير المتناسقتين. قالت الخالة كيت إن إحدى عينيه كانت كعين ملاك، والأخرى كعين شيطان، ولكن في هذه اللحظات، تلألأت عيناه بما بدا غضباً شيطانياً. مجدداً، عاد فمه ليكون بنصف اتساع الفم الطبيعي، وكان كالسيف المائل، واصطكت أسنانه كالعظام الظاهرة من جرح ما.

قال لها: «جرّها على طول الممشى»، وتابع: «جرّها إلى منزلق القارب، ورماها في الماء، وأبقاها في الأسفل، وعندما أيقظتها برودة البحيرة، قاومت، لكن والدك كان أقوى، ودفعها إلى الأسفل حتى غرقت. ركب القارب، ووضع جسدها فيه، دون أن يربطها، ثم رماها في وسط البحيرة. غاب القمر، ولم تكن الشمس قد أشرقت بِعد، لذا لم يره أحد وهو يرمي

جسدها الميت من القارب. ترك القارب عائماً، وسبح إلى الشاطئ، ومع ذلك لم يره أحد».

أجفلت جوانا وكأن أحدهم بصق عليها. للحظة، لم تستطع التقاط أنفاسها بالرغم من أنها تناست حزنها منذ زمن بعيد، الذي استوطنها بخفوت، ولكنه عاد ليضغط عليها الآن بشدة، عرفت أن هذا الحزن المتجدد كان جزءاً مما شعرت به، وأنه حزن مرعب.

ما إن استطاعت التنفس، حتى استعجلت للدفاع عن والدها، ولكن ضعف صوتها عبّر عما لم ترد الاعتراف به عندما قالت: «أنت تكذب، لا بد وأنك تكذب، كيف عرفت وأنت تقول إن أحداً لم يره؟».

رفع رأسه، ونظر إليها بعينه المحتقنة بالدم، كعراف ملعون في القصص الخيالية القوطية، وقال: «ما كنت بحاجة لرؤيته، عرفتُ قلبه وعقله مثلما عرفتُ قلبك وعقلك عندما كنتِ صغيرة. مثلما أعرف الآن أنك تغيرت».

قالت: «كان يحب أمي»، ثم أدركت أنها لم تكن تعرف إن كان هذا صحيحاً.

قال لها: «لقد أُعطي مزرعة مواشي ناجحة، ولكن لم يكن هناك إمكانية للشهرة بتسمين الماشية، كان مغروراً، أراد أن يصبح فارساً محبوباً، يربي الأحصنة، ويبيعها للسباق والعرض، لكنه لم يكن جيداً في ذلك، وكان يخسر الأموال سنة تلو الأخرى، فرأى في بوليصة التأمين على الحياة العائدة لوالدتك، والتي اشتراها جدك لها عند ولادتها، منقذاً له من الإفلاس، أمل أن تساعده عوائدها في إنقاذ راسلنغ ويلوز، ولم يفوت الفرصة. لقد اقتنصها، ضرب والدتك بالمجذاف، كما يضرب لاعب البيسبول الكرة».

فكّرت بما قالته الخالة كيت عن والدها: «لم يكن رجلاً متحفظاً، تقول والدتك إنّه خجول، ولكنني أعتقد.. حسناً، أعتقد شيئاً آخر. أعتقد أنّه تزوّج والدتك لأنّه كان يشعر بالفراغ، بينما كانت هي بكامل تركيزها وكمالها».

كان جيمي الغاضب والعدواني قبيحاً، لكن جوانا تساءلت إن بدا لها أكثر قبحاً لأنه يخبرها الحقيقة. إن الحقائق التي لا نود سماعها تجعل الشخص الذي يخبرنا بها قبيحاً للغاية.

وجدت نفسها مضطرة لمتابعة الدفاع عن والدها فقالت: «حققت الشرطة بوفاتها، وقالت إنه حادث عرضي، ولا أحد لديه أي سبب بسيط للاشتباه بأبي».

رغم ذلك، كان وجه جيمي مثل شبح الأوبرا، وهذا ما جعل تعابير وجهه عصية على الفهم، وكان الاستهزاء واضحاً في صوته، حاداً جارحاً حيث قال: «اشترى المأمور، الذي اشترى ِعدة أحصنة من والدك ـ وكان ِدائماً ما يحصل على

خصم. كانا يخرجان معاً للصيد. ولم يكن في المقاطعة أي طبيب شرعي في تلك الأيام، بل عامل مشرحة غير مختص كان عمله الأساسي القيام بإجراءات الدفن، وكان مدمناً على الشراب، لم يكن هناك أحد لينصفها، سواي».

استغربت: «أنت؟». وبعد برهة فهمت. مثل دب لطيف في قصص الأطفال، رحّب الدب البني بجوانا الصغيرة إلى غابة مسحورة، وقُمعت شراسته بواسطة تعويذة ما ألقاها جيمي عليه. بطريقة ما، كان الدب هو جيمي، لقد تحكم به، كما فعل مع كل حيوانات المزرعة وربما تجسد فيه وعاش شخصيته، إن كان قادراً على التحكم بكافة المخلوقات الكبيرة والصغيرة، المغطاة بالفرو أو الريش أو الحراشف، ليجذبها ويسليها، فبإمكانه بكل تأكيد استخدام أكبرها ليقتل ساموبل تشيس.

صرخت: «لقد قتلت أبي».

تلقى الاتهام وكأنه مديح، وأجاب: «لقد أعدمته ولم أقتله، هو القاتل ولست أنا».

بدت متجهمة، ولم تعرف أهي أكاذيب متراكمة أم اكتشافات تتراكم، وبدا لها أن الماضي الذي بنت حياتها عليه يتصدع وكأنه سطح بحيرة جليدية، شعرت بعدم الاستقرار وهي تسأله: «بأي حق نصّبت نفسك قاضياً وحاكمته؟».

فاجأها بالانتقال من الكرسي والوقوف على مسند القدمين، بحيث يتقابل وجهاهما، بالرغم من قصر قامته. لقد مر بالكثير من العقبات والعوائق عندما كان صغيراً، ورغم أنه يبدو الآن أقل رشاقة من الماضي، منحه غضبه هذه السرعة المقلقة وغير المتوقعة.

صرخ بها: «بأي حق؟ أي حق؟ حق الشخص الذي لديه هدف أخلاقي، الذي فعل دائماً ما يجب فعله والذي تفرض عليه طبيعته القيام بالعمل الصائب بشكل دائم وإلى الأبد، بغض النظر كم يبدو الموضوع سيئاً». لقد دحض وجهه البائس الملتوي وغضبه الحاقد ادعائه بالفضيلة الفائقة، وتابع حديثه: «لم أعلم أنه ينوي قتلها، لأنه لم يكن مهماً بالنسبة إليّ، خصوصاً أنك كنت هنا، وكنت تبهرينني، كان حبك الصادق تجاه الجميع وتقديرك لكافة المخلوقات، براءتك، مختلفين عن الآخرين من نوعك. عرفتُ أنه قتل إميليا، عندما سمعتُ صرخة الموت الروحية التي صرختها في الوقت الذي كانت فيه المياه تملأ رئتيها، لم تسمع أي أذن هذه الصرخة سوى أذني، اخترقت دماغي مثل سهم أُطلق من قوس. عندما وصلت إليه مذعوراً مما أقدم عليه، ولكن كان يشعر بالفرح الوحشي أيضاً، وبالفخر من جرأته، وبالكره تجاه الآخرين الذين يلومون الآخرين على أخطائهم».

ذات مرة عندما كانت في الثامنة من عمرها، تحضر معرض المقاطعة في مهرجان منتصف الطريق، ألحت جوانا على والدتها لتأخذها إلى بيت الألعاب. كان المخرج عبر طريق مؤلف من أسطوانة عملاقة مبطنة، لم تستطع أن تقف بتوازن، ولكنها هبطت داخلها ضاحكةً، ونزلت إلى منحدر مطاطي. الآن تشعر بشعور مشابه من التخلخل وعدم الاتزان، ولكنها لم تضحك هذه المرة ولم تشعر بالمرح، هذه المرة لم تفقد التوازن جسدياً بل عاطفياً، لم تفقده لدقيقة أو دقيقتين، بل فقدته لبقية العمر.

كانت قريبة جداً من جيمي الجديد العدائي، فلم تتخطَ المسافة التي تفصلها عنه الذراع، أرادت التراجع، ولكنها خشيت أن يزيد تراجعها غضبه. لذا، بقيت مكانها وسألته: «ما الذي تقصده بقولك وصلت لوالدي؟ هل تقول... إنك قرأت عقله؟ هل يمكنك قراءة العقول؟».

أجاب: «ألم تسمعيني حين قلتُ إنك فقدت براءتك؟ ألم تسمعيني عندما قلتُ إنك مليئة بالارتباك، والمعتقدات الغريبة، والمخاوف والحسابات؟ ألم تنصتي عندما قلتُ إنني عرفتُ قلبه وعقله كما عرفت قلبك وعقلك عندما كنا صغيرين، وكما أعرفهما الآن؟».

كان عليها أن تتوقع أن هذا كان امتداداً منطقياً لقدرته على التحكم بالحيوانات، ولكن إذا اشتبهت بهذا على المستوى اللاشعوري، كانت تتراجع دائماً بخوف.

الآن، خطرت لها فكرة خطيرة. لم ترغب في الضغط عليه بشأنها، ولكن لم تستطع منع نفسها فسألت: «إذا كان صحيحاً أن والدي قتلها، وإذا عرفت أنه الجاني، لمَ لم تجبره على الاعتراف للشرطة؟».

أجاب بضحكة مخيفة شبيهة بالزمجرة وخالية من اللطف: «أُجبره؟ أجل ألن يكون هذا حلاً لطيفاً لجرائم البشر وكذبهم، إن استطعت إجبار كل وغد على قول الحقيقة وفعل الصواب؟ إن كانت لديّ هذه القدرة كنت سأستخدمها بلا هوادة يا جوجو»، لفظ اسمها ببرود خالٍ من العاطفة. في الواقع، لفظه بشيء من السخرية، وتابع: «إذا أردتُ أن أدخل عقل شخص ما، وإذا ركّزت عليه مستبعداً أي شخص آخر، لا يمكنه إبقاء أي شيء سراً عني، لكن لا يمكنني التحكم به أو السيطرة عليه».

قالت: «ولكن الحيوانات...»

شرح: «الحيوانات كائنات بسيطة، البشر أكثر تعقيداً وأذكى من أكثر الحيوانات ذكاء. قد أتحكم بالأيائل والجرذان والأرانب، قد أتحكم بقطعان كاملة منها، لكن لا يجب التحكم برجل أو امرأة أو حتى طفل».

قالت: «لا يجب... لكنك تستطيع؟».

أجاب: «أستطيع لكنني ممنوع من ذلك».

سألته: «من يمنعك؟».

أجاب: «طبيعتي الذاتية هي من تمنعني».

سألته: «لذا، استخدمت الدب ليقتله».

فأجاب: «استخدمته ليُعدم قاتلاً».

فسألت: «وهل كنت...؟» ولم تكمل سؤالها كاختبار للقدرة التي ادعى أنه يملكها.

قال لها مجيباً عن سؤالها الذي لم تسأله: «لا، لم أكن متحكماً بالدب عندما هاجمه، عندما التهمه حياً».

إن سبق لها ونظرت إليه على أنه شيء سحري، فهي تجده الآن غامضاً وغريباً ولا يمكن فهمه.

تابعت عفنات الطاحونة تكتكتها تك ـ تك ـ تك خلف هذه الجدران، وغنت الرياح المتصاعدة عبر العفنات الدوارة لحناً حزيناً على الضوء الذي يختفي ببطء في وقت متأخر بعد الظهر.

كانت تأمل أن تسمع صوت عربة ستادبايكر في طريق عودتها، لكنها لم تسمع شيئاً.

أشار جيمي صاحب العينين بإصبعه إليها، وأصبح صوته الخشن وكأنه صوت يجلدها من خلال التوبيخ والانتقاد: «لأنك تغيرتِ، تغيرتِ إلى الأسوأ، لأنك فقدتِ براءتك، أنت تخافين مني الآن بقدر ما أحببتني يوماً. في الماضي كنت قزماً بالنسبة إليكم، والآن تنظرين إليّ وترينني وحشاً، تظنين أنني قادر على الأمور الوحشية، مثل تلبس الدب بينما كان يأكل والدك، مستمتعاً بالدماء والعنف».

مع أن عيني جيمي كانتا غريبتين عندما كان طفلاً، إلا أنها لم تصدق أنهما كانتا مضطربتين، لكنهما الآن مليئتان بالجنون.

قبض أصابعه، ومدّ قبضته باتجاهها قائلاً: «أحضرتُ الدب من الغابة، نزولاً من سفوح التلال، ووجهته إلى والدك البائس حيث كان يمتطي حصانه المفضل. أثرتُ في ذاكرة الدب رائحة الدماء الغنية وطعمها، ثم أفلته ليقوم بعمله وفقاً لطبيعته، قمتُ بهذا من أجل والدتك، من أجل والدتك».

قالت: «كانت أمي شخصاً لطيفاً، آمنت بالعقاب، ولم تؤمن بالانتقام».

غضب من الاتهام الموجّه إليه، وصرخ مجيباً والبصاق يتطاير من فمه: «لم يكن انتقاماً، بل كان الجزاء العادل، الزيارة غير الشخصية لهلاك القانون العادل! أنا ممنوع من الانتقام، أنا ممنوع».

قفز عن مسند القدمين راكضاً صوب منضدة السرير. سحب الدرج بسرعة متحسساً أياً كان ما بداخله.

ظنت للحظة أنه سيتجه نحوها حاملاً سكيناً ليقتلها، وعندما كانت على وشك أن تتجه صوب الباب، وجد ما كان يبحث عنه، ولوّح به باتجاهها، صورة بإطار بسيط لجوانا عندما كانت في السابعة أو الثامنة من عمرها.

أحضرها جيمي، وألقى بها على الأرض عند قدميها وقال: «كان القرد البائس يريدها لسبب قردي غبي ما، لكنه لا يريدها الآن، لا يمكنه الحصول عليها الآن، لا يمكنه الحصول عليها أبداً، لأنك لم تعودي كما كنتِ. لقد تغيرتِ! لقد تغيرتِ جداً! أنت مجرد شخص آخر مثل الباقين، مجرد وباء وحشرة».

حصل هذا الشخص الغريب على انتباهها، سواء كان مجرد شخص مشوه وغير متزن أو وحشاً، وكان نقطة الارتكاز الذي يستند مستقبلها عليها. قد لا تنساه مجدداً، وما من شك أن عليها أن تفهمه بشكل مطلق، وتفهم كل ما فعله وما يمكنه فعله، لأنه لم يكن بمقدورها أن تحظى بحياة طبيعية أو تكتب أي شيء يستحق الكتابة إذا ذهبت إلى مونتانا وتركت لغزه من دون حل.

ما نَسيتهُ– أُجبرت على نسيانه– من طفولتها شكّل شخصيتها أكثر مما فهمت، وشرح بلا شك لم بقيت من دون شريك في حياتها حتى الثالثة والثلاثين من عمرها، ولِمَ كانت رواياتها الست مليئة بالتوق إلى السمو بطريقة أو بأخرى.

ركل الصورة المؤطرة التي رماها على الأرض وقال: «خذيها، خذيها واخرجي».

أيقنت جوانا أن جيمي مع أنه وبخها بدلاً من مهاجمتها، يستطيع استخدام العنف المروع، ليس فقط من أجل العقاب، ولكن لأسباب غير عقلانية أبداً. رغم أنها لم تؤذِ أحداً، إلا أنها لم تشعر أنها بأمان أكثر مما كان عليه والدها القاتل عندما امتطى حصانه إلى أقاصي المزرعة في اليوم الأخير من حياته.

رغم ذلك، عندما صرخ جيمي بها: «اخرجي» ردت: «لا»، ومشت متجاوزة إياه إلى النافذة الوحيدة في الغرفة، ورفعت الستائر لتسمح بدخول شيء من الضوء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

تكسر الملاط، وانهار فجأة، وخرجت طوبة من مكانها، فدخل ضوء النهار الشاحب من الفتحة التي تشكلت.

امتلأ كولسون فيلدنغ بدفق من العواطف، بشيء أفضل من الحزن، وأكثر صحة من الغضب، وأنقى بكثير من التعطش للانتقام. أعطاه هذا النجاح الصغير باقتلاع طوبة واحدة شعوراً عميقاً بالتواصل مع والده المفقود، لأن والده كان واسع المعرفة بشأن أمور كثيرة، ومقتدراً بطبيعته، كما شعر أنه قريب من جده، الذي لا يزال حياً، والذي لا يزال يبني المنازل، ولديه معلومات عن الملاط، وأعطاه سكين الجيب السويسرية منذ سنوات عدة، وتراءى له في مخيلته وجه أمه اللطيف، التي أحبها أكثر من أي شيء، والتي يجب أن يحيا من أجلها ليمنحها القوة عندما تعلم بموت زوجها، لم تكن المرة الأولى، إلا أنها كانت أقوى من أي مرة أخرى، فهو عرف قيمة العائلة، والراحة، والقوة بين الأجيال التي تشاركت تاريخها، حيث كرّس كل جيل نفسه للجيل التالي بقدر ما سمحت الطبيعة البشرية، بغض النظر عن عيوبها. كان وزن الطوبة في يده جزءاً صغيراً من وزن عائلة فيلدنغ بأجيالها المتعددة، كانت العائلة السليمة كحصن.

شغلت أوفيليا المصباح الذي يعمل بالبطارية. وجد ضوءه الطوبة المنزوعة فقالت: «انتزعنا طوبة، بقي مئتين تقريباً فقط».

ردّ عليها: «إنها مئة وستون».

قالت: «أعطني السكين، سأحفر، وأخرج طوبة أخرى».

فقال لها: «سيكون انتزاع الطوبة الثانية أكثر سهولة»، ووضع الطوبة الأولى على مقعد قريب، وكأنها رفات مقدسة يجب التعامل معها بإجلال، ثم تابع: «وسيكون انتزاع الثالثة أسهل من الثانية».

أطفأت أوفيليا المصباح، وجهّزت نفسها للعمل باستخدام الشفرة في الضوء الخافت، وتيار الهواء الهامس، الذي دخل من المكان الذي انتزعت منه الطوبة، ثم سألت: «لِمَ سيكون أسهل؟».

أجاب: «ينخفض التوازن الأفقي في صف سفلي كهذا، من حافة إلى أخرى، بشكل أسرع مع إزالة كل طوبة».

فسألت: «كيف عرفت ذلك؟».

قال: «من جدي. لأشرحها لك بشكل أوسع، لا يحمل الطوب في هذا الصف الطوب الذي يعلوه وحسب، بل يثبت أيضاً بعضها الآخر في مكانها، أكثر مما

يفعل الملاط».

تساءلت: «ما احتمالات أن أكون محبوسة هنا مع صبي يعرف عن البناء؟».

فردّ سائلاً: «ما احتمالات أن أكون محبوساً مع شبيهة جين هوك؟».

بعد ثلاث دقائق تقريباً، خرجت الطوبة الثانية، وبعدها بدقيقتين خرجت الطوبة الثالثة.

كان الصف الأول مؤلفاً من تسع طوبات، حفرت السكين في الملاط الضعيف، الذي لم يكن متماسكاً جداً كما يجب أن يكون معجون البناء بل كان مادة هشة كالبسكويت المُعد حديثاً، وبسرعة نجحا في إزالة أربع طوبات.

قال كولسون وهو يحمل طوبة في يده: «نوعية رمل سيئة والكثير من الكلس، إنه مجرد هاو. ابتعدي قليلاً عن طريقي».

فتعجبت: «لماذا؟ ماذا ستفعل؟».

قال: «بما أنه لم يعرف كيف يخلط الملاط، فهو لا يعرف شيئاً عن المرابط والركائز، والآن بعد إزالة الصف السفلي ما عدا آخر طوبتين، فإن هذا الجدار بالكاد متماسك».

كان الحافة السفلية للنافذة تعلو قدمين عن الأرض، أما الحافة العليا فتقع على ارتفاع خمس أقدام تقريباً. تمنى لو كان لديه مطرقة ذات مقبض طويل، ولكن لم يكن لديه. كانت هذه مخاطرة. إذا أصابت طوبة واحدة من الطوب المتساقط رأسه، قد يكسر جمجمته، ويمكن أن يؤدي انهيار الجدار إلى أضرار أكبر.

تراجعت أوفيليا، ورمى كولسون الطوبة التي يحملها على ما تبقى من حشوة النافذة. وصدر صوت صفق عريض، لم يكن الصوت مرتفعاً كما توقع، لكنه ربما كان مرتفعاً بما يكفي ليسمعه أوبتيم المجنون إذا كان على شرفة المشرب وليس في الداخل. ضرب مجدداً، فوقعت طوبة واحد من الصف الثاني. بدأت موجات الصدمات تخدر يديه، لكنه ضرب ضربة ثالثة، ورابعة، ثم قفز مبتعداً حيث أنذر صوت التشقق والطحن بانهيار الجدار. اندفع الطوب خارج النافذة، متجهةً نحو العتبة، وتناثرت على الأرض، مطلقةً سحابة من الغبار والإسمنت والكلس المسحوق.

منذ ربع قرن تقريباً والنافذة خالية من الزجاج، ونُزع شباك النافذة منذ وقت طويل. ما عاد هناك شيء يحول دون تحررهما. في الساعة الأخيرة من ضوء النهار، تسلق كولسون الحطام الذي تجمع تحت قدميه، وصعد عبر فتحة

النافذة خلف أوفيليا، وتساءل عما إذا كان سيسمع صوت الرصاصة التي ستقتله أم أن الرصاصة ستكون أسرع من الصوت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت قيادة عربة ستادبايكر إي 7 موديل 1955 ممتعة، إنها بمثابة آلة للسفر عبر الزمن والتي تركت وراءها القرن الواحد والعشرين المضطرب. تمنى وايت رايدر إن كانت فعلاً ستأخذه إلى وقت هادئ في الماضي، من دون الإنترنت والمعتقدات المجنونة للعالم المعاصر، حيث كانت الحياة تتحرك ببطء كفاية لنستمتع بها. قادها لمسافة طويلة جداً، لعدة أميال أكثر مما نوى، لأن هيكتور ألفاريز الفخور بعربته، شجّعه ليسرع أكثر وأكثر، وكذلك فعل الطريق الخالي والأفق اللامتناهي.

أخيراً، عندما استدار عائداً من الطريق الذي جاءا منه، شعر فجأة أنه ما كان يفترض به ترك جوانا بمفردها مع جيمي صاحب العينين كل هذه المدة. التمس الطمأنينة قائلاً لهيكتور: «أخبرتني أنها كانت وابنك أعز صديقين».

كان وجه هيكتور الملفوح بالشمس والمتشقق بفعل الوقت يبدو حكيماً أكثر مما بدا عجوزاً، ابتسم كشخص صوفي متأمل، وقال: «لست متفاجئاً أن جوجو أصبحت كاتبة، كان عقلها مبدعاً ومفعماً بالألوان مثل عقل كاتب قصص حتى عندما كانت صغيرة، محولةً العالم لمكان أفضل مما كان عليه أبداً. كانت الصداقة التي جمعتها مع ابني جيمي شيئاً في خيالها فقط. مهما يكن ما يجول في رأسه، لم يتعلق كثيراً بالآخرين أو بهذا العالم. لقد رغبتُ وأناليزا بالاعتقاد أنه رغم وجود جيمي بلحمه ودمه في هذا العالم البائس، فإن روحه موجودة سلفاً في العالم الآخر، لذا هو يرى ويسافر عبر ذلك المكان الأفضل الجميل، منتظراً جسده المشوه المسكين للحاق به».

لم تهدئ هذه الإجابة مخاوف وايت. فسأله: «صحيح أنه لم ينطق كلمة طوال هذه السنوات؟».

أجابه: «من وقت إلى آخر يصدر أصواتاً تعني شيئاً ما بالنسبة إليه، لكننا لا نفهم ما تعني. لقد أخطأنا بحقه... أنا ووالدته. لذلك حبه ورعايته هما بمنزلة التكفير عن ذنبي، حبي تجاهه وعدم معرفة إذا ما كان يحبني أيضاً على الإطلاق، عدم معرفة ما إذا كان يسامحني أنا وأناليزا أبداً، إلا أنني آمل أن أسمعه يقول هذا في الحياة الأخرى».

لقد واجها بعض الزحام عندما كانا ذاهبين، ولكن في طريق العودة، كان طريق المقاطعة مهجوراً بسبب الهدوء الغريب بدا المكان وكأنه نهاية العالم. التف الطريق شمالاً، مروراً بسهول إلى اليمين، وصفوف مكتظة من السرو إلى اليسار. توقف وايت بينما كان يخرج من المنعطف عندما رأى مجموعة

من الغزلان- وعلاً بقرنين، وغزالة، واثنتان من الظباء المرقطة- تسد الطريق المستقيم أمامهما.

تسمرت الحيوانات في مكانها كالتماثيل، استدارت رؤوسها نحو الستادبايكر، وكأنها تنتظرها، مدركة أنها تعترض طريقها، إلا أنها غالباً توقفت أثناء عبورها عندما سمعت صوت المحرك يقترب.

قال وايت: «يا للروعة».

قال هيكتور: «وعول».

سأله: «لِم وعول؟ لا تبدو كالوعول؟».

أجاب: «بسبب آذانها الكبيرة. ليس للغزلان الأخرى آذان كبيرة كهذه».

نظر إليهما الوعل بما بدا فضولاً.

قال وايت: «لا يبدو أنها تخاف بسهولة».

رد هيكتور: «أطلق البوق وستهرب».

كان لنقرتين على البوق تأثير بسيط. رفع الوعل رأسه قليلاً إلى الأعلى، وتجرأ الظبيان الصغيران على الاقتراب لعدة خطوات من العربة، وكأن الصوت قد جذبهما.

فقال هيكتور: «اضغطه مطولاً».

وكان للضغطة الطويلة الحادة تأثير أقل شدة حتى من النقرتين الخفيفتين.

قال هيكتور وهو يفتح باب مرافق السائق: «سأطردها بعيداً».

فقال له: «انتظر لحظة. أتظنه من الحكمة فعل هذا؟».

رد عليه: «إنها مجرد غزلان. ليس لديها روح قتالية».

أخفض الوعل رأسه، وخدش الطريق بحافره، وكأنه يحذرهما أو يتحداهما.

حمل وايت تحت سترته الرياضية، في قراب الخصر مسدساً. لم يكن ليطلق الرصاص على الغزلان، لكن إطلاق رصاصة في الهواء قد تخفيفها في حال لم يستطع هيكتور طردها.

وضع السيارة بوضع الوقوف، ورفع كابح اليد، ثم خرج ليرافق الرجل العجوز.

كانت الشمس ترتفع بعيداً في الغرب، وامتدت ظلال الغابة القريبة إلى الشرق، وبدت انعكاسات أشجار السرو وكأنها تندمج بالإسفلت. إلى الشمال الغربي، تحركت الغيوم الداكنة جنوباً بحركة بطيئة لكن مهددة.

بينما اقترب وايت وهيكتور من الحيوانات، كان الصوت الوحيد الذي سُمع هو صوت الرياح المنعشة، وحك حافر الوعل على الإسفلت الأسود.

توقف وايت عند رؤية قرون الوعل المدببة الشرسة، ووضع يده اليمنى على مقبض المسدس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

50

لم تكن مساحة الطريق الدولي السريع كافية بالنسبة لكمية البيانات التي تنتقل عبره؛ والبيانات هنا هي حركة المرور والسيارات، ولكن خلف مقود البونتياك جي تي أو، كان كيني ديتل ينزلق بشكل متعرج عبر الفراغات الحقيقية بالشجاعة نفسها التي كان يسابق فيها عبر الفضاء الرقمي. لم يستعمل البوق أبداً، مع أن السائقين الآخرين استعملوه للتعبير عن غضبهم تجاه المهارة التي كان يقوم بها بالانحراف بقوة من جهة إلى أخرى، حيث تعامل مع مركباتهم مثلما يتعامل المتزلجون مع الأعمدة التي تحدد مسار سباق التزلج. ظنوا أن مناوراته كانت متهورة، لكن كيني كان يراها نتائج لعملياته الحسابية الدقيقة- أو على الأقل هذا ما اعتقده، والذي كان تقريباً الشيء نفسه في العالم الجزيئي حيث يفيد مبدأ عدم اليقين، بشكل جزئي، أنه لا يوجد أي شيء في أي مكان حتى تتم رؤيته، أو شيء من هذا القبيل.

كانت لي آن متأهبة في مقعد الراكب الأمامي، وكأنها على متن قطار يوشك الانحراف عن مساره. كان حديثها في البداية يداخله الكثير من الشتائم لدرجة أن جملها كانت صعبة الفهم في بعض الأحيان. إلا أنها استنفدت بعد وقت قصير قدرتها على الشتم، وجعلها كيني تعتاد بعد ذلك على السرعة بالحديث عن غانيش باتيل.

قال لها: «إنه عبارة عن ثلاثة أنواع من العباقرة في آن معاً».

سألته: «هل هناك أكثر من نوع واحد؟».

أجابها: «عبقري علمي، أنهى الجامعة عندما كان في الثانية عشرة من عمره، وحصل على الدكتوراه في السابعة عشرة، ولديه الكثير من براءات الاختراع في مجال تكنولوجيا الطباعة الحيوية».

سألته: «والتي هي؟».

أجابها: «سهّل استخدام المغذيات التي تستخدم في الطباعة، والتي تحتوي على خلايا وكولاجين وأمور أخرى، لصناعة عدة فئات من النسيج الصنعي، أو حتى الأعضاء، وخاصة الأوعية الشعرية. شكّلت الأوعية الشعرية قضية صعبة بالنسبة للطباعة الحيوية قبل غانيش».

قالت: «يبدو هذا مثل الخيال العلمي».

قال: «إنه ليس كذلك، ولديه أيضاً براءات اختراع في عمليات انتزاع خلايا الأعضاء المتبرع بها قبل زراعتها».

فقالت ساخرة: «حدثني بلغة مفهومة».

شرح لها: «إنهم يجردون العضو من الخلايا التي فيه، ثم يملؤونه مجدداً بخلايا جديدة من الشخص الذي سيتلقى عملية الزرع، وهذا يخفض كثيراً من احتمال رفض العضو».

سألته: «يملؤونه مجدداً، أليس كذلك؟».

أجابها: «ويمكن الآن استخدام الأعضاء التي كانت غير ملائمة للزرع. العضو منزوع الخلايا هو بمثابة ناقلة للخلايا الجديدة».

استفسرت: «ناقلة منزوعة الخلايا».

أجاب بينما أطلق ثلاثة من السائقين الغاضبين أبواق سياراتهم عليه في الوقت نفسه: «بالضبط».

سألته: «ما هو النوع الثاني للعبقرية لدى هذا الشخص؟».

قال: «مستثمر عبقري، إذا وضع أمواله في شركة تقنية ناشئة، يمكنك المراهنة بأحد أعضائك أنها ستكسب أموالاً طائلة».

قالت: «لن أراهن بأحد أعضائي على أي شيء، إلا إذا كان لديّ بالطبع عضو احتياطي جاهز لاستبدله به. ما هو النوع الثالث من العبقرية الذي هو عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

51

كان اتجاه النافذة إلى الشمال الغربي، حيث بدأت تتجمع غيوم يبدو أن عاصفة ترافقها، لدرجة أنه عندما رفعت جوانا الستائر المطوية، تسارعت الرياح فجأة بشكل كافٍ لتهز عدة أشجار سرو قريبة، نازعةً من هذه الأغصان حفنةً من الأشواك اليابسة التي ارتطمت بزجاج النافذة.

قال جيمي صاحب العينين: «لقد قلت لك أن تخرجي».

ردّت: «لكنك لا تريدني أن أخرج حقاً».

قال جيمي: «لا تدعي أنك تعرفينني، أنت تقفين هناك وتولينني ظهرك، وتحاولين ألا تظهري خوفك، بينما تأكل ديدان الخوف قلبك، أنتِ لست متأكدة مما قد أفعله، أنت تخشين أن أضربك كما ضرب والدك والدتك، وتخشين أن أطعنك أو أقفز عليك وأعض حنجرتك. الآن، يخيفك هذا الفم العريض والأسنان المعوجة كما لم يخيفك من قبل. لقد فقدت قدرتك على الثقة التي كانت لديك قبلاً، أنت مليئة الآن بالشك والتردد والريبة».

فكّرت في نفسها: أنت لن تؤذيني.

فقال: «ليس لديكِ أي ضمانة على ذلك، وتعرفين ذلك، اخرجي ما دمتِ تستطيعين الخروج».

فكرت: أنت ممنوع من ذلك. أنت قلت هذا.

ردّ عليها مذكراً: «أعدمتُ والدك لسبب نزيه».

ففكرت: «ليس لديك سبب في حالتي».

قال: «أنت ابنته».

ففكرت: الابنة سر أبيها؟ هل هذا سبب كافٍ لقتلي، صديقتك التي سافرت كل هذه المسافة لمساعدتك؟

أجاب: «استدعيتُ صديقتي جوجو، جوجو التي أعرفها؛ المتفانية، والجريئة، والمتواضعة، والبريئة، والمشرقة دائماً. أنتِ لستِ صديقتي، لا يمكنك إزالة السوداوية المتكونة بداخلي، وبؤسي، لقد جعلتِ بؤسي أسوأ فحسب، أنت سيئة، مثل باقي نوعك، وباء، مرض على هذه الأرض».

أخافتها قدرته على قراءة عقلها بدقة، وهذا ما جعلها تلجأ إلى الكلام، على الرغم من أنها لا تزال تنظر إلى العالم خارج النافذة. قالت: «إذا كانت

السنوات قد أفسدتني، فقد أفسدتك أيضاَ، قلت إنك ممنوع من التحكم بعقول الناس، ولكنك سرقت من عقلي ذكريات صداقتنا القديمة».

قال لها: «لم أسرق شيئاً، كبتُ ذكرياتك لأحمي نفسي، لأخفي حقيقة ما أنا عليه، هذا أقصى ما يسمح لي به، إنه تصرف نزيه تماماً. والآن وقد عادت ذكرياتك، إذا اضطررتُ أن أقتلك لأخفي حقيقة ما أنا عليه، سيكون لي الحق أن أفعل هذا».

كان بإمكانها سماعه يتحرك باستمرار في أرجاء الغرفة، ويتنفس بقوة، في اضطراب واضح. لم يسبق لها أن خافت كما هي الآن. أياً يكن الأمر، لن يفيدها الاستسلام لخوفها والهرب. مهما يكن هذا الشيء الذي أطلق على نفسه اسم جيمي ألفاريز، فهو يريد قتلها، كانت واثقة من ذلك. حتى إن لم يقتلها هنا، سيقتلها في مكان آخر. كان أملها الوحيد، إذا كان لديها أمل، أن تعرف كل ما بوسعها عن هذا الشخص، أو هذا الشيء.

قفزت عدة غربان بشكل مفاجئ خارج أشجار السرو التي هزتها الرياح في الحديقة الخلفية، واتجهت شمالاً نحو الغابة التي احتوت أعشاشاً محمية بشكل أفضل.

زرعت جوانا في مخيلتها صورة والدتها في النعش، كما بدت إيميليا في دار جنائز باكيلتون منذ ربع قرن مضى، واستخدمت كل قوة مخيلتها الخصبة المدربة لرسم هذا المشهد المروع بأدق التفاصيل التصويرية الذي زاده كل هذا الحزن المتجدد في صدرها. قالت: «إذا كنت تستطيع قتلي، فمن تستطيع أن تقتل أيضاً؟».

بدا وكأن الصورة التي استحضرتها جوانا لإيميليا قد أربكته، فأغضبه سؤالها. تدفق سيلٌ من الإنكار والتبريرات حيث قال: «لم أؤذها، بل والدك من فعلها ـ كما أخبرتك! إن قتلها كان جريمة، أما إعدامي لساموبل فكان تصرفاً نبيلاً، واستحق أسوأ من هذا حتى، أنا لستُ...».

حدث ما أملت به، تشتت بسبب الاتهام الذي وجهته والرؤية التصويرية التي رافقته. لذا، لم يكن قادراً في هذه الأثناء على قراءة عقلها بشكل كامل، وهذا ما ساعدها على تشتيته بمقاطعته بسؤال أساسي آخر: «من الذي يمنعك؟».

عرفت أنها فاجأته، وأن هذا كان ممكناً، لأنه توقف عن التحرك، ولم تكن لديه إجابة مباشرة.

«من الذي يمنعك؟»، ستشرح الإجابة على هذا السؤال ماهيته.

أجابها بتردد: «يمنعني قانوني لقواعد السلوك».

أخيراَ، استدارت وأولت النافذة ظهرها.

كان واقفاً بجانب الباب المؤدي إلى الردهة.

أصرت بسؤالها: «من الذي يمنعك؟».

فقال: «لا تزعجيني، يا جوانا».

على الرغم من القلق وعدم الارتياح الذي سببهما وجهه الفظيع وجسده المشوه، بدا حتى الآن ضعيفاً بسبب عظامه سيئة الشكل ومفاصله المشوهة، وحجمه الممسوخ الذي يوحي بالضعف. أيا يكن الأمر، لقد أفزع جوانا عندما قفز من الكرسي إلى مسند القدمين بسرعة كالقطة، لقد كانت تعيد تقييم حالته؛ إنه قصير، لكنه صلب، كان لديه ربما بعض العضلات تحت ملابسه الفضفاضة. لو كانت آلامه قد أضعفته وجعلته معرضاً للمرض والضغط ومثاقل الحياة، ما كان ليصل أبداً إلى السابعة والثلاثين من العمر بهذا المستوى من النشاط والطاقة. لكن كان أكبر مما بدا في البداية، وربما أقوى من جوانا، لقد تعاظمت قواه بسبب الجنون والغضب.

عادت إلى مسند القدمين، والتقطت عن الأرض بالقرب من مسند القدمين صورتها عندما كانت طفلة في السابعة أو الثامنة من العمر. شعرت بالأسف لأن يديها كانتا ترتجفان، ولكن لم يكن بإمكانها التحكم بهما، لقد عرف حقاً مقدار حجمها وعمقه، لم تستطع إخفاء هذا عنه.

عندما رأته متشنجاً، عرفت أنه قرأ عقلها، وأنه يعلم ما ستقول. لكنها قالت رغم ذلك مقتبسةً كلامه: «أرادها القرد البائس لسبب قردي غبي ما، لكنه لم يعد يريدها الآن».

ما كان يفترض بها أن تكون قادرة على قراءة العقول لتلاحظ مقدار غضبه منها، لقد أصبح يكرهها من دون سبب، أرادت أن تقنع نفسها أنه كان سليم العقل عندما كان صديقها السري، لكن بغض النظر عمن كان، أو عما كان، فهو ليس عاقلاً الآن.

سألته: «هل كنت تتحدث من مبدأ كره الذات أو من مبدأ ازدرائك له؟ هل أطلقت على نفسك القرد البائس؟

كما لو كان هناك كائنان أحاديا العين ينظران إليها، كلٌ بعينه الخاصة من خلف ذاك الوجه المعذب، فقال: «كان يجب عليك الخروج عندما استطعت».

فقالت: «هل أطلقت على جيمي لقب القرد لأنه يثير اشمئزازك؟».

كان سكوته مُهدداً.

مناقشته تفترض بها استيعاب البنية المعقدة لما سماه قانونه، والجهد اللازم لتفعل ذلك، ناهيك عن الخوف، لقد جعل وجهها يتصبب عرقاً، قالت له: «لم يسبق لجيمي أن تحدث عن نفسه مستخدماً صيغة الغائب، ولا أظنه أطلق على نفسه اسم القرد البائس. أظنك أنت من أسماه هكذا».

أجاب: «أنا أعرف مقدار بؤسي».

فقالت: «لا، لا تمثل بعد الآن أنك جيمي. جيمي حاضر جسدياً، لكنه ليس الشخص الذي أتحدث إليه».

ردّ: «أنا جيمي ألفاريز، من ترين غيري هنا؟ هل هناك خطب ما في عينيك؟».

قالت: «لقد كشفت نفسك بمناداته بالقرد البائس».

أغلق الباب المؤدي إلى الرواق.

قالت: «لم يكن جيمي ألفاريز صديقي السري، لقد كنت أنت صديقي السري أو الشيء السري، أنت تستخدمه بالطريقة نفسها التي استخدمت فيها الأيل اليوم، تماماً كما استخدمت الدب البني».

اتسع منخاراه، وعض شفته السفلية، بينما حرك يديه، وكأنه يحاول أن يمزق شيئاً ما بهما، ومشى باتجاهها.

قالت متراجعةً عنه: «سيعودان في أي لحظة الآن».

قال: «سيجدانك ميتة، وربما سيقوم صديقك وايت بقتل جيمي، وانا لا أجد ضيراً في ذلك؟ جيمي هو لا شيء بالنسبة إليّ، فأنا لم أعد بحاجة إليه الآن، بما أنني استدعيتك إلى هنا بواسطته، ووجدت أنك لم تعودي كما كنتِ، وأنك مجرد طفيلية أخرى تمتص دماء الحياة من الكوكب، فأنا لا أرى فيك أملاً على الإطلاق».

قالت مذكرةً إياه: «أنت ممنوع من فعل هذا»، وانخفضت متوسلةً إياه بجنون ليبقي على حياتها.

قال: «يمكنني إعدام أي أحد من أجل قضية عادلة، وأنا مجبر أن أقتل لأحافظ على وجودي سراً».

جالت عيناها في أرجاء الغرفة بحثاً عن سلاح ما، بينما كانت تتراجع باتجاه النافذة التي لا يمكن الهرب منها. قالت مقتبسة: «الجزاء العادل، الزيارة غير الشخصية لهلاك القانون العادل».

أجاب: «نعم».

فسألته: «لكن لم يكن هذا ما عنيته عندما قلتُ إنك (ممنوع)، يبدو أنك تظن أن لديك الحق لتقرأ عقلي، لكنك قلت إنك ممنوع من التحكم بعقلي واستخدامي كما فعلت مع الأيائل».

ردّ: «لن أتحكم بك واستخدمك، أنا سأمحيك فقط».

فقالت وهي تتراجع نحو النافذة: «أنت تتحكم بجيمي، وتستخدمه. أنت تفعل بالضبط ما قلت إنك ممنوع منه».

فقال: «إنه حيوان متدني المستوى».

فأجابت غاضبة: «أنت الحيوان متدني المستوى، أياً ما كنت، جيمي بشري مثلي بالضبط، وأكثر بشريةً منك. هيكتور ألفاريز ليس حيواناً متدني المستوى».

قال لها: «أنا لم أستخدم هيكتور ألفاريز».

قالت له: «لم تكن أناليزا ألفاريز حيواناً متدني المستوى».

فأجابها: «إنها ميتة».

ردت: «جيمي ألفاريز هو ابنهما، اللعنة عليك، إنه مختلف وهذا كل ما في الأمر، لا تختلف جيناته البشرية عن جيناتي، كان عزيزاً بالنسبة إليّ. لقد كان –وسيكون دائماً –صديقي. هل أنت قادر حتى على مصادقة الآخرين؟».

توقف جيمي- وأي كان من يتحكم به- على بعد ثلاث أقدام منها.

تسارعت الرياح أسفل السطح المسقوف، وهزت مزاريب المطر، وأصدرت الجدران المتشققة صوتاً.

حدقت إلى نظرة غريندل([11]) الشريرة فيه، وواجهت أياً يكن ما أدخله هذا الحضور الشرير إلى الغرف التفكيرية خلف هاتين النافذتين الملونتين بشكل مختلف عن بعضهما، تجرأت جوانا وقالت: «لقد فعلت طوال هذه السنوات ما ادعيت أنك ممنوع من فعله، طوال هذه السنوات عندما كنتُ طفلة بريئة، كنت فاسداً بالفعل».

لم يهدأ غضبه وهو يقول بصوت خشن وعميق: «أنت لا تعلمين شيئاً، فأنا لم أفعل إلا ما هو ضروري، لم يكن بإمكاني استخدام حيوان آخر للتحدث إليك. ليس لديه ما يلزم للكلام. احتجتُ إلى حباله الصوتية ولسانه والعضلات المميزة لفمه البشري وشفتيه».

بدا من خلال تبريراته الذاتية أنه مصر على أنه قد تصرف وفقاً لفكرة شخص مجنون عن القانون الأخلاقي.

انتهزت الفرصة وقالت: «أنت تقول حيوان آخر، كما لو أنك ما زلت مصراً على أنه حيوان. أنت تعرف تمام المعرفة. استخدمته لتسحر طفلة صغيرة، لماذا فعلت ما كان ممنوعاً؟».

أشاح بنظره بعيداً عن جوانا، متجاوزاً إياها، إلى ضوء النهار خارج النافذة. فجأة بدا وكأن غضبه قد تلاشى. رق صوته الخشن وقال بشيء من الحزن: «ليس من المفترض أن يكون لديّ رد فعل عاطفي على مرور الوقت، إنما تقدير رياضي له فقط».

صدر هذا الكلام عن شخصية مختلفة عن التي كانت من قبل، لدرجة أن جوانا وقفت مذهولة، متسائلة إذا كانت ستفهم قارئ العقول هذا والمتحكم بالحيوانات.

قال وهو يركّز على النافذة: «كان هذا صحيحاً طوال هذه السنوات. تتيح لك العزلة الدراسة وجمع المعرفة، ولكنها تشجع على التأمل أيضاً، الكثير من التأمل. ذات يوم تحولت العزلة البسيطة إلى شعور بالوحدة، لأنهم اعتقدوا أنني لا أمتلك إمكانيات».

سألته: «من هم؟».

عندما استدار ونظر إليها أظهر وجهه وصوته حزناً عميقاً حيث قال: «يعطي الشعور بالوحدة معنى أجدد وأعمق للوقت، الشعور بالوحدة مرضٍ، إنه شوقٌ منقطع النظير، بدا أن لا نهاية له، ليس هناك شخص آخر يمكنني أن أشكّل رابطاً معه، ما من أحد يحميني من اليأس والإحباط، ثم عثرتُ عليك. لقد كنتُ بأمس الحاجة للتحدث إليك لأقول «أنا هنا، أنا صديقك». كان لدى الصبي المسخ المشوه ما يلزم للتحدث، ولكن لم يكن لديه القدرة على التحدث».

سألته: «لكن لِمِ أنا؟».

أجاب: «لأنك كنت مختلفة».

ردت: «مختلفة عن ماذا؟ عن من؟».

أمسك معصمها الأيسر بيده اليمنى، وعصرها بقوة بشكل مفاجئ لدرجة أنها لم تستطع أن تتراجع عنه في الوقت المناسب. قال: «مختلفة عن قبيلة كرو التي عذبت وقتلت قبيلة سيو التي بدورها عذبت وقتلت قبيلة كرو، ومقاتلي بلاكفوت الذين قتلوا أفراد قبيلة ساليش، مختلفة عن جيوش العرق الأبيض التي شنت الحرب عليهم جميعاً، إن الأرض قاسية وموحشة هنا، وقدرتي على التأثير على عقل ما لها نطاق محدود. عرفتُ الكثير من اللصوص والقتلة والمجرمين، لكنني عرفت عدداً قليلاً من الصالحين، في تلك الأيام، لم يكن أحد بطيبة قلبك وبراءتك».

لم يكن افتراضه بأنني قد عشتُ هنا لمئات السنوات أكثر خيالاً من قدرته على قراءة العقول، إلا أن نبرة التوسل الواضحة في صوته المتقطع بدت صادقة.

قالت: «هناك عالم أكبر من هذا، وبه الكثير من الأشخاص الصالحين».

قال: «نعم، هناك الإنترنت الآن، أنا استخدمه. أوه، ولكن كيف استخدمه؟ ليس لمسح عقل ما، ولكن بما يكفي لأرى وأعرف أنه ليس هناك مهرب من الفساد، والكراهية، والجنون».

سرعان ما عاد غضبه بعد أن هدأ قليلاً. لم يترك يدها ببساطة بل رماها بعيداً، كما لو كان التلامس معها منفراً.

قال: «يمكنني قراءة عقل واحد في كل مرة، وواحد هو كثير أساساً، لا أريد الدخول إلى عقول نوعك مجدداً، إلى كل هذه الأنانية. أنت لستِ الفتاة نفسها التي كنت عليها قبلاً، لم تعودي جوجو اللطيفة بعد الآن. أنت الآن جوانا، مجرد طفيلية أخرى، أنت الدليل على أن آشير أوبتيم على حق، وأنه لا معنى من الكفاح المستمر لنوعك، ولكنه أحدث الكثير من الضرر. اكتسبت البشرية اعتقادات فظيعة، والتي أملك القدرة على التحكم فيها».

لم تسمع جوانا من قبل بآشير أوبتيم، وشكت أن سؤالها عنه سيفيدها في أي شيء. قالت: «إذا قتلتني، ستقتل أيضاً الفتاة التي كنتُ عليها».

صرخ: «أنت قتلتها! أنت! أنت! بطموحك وحاجتك إلى التملك، وحاجتك أن تكوني شخصاً ما، أن تنهضي في العالم. هذا الطموح هو ما أنهى جوجو». قوبل خوف جوانا باستنكار الغرور الذي أثار غضبه. غضبه عليها لم يكن صالحاً، بل كان صالحاً بالنسبة إليه فقط.

قالت: «عندما كنتُ فتاة صغيرةً، كانت أمي تقرأ لي. أحببتُ القصص، وأردتُ أن أكبر لأصبح روائية. جعل جيمي –أو أنت، بغض النظر عن من تكون- أربع سنوات من حياتي عبارة عن خيال، عن قصة مذهلة، وأنت ساهمت بالقدر نفسه مثل الآخرين في وضعي على المسار الذي اتخذتُه، حياة مليئة بالقصص، حياة كاتب روايات».

لم يتحرك أبداً وقال: «إنها الطريقة البشرية لتبرير طبيعتها المدمرة، فطبيعة البشر أنهم لا يتقبلون اللوم ويلومون الآخرين».

كانت حافة النافذة حادة خلف ظهرها الصغير.

عندما سكت هذا المتحكم المجهول بجيمي، واستدارت هاتان العينان المخيفتان إلى النافذة ثانيةً، قالت جوانا: «لقد أحببتني، ربما كما لم يفعل

والدي أبداَ، كنتَ صديقي السري، وكنتُ صديقتك».

قال: «ليس هناك إلا الشعور بالوحدة الآن»، ثم تغيرت حالته النفسية بشكل مفاجئ من الغضب إلى الحزن، وتابع: «إلى أن يتم القضاء على آخر كائن بشري، حتى تموت الشمس وتنطفئ آخر النجوم، حتى في ذلك الوقت، عندما تصبح السماء الواسعة مظلمة، تلك السماء المرعبة، سأكمل القضاء على آخر كائن حي في عالم بارد وهادئ، أفكر إلى ما لا نهاية، سأكون متشوقاً إلى ما لا نهاية، وبلا أمل إلى الأبد. تؤرقني هذه الفكرة، هذا الرعب اللامتناهي».

لم تعرف جوانا ماذا تقول أو تفعل. شعرت كأنها تقف على حافة ضيقة، فوق فراغ سحيق، وأن أي كلمة خاطئة أو حركة مزعجة ستستفزه، وتقوده لاستخدام العنف.

خاطرت في النهاية وقالت كلمتين: «دعني أساعدك».

في تلك الأثناء، بدا أنه لا يكن لها ضغينة، فقال لها بحزن: «لا يمكنك مساعدتي، لقد أغرقتُ جوجو اللطيفة كما أغرق والدك والدتك. أنتِ لستِ الحل لبؤسي، إنما مجرد سبب آخر له، لن أقرأ عقلك مجدداً، لن أقرأ عقل أحد من نوعك، ما عدا آشير أوبتيم. لقد أراني الطريق الصحيح. أما أنتم الباقون فلستم سوى وباء، بعد كل هذه السنوات من الشعور بالوحدة، أعرف ما عليّ أن أفعله. إني استجمع قواي ونفسي لأفعله». تحول حزنه إلى حقد شديد ثم تابع: «بدءاً بك، آنسة تشيس، لأنك أصبحت فاسدة ومخربة، لأنك قتلت جوجو الخاصة بي».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

52

لم تُخف الرصاصتان اللتان أطلقتا في الجو الغزلان الأربعة.

توقف الوعل عن حك الطريق بحافره، ورفع رأسه الكبير، ولم يبدُ فزعاً. حدّق إلى وايت، وشخر بصوتٍ عالٍ، معلناً تحديه الذي بدا عدوانياً جداً لأنه صادر عن فصيلة صممت على الهرب لا على القتال. أخفض رأسه، ونظر إلى الرجلين من أسفل جبينه، ملوّحاً بقرنيه اللذين بدوا مثل سيف متعدد الشعاب في موسم التزاوج، ففي هذه الفترة قد يتقاتل ذكران لمدة تصل إلى ساعتين عندما يتنازعان على أنثى، إلى أن يستسلم أحدهما ويهرب. رغم أن قرونهما تشتبك بضراوة خلال المعركة، إلا أن أياً منهما لا يتعرض لإصابات خطيرة، حتى أنهما في معظم الأحيان لا يجرحان. شعر وايت أن الوعل سينطحه إن وجد ضرورة لذلك، وربما سيصطدم عربة الستادبايكر بقوة انتحارية إذا حاول هيكتور أن يقودها عبر هذا الحصار.

عندما أطلق الرصاصتين، بقيت أنثى الغزال ساكنة، واكتفت بما يقوم به الوعل، وتقدم الظبيان الصغيران بضع خطوات إضافية بجرأة، بعكس ما قد تفعله الظباء العادية.

قال هيكتور: «لم يسبق لي أن رأيت مثل هذه العائلة الصغيرة هنا. في بعض الأحيان، تقترب الدببة البنية من السيارات، ظناً منها أنها قد تجد طعاماً في داخلها، لكن الغزلان لا تتصرف مثل الدببة، ولم يسبق لي أن رأيت غزالاً لا يفزع ويركض هرباً عند سماعه صوت الرصاص».

أدرك وايت أن جيمي ألفاريز يتحكم بهذه الحيوانات، وهذا لا يعني إلّا شيئاً واحداً، وهو ليس بالشيء الجديد، فصديق جوانا السري لم يردهما أن يعودا بعد، وهو يريد أن يمضي معها مزيداً من الوقت.

كان هذا الطريق المستقيم أعلى بحوالى قدمين عن الأرض العشبية إلى اليمين، وكانت الجهة اليسرى التي تؤدي إلى الغابة مرتفعة. لم تكن الستادبايكر مركبة رباعية الدفع تستطيع التحرك خارج الطريق عبر الأرض العشبية.

قال هيكتور: «يمكننا أن ننتظرها لتغادر، لن تبقى وقتاً طويلاً، لا تكف الغزلان عن الأكل طوال اليوم، ولا يوجد شيء على هذا الطريق السريع لتأكله».

صعد هيكتور إلى مقعد السائق، وجلس وايت على مقعد الراكب، وأغلقا البابين، ومع ذلك لم تتحرك الغزلان.

مع أن السماء كانت ملبدة بالغيوم الرعدية القادمة من جهة الشمال الغربي، إلا أن الشمس كانت مشرقة في الأفق، صابغة فترة الغروب باللون الذهبي. بدت الغزلان وكأنها تلمع تحت ذلك الضوء. بقي طريق المقاطعة السريع خالياً من السيارات، كما لو كان وايت وهيكتور الناجيان الوحيدان من معركة نهاية العالم. كان المشهد غريباً وكأنه حلم.

جلس هيكتور في صمت لدقيقة أو دقيقتين، واضعاً يديه باستعداد على المقود، ثم سأل: «هل يحمل جميع التحريين الخاصين مسدسات كبيرة؟»

أجاب: «كلا يا سيدي، معظمنا لا يحملون مسدسات، حتى أنا لا أحمل مسدساً في معظم الأحيان. لكن زبوني في هذه القضية... حسناً، هناك عدد كبير من الناس يكرهونه لأنه ثري من دون أي سبب منطقي».

فسأله: «هل يقلقك» وأشار إلى الغزلان: «هذا الوضع؟».

أجابه بسؤال: «هل يجب أن يقلقني؟».

أجابه: «لم تضع مسدسك جانباً بعد».

كان وايت يحمل المسدس في يده اليمنى، موجهاً فوهته إلى أرضية السيارة بين قدميه. لم يظن أنه سيحتاج سلاحه الآن، لكنه فكّر أنه قد يحتاج إليه عندما يعودان إلى منزل جيمي ألفاريز. قالت جوانا أنه مسالم مثل ملاك، لكنه يشك في ذلك.

لم يستطع مشاركة تلك الفكرة مع والد جيمي، لذا قال: «أنا قلق لأن الخطر الذي يحيق بزبوني شديد، لذلك أتوتر عندما أرى أي شيء غير عادي».

سأله: «هل جوانا في دائرة الخطر هي الأخرى؟».

أجابه: «لا لا إنها فقط...» وخطرت له كذبة مقنعة، فتابع: «تعرف تاريخ المنزل، ظننا أنها قد تساعدنا، وبمجرد أن وصلنا إلى هنا، أرادت أن تراك أنت وجيمي. أنت تعرف، لستُ مخولاً مناقشة أمور زبائني أو طبيعة المخاطر التي قد تحيق بهم».

فقال له: «لا أريدك أن تفعل ذلك، لديّ ما يكفيني من المشاكل».

رفعت الغزلان الأربعة رؤوسها كما لو أنها غزال واحد، وارتعشت آذانها، وتحركت نحو الأرض العشبية مفسحة الطريق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

53

يحمل آشير أوبتيم في يده اليسرى بندقية عيار 12 التي كان ستيفن فيلدنغ يحملها، ويوجه فوهتها إلى السماء، ويلتقط بواسطة يده اليمنى صور سلفي بواسطة كاميرا رقمية صغيرة يستخدمها ليوثق رحلته للأجيال القادمة. يقف بجانب اللوحة التي تحمل كلمة صفورة الممحية، عند مدخل البلدة المهجورة.

أضفى ضوء الغروب المتأخر جواً مسرحياً، وكان آشير ملائماً للتصوير بشكل استثنائي، لذلك، كانت هذه الصورة إضافة ممتازة لملف الصورة الفوتوغرافية الذي سيُضاف إلى البيان الذي سيغير العالم. ما كان ليُقدم على هذه المهمة ما لم يكن حسن المظهر بشكل استثنائي، فالناس على مستوى عال من السطحية التي ستحملهم على دعم قضية كبيرة إذا كان القائد شخصية رومانسية مهيبة. سيكون مصير هذه الحملة الفشل إن قادها رجل عادي المظهر، لكنه يمتلك الوجه، والعينين، والشعر، والقوام، والرشاقة الحيوانية التي يمتلكها رجل قُدّر له النجاح.

ستؤثر رمزية وقوفه هنا مع بندقية المؤرخ تأثيراً عميقاً على أولئك التلاميذ المتنورين الذين سيساندونه في مهمته. إنه ثوري بشكل لا شبيه له، لأنه لم يكن متمرداً ضد نظام سياسي أو طبقة حاكمة فحسب، إنما ضد البشرية جمعاء، وليس فقط البشرية كلها، بل ضد تاريخها. إن قتل مؤرخ واحد هو خطوة مهمة في سبيل قتل الجميع. كزانتوس تولر هو مرشدٌ لا بأس به، لكنه لم يكن ثورياً بما يكفي لأنه لم يجد ضيراً إن استغرق الأمر مئة أو مئتي سنة وربما أكثر للقضاء على وجود البشر. إن هدف آشير هو إلهام جحافل متحمسة من المؤمنين الحقيقيين الشرسين نافدي الصبر. هناك عدة أدوات يمكن للعملاء المتخصصين بالمجزرة العالمية استخدامها لتحقيق هدفهم وهي: الأوبئة، وتلوث مصادر الغذاء، وغاز الأعصاب...

وضع الكاميرا في جيبه، وابتعد عن اللوحة، وجهّز بندقيته ليصوب نحو اسم البلدة. السلاح محشو برصاصات، بدلاً من الخرطوش. كاد الارتداد يوقعه أرضاً، عندما ضرب الأخمص كتفه، فتردد الصوت عبر الأشجار كهدير التنين سباعي الرؤوس معلناً حرب نهاية العالم. فُقدَ جزء من اللوحة الآن، ثم أطلق رصاصة أخرى لم يتبق من حروف اللوحة إلا حرف التاء المربوطة.

علّق البندقية على كتفه، وأمسك الكاميرا ليصور سيلفي أخرى مع اللوحة. وجدها فكرة هادفة أنه لم ينجُ إلا حرف التاء من إطلاق النار. فهو يرمز في الرياضيات إلى الكمية غير المعروفة. في هذه اللحظات، حيث لم يكتمل بيان آشير بعد، لم يُعرف بعد بالشخصية العظيمة التي سيصبح عليها، لا يزال من

الكمية غير المعروفة بالنسبة إلى باقي العالم، ولكنه لن يبقى كذلك لوقت طويل.

عندما يصدر بيانه، وتُثبت مقبرته المستقبلية التزامه الصالح، سيكتسب أتباعاً شغوفين، وسيكون هناك أعداءٌ أيضاً وخصوم عازمين على إيقافه. في مرحلة ما سيضطر إلى الاختباء، وإذا احتاج يوماً ما أن يستخدم اسماً حركياً، فإن اسماً واضحاً مثل تاء مربوطة سيكون مناسباً جداً لقائد الثورة العظيمة النهائية، جزء من اسم يشير إلى القوة والغموض.

تحوي الفتحة التي أحدثتها البندقية الآن على مقذوف فارغ، ويحوي المخزن ثلاثي الطلقات على واحدة أخرى. كان لدى المؤرخ الميت ثلاثة مقذوفات احتياطية في حقيبة ظهره. حشا آشير رصاصتين في المخزن.

كان يُفترض به أن يحضر سلاحاً كهذا إلى صفورة عندما قرر كتابة بيانه. وقد أدى المسدس دوره على أكمل وجه، ولكن هناك متعة خاصة فيما يتعلق بقوة البندقية.

من بين سجيني الكنيسة، من المحتمل أن يكون كولسون أول من يفقد الأمل، لأنه صغير السن، ومُثقل بالأحزان، ولأن أوفيليا كانت وضيعة وقوية، إذا ماتت روح الصبي غرقاً في بؤسه، سيصبح جسده مستعداً للموت، وعندها ربما ستستسلم أوفيليا، وتفقد الأمل بعد أن ترى كولسون الصغير يموت جراء رصاصة في وجهه من هذه البندقية من مسافة قريبة جداً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

54

في طريق هروبهما من الكنيسة، رأى كولسون النهر يتموج كثعبان فضي طويل جداً. لقد تبع هو ووالده مجرى هذا النهر في طريقهما إلى هذه البلدة. شعر بالإغواء ليركض صوب الماء، ويرمي بنفسه في هذه التيارات الرقيقة، ويبقى عائماً حيث يجرفه تيار الماء، لم يكن مهماً إلى أين يُجرف، المهم أن يُجرف إلى أي مكان لا يكون لآشير أوبتيم وجود فيه.

لقد خجل مما شعر به، ولكنه كان شعوراً ملحاً، وربما كان سيستجيب له ما لم تكن أوفيليا بول ممسكة بذراعه.

همست: «يجب أن نستكشف المكان، ونبحث عن اللاندروفر ربما تكون المفاتيح بداخلها».

قال: «لن تكون بداخلها».

قالت: «يجب أن تكون في مكان ما».

كان الضوء يخبو ويتحول من ذهبي إلى نحاسي، ويخدع العيون بالطريقة نفسها التي تخدع بها الظلال الطويلة. لحق كولسون بأوفيليا، واختباءا وهما ينتقلان من نقطة إلى أخرى متجهين إلى اللاندروفر التي كانت مركونة بجانب المشرب، كان النهر إلى يمينهما، والجزء الخلفي من البناء إلى يسارهما.

شعر كولسون بأنه مُراقب في كل خطوة يخطوها. أحس ــ أو تخيّل ــ إصبعاً تشد زناد المسدس الذي هو بحوزة المُراقب أخضر العينين.

مع تصاعد حدة الرياح، اهتزت البلدة الميتة، وصدر عنها أصوات صرير، وأنين، وتمتمة، وغمغمة بما بدا محاكاة للحياة. لذا، أصبح ممكناً ألا يكون أوبتيم قد انتبه إلى صوت سقوط الطوب.

تبين أن اللاندروفر مقفلة.

كانت النوافذ في الجزء الخلفي من المشرب مغلقة بالألواح، وقد رُكب بابٌ متشقق ومتهالك على إطار جديد ومفصلات عصرية وزود بمقبض.

لم يرد كولسون أن تفتح أوفيليا الباب؛ وهي إذا لم تكن شجاعة، كانت على الأقل جريئة، وعندما حاولت فتحه انفتح لأنه لم يكن مقفلاً، خلفه كان الظلام دامساً، وكأن ظلام الليل كان يقبع هناك حزيناً منتظراً قدوم الليل لينبثق خارجاً. ولأن ضوء النهار الخافت كان قادماً من خلف كولسون وأوفيليا، كان آشير أوبتيم سيستجيب بسرعة إن كان في الداخل.

غطت أوفيليا المصباح اليدوي بيدها وشغلته. اجتازت العتبة بحذر، فتبعها كولسون مغلقاً الباب خلفه، دخلا غرفة خلفية، حيث أخفى هذا المجنون إمداداته، ومن خلال إلقاء نظرة خاطفة رأيا أنه ليس هناك شيء يفيدهما.

قادهما مدخل من دون باب إلى ظلام آخر، إلى ما كان يبدو كالساحة الرئيسية في المشرب.

همست أوفيليا وهي تقترب منها: «كان هناك مصباح غاز».

اعتقد كولسون أنها ما كانت لتهمس إن كانت واثقة أن أوبتيم قد رحل، مع ذلك، بقي قريباً منها.

لا تزال الطاولة في مكانها، التي كان عزرا إينوك فيلدنغ يقدم من خلفها جعة بي إتش بيست ومشروبات أقوى، بينما يغش المقامرون في باقي أنحاء المشرب في لعبة البوكر، ويقتلون بعضهم أحياناً بالرصاص. أثناء تفشي عدوى الجدري، تم الاستيلاء على المكان واستخدم مستوصفاً. ربما تخيّل كولسون جو المرض الذي ملأ المكان، لكنه شك أنه كان حقيقياً. مات العديد من الأشخاص هنا إما جراء العنف أو المرض. إن كانت أرواح الموتى تتعلق بمكان ما ــ لم يكن متأكداً من ذلك ــ فسيكون هذا المبنى مسكوناً بأكثر من عدة أشباح غاضبة، والتي تحتوي ندبات عيارات نارية فظيعة أو ستكون مليئة بطفح الجدري والبثور المتقيحة، في حال ظهرت.

هناك مصباح غاز منطفئ على طاولة خشبية رديئة الصنع. كانت حقيبتا ظهر كولسون ووالده تتدليان من كرسيين حيث علقتا، وأغلب محتوياتهما مبعثرة على الطاولة. لهذا، بدت أغراضهما المألوفة غريبة وحتى غامضة عند إضاءتها بواسطة المصباح، كالمقتنيات الأثرية لحضارة غريبة. مع أنهما دخلا المكان متوقعين مواجهة عنيفة، إلا أنهما تفاجأا بصوت البندقية، وصرخا، واتجها نحو الباب الأمامي. جاء هذا الدوي من مكان آخر في صفورة، لكنه لم يكن مكاناً بعيداً.

قال كولسون: «هذا سلاح أبي، لقد كنت معه في العديد من المرات عندما كان يتدرب عليه».

سألت أوفيليا عندما صدر دويٌ آخر: «على من يُطلق هذا المجنون الرصاص؟».

أجابها: «ربما أحدهم يُطلق عليه النار».

قالت وهي تضيء بالمصباح الذي يعمل بالبطارية، وتوجهه مجدداً نحو الأغراض العديدة المبعثرة على الطاولة: «إذا أين هو جهاز إرسال وتحديد

المواقع الذي تحدثت عنه؟ كيف يبدو شكله؟ هل يمكننا حقاً استخدامه لنطلب المساعدة؟».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

55

في نهاية الرحلة بسيارة الجي تي أو، بدت لي آن متفاجئة من بقائها على قيد الحياة، ولكنها بدت متفاجئة أكثر لأنها كانت بحالة طبيعية من الترقب.

في اليوم السابق، كانت حياتها سلسة، خالية من هذه المنعطفات الشديدة، وهذا ما أحبته فيها. بدا كيني وكأنه يحب السلاسة في كل شيء، فهو ينساب في الحياة كما لو كان مسحوراً، وهذا السبب الذي جعلها تقيم علاقة معه. لفترة طويلة، بحثت عن توأم روحها الذي يتشارك معها السلاسة، لكن رجال سياتل، وما حولها، كانوا دائماً مرهقين ومتوترين وقلقين من أن التكنولوجيا الحديثة لم تحول بعد الأشخاص السيئين في هذا العالم إلى أشخاص مثاليين سليمي الفكر.

مع أن كيني قد يمتلك شيئاً من السلاسة في قلبه وعقله، لكنه أخذها في رحلة شاقة والتي بدت كأنها ستزداد شقاءً. حياة مليئة بالمنعطفات الحادة، وارتفاعات تليها انخفاضات مفاجئة، لها جاذبية معينة، مثل قطار الملاهي، مع هذا فضّلت لو أن منزلها لم يحترق بالكامل.

لم تقلقها فكرة الإبحار في بحر هائج بدلاً من الإبحار بسلاسة إذا ما كنت تجلس بأمان في الشركة التي تقوم كما يبدو بإرشاد هؤلاء الغرباء بشأن حركة البحر وتقلباته. لقد أبلى كيني جيداً حتى الآن، وبدأت تعتقد أنها قد تكون ماهرة في إدارة دفة القيادة خلال الأزمات، وأبهرها غانيش باتيل الذي كان كالقبطان الذي يجلس مسترخياً على ظهر السفينة وإن كان يواجه إعصاراً من الدرجة الخامسة.

قابلا هذا العبقري ثلاثي العبقرية، ولكن ليس في مكاتب باتيل إنتيل دي موان قرب النهر في واشنطن عند الشاطئ الشرقي لبوجيه ساوند، ولكن في جناح الطائرات الخاصة في مطار سياتل تاكوما الدولي بدلاً عن ذلك.

عندما وصلا، وجدا طائرة غولفستريم مليئة بالوقود وجاهزة على المدرج، وهي ما كانت لتجهز بهذه السرعة. لكن غانيش كان من المقرر أساساً أن يسافر إلى مؤتمر طبي في سان دييغو. تأكدت عبقريته المشهورة في مجال الصداقة عندما ألغى رحلته، وأعد خطة طيران جديدة. بدلاً من الذهاب إلى سان دييغو، كان سيرافقهما إلى هيلينا في مونتانا، والذهاب من هناك بالسيارة إلى راسلنغ ويلوز، حيث قال صديقه وايت رايدر أنه في مأزق.

كان غانيش ينتظر أسفل درج الطائرة، لم يتصرف مثل مالك الطائرة، بل مثل مضيف يريدهما مرتاحين ويخدمهما خلال الرحلة. كان في الخامسة والثلاثين من عمره، أسود الشعر والعينين، يرتدي ثياباً بيضاء بالكامل باستثناء

حذاء رياضي أحمر. واقفاَ في ظلام المساء، طويلاً ونحيفاَ، بوقفة مثالية، بدا مثل علامة تعجب بشرية ملفتة للنظر.

بعد معانقة كيني، احتضن غانيش إحدى يدي لي آن بكلتا يديه وقال: «عزيزتي سيدة بروس، لقد اتفقت مع متجر ملابس جيد في هيلينا ليفتح لوقت متأخر، لذا سيكون لديك الفرصة لتُحضري أياً كان ما تحتاجين إليه قبل أن تُقلع من هناك إلى راسلنغ ويلوز. سنتناول العشاء على الطائرة، ثم نشرب المارتيني كبداية إن أحببت، ثم نبيذ الكبرنت اللذيذ. آمل أنك لست نباتية».

قالت: «لا لستُ نباتية»، وعرفت أنه بغض النظر عن العاصفة التي قد تحدث في تلك المزرعة النائية، ستكون الرحلة إلى هناك سلسة كركوب الجندول في قناة محمية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن أخذ آشير أوبتيم عدة صور إضافية مع اللوحة التي أُطلق الرصاص عليها، التقط واحدة يظهر فيها وسيماً ومهيباً كما كان يعرف نفسه حقاً. ستكون هذه الصورة البطولية مناسبة للافتات والصور العملاقة على جانب الأبنية الضخمة عندما يأتي اليوم الذي يُنخب فيه المتنورين من بين العالم أجمع، الذين يعرفون أنفسهم أنهم كالوباء، ويكرمونه على أنه الثائر الأسطوري المسمى تاء مربوطة.

عاد إلى الطريق الوعر الذي يعد الشارع الرئيسي لبلدة صفورة المهجورة تحت السماء ثنائية القطب- مكتظة بالسحب الرعدية شمالاً، وبهيجة وذات لون ذهبي برتقالي جنوباً –. أنّت المباني المتهالكة، وصرّت، واهتزت بفعل الرياح المتصاعدة، وتناثرت ثياب الموتى المغطاة بالغبار مع اشتداد حدة الرياح. في هذا الضوء الغريب، بدت ظلال المباني وكأنها تهتز، وكأنها على وشك أن تُقتلع من مكانها وتطير بعيداً، تاركةً هذه المباني إلى الأبد غير قادرة على رمي خيالاتها على الأرض.

يتطلع آشير إلى عشاء فردي بكلفة بسيطة، وكأس من الويسكي، وعدة ساعات من الكتابة على صفحات تحليلاته اليومية للفساد البشري والحجج والأدلة الدامغة لمحو الكائنات.

وقف أمام ما كان مشرباً، وحدق إلى السماء حيث يختفي الضوء تدريجياً، متسائلاً إن كان سيعيش بما فيه الكفاية ليكون آخر شخص على وجه الأرض، وكيف سيعرف إذا كان هو الأخير حقاً. تساءل أيضاً عن الطريقة المثالية لينهي بها آخر شخص حياته، بأي وسيلة، أي أداة، في سبيل تكريم وتعظيم قدسية هذا الإجراء. سيكون صعباً أن يصلب نفسه، وسيكون وضع فوهة البندقية في فمه بدائياً جداً بالنسبة إلى حدث بهذه الأهمية لمصير الكوكب، وسيكون شنق نفسه مثيراً للشفقة، كذلك الحال مع شق معصميه. على مدار التاريخ البشري، شنق الملايين من المكتئبين أنفسهم، وذبحوا أنفسهم في ظروف حزينة ووحيدة، ولكن آشير أوبتيم سيموت من أجل مبادئه، وبكل بهجة وسرور. يفترض أنه يستطيع اللجوء إلى الويسكي ويشرب حتى الموت، والذي سيكون دليلاً رمزياً مناسباً على طبيعة البشر الضعيفة والمستهينة بالنفس. ستتضمن العملية بلا شك ارتجاعاً عنيفاً، وهو لا يود أن يترك جثة قبيحة مليئة بالقيء. يقال إن أفراد الساموراي المنبوذين كان عليهم أن يبقروا بطونهم تنفيذاً لطقس من الإجلال العظيم، لكن قيامه بهذه المجزرة بحق البشرية تنم عن تصرف شريف وليس مخزٍ، وكان من المعروف أن الرهبان الذين يحتجون على أي شيء كانوا يضرمون النار في أنفسهم. هكذا

نهاية، ستكوندرامية ورومانسية للغاية إن تمكن من الحصول على وصفة طبية لمسكن ألم قوي وقدر كاف من حبوب الهلوسة بحيث يترك نفسه طعاماً لألسنة اللهب، ولا يشعر بها إلى بأدنى قدر ممكن. حسناً، لديه ما يكفي من الوقت للتفكير بهذا. سنوات وسنوات. لن يتعافى العالم من مرض البشرية بغضون أيام أو أسابيع.

أراد أن يأخذ لمحة عن النجوم والفضاء بينها، لكن الغيوم تتكاثف أكثر وأكثر مع مرور كل دقيقة. ستختفي سماء النهار قبل أن يتلاشى الضوء نهائياً، قبل أن تكشف السماء اللامتناهية الباردة الحقيقية عن نفسها. مهتزاً بالرياح، ومحدقاً إلى انفجار كبير مفاجئ للغبار والقش، استدار باتجاه الحانة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

57

لم يكن جهاز إرسال وتحديد المواقع ولا الخنجر التي كان يحملها ستيفن فيلدنغ على الطاولة الخشبية.

تنبهت أوفيليا لصوت دوي الرصاص، فتركت المصباح الذي يعمل بالبطارية مع كولسون، ليتفقد جميع الجيوب في حقيبتي الظهر، ثم توجهت إلى النافذة الوحيدة التي لم تكن مغلقة بألواح. كان الزجاج قاتماً، ومحفوراً نتيجة أكثر من قرن ونصف من العوامل الجوية، رأت من خلاله ما يكفي لتتأكد أن الشارع كان مهجوراً. تجمعت الظلال، ورمت موجات من الرياح زوابع من الغبار في أرجاء البلدة، وكان النهار ينحسر بسرعة. حتى قبل أن يهطل المطر، ستبلل الغيوم القادمة الغروب وتُعجل قدوم الليل. بعد دقائق قليلة، قد تنخفض الرؤية لحد أنها لن تستطيع رؤية أوبتيم إلى أن يصل تقريباً إلى درج شرفة المشرب.

سألته: «هل وجدت الخنجر؟»

أجابها كولسون: «لا».

قالت: «ماذا عن جهاز تحديد المواقع؟».

أجاب: «لم أجده هو الآخر».

لم يكن لديها أسلحة باستثناء المسمار الذي انتزعته من أرضية الكنيسة الخشبية، وسكين الصبي السويسرية، التي حملتها في يدها اليمنى، مجهزةً النصل المدبب البالي، ومحاولةً أن تقنع نفسها أنه سيكون كافياً إذا توفرت الظروف المناسبة.

إذا كان أوبتيم قدرها، إذا كانت قد نجت بالفعل عند موت أوكتيفيا من أجل وضع حد للفظائع التي ارتكبها هذا المجنون، كان يُفترض بالقدر أن يسلحها بشكل أفضل لتقوم بهذه المهمة. آمنت أن للعالم معنى، لقد تشكّل لغرض ما، ولكن اقتنعت من خلال تجربة صعبة أنه لم يتكون أي سيناريو وفقاً لتطور أحداث أي حياة. شكلت هي وكل شخص آخر طاقماً جُمع على عجل، لغاية ضخمة ولكن مجهولة، كل منهم يكتب قصة عن رغباته، كل منهم تحت رحمة الآخرين جميعاً. سعيدةً بحياتها، تصالحت مع هذه الحقيقة المرة منذ سنوات عدة، ولكن الآن في هذه اللحظات العصيبة، تملكها الغضب لأنه لم يكن متاحاً لها سوى سكين سويسري ومسمار لعين.

سألت: «كولسون؟».

أجاب: «ما زلت أبحث».

قالت: «ربما قد يأتي من الباب الخلفي».

فقال: «حسناً. عندها سنكون في عداد الموتى».

وقبل أن تستطع أوفيليا أن تحدد المدخل الذي سيأتي منه هذا المجرم، ظهر خياله في الشارع الذي تعصف به الرياح، واضعاً البندقية على كتفه اليسرى. وقف وأمال رأسه إلى الخلف محدقاً إلى السماء، بدا أن منظراً ما قد أذهله، كان النهار الجريح يصب آخر ضوئه الدموي على وجهه المرفوع إلى الأعلى.

في الوقت الذي تراجعت فيه خطوة مبتعدة عن النافذة الملطخة بفعل الزمن، تجرأت لتهمس بصوت منخفض: «إنه هنا».

فقال كولسون: «هيّا بنا نذهب».

بقي أوبتيم يتأمل السماء، وكأنه نسي الرياح العاصفة، للحظات شعرت أوفيليا بالأمان لأنه كان على مرأى نظرها، وأنه في اللحظة التي قد تشيح بنظرها عنه، قد لا يكون في الشارع، وقد يكون في أي مكان، وفي كل مكان، قد يكون حتى في الغرفة الخلفية منتظراً أن يذبحهما. استمر هذا الخوف الخرافي للحظات، قبل أن تبتعد عن النافذة بسرعة، وتعبر الغرفة باتجاه كولسون، الذي وقف في الممر عديم الباب، واضعاً أصابعه على عدسة المصباح الذي يعمل بالبطارية، ليخرج منه خيوطاً ناعمة من الضوء.

لحقت بالصبي خروجاً من الغرفة الأمامية باتجاه الباب الذي دخلا منه، متجاوزين صفوف الإمدادات المخزنة، رأت أنه كان يحمل حقيبة الظهر. أغلقت الباب خلفها، وأسرعت للحاق به حيث ركض باتجاه النهر عبر الأعشاب الطويلة.

عندما وصل إلى ضفة النهر، واستدار جنوباً وتابع التحرك، سألته: «ماذا تفعل؟ إلى أين أنت ذاهب؟».

أجابها: «لقد أتيت ووالدي شمالاً بمحاذاة النهر. في الأمام هناك ممر يمكننا عبوره».

سألت: «إلى أين سنعبر؟ لنختبئ في الغابة؟».

قال: «كدستُ بعض الأغراض في هذه الحقيبة».

سألت: «هل جلبت جهاز تحديد المواقع؟».

رد: «لا، ولم أستطع إيجاد الخنجر أيضاً. وجدت خرائط إرشادية، وبوصلة، ونصف علبة من أصابع الطاقة. يمكنها أن تساعدنا حتى نصل ونطلب المساعدة».

قالت: «ستظلم قريباَ».

لوّح بالمصباح الذي يعمل بالبطارية الذي كان قد أطفأه وقال: «لدينا هذا، طالما تدوم بطارياته».

قالت: «لستُ فتاة كشافة».

أجاب: «ولستُ صبي كشافة أيضاً، لكنني أعرف كيف أقوم بهذا».

وصلا إلى المعبر. انحدرت الضفة قليلاً لتصل إلى مستوى المياه. يمتد خلفها صف من أحجار العبور التي كانت مستوية كفاية ومتقاربة من بعضها للعبور فوقها. جرت المياه مُشكّلةً رغوة بينها، بعد مئة ياردة تقريباً، هدأت التيارات، وانساب النهر بهدوء وتثاقل. إذا تعثرت ووقعت، قد لا يجرفها النهر لتغرق وهي عاجزة عن الحراك. كانت الضفة الأخرى على بعد ثمانين أو مئة قدم تقريباً.

قالت لتطمئن نفسها أكثر مما فعلت لتخبر كولسون: «يمكنني أن أسبح».

أجاب: «حسناً هذا جيد، لكنك لن تسقطي. الأمر في غاية السهولة»، علق حزامي الحقيبة على كتفيه، وشد حزامها قائلاً: «اتبعيني فقط، وحاولي أن تفعلي ما أفعل. ستكونين بخير».

كانت نقطة الاتصال الأولى في هذا الجسر الطبيعي تقع قريباً من حافة النهر، وخطا بسهولة من الضفة إلى ذلك الحجر.

كان قلب أوفيليا يدق بقوة لدرجة أن نظرها تشوش على ما يحيط بها، استدارت لتلقي نظرة على صفورة. احتلت العاصفة الوشيكة ثلثي السماء، وانزلقت الشمس خلف خط الأفق. في الضوء المتضائل، بدت البلدة الميتة، وكأنها ترتفع إلى الأعلى، حيث كانت نصف مدفونة في القبر الذي أُحييت منه بفضل قوة شريرة ما، وجدرانها مظلمة كسور الوكر الذي تسكنه الوحوش. لم يكن هناك أي أثر لآشير أوبتيم.

قال كولسون: «هيّا»، وقفز من الحجر الثاني، وخطت على الحجر الأول.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

58

عندما أمال هيكتور ألفاريز عربة الستادبايكر القديمة نحو مدخله المعبّد، كانت جوانا تشيس تقف خلف الرانج روفر، والهواء يُطير شعرها، وذراعاها متشابكتين فوق صدرها. عرف وايت فوراً أن شيئاً فظيعاً قد حدث. كانت لغة جسدها تشير إلى الألم، والحزن، والخوف.

ابتسمت لهيكتور وعانقته، وقالت له إنها حظيت بزيارة لطيفة لجيمي، واعتذرت عن عدم زيارتها له قبلاً، وأنها لن تكون كالغرباء بعد الآن. بدا أن الرجل العجوز يُصدقها، لكن وايت لم يصدق كلمة منها. عانقت هيكتور مرة أخرى، وقبّلت خده.

دارت عفنات الطاحونة خلف المنزل بسرعة لدرجة أنها بدت وكأنها اندمجت لتُشكل قرصاً واحداً، وناحت الرياح وكأنها كائن حي يُقطع بواسطة هذه الشفرات. استدارت جوانا وغادرت هيكتور عندما انقضت ثلاثة صقور حمراء الذيل– والتي يجب أن تكون ملتجئة من العاصفة القادمة، جوارح نهارية لا تصيد في هذا الوقت المتأخر– إلى ارتفاع منخفض. هذه الطيور التي تطير برزانة ورشاقة عادةً، كانت تُقذف في هذا الهواء المضطرب بينما كانت تحلق باتجاه الطاحونة. طارت واحداً تلو الآخر نحو العنفات الدائرة، لتنفجر وتتحول إلى مطر من الريش والدم والعظام.

صدم المشهد المروع هيكتور فقال: «يا للسماء، ما كان هذا؟».

سأله وايت: «ألم يحدث ذلك من قبل؟».

هز هيكتور رأسه نافياً وقال: «ليس مع صقر. ربما نوع آخر من الطيور بين حين وآخر، وواحد بين فترة وأخرى، وليس ثلاثة. لم أر أي ذبابة تطير نحوها عمداً، وآمل ألا أرى ذلك ثانيةً».

نظرت جوانا إلى وايت بينما فتحت باب الراكب في الرانج روفر وقالت: «فلنخرج من هنا بحق الجحيم».

جلس خلف المقود، وشغّل محرك السيارة. وقال بينما كان ينعطف يساراً باتجاه الطريق الرئيسي: «في طريق العودة، اعترض طريقنا أربعة غزلان وأغلقت المسربين ولم تخف من صوت إطلاق النار، فعرفت أنه هو».

رغم أن جوانا شبكت يديها في حضنها، رآهما وايت ترتجفان بالفعل. كانت شاحبة والخوف واضح عليها، إلا أن تعابير وجهها كان مليئة بالغضب أو الحزم أو كليهما.

قال: «جوانا؟».

قالت: «يريد قتلي. إن الصقور كانت تحذيراَ، لا بل توعداَ».

سألها مستغرباً: «جيمي؟ يريد جيمي قتلك؟ لكنك قلت...»

قالت: «إنه ليس جيمي. ولم يكن جيمي أبداً. كان يستخدم جيمي في الماضي، تماماً كما يستخدم الحيوانات. إنه ينظر إلى جيمي وكأنه مجرد حيوان آخر، عقل ضعيف يسهل التحكم به، حنجرة وأوتار صوتية تتيح له التحدث، لذا يمكنه التحدث إليّ. لم يكن جيمي أبداً صديقي السري، ولم يكن أبداً صديقي حقاً».

سألها: «إنه؟ يستخدم جيمي؟ عمن نتحدث بالضبط؟».

قالت: «لا أعلم من هو، أو ماذا يكون، لا أعرف شيئاً، ظننت أني عرفته عن طفولتي، يقول إن والدي قتل والدتي من أجل المال، ضربها على رأسها بمجذاف وأبقاها تحت الماء حتى غرقت. بدا ذلك صحيحاً، بحق السماء، لأنه مهما يكن غير ذلك، إلا أن صديقي السري ليس كاذباً». ـ قالت هذه الكلمة بسخرية ـ وتابعت: «شهد صديقي المهتم على الجريمة بطريقة أو بأخرى، ثم أعدم والدي لاحقاً مستخدماً دباً بنياً، ليقوم بشقه لنصفين وإخراج أحشائه. (الجزاء العادل، الزيارة غير الشخصية لهلاك القانون العادل) ـــ هذا ما أسماه. إنه يرى نفسه كائناً عالي الفضيلة، وغاية أخلاقية عظيمة، فوقنا جميعاً، يقول إنه يفعل الصواب دائماً، وهو يقول إنه وقبل أربعة وعشرين عاماً، كان عليه أن يصاب بجنون العظمة، ولكنه شيء أسوأ بكثير الآن يا وايت، إنه يصدر الأحكام بشكل متطرف، ومصاب بجنون الارتياب، ومليء بالكراهية التي لا أصدق أنه كان يكنها حين كنتُ طفلة صغيرة. وهو قوي جداً».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

59

مع أعتم ظهور للمساء عند النافذة، تحرك آشير أوبتيم في العتمة المعتادة للمشرب من دون أن يتعثر أبداً. شعر بارتياح لغياب الضوء هذا كإله الموتى المصري، أنوبيس، بجسده البشري ورأس ابن آوى، إنه في موطنه في أكثر أماكن العالم السفلي ظلمةً. وضع آشير البندقية على الطاولة، ثم أشعل مصباح الغاز باستخدام ولاعة بوتان. اشتعلت الخيوط القماشية التي تحل محل الفتائل بوهج مزعج.

أول ما لاحظه من تغيير كان يومياته التي كتب فيها بيانه الذي لا يزال قيد الإنشاء. لقد تركه بشكل مواجه تماماً لكرسيه الخاص بالكتابة، محاذياً بدقة لحافة الطاولة، مفتوحاً على صفحة نصف فارغة والتي سيكمل فيها شرح فلسفته الثورية. لقد حرّكه متطفل ما من مكانه، كما لو أنه كتاب عديم القيمة، ويمكن لأي أحد لمسه من دون عواقب. وفُقدت الأغراض التي كانت مع عائلة فيلدنغ، الأب وابنه، بوصلة وخرائط وبوق إشارة آتوود في علبة مضغوطة صغيرة...

عندما أدرك آشير أن حقيبة ظهر كولسون لم تعد هنا، انتزع البندقية عن الطاولة، لا يعرف كيف تمكنت السافلة والصبي من الهرب، لم يوهم نفسه بأن أحداً غيرهما كان هنا، ولم يهدر وقتاً بالذهاب إلى الكنيسة للتحقق إن كانا يستنشقان رائحة التحلل. عندما تقدم لم يكن هناك أحد في الشارع. لذا، أسرع إلى الغرفة الخلفية إلى ما وراء إمداداته المصفوفة، ثم خارج الباب إلى السهل الممتد بين البلدة والنهر. نظر إلى اليمين واليسار، لكنه لم يرَ أحداً. ركض بسرعة عبر الأعشاب الطويلة، التي تعج بالبرغش الطائر، وصراصير الليل، متجاوزاً الحمام الخارجي حيث أذل أوفيليا المتكبرة عندما كانت تتبول، وتابع متجهاً إلى النهر. كان الضوء الأحمر قد انطفأ مع غياب الشمس، وكان الغسق رمادياً لفترة وجيزة، قبل أن يحيط الظلام الحالك لليلة بدون قمر أو نجوم بالأرض قبل العاصفة.

لا يحتاج دليلاً ليعرف أن الطبيعة مدركة لجهوده نيابة عنها، لكنه إذا احتاج فعلاً لدليل كهذا، فقد قُدم له الآن عندما نظر جنوباً ورأى الهاربين، شخصان صغيران يمكن إغفالهما بسهولة. لقد عبرا النهر للتو وهما يختبئان بين الأشجار غرباً، الغابة الخضراء المورقة التي تحجب الرؤية تقف فوقهما كالأسوار المتراصة. إن تأخر دقيقة واحدة، أو ثلاثين ثانية حتى، كانا ليختفيا، وما كان ليعرف الاتجاه الذي سلكاه.

إنهما خارج نطاق البندقية بمسافة بعيدة جداً، ولم يكن آشير مستعداً للحاق بهما حالاً. بغضون الوقت الذي سيستغرقه ليجهز المعدات للحاق بهما مشياً

على الأقدام، سيكونان قد ابتعدا كثيراَ. لحسن الحظ، كان لديه اللاندروفر، والتي يمكنها عبور التضاريس القاسية، وكان يعرف شبكة الطرق الخدمية الخاصة بالغابة جيداً، وهذا ما سيُسهل عليه المطاردة جداً بحيث ستبدو وكأنها رحلة إلى المركز التجاري في الضواحي.

كان لدى آشير خرائط مسارات المشي في الغابات مثل التي يملكها الفارون من القانون، ومن المؤكد أنه سيكون أكثر دراية بهذه المنطقة من الصبي. قد يأمل كولسون وأوفيليا بإيجاد المساعدة على بعد ميل أو اثنين، ربما سيجدان كوخاً معزولاً لرجل ما يعيش في الغابة أو برج لمراقبة الحرائق يحرسه حارس أو أكثر، لكن الأمان والمساعدة كانا أبعد من ذلك بكثير، أبعد لدرجة أن آشير سيكون قادراً على أن يتقدمهما ويجلس منتظراً إياهما.

إنه يعرف الغابة، ويعرف الطرقات، ويعرف أنه من المفترض أن يضيف المرأة والصبي إلى مقبرته المستقبلية. إنهما لا يرتديان ملابس مناسبة للطقس العاصف، وستمطر عليهما الطبيعة بؤساً مما سيغرقهما ويفقدهما حريتهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

60

نظراً لاتساع الأراضي، كانت المصابيح الأمامية للسيارة عديمة الفائدة في ذلك الغسق سريع التلاشي، وبدت الهالة السوداء التي تكشفها الأضواء تمتد إلى اللانهاية، وكأن الرانج روفر قد ذهبت في رحلة إلى خارج هذا العالم.

حدّقت جوانا بثبات إلى الأمام عندما تكلمت، لم تنظر إلى وايت أبداً، مع أنه نظر إليها عدة مرات. بالرغم من هدوئها أشار صوتها إلى قلقها، وفي الضوء الساطع للوحة العدادات، كان جمالها يشبه كثيراً جمال امرأة يطاردها شبحها.

عندما نزلت للمرة الأولى من سيارة الإكسبلورر بين قطيع الأيل، شعر وايت بالانجذاب إليها، وزاد شعوره بالألفة تجاهها. الآن وقد شاركته معاناتها بعد أن عرفت أن والدها قد قتل والدتها، تحول إعجابه البسيط بها إلى تعلّق بدا عميقاً. عندما كان طفلاً، لم يعرف والديه على حقيقتهما، وعندما أصبح في العاشرة من عمره، أدرك أنهما محتالان ولصان يفترسان الضعفاء من دون رحمة، وعندما بلغ الرابعة عشرة، اكتشف أنهما كانا قادرين على القتل. خشي أن يصبح مثلهما، وإن لم يكن قوي الإرادة، ومتعاطفاً مع ضحاياهما، ربما كان ليضل الطريق، ويغريه حب الافتراس. لم يسرق والداه الآخرين فقط، بل سرقا ابنهما أيضاً، لقد سرقا براءته، وحقه في أن يعيش حياة طبيعية التي كان سيحظى بها ما لم يكونا فاسدين. لا يزال لدى جوانا الذكرى والقدوة من والدتها، لكنها فقدت والدها الآن، فقدته لسبب أسوأ من الموت بكثير، فقدته لأنها اكتشفت أنه لم يكن ما يدعي أنه عليه، وأنه كان أسوأ الشخصيات. شعرت بشيء من الحزن البارد المترافق مع الغضب، والذي عرفه وايت جيداً، اكتشاف سيهز شعورها بقيمة ذاتها بالتأكيد. كان هو الشخص المناسب ليساعدها على التأقلم مع مثل هذه المشاعر السوداوية المعقدة، وشعر أن لديه الفرصة ليقدم دعمه.

قبل أن يجد بعض كلمات العزاء والمواساة، أخبرته أنه مهما يكن من استخدم جيمي ألفاريز كشخصية تمثله كان قادراً على قراءة العقول. لقد كانت الحقيقة صادمة، في البداية، ظن أنها تقصد عقول الحيوانات وهؤلاء الذين هم كجيمي قليلي الذكاء، لكن الحقيقة كانت أبعد وأفظع من ذلك بكثير. عندما كان المتحكم يتلبس جيمي، قرأ عقلها بسهولة، وكأنه يقرأ جريدة، لقد اختبرت قدراته وادعاءاته، ونجح في الاختبار.

تذكرت قائلةً: «يقول إن لقدرته نطاقاً محدوداً، ميلاً؟ عشرة أميال؟ إنه يمتلك قدرات خيالية. لذا، قد يكون هنا معنا الآن، يقرأ عقلي أو عقلك».

في اليومين الماضيين، سُحب البساط من تحت قدمي وايت بشكل متكرر، لكن تصريحها هذا أشعره وكأن أرض المنطق بذاتها تتفكك وتنهار تحت قدميه. سألها: «هل يمكنك أن تشعري بوجوده؟».

أجابته: «لا، أنا أجزم أنه غير موجود هنا، قال إن معرفته بما في عقولنا يشعره بالاشمئزاز، وأن فسادنا يشعره بالقرف، لذا لن يقرأ عقولنا مجدداً. لكنه متقلب المزاج، ولا أصدق أنه سيبقى... سيبقى خارج عقولنا».

كان الارتياب جزءاً أساسياً من غريزة البقاء الطبيعية لدى الإنسان. فجأة، أشارت الأرض المظلمة حولهما إلى خطر وشيك من كل حدب وصوب، وبدت أضواء السيارات القادمة في الاتجاه المعاكس خطيرة جداً، مثل الإشعاع الذي يسبب سرطاناً في العظام.

سألها وايت: «هل تظنين أنه سيؤذيك؟».

قالت: «لقد خذلته لأنني كبرتْ، إنه يكرهني لأنني لم أبقَ طفلة بريئة، هناك شيء صبياني مرعب بخصوص ذلك. إنه ينضح كراهية، ليس تجاهي فقط، بل تجاه الجميع، ويسعى لموت الجميع».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

61

اشتعلت الأضواء الخارجية الأوتوماتيكية، مسلّطة ضوءاً فضياً على الأشجار، وأرخت أشجار الصفصاف أغصانها وكأنها حزينة ومشوشة بسبب تاريخ المزرعة السيئ.

مع اقترابهما من المدخل الطويل، استخدم وايت جهاز التحكم عن بعد لرفع باب المرأب، لكن جوانا قالت: «لا، اركنها هنا وتعالَ معي».

سألها: «إلى أين؟».

أجابت: «إلى البحيرة».

قال: «إنها على وشك أن تمطر».

فردت: «فلتمطر».

فتحت بابها، وترجلت في هذا الليل العاصف، الذي كان بارداً ورطباً ومعطراً برائحة الأرض الخصبة. لم تكن أغصان أشجار الصفصاف تحف ببعضها ببساطة، بل كانت تضج كهدير الشلالات التي تصب من مرتفع عالٍ.

عرفت أن خطراً مميتاً يحيق بها، وعرفت أن لخوفها مبرر. يمكن أن يعيش الدب البني حتى خمس وثلاثين عاماً في البرية، ربما لا يزال الوحش الذي التهم والدها حياً، ولكن إن كان ميتاً، ربما هناك دببة أخرى في السفوح المجاورة، دببة قريبة كفاية لتأتي إذا ناداه المتحكم بالطبيعة وبجيمي صاحب العينين.

عندما لحق وايت بها، في منتصف المسافة عبر السهل الواسع، لم يساعدها وجوده على مقاومة خوفها، ولكنها لم تشعر بالوحدة، وهذا كان جيداً. بالإضافة إلى تلك الأحداث الرهيبة في هذا اليوم الحافل، أدركت جوانا، أنه ومع وجود الخالة كيت شعرت بالوحدة معظم حياتها. بما أنها فقدت والديها، وغادرت هيكتور وأناليزا وجيمي، وأُخذت من المزرعة التي كبرت فيها وبدت آمنة جداً، آمنت أنها لا تستطيع الاعتماد للبقاء على شيء أو أحد. ظنت طوال طفولتها ومراهقتها أن الخالة كيت ستموت وتتركها وحيدة بائسة. نتيجةً لذلك، لم تعطِ قلبها ومشاعرها بشكل كامل تجاه تلك المرأة المعطاءة. للسبب نفسه، لم تستطع الوثوق برجل على الإطلاق، ليكون موجوداً في حياتها إذا تجرأت والتزمت به.

سألها وايت عندما وصلا إلى المرسى: «لماذا أتيت إلى البحيرة؟»، وكانت خطواتهما تقرع على الألواح الخشبية، لقد فاحت رائحة الخشب الرطب، ورائحة الوقود الخفيفة تحتها.

قالت له: «هذا الصباح، أثناء الرحلة بالطائرة خارج سانتافي، فجأة استعدت ذكرى واحدة لجيمي. لم تكن كسائر ذكريات الطفولة، بل كانت وبعد هذه السنوات مفصلة وواضحة جداً. عندما كنتُ وجيمي نجلس على كرسيين قابلين للطي، نشاهد الغروب، بلونيه القرمزي والأرجواني، والمياه تعكس ألوان السماء. قال لي شيئاً ما... شيئاً أثار فضولي».

قادت وايت إلى نهاية المرسى. كانت غرفة القارب تلوح إلى يسارهما، وامتدت البحيرة السوداء المظلمة أمامهما، تحركت مياهها بفعل الرياح، لكنها لا تزال لامعة مثل المرآة. كانت السماء الملبدة بالغيوم أقل سواداً من البحيرة، وما كانت لترى الغيوم لولا الضوء الشحيح المنبعث من القمر الغارق في أعماقها. انعكست أشكال السحب ذات الحواف الخافتة بشكل باهت على المياه التي تجلدها الرياح، لكنها بدت وكأنها كائنات شريرة تسبح على عمق بضع أقدام تحت سطح الماء، متحولةً من شكل قاتل إلى آخر.

فجأة، شعرت أن البحيرة هي بؤرة- حل- لغز راسلنغ ويلوز. ليس لأن والدتها ماتت فيها، وليس بسبب قصة وايت رايدر عن مُجتاح المرسى، الشيء الذي ارتطم بشكل متكرر بالقارب الكهربائي. ساعة بعد ساعة، منذ أن استقبلتها الأيائل أصبحت أكثر حساسية للحقيقة المقلقة أن المزرعة مسكونة من قبل شيء ليس شبحاً، إنها مسكونة بكيان له حضور، لا يُرى، ولكنه يراقب بشكل دائم، في الضوء وفي الظلام، لا يعيقه باب أو جدار. الآن، وهي تقف محدقةً إلى هذه المياه المظلمة العميقة، بدا أن شدة الرياح قد ازدادت، وعرفت أن الجواب كان في البحيرة، يا ليتها تستطيع أن تعرف من أين تبدأ، وما هي الأسئلة التي يفترض بها أن تطرحها لتستخرج الأسرار من مياه البحيرة.

صمتت طويلاً، فسألها وايت: «جوانا؟ ماذا قال وأثار فضولك؟».

قالت: «كان الليلة السابقة لعيد ميلادي الثامن، وكنت متحمسة جداً. قلت إنني عندما سأبلغ السادسة عشرة وأحصل على رخصة قيادة، سآخذ جيمي بعيداً، إلى مكان حيث لن يتحدث أحد عنه بالسوء أو يعامله بقسوة. كنت أشعر بالمهانة عندما يناديه الناس بجيمي صاحب العينين. عندما كنت في منتصف الطريق لأصل إلى السادسة عشر، وكنت دائمة التذمر من أن وقتاً طويلاً يفصلني عن السادسة عشرة. قال جيمي إن ثماني سنوات ليست وقتاً طويلاً. قلتُ أنا، حسناً، أنت في الحادية عشرة من عمرك، أقرب مني بثلاث سنوات إلى السادسة عشرة، لذا لم تكن بنفس الطول بالنسبة إليك. عندها قال لي إنه أكبر من ذلك بكثير، قال إن عمره أكثر من أربعة آلاف عام».

قال وايت: «وظننتِ أن جيمي من قال هذا».

أجابت: «هذا كل ما عرفته حينها؛ أنه كان جيمي. أخبرته أنه يتصرف بسخف، فقال لي (ربما)، واليوم أخبرني أنه كان موجوداً عندما كانت قبائل الهنود الحمر تتحارب فيما بينها، وأنه رأى قبيلة سيو تعذب وتقتل قبيلة كرو، وكرو تعذب وتقتل سيو، وبلاك فوت تذبح قبيلة ساليش، والمستوطنين الأوروبيين يقتلون القبائل بدورهم. يظن أن الإنسانية قد حصلت على حسابها».

سألها: «كان هذا... منذ مئتي عام، وربما مئة وخمسين؟ لا أحد يعيش لأربعة آلاف عام. أيظن نفسه متوشالح؟»

أجابته: «إنه لا يدعي أنه أي أحد. ربما لأنه... بطريقة ما، ليس أحداً، ليس أحداً منا».

سألها: «ماذا تقصدين؟».

استعادت بعض الذكريات، عندما كانا في بستان التفاح منذ وقت طويل، قال جيمي: «لو وجدتُ أحداً مثلك في وقت أبكر يا جوجو، ربما كنت بدأت الإيقاظ». حاولت جاهدةً أن تتذكر سياق الحديث حينها، لكنه استعصى عليها.

قالت مرة أخرى: «الحساب».

العتمة، والرياح، والماء، والبر، والماضي، والحاضر كلها اجتمعت هنا في هذه المرحلة من الحاضر، حيث الماضي لا رجعة فيه، والمستقبل ليس سوى الماضي الذي ينتظر حدوثه.

سألته: «ألا تشعر بهذا وايت؟ يبدو الأمر حتمياً ولا جدال فيه».

فأجابها: «أخبريني».

قالت: «مهما يكن هذا الشيء الذي نواجهه، هذا المسيطر على الحيوانات، هذا المتحكم بجيمي، فهو ليس واحداً منا. هذا الشيء اللعين ليسبشرياً».

استغرب قائلاً: «ليس بشرياً؟ هل تعنين... مخلوق من كوكب آخر؟».

ردت: «ربما، لكنني لا أظن الموضوع بهذه البساطة».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

62

بعد أن غادرت جوجو والمحقق، وقف هيكتور ألفاريز في الحديقة يشاهد الرانج روفر تبتعد إلى أن اختفت عن ناظره. ثم حوّل انتباهه إلى السماء، التي حشدت غيومها منذرةً بعاصفة، حيث انسحب الضوء إلى الغرب، وبدا وكأنه يشرق من المروج والغابات بدلاً من أن يغرب خلفها.

لأكثر من خمسين عاماً، عمل مع الحيوانات، وبدا بالنسبة إلى هذه الأرض التي أحبها وكأنه واحد منها. بما أنه يعيش قريباً من الطبيعة، ربما نما لديه حدس أكثر وضوحاً من أولئك الرجال الذين يعيشون في المدن ويعملون في المكاتب. لقد أحس أن عودة جوجو إلى راسلنغ ويلوز لا علاقة لها بالملياردير ليام أوهارا، وأنها عادت لغاية ما تخصها، وأن زيارتها لجيمي كانت أساس تلك الغاية.

لم يفهم هو أو زوجته الراحلة علاقة جوجو بالصبي عندما كانا صغيرين. لقد كانت الفتاة منبهرة بالقصص الخيالية- سندريلا ومدينة الشتاء –وربما رأت في جيمي إحدى الشخصيات التي تعود لإحدى هذه القصص الخيالية، أو تخيّلت أنه كان سحرياً بطريقة ما. أياً يكن الأمر، لا يطول كثيراً حماس الأطفال الصغار، وحتى هذا اليوم، بقي هيكتور محتاراً لِمَ كانت جوجو شريكة جيمي الدائمة، ولِمَ كانت تتصرف كالأخت العطوف في الوقت الذي لم يستطع فيه الصبي أن يبادلها ذلك.

نظر مرة أخرى إلى حيث اختفت الرانج روفر وقال: «لماذا أتيت إلى هنا يا جوجو؟ ما هي غايتك الحقيقية؟».

مع انحسار الضوء، بدأت الرياح تصبح أبرد. ارتجف هيكتور، ليس لأن الغروب كان بارداً حقاً، فهو لم يكن كذلك، ثم عاد إلى المنزل، وتوجّه إلى غرفة ابنه.

وقف جيمي عند النافذة، محدقاً إلى الظلام القادم. في العادة، كان يمضي عدة ساعات وهو يحدق بتركيز شديد إلى الشيء نفسه- وردة أو صورة في كتاب أو تمثال خشبي لقديس ما أو منظر خارج النافذة –وكأنه يرى الأشياء بعمق أكثر من الآخرين، وكأنه رأى في التفاصيل الصغيرة لوردة ما أو حجر ملون تصوراً لأكثر الأنواع عمقاً وتعقيداً. في الواقع، أشار ذكاء جيمي شديد التدني إلى أنه لم يرَ شيئاً في الوردة والحجر سوى الشكل والألوان، أو أن ما بدا أنه يركّز عليه لم يكن محط اهتمامه لأنه كان هائماً في عالم داخلي، في أرض أحلام مقفرة خارج استيعاب أي شخص غير معذب بتقييداته.

سأله هيكتور وهو يقف عند المدخل: «هل تذكرت جوجو؟ كانت تسكن في راسلنغ ويلوز منذ وقت بعيد، ونحن سكنا هناك أيضاً، في تلك الأيام ولاحقاً

عندما قامت عائلة كورنبلوث بشراء المنزل».

لم يستدر جيمي، بل ظل ينظر عبر النافذة، وقف مرجعاً كتفيه، ويده اليمنى على عتبة النافذة.

أضاف هيكتور: «كان هناك أحصنة في المزرعة، العديد من الأحصنة، الأحصنة الرائعة».

بالإضافة إلى جيمي وأناليزا، عاش هيكتور من أجل الأحصنة، فقد كانت الأحصنة حياته وشغفه. في الواقع، أحب الأحصنة كما لم يستطع أبداً أن يحب جيمي، لأن الأحصنة كانت تبادله الشعور.

ثم تابع: «وُلدت جوجو لتكون فارسة، بدأت تمتطي المهور، وخلال فترة قصيرة أصبحت تمتطي خيولاً أكبر من عمرها. في البداية، أخافتني رؤية تلك الفتاة الصغيرة تمتطي فرساً كبيرة، لكنها استطاعت أن تتعامل معها، وبعد مدة قصيرة استطاعت التعامل مع الفحول. أحبت جوجو الأحصنة. وكانت لتفعل أي شيء تريده. ولم أرَ أنا أو أي من الذين عملوا مع الأحصنة شيئاً كهذا من قبل».

كالعادة، لم يقل جيمي شيئاً.

ثم أقر هيكتور: «رباه كم أشتاق إلى الأحصنة، ليت عائلة كورنبلوث لم تبع المزرعة. كانوا سيبقونها كمربى للخيول، وكنا سنبقى هناك».

عندما اشترى ليام أوهارا الأحصنة، لم يعطِ هيكتور صفقة رائعة فحسب، بل أعطاه أيضاً دفعة إضافية، والتي لم يقدمها أي من سام تشيس أو روي كورنبلوث. مع ذلك كان هيكتور يضمر بعض الكره تجاه الملياردير لأخذه الأحصنة التي كانت مصدر شغفه. عرف أن ليام أوهارا لم يستحق هذا الكره، ولكن مع ذلك بقيت الرغبة المريضة، كورم ما قبل السرطان، وعندما تحمل هيكتور أكثر مما يجب، تحول الكره إلى حقد سرطاني.

لو مات جيمي، وعاشت أناليزا، كان سيشعر بشيء من الراحة لوجود زوجة، وكان ليوفر بعض النقود لشراء حصان أو اثنين. لقد أبقت مشاكل جيمي الصحية محفظة هيكتور شبه فارغة. وهذا الكره أيضاً، لم يكن يستحقه. كان جيمي عبئاً عليه. نعم، إنه عبء مُستحق، وكما اعتقدت أناليزا، أنه يجب أن يتحملاه وإلا سيثقلان روحيهما إلى الأبد.

تساءل هيكتور: «هل لديك روح؟ هل لديّ أنا؟ كانت والدتك متأكدة جداً».

لقد تلاشى الغروب خارج النافذة، وخيّم الظلام على الأرض.

ثم قال: «أتساءل لماذا أتت جوجو إلى هنا، وما الذي قالته لك».

عم الصمت فيما عدا صوت الرياح والطاحونة.

تابع: «وهي تكبر، لابد أنها تساءلت، وشككت... لابد أنها أرادت أن تتأكد أن ذلك قد حصل كما قالوا».

حرّك جيمي يده من عتبة النافذة إلى اللوح الزجاجي، وكأنه أراد أن يلمس رياح العاصفة والظلام، وربما حاول الوصول إلى شيء ما خلف الزجاج.

قال هيكتور: «طوال هذه السنوات، توقعتَ عودتها لتطرح أسئلة عديدة عليّ».

باكراً في ذاك اليوم، عندما تلقى اتصالاً من وايت رايدر، عندما سمع أن جوانا تريد أن تراه، شعر بالألم لدقيقة، كما لو أن قلبه ينقلب داخل صدره ويثني الأوعية التي تنقل الدم إليه، ألم الخوف، وتأنيب الضمير.

ثم قال: «لكنها لم تسأل عن ذلك أبداً، وإن فعلت، ماذا كنت سأجيبها لأغير أي شيء أو أجيب عن أي شكوك؟».

كان من عادة هيكتور أن يحظى بمحادثات طويلة مع ابنه، كما لو أن جيمي يفهم، ولكنه لم يكن قادراً على الرد. رغم ذلك، لم يتكلم من قبل بهذا الموضوع أو أي بشيء بهذه الحساسية.

تابع حديثه: «لم أرَ ما يثبت شيئاً، لا شيء يستحق تدمير سمعته أو عمله، لم يكن عملي فقط على المحك، هل تفهمني، بل كانت وظائف جميع من يعملون لديه؛ والدتك وأنا وأنت، لقد كنا نعيش جميعاً من المزرعة في تلك الأيام، لقد كانت مصدر رزقنا ومنزلنا».

رفع جيمي يده اليسرى، وكأنه انتهى من يده اليمنى، ومدّها على الزجاج، كأنه يلتمس شيئاً ما من أحدهم.

أكمل هيكتور: «في بعض الأحيان، كان يسبح فجراً في البحيرة، في ذلك اليوم بدت الأمور طبيعية، سوى أن الظلام كان مخيماً عندما رأيته عائداً من البحيرة. لم يكن لديّ سبب لأشتبه بشيء، لم تكن قد اختفت، كان يركض، أما في الأيام السابق فكان يمشي، لكن ذلك لم يبدُ أمراً غريباً، أتفهمني. ربما كان يشعر بالبرد، لم يذهب مباشرة إلى المنزل، بل ذهب إلى حيث أشجار الصفصاف، حيث استطعت أن أحصل على عدة لمحات فقط. كان عمال المزرعة جميعاً نياماً، ولم يره أحد سواي، لم يكن هذا دليلاً على شيء، ولم يستحق الأمر أن أدمر سمعة الرجل؟»

رعدت السماء بعيداً، فقد كانت الأمطار تهطل على الجبال، لن يصل المطر إلى هنا قبل فترة.

ثم قال: «في وقت لاحق في ذلك اليوم، عندما وجدوا المركب الفارغ ينجرف على سطح الماء، وبعدها عندما وجدوها، ماذا كان بوسعي أن أفعل؟ على أي حال، عرفتُ أنه لم يكن قادراً على إيذائها، فهو لم يكن رجلاً عنيفاً، لقد كانت جميلة ولطيفة ورقيقة، ما من زوج سيرغب بفقدان زوجة مثلها، لقد بكى، رأيت حزنه، وسمعت بكاءه. حتى وإن رأيتُه سابقاً مبللاً ويشعر بالبرد ويمشي بمحاذاة خط أشجار الصفصاف إلى المنزل، من أنا لأقول إن ذلك يثبت أو يعني شيئاً؟ لم يعنِ ذلك شيئاً».

لم يئن جيمي أو يشهق أو يصدر أياً من أصوات النواح المتوسل التي كان يصدرها عندما يتذكر والدته ويتأثر.

مرت أوقات شعر فيها هيكتور بالسعادة لأن ابنه لم يكن قادراً على الكلام، كان الصمت بمثابة رحمة له.

قال: «سأعد العشاء الآن، سأعود إليك بعد قليل، عندما أُجهّزه».

انحنى جيمي إلى الأمام، ووضع جبهته المشوهة بين يديه الممدودتين على لوح النافذة الزجاجي.

في المطبخ، فتح هيكتور غطاء علبة كورنا مثلجة، وصب جرعة مضاعفة من التيكيلا، وشربها، ثم أتبعها بجرعة طويلة. صب جرعة مضاعفة أخرى، ثم وضع الكأس والعلبة بجانب لوح التقطيع، قرب المغسلة، حيث يعمل.

إنه في الخامسة والستين من عمره، وكان منهكاً، لقد أقلع لسنوات عن الشرب، لكن عندما ماتت أناليزا احتاج إلى شيء يعوض خسارته.

كان الشرب سبب هلاكهم، ربما كان ليولد جيمي كما هو الآن، وإن لم تشرب أناليزا نقطة كحول واحدة، ولكن خلال حزنها وشعورها بالذنب، لم تكن لتسمح لنفسها أو لهيكتور باللجوء إلى هذا الاحتمال. تطلب ما فعلاه تضحيةً للتكفير عن ذنبهما.

في الوقت الذي كان فيه هيكتور يعيد إدانة نفسه، وكأنه يقدم اعترافاً، قشّر حبات البطاطس قبل تقطيعها وقليها. عندما اخترق السكين أسفل ظهره، كان شديد الحرارة فشعر وكأن النار أُضرمت في أحشائه. وقعت حبة البطاطس والقشارة من يديه إلى المغسلة في الوقت الذي سُحب السكين من ظهره، ثم طُعن مجدداً، وقع هيكتور على المنضدة. أتى صوت مخيف من خلفه والذي كان صوت ابنه الذي قال: «آفة. وباء».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

القسم الرابع

حقيقة جيمي

لقد خُلقنا لنكون خالقين ومبدعين، ولدينا قدرة دائماً على الخلق عندما نكون واعين وغير واعين.

- غانيش باتيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

63

كان جيمي يعرف ماهية السعادة، وماهية الحزن، وماهية الشعور الذي يقع بينهما. لم يعرف دائماً ما الذي يجعله سعيداً أو حزيناً، بل كانت تنتابه هذه المشاعر فجأة، ولم يكن هناك أي شيء يمكنه فعله ليصبح سعيداً أو ليجعل الحزن يبارحه عندما يكون حزيناً.

كما أنه يعرف شعور الخوف، ولكنه لم يعرف مما عليه أن يخاف حتى يحدث شيء ما يجعله خائفاً، وبعد أن ينتهي ذلك الشيء أياً يكن يذهب الخوف عادةً بعيداً معه.

الخوف الوحيد الذي اعتاد البقاء طويلاً هو الخوف الذي يشعر به عندما يتحرك الشيء بداخله، ويفعل ما يرغب بفعله مستخدماً جيمي. منذ فترة طويلة جداً، عندما عاشت الفتاة الصغيرة هنا، اعتاد الشيء الدخول إلى جيمي كل يوم، حيث كان يدخل ويبقى لفترة طويلة. لذلك بقي خائفاً معظم الوقت على الرغم من أن الفتاة الصغيرة كانت تعامله بلطف.

لكن الشيء لم يكن لطيفاً.

مرّ الوقت، ونسي ما يتعلق بالفتاة الصغيرة والشيء، وكان كل ما يخصهما بعيداً جداً وضبابياً. في بعض الأحيان، يُفكر فيهما خلال نومه، وما كان يفكر بهما إلا نادراً وهو مستيقظ، ولكن منذ فترة أتى ذلك الشيء مرة أخرى، وفعل ما كان يرغب بفعله، وعادت الفتاة الصغيرة مجدداً، ولكنها لم تعد صغيرة، بل أصبحت بالغة وكبيرة.

لم يكن الشيء لطيفاً دائماً منذ زمن طويل مضى، ولكنه أصبح أكثر برودة الآن، وأكثر ظلاماً وشراً. منذ مدة طويلة لم يكن الشيء لئيماً مع الفتاة، ولكنه أصبح لئيماً معها الآن. إنه يعرف ماهية اللؤم فقد كان الناس يعاملونه بلؤم.

أراد الشيء أن يؤذي الفتاة، ولكن جيمي لم يرغب بإيذاء أحد طوال حياته، ولكن عندما يسيطر الشيء عليه، كان يشعر بالنذر اليسير مما يشعر به الشيء، ويعرف من يرغب بإيذائه، وهذا ما كان يخيفه.

لم يعلم أن الشيء كان يخطط ليؤذي والده، حتى بدأ بإيذائه بالفعل. لم يستمر الإيذاء لمدة طويلة، وكان هذا جيداً، ولكن الدم ملأ المكان، ولا يمكن اعتبار الدم أمراً جيداً، استلقى الأب على الأرضية بلا حركة، وكان يُحدق بعينيه الجاحظتين.

شعر الشيء بالغضب الشديد لأن جيمي شعر بالغثيان، وكان على وشك التقيؤ، ولكنه لم يتقيأ، لم يسبق لجيمي أن شعر بالغضب كما شعر حينها، وعندما يكون غاضباً فهو يشعر بالغضب من نفسه دائماً. في بعض الأحيان، يغضب من نفسه لحماقته، وأحياناً لأنه لم يستطع إيقاف حماقته.

بقي والده على الأرض يحدق إلى شيء لا يمكن لجيمي رؤيته، أو إلى السقف، أو إلى بعوضة تحوم فوقه، ولكن لم يكن هناك أي بعوضة. في تلك اللحظة، عندما خرج الشيء منه، وقف جيمي فوق والده، ولم يعرف ما يفترض به أن يفعل، وضع السكين على المنضدة القريبة، وانتظر، ولكن الأب لم يصدر أي صوت يدل على أنه يتألم، بدا وكأنه يرتاح فاتحاً عينيه.

أصدر جيمي الصوت الذي يجعل الناس دائماً يسألونه إن كان كل شيء على ما يرام، ولكن والده لم يسأله شيئاً. أصدر جيمي الصوت مرة ثانية، ولكن والده ظل صامتاً.

انتظر وشاهد.. في بعض الأحيان عندما لا يكون بإمكانك فعل أي شيء، فإن أفضل شيء تستطيع فعله هو الانتظار حتى ينتهي الشيء الذي يحصل حالياً، وستعرف حينها ما عليك فعله، وهذا ينجح أحياناً.

ذهب إلى الطاولة، وجلس على الكرسي، ولكن شيئاً لم يتغير، عدا أنه شعر بالجوع. سيطر عليه الجوع بشدة، فذهب إلى الوعاء المُبرد حيث يحتفظون فيه ببعض الطعام، وتناول بعض الأشياء التي طبخها والده؛ وهو بالمناسبة طبّاخ جيد، وبعض الأشياء الأخرى التي ليست بحاجة لأن تُطبخ.

حسناً، في البداية أخرج عبوة من تلك العبوات التي تُخرج الكريما المخفوقة بمجرد الضغط عليها. وضع الفوهة في فمه وبدأ يضغط حتى امتلأ فمه بالكريما، كانت لذيذة الطعم، كرر ذلك عدة مرات، ولكنه لم يشعر بالشبع.

كان هناك أنبوب من مثلجات الشوكولاتة، وكان نصف ممتلئ، ولكن مع ذلك كان يحتوي على الكثير من الشوكولاتة. حاول إخراج كل ما تبقى باستخدام ملعقة وكانت شهية جداً. ثم أكل بعض الخبز ولم يجده شهياً بقدر المثلجات، ولكنه شعر أخيراً بالشبع.

ذهب لينظر إلى والده مجدداً، ولكن لم يحدث أي شيء جديد.

في بعض الأحيان، يذهب الناس بعيداً، ويقول بعض الناس إن أولئك ذهبوا ليكونوا مع الله، وهو يعلم أن الله جيد. لا بد أنه جميل، فهناك لا يوجد احتمال للعودة كما عادت الفتاة منذ مدة قصيرة.

لا يزال جسد والده هناك، لكنه ربما ذهب بطريقة ما ليكون مع الله، وهذا ما أشعر جيمي بالحزن، فتوجه مجدداً إلى الطاولة، وجلس على الكرسي،

وشرع بالبكاء.

لم يبكِ طويلاً، لأن الحزن انقلب خوفاً، فإن رحل والده من دون رجعة، فهذا يعني أن جيمي أصبح وحيداً، وهو لم يكن يعرف ماهية الوحدة.

إنه بحاجة لشخص يكون بالقرب منه، شخص يعرف القيام بما لا يعرف جيمي القيام به، شخص لا يعامله بلؤم.

في الماضي، لم تعامله الفتاة بلؤم، وهي الآن لم تعامله بلؤم، ولكنه غاضب من الشيء الذي يسكنه، لأنه عاملها بلؤم.

ذهب إلى الصندوق المُعلق على الحائط؛ كان والده يستخدمه للتحدث إلى الأشخاص الذين يمكثون بعيداً، ولكنه لا يعرف كيف يستخدمه، أضف إلى ذلك أنه لا يستطيع التحدث.

كلا.. مهلاً، إنه يتحدث عندما يستحوذ الشيء عليه، إن فكّر بالطريقة التي يجعله فيه يتحدث، ربما يستطيع أن يتحدث بالطريقة نفسها.

وقف أمام الصندوق، وفكّر كثيراً، ولكنه لم يتمكن من التفوه بكلمة. ولكن بعد أن فكّر ملياً، بدا وكأنه تغير نوعاً ما بعد أن غادره الشيء، تذكر أنه منذ فترة طويلة جداً، عندما كانت الفتاة هنا، وكان الشيء بداخله كان يغيره تدريجياً يوماً بعد يوم، لذلك فكر أنه إذا لم يستطع التحدث، لكن الشيء ربما علمه التحدث، كل ما هو بحاجة إليه هو تذكر الطريقة... يا ليته يستطيع التذكر.

ثم توجه صوب الباب الأمامي وفتحه، وخرج إلى حيث الرياح، كان الظلام دامساً، ولكنه لا يخاف من الظلام بل من الوحدة، خرج ومشى باتجاه الطريق.

لمع الضوء في مكان ما، نظر إلى السماء فوقه عندما اهتزت، لم يكن خائفاً من السماء فلم يسبق لها أن آذته.

لم يعرف إلى أين هو ذاهب، ولكنه عرف بعد ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

عَبَرت الرياح بين الأشجار، واهتزت الأفرع الثخينة، وكأنها رُكبت على الأشجار الكبيرة بواسطة مفصلات رخوة. أمطرت السماء بشدة عليهما، وبعد المطر انتشرت حولهما رائحة الغابات اللطيفة. استخدم كولسون المصباح الذي يعمل على البطارية، باقتدار أكثر مما تفضله أوفيليا، ولكنها فهمت لماذا قرر أن يتقدما قدر الإمكان في الظلام الحالك، لقد فعل ذلك لأنه علم أن بطارية المصباح لن تدوم طويلاً، أراد أن يعتمدا على أعينهما بأكبر قدر ممكن، ويطورا رؤيتهما الليلية، حتى يصلا إلى أعلى منطقة من الطريق، حيث يكون التقدم هناك أكثر خطورة وقد يسبب التعثر والسقوط نتائج كارثية، ويمكن اعتبار ضوء المصباح من الأساسيات عند الوصول إلى هناك.

مع أن الإضاءة المحيطية كانت في حدها الأدنى، إلا أن أوفيليا لم تكن عمياء، فقد تكيفت عيناها مع الظلام، وهذا ما جعلها بطريقة أو بأخرى تزيد من حساسية جميع حواسها الأخرى، لقد استطاعت المحافظة على إدراكها المكاني المناسب، ووعيها الكامل بظلال تلك الأشجار المحيطة بها التي تجعل الغابة تبدو مثل غابة أشباح قادمة من عالم ما بعد الموت.

أضاء كولسون المصباح ليلقي نظرة سريعة على خريطة الطريق، أو ليقرأ البوصلة أو ليلقي نظرة على الطريق عندما يعتقد أنهما وصلا إلى علامة ما. عندما انقسم الطريق كانت هناك تشكلات صخرية ساعدت على توجيههما نحو الطريق الصحيح، بالإضافة إلى أشكال فريدة للأشجار تستطيع تمييزها، إذا كنت تملك العين المدربة على قراءتها، وتمييز ما يعنيه كل منها. حيث كان هناك أهرامات صغيرة مصنوعة من حجارة تركها زائرون سابقون، بالإضافة إلى أشكال أخرى أقل نحتاً، ولكنها تبدو أكثر جدية والتي بقيت لمدة قرن ونصف وربما لفترة أطول والتي تُمثل قبوراً لرجال الكهوف مجهولي الهوية، حيث قد ترى في بعض الأحيان صليباً محفوراً على القبر، ولكن لا تشاهد اسماً.

بعيداً عن كل طرقات النزهات الجبلية، لم تكن هناك علامات توحي أن البشر سبق لهم أن سلكوا هذا الطريق، ولكن كولسون أصر على إمكانية الخروج من هذه الغابة إلى مكان مفتوح حيث لن يشكل الاستمرار بالحركة مُعضلة كبيرة كما هو الآن. هذا هو المسار الذي نوى والده اتباعه للذهاب إلى مدينة بوكليتون، حيث ركنا سيارتهما الرياضية قبل أن يبدأا رحلتهما بعدة أيام، لقد سبق لكولسون أن درس الخريطة حتى حفظها.

في البدء، كان الطريق سهلاً بالرغم من حلول الليل وإطباق الظلام، ولكن كلما توغلا أصبحت أشجار الصنوبر أكثر عدداً، وتحيط بها أشجار الشوكران

والأرز، ولكن عندما وصلا إلى ممر عريض سيطرت أشجار الصنوبر على المشهد، وأصبحت أكثر قرباً، فتوجب عليهما أن يمديا أيديهما أمامهما لحماية وجهيهما من الفروع المتدلية التي قد يصطدما بها من حين إلى آخر.

قال كولسون إن أي غابة تحتوي على سكان كأي مدينة، مع أن تلك الغابة بدت لأوفيليا وكأنها غابة برية لها شكل متاهة بلا نهاية. قال كولسون إنه يستحسن للغرباء مثلهما أن يعلنوا عن وجودهم عندما ينتقلون من منطقة إلى منطقة حتى لا يفاجئوا الدببة والأسود.

يظن غالبية المشاة عبر الجبال من ذوي الخبرة القليلة أن أذكى طريقة لتجنب أن يهاجمك أحد المفترسين هي المرور بالغابة بأكبر قدر ممكن من الهدوء، ولكن بالنسبة إلى الدببة والأسود الجبلية فمن غير العادي أن تهاجم الكائنات البشرية، بل بالعكس تماماً فحدسها يخبرها أن عليها الفرار من هؤلاء المتطفلين. لذلك صفق الصبي بيديه بين الحين والحين، وأصدر بعض الأصوات المرتفعة، ليُعلم قاطني المنطقة بوجودهما، ويجعلها تذهب إلى مخابئها.

تابعا السير على الطريق الذي رسمته حوافر الغزلان، حتى اقتربا من أعلى الجبل، حيث بدأت الأشجار تصبح أبعد، وتتركز على جانبي الطريق كاشفة السماء القريبة منهما. لمع البرق بين الغيوم.

لم تكن أوفيليا واثقة من أن لديها القدرة على التحمل أو أن حذاءها مناسب لمواجهة ما ينتظرها. كان كولسون ينتعل حذاءً جبلياً، أما هي فكانت تنتعل حذاء عادياً والذي سيكون عديم الجدوى على التضاريس غير المستوية.

قال الصبي: «سنتبع الطريق المؤدي إلى القمة، ليس هناك المزيد من التسلق، وهذا يعني أن الضغط قد خف عليك وعلى حذائك، علينا اجتياز أقل من أربعة أميال قبل بلوغ الأرض المنبسطة، تستطيعين الصمود أو بالأحرى عليك الصمود، فأنت أخبرتني أنك عشت بعد مقتل أختك في الحادث، من أجل أن تقضي على آشير أوبتيم».

«صحيح، ولكننا نهرب منه، ولا نقضي عليه».

«لدينا ما يكفي من الأدلة القادرة على إبعاده للأبد».

«ولكنني لا أريد وضعه في السجن، بل أريد رؤيته ميتاً».

«سيحكمون عليه بالإعدام».

«هل سيفعلون ذلك حقاً؟ متى؟ بعد عشر سنوات من الآن؟ سيطلب استئنافاً بعد استئناف. ربما سيعدم بعد خمس عشرة سنة؟ بينما يقوم أشخاص حمقى

مثله بتمجيده واعتباره بطلاً؟».

«لا، لن يحدث هذا».

حتى الآن، لم تدرك بعدُ كم ساهمت تجربتها المريرة في الكنيسة ومواجهتها لآشير أوبيتم في زعزعة ثقتها بالعدالة التي لا يمكن الحصول عليها أبداً في هذا العالم المليء بالفوضى.

قالت: «دائماً يحدث الأمر بهذه الطريقة».

بدا أن الصبي قد أصبح أطول خلال رحلة الفرار من صفورة، ومنحته حقيبة الظهر حجماً أكبر. وقف في تلك المنطقة العالية من الجبل والريح تداعب ملابسه ليبدو كشخصية شجاعة قادمة من إحدى القصص الأسطورية، لا يتأثر بأية رياح قوية بل يحتفل بها. لمع البرق مجدداً عبر الغيوم، ولم يسقط بالقرب منهما، ورأت أوفيليا في ضوء البرق ذلك ملامح الإصرار والعزم على وجهه وفي نظرته التي بدت بعيدة كل البعد عن الصبيانية ومليئة بالقوة.

ذكّرها قائلاً: «أختك، أنت».

«أختي، أنا».

كان ذلك الصبي مميزاً، خلال عقد أو عقدين سيكبر ويصبح رجلاً قوياً حاد الذهن وطيب القلب. فجأة أدركت أوفيليا أنها دخلت في كل هذه الفوضى ليس لتؤكد سبب عيشها بعد الحادث الذي قتل أوكتيفيا بل أيضاً لتحمي هذا الصبي، وبدت مستعدة للموت من أجله إن تطلب الأمر ذلك. فجأة، جعلها ذلك الإدراك ترتعش، وشعرت لبرهة بالوهن في قدميها، وأنها على وشك السقوط، ثم سيطر عليها الشعور بالإثارة والحماسة واعتراها شعور أقوى من الأمل عندما كانت محبوسة في الكنيسة تحت رحمة آشير، لقد أعطاها هذا الصبي القوة، ولكنها لم تلحظ ذلك مسبقاً.

أعادت: «أختي، أنا». ثم تابعت: «أخي، أنا». واقتربت منه.

قال وهو يمسك بيدها: «أختي، أنا».

عندها أدركت أن التغيير لم يطرأ على مسار وهدف حياتهما فقط، بل غيرهما، لم يكونا نفس الشخصين اللذين كانا محبوسين في صفورة مسبقاً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

65

صممت طائرة رجال الأعمال من نوع غلف ستريم فايف الخاصة بغانيش باتيل بحيث تتسع لثمانية مسافرين والطاقم. كانت مريحة وكأنها فندق خمس نجوم محمول على طائرة. خلال رحلة الطيران إلى هيلينا، مونتانا استمع غانيش إلى قصص ضيفيه باهتمام أثناء تناولهم العشاء. روى كيني- الذي أطلق عليه غانيش اسم «ديتل» بمودة- ولي آن قصصهما وتعرضهما لهجوم غير عادي من قبل العدو المشترك نفسه، ومع أن غانيش لم يقل شيئاً عن هذا الشخص الغامض، إلا أن تجاربهما كانت ممتعة، وبالأخص حقيقة أن كل واحد منهما وعلى حدة وبشكل مستقل تماماً أطلق لقب «الآخر» على ذلك الشيء الغامض. كان غانيش يستمتع بكل شيء، ولا يوجد أي شيء يبعث الملل في داخله، حتى أنه كان مفتوناً بالناس المملين الذين يحيطون به لمجرد حقيقة أنه لا يوجد اثنين منهما مملين بالقدر نفسه، كان ذلك التنوع مؤشراً مذهلاً على التعقيد اللامتناهي لكل الأشياء. لم يكن كيني ولي آن مجرد شخصين مملين، بل كانا على العكس تماماً، حيث سأل غانيش عدة أسئلة- قرابة المئة- مُتحرياً عن كل تفصيل صغير من محنتهما والتي بدا بعضها غير ذي أهمية بالنسبة إليهما، ولكنه يُعتبر مهماً بالنسبة إليه.

كانا في منتصف دوامة متسارعة وممتدة من التزامن كما توقع خلال حديثه مع أرتميس سيلين في اليوم السابق، ولكنه لم يقل شيئاً، واكتفى بالاندهاش مما يحدث.

استأذن وانسحب إلى مقصورة النوم، حيث أجرى محادثة مشفرة باستخدام هاتف مؤمن بشدة مع نائب رئيس الولايات المتحدة، بعدها تحدث إلى مدير الأمن الداخلي الذي سيتصل بالوكالات الأخرى التي مولت مشروع أوليفاو بالاشتراك مع بلو سكاي. كان هناك حاجة لكل الموجودات الحالية على أرض مونتانا لذلك عليهم القيام بخط احتواء سري يُطوق المنطقة.

عندما هبطوا في هيلينا كان هناك سيارة سوداء بانتظارهم أمام حظيرة الطائرات الخاصة. وعلى الرغم من أن غانيش يفضل السيارة البيضاء- لأنه يفضل أن تكون أية وسيلة نقل يركبها باللون الأبيض- ولكن في هذه الحالة لم يكن في وضع يسمح له تماماً باختيار لون السيارة ونوعيتها. نُقلت أمتعته البيضاء وحقائب كيني الملونة من الطائرة إلى السيارة. ثم رافقا لي آن إلى مونتانا الغريبة هذه.

حددت لولو مساعدة غانيش من المكتب موقع متجر ملابس يلبي احتياجات الشابات ذوات حس الأناقة العالي، وتفاوضت مع المالك على دفع مبلغ مقابل فتحه بعد عدة ساعات لأجل لي آن.

وقف غانيش جانباً في المحل يراقب لي آن وهي تتفحص القطع، ثم تنظر إليها مرة ثانية وهي ترتديها أمام مرآة بالطول الكامل. لقد تأكد الآن من تقديره لها والذي كان ينمو طوال الرحلة من سياتل، لديها صورة واضحة عن نفسها ومتوازنة، لقد كانت حاسمة باتخاذ معظم قرارتها، ولم تتردد أبداً، سحرها جذاب، وتبدو هي نفسها غير مدركة له، ولكنه سحر يجذب الآخرين إليها، فيمكن القول إن صاحب المتجر وقع في حبها قبل أن تكمل العشر دقائق، وكذلك مديرة المتجر أيضاً.

لاحظ الطريقة التي تسأل بها كيني عن رأيه في الجينز أو السترة أو البلوزة أو أياً يكن ما تجربه، وراقب أيضاً طريقة جوابه وتفاعله مع الأمر، ذكّر ذلك غانيش بزوجين مرتاحين بالتعامل مع بعضهما– كوالديه- يقدران آراء بعضهما حتى في الأشياء الصغيرة المشابهة لاختيارات الملابس. شك في أنهما يدركان مدى تفاهمهما، ولكنه علم أنهما سيبقيان معاً لفترة طويلة.

كانا ناجيين، التقيا عندما كان كيني بحاجة إلى شريك ليهرب معه من النوايا العنيفة التي يخططها لها الآخر. ثم توجها إلى غانيش وهو الرجل الأكثر قدرة على فهم كل ما حدث لهما وتصديق قصتهما حقاً. لقد كان التزامن. دفع كيني ثمن الملابس بأوراق من فئة المئة دولار، وهذا لم يفاجئ صاحب المتجر ولا المديرة مما أكد لغانيش أن جميع عواصم الولايات قد أصبحت متشابهة إلى حدّ ما: يوجد فيض واضح من السيولة النقدية نتيجة أمور مرتبطة بالفساد الحكومي.

تولى الديتل القيادة، حتى يصلوا إلى مزرعة راسلنغ ويلوز بأقرب وقت ممكن، فهو لم يكن لديه أي احترام لحدود السرعة، والتي لم يكن هناك داعٍ لاحترامها، إذا أخذنا بعين الاعتبار صلات غانيش الكثيرة مع الجهات الثانية. جلس غانيش في المقعد الأمامي، وجلست لي آن في الخلف، وأمسكت بيدها مقصاً صغيراً لقص العلامات الموجودة على ملابسها الجديدة.

في وقت سابق، تبيّن لغانيش عندما أمضى الوقت مع كيني في مناسبات مختلفة أن المحادثات تكون فعالة ونشطة دائماً، فهو يتحدث عن أشياء كثيرة بدءاً بأحدث فيلم للأبطال الخارقين عُرض مروراً بالحديث عن نموذج هارتل–هوكينج «بلا حدود» الذي يفسر نظرية الانفجار العظيم وبداية الكون، هذا إن كان الكون بدأ على هذا النحو. الآن يشعر بسعادة أكبر لأن لي آن تشارك في النقاش. تمكنوا بطريقة ما من الانتقال في أحاديثهم بين دراما جريمة مكونة من ثمانية أجزاء تُبث حالياً على نيتفلكس إلى الحديث عن الثوابت العالمية العشرين التي تجعل إمكانية وجود حياة في بقعة ما ممكنة بدءاً من حدود الزمان والمكان إلى وجود بيئة جاذبية ثابتة، وإذا كانت الحياة موجودة على الأرض فربما تكون موجودة في مكان آخر. وجد غانيش من الغريب أن يصلوا

إلى هذا الحديث الغامض في هذه الليلة بالذات، ولكن، في هذا العالم تحدُث الصدف غير العادية أكثر مما نعتقد، عبروا منطقة قليلة الكثافة السكانية في ظلام لا يخترقه ضوء غير مصابيح السيارة الأمامية أو البرق من حين إلى آخر، وبدت السماء وكأنها تمطر سيولاً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سار وايت وجوانا من المرسى إلى بستان التفاح سعياً وراء تلك الذكرى. كانت الرياحُ العاصفةُ قد نثرت ثمار التفاح غير الناضجة على الأرض.

لا يزال المقعد الخشبي الأحمر في المكان نفسه الذي كان فيه عندما كانت طفلة، والذي رأته في الحلم، والذي لم يترك لها خياراً آخر غير العودة إلى راسلنغ ويلوز. لقد جلست مع جيمي على هذا المقعد في أغلب الأوقات، وهنا تخيلت نفسها أميرة تُختطف من القصر من قبل قوة الشر ثم يتركها خاطفها هنا في هذا البستان، وتخيلت أن جيمي هو القوة الساحرة التي ستحافظ عليها بأمان بمساعدة حيوانات الغابة، حتى يأتي فارسٌ شجاع بأمر من الملك، ويجدها في اليوم نفسه الذي تُعلن فيه المملكة حاجتها لملكة.

الآن، وهي تقف خلف هذا المقعد، ساندة يديها عليه، رفعت صوتها ليتغلب على الريح وقالت: «الشيء الذي استخدم جيمي، كان ينسجم مع روايتي الخيالية، في الحقيقة لقد كان يشجعني أيضاً، ماذا يستفيد من هذا؟ ماذا كان هدفه؟ إذا استطعنا أن نفهم هدفه، ربما نستطيع أن نكتشف ماهيته تماماً؟».

وقف وايت في الجهة المقابلة من المقعد، يستطلع المكان المظلم بقلق بحثاً عن تهديد ما أخطر من الذئاب، لم تنتظر جوانا أي إجابة منه، بل تحدثت إلى نفسها بصوت مرتفع في محاولة منها للوصول إلى الماضي، واستخراج تفاصيل ذكرى غير مكتملة لها مع جيمي.

كان يوماً صيفياً، وكانت تبلغ الثامنة من العمر، قادها غزال إلى الغابة، ورافقها في تلك المغامرة دب رمادي. ثم ظهر الغزال مرة أخرى في نهاية الأشجار، وقادها إلى البستان حيث كان جيمي ينتظرها.

قضيا ساعات مع بعضهما، وقد تذكرت ذلك من صورة صندوق النزهات الذي كان معها والذي يحتوي على الكعك والكوكيز وعلب الكوكاكولا الموضوعة في حافظة مبردة. يومها، تحدثا كثيراً، ومن بين ما قالاه هناك سطر واحدٌ تردد صداه في ذاكرتها، وأزعجها حين وقفت عند المرسى مع وايت منذ دقائق: «لو أنني قد وجدتُ أشخاصاً مثلك يا جوجو مسبقاً لربما كنتُ قد بدأتُ عملية الإيقاظ بالفعل». الآن حاولت أن تُنقب عميقاً في ذاكرتها، وتتذكر المحادثة التي قد تضع هذه الجملة في سياق ذي معنى.

أصبح البرق أكثر تكراراً، وكأنه انعكاسات لأجنحة الملائكة المارة. اهتزت الأشجار، وبدأت الأغصان تُجرد من أوراقها، وارتجف العشب. شجّعها وايت على العودة إلى المنزل والاستسلام، ولكن عندها ارتسمت في عينيها صورة البستان كما كان في ذلك اليوم: تدفقت أشعة الشمس عبر أشجار التفاح،

والأرض بلون ذهبي والظلال تملأ المكان، وهناك سلة النزهات الفارغة بينهما، وقد تلوث ذقن جيمي بكريما من الكعك، وكانت تنوي أن تمسحها له، ولكنها كانت مفتونة بما يقوله. ربما لم يكن هذا ما تم قوله تماماً، ولكنه جوهر ما قيل والذي تمكنت ذاكرتها الهشة من استرجاعه.

قدّم لها ذلك الصوت الخشن الذي اعتاد على تسليتها كثيراً خلال أربع سنوات من طفولتها: « لو أنني قد وجدتُ أشخاصاً مثلك يا جوجو مسبقاً لربما كنتُ قد بدأتُ عملية الإيقاظ بالفعل».

«تيقظ من؟».

«ربما يمكن اعتباره أميراً».

«أمير حقيقي؟».

«أجل، لقد كان نائماً منذ مدة طويلة».

«أحب هذه القصة، تبدو قصة جيدة، أنت تعني أنه نائم بسبب تعويذة؟».

«أجل».

«مثل قصة الأميرة النائمة، ولكن الاختلاف يكمن في أنه صبي؟».

«هو وحاشيته».

«من؟».

«حاشيته أي أقرب خُدام البلاط إليه».

«جميعهم نائمون؟».

«أجل، لقد أُلقيت التعويذة عليهم جميعاً».

«ولماذا توقظهم؟».

«إن كان هناك مزيد من الأشخاص مثلك ربما كنتُ سأفعل».

«تريدني أن أُقبلهم ليستيقظوا؟».

«لا يتطلب الأمر قبلة، أنا الشخص الوحيد الذي يملك القوة اللازمة لإيقاظهم».

«ومتى ستفعل؟».

«ربما لن أفعل ذلك أبداً».

«لا يبدو هذا صحيِحاً، أي نوع من القصص هذه؟».

بقي جيمي صامتاً.

سألته: «هل هناك تنانين في مملكة الأمير؟».

قال: «لا أريد أن ألعب هذه اللعبة بعد الآن».

«حسناً، هل أنت ملك؟».

«لماذا تظنين ذلك؟».

«لأنك تملك قوة أكثر من أمير».

«أنا لستُ ملكاً، لن تفهمي من أنا».

«تعلم أنني لستُ حمقاء، لا تقل إنني حمقاء، فأنا أفهم ما يحدث حولي جيداً».

«لقد أخبرتك أنني لا أرغب بلعب هذه اللعبة بعد الآن».

«لقد بدأت القصة، والقانون يقول إنه بمجرد أن تبدأ بقصة فعليك ألا تتوقف حتى تنهيها».

لقد تشتت الذكرى عندما لمع البرق مجدداً وشق السماء إلى نصفين مصدراً نوراً قوياً جداً محولاً الليل إلى نهار، وهربت الظلال من الساحة، وبدا أن أشجار التفاح قد قفزت برعب لتتحرر من جذورها. ثم جاء صوت الرعد بعد ضوء البرق ذلك، وكان قوياً جداً لدرجة أن الأرض اهتزت تحت أقدامهما. استدار وايت حول المقعد، وأمسك بيدها، وصرخ وكأن هناك تهديداً آخر غير العاصفة في الأفق: «تعالي، هيّا أسرعي، لا تنظري إلى الخلف!». وسحبها بعيداً عن البستان باتجاه العشب نحو المنزل هارباً من شيء ما. بالرغم من تحذير المحقق، إلا أن جوانا نظرت إلى الخلف عندما صدر ضوء آخر من العاصفة، مُخففاً حدة الظلام قليلاً، ولكن إن رأى وايت شيئاً ما سابقاً، فلم يكن هناك أي شيء الآن، ولم يتحرك أي شيء خلفهما سوى ما حركته الريح، وشلالات من المطر الذي يتحول مع كل ومضة برق إلى اللون الفضي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

سبق لجيمي أن رأى السماء تشتعل، وسمع الأصوات التي تشبه الانفجارات قادمة من الغيوم، ولم يحدث له شيء، لذلك لم يكن خائفاً. سبق له أن تبلل، ولم يحدث له شيء، فقد جف بعد مرور فترة من الزمن، لذلك وعلى الرغم من أنه مبتل حالياً، ولكنه كان متأكداً من أنه سيجف مجدداً.

كان يعرف الطريق. لقد أمضى كل حياته على هذا الطريق، فقد كان يذهب كل يوم مع والده من المزرعة إلى المدينة ومن المدينة إلى المزرعة، وعندما توقفا عن العيش في المزرعة أصبحا يمران بجانبها. كان يعرف الطريق المؤدي إلى حيث تعيش الفتاة، يعرفه جيداً جداً بقدر ما يعرف كل غرف ذلك المنزل الصغير حيث عاش هو ووالده المُصاب.

لم تكن غاضبة منه، بل من الشيء الذي يتحرك بداخله، ويستخدمه لتحقيق مآربه، ستساعده فهو لا يكون جيداً عندما يكون بمفرده، وقد ذهب والده إلى الله، وهي الشخص الوحيد القادر على جعل الأمور تسير بالطريق الصحيح.

تساقط الماء بقوة من الأعلى، كما يحدث في بعض الأحيان، ورمت الرياح بالماء على وجهه، ولكنه تابع تقدمه، فهو يعرف الطريق، وعليه أن يلتزم بالخطوط البيضاء على جانب الطريق. في بعض الأحيان، اختفت الخطوط التي تؤدي إلى المنزل الذي تعيش فيه الفتاة.

إذا رأى أضواء سيارات على الطريق سيبتعد، ما من طريقة تتيح له معرفة لمن تعود هذه الأضواء، قد تكون لأناس لئيمين وهو الآن وحده، كان والده يعرف كيف يتصرف مع الناس اللئيمين، ولكن جيمي لا يعرف.

هطلت الأمطار بغزارة، وأصبحت الأضواء القادمة من السماء أكثر لمعاناً.

لم يعرف كم بقي من الطريق الذي يفصله عن الفتاة، فالوقت لا يشير لنفس الفترة الزمنية دائماً، أحياناً تبدو عدة دقائق وكأنها ساعات، وأحياناً تبدو الساعات وكأنها دقائق، ولكنه اكتفى بالتقدم من دون أن يولي أهمية للمدة أو المسافة.

فكّر في الفتاة، وأيقن أنه سيعثر عليها، وسيخبرها أنه أصبح وحيداً، وعرف أنها ستعيد الأمور إلى مسارها الصحيح.

توقف للحظة، وفكّر أنه يستطيع مساعدتها كما تستطيع مساعدته، ربما لأنه أمضى فترة طويلة وهو لا يفكر بأحد سواها.

كانت هذه فكرة جديدة، لم يسبق له أن ساعد أحداً، ولا يعرف كيف تكون المساعدة، لقد كان مبللاً ووحيداً، ولكنه يعرف أنه سيشعر بشعور جيد إن

تمكن من مساعدتها.

لقد أرادت الفتاة أن تعلم تفاصيل عن الشيء وماهيته، إنها بحاجة إلى معلومات عن الشيء، لأنه يرغب بأن يؤذيها. ربما سيستطيع إخبارها ببعض المعلومات عن الشيء، وإن لم يكن قادراً على التحدث، ربما يستطيع إخبارها بطريقة ما.

عندما يتحرك الشيء بداخله، وينفذ هو رغبات الشيء، عندها يتحرك وفقاً لرغبات الشيء، لم يكن راغباً بتنفيذ رغبات الشيء، ولكنه نفذها مرغماً. لذا، فهو يعرف بعض الأشياء عنه، فَهِم بعضها، ولم يفهم بعضها الآخر، ولكنه مع ذلك يعرف بعضها.

رأى أضواء في الظلام، فابتعد عن الطريق، وركع خلف شجيرة ليختبئ. اقتربت الأضواء أكثر فأكثر عبر الأمطار، وأتت منها أصوات أعلى من أصوات الطقس، ثم اختفت الأضواء والأصوات، عندما همَّ بالنهوض، عادت الأضواء مجدداً، ولكن من الجهة المقابلة، لذلك ركع مجدداً.

حينها تذكر والده راكعاً وهو يبكي ويبكي، حدث هذا منذ فترة طويلة لدرجة أن جيمي نسي ذلك- حتى الآن- حدث ذلك عندما رحلت والدته إلى الله، فركع والده بجانب سريرها، وبكى لفترة طويلة، وكأنه غير قادر على التوقف، كان جيمي يستمع ويشاهد ما يحدث بحزن، وخوف، وشعر بالغثيان، لذلك تقيأ في المرحاض، وعاد إلى سريره، وبكى لبعض الوقت.

الآن، وهو يجلس وحيداً في الظلام مبتلاً والرياح تعصف حوله، بكى بشدة، بكى على والدته التي ذهبت إلى الله، وإن كان الذهاب إلى الله أمراً جيداً، وبكى على والده المصاب، ولكنه لم يبكِ بسببهما فقط، بل بكى بسبب كل الأمور التي لا يعرف ماهيتها، ولكنه يشعر بها.

حاول الوقوف مجدداً، ولكنه لم يستطع، وجد نفسه جالساً على العشب المُبلل، ماداً ساقيه أمامه، وتساقطت قطرات المياه من السماء ومن عينيه، وكأن ذلك الطقس العاصف حوله قد تسلل إلى أحشائه أيضاً.

بالطريقة نفسها التي لا تدوم فيها السعادة، لا يدوم فيها الحزن، لذلك عاد مجدداً إلى منطقة بين السعادة والحزن، توقفت عيون السماء عن سكب المياه، لكن عينيه لم تتوقفا، لم يأتِ أي ضوء من أي مكان عدا القادم من السماء بين حين وآخر، لذلك عاد مجدداً إلى الطريق.

لا تزال الخطوط البيضاء في مكانها، تلاشى بعضها في حين بقي بعضها الآخر على حاله، وهذا يعني أن الفتاة لا تزال هنا، ولم تذهب إلى الله، مشى بين

الخطوط في حالة بين الحزن والسعادة، مشى بالطريقة التي جعلت بعض الناس يضحكون عند رؤيته أو يبتعدون خوفاً.

إنه يعرف بعض الأمور التي قد تحتاج الفتاة إلى معرفتها، مع أنه لم يعلم ماهية ما يعرفه، تماماً كما تلك الدموع التي كانت تتساقط من عينيه.

لقد كانت الفتاة بحاجة إلى معرفة أمور تخص الشيء الذي حاول أن يؤذيها؛ ما هو وأين يختبئ، وربما يستطيع هو مساعدتها في ذلك، فهو يعرف بعض المعلومات التي تخص الشيء وأين يختبئ. إنه لا يعرف طريقة الوصول إلى الشيء عندما يكون مختبئاً، ولكن الفتاة ربما تعرف.

لم يكن الشيء لطيفاً، لا في السابق، ولا الآن، ولا عندما كانت الفتاة صغيرة، ولكنه مؤخراً، أصبح شديد اللؤم، وكأن خطباً ما أصابه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

68

آمن آشير أوبيتم بالآلهة مع كل تلك الأصوات العنيفة القادمة من السماء، وأضواء البرق اللامعة التي تشق السماء إلى نصفين، تلك الآلهة القديمة الحاقدة التي عفا عنها الزمن منذ آلاف السنوات، ولكنها لا تزال تملك القوة، وتظهرُ الآن من بين الصخور غاضبة من البشر الذين تخلوا عن عبادتها. صفرت الرياح بغضب معلنة عن نقمة الآلهة، وهزت الرياح القوية جداً سيارته اللاندروفر، عجزت ماسحتا الزجاج عن إبقاء الرؤية واضحة لأكثر من جزء من الثانية حتى بعد أن وضعهما على أقصى سرعة. بدا وكأن العالم ينهار ليُعاد تشكيله وتكوينه مراراً وتكراراً، وكأنه يتحرك ضمن قوقعته الخاصة ضمن مجموعة من الحقائق.

في العادة، عندما يكون الطريق رطباً، فعلى الأغلب يبقى طريق الغابة غير المُمهد سالكاً لسيارة الدفع الرباعي، ولكن في ظل هذا الطوفان العظيم فإن الطريق عبارة عن تربة موحلة جداً لدرجة أن حتى هذه المركبة التي تملك إطارات عريضة عالية ستكون مُعرضة لخطر الغوص في الطين.

يملك آشير خريطة المسار نفسها التي يملكها الهاربان، وهو يعرف أفضل مكان لينتظرهما فيه، في نهاية ذلك الوادي المربع يلتقي المساران- المسار الأول الذي اتجها إليه بعد الخروج من الكنيسة، والمسار الثاني الذي يتقاطع مع الأول في نهاية الوادي. يتقاطع هذا الطريق الثاني مع الأول في نقطة تبعد قرابة الميل من هنا، ولكن إذا علقت سيارة آشير بالطين قبل أن يصل إلى هناك، واضطر إلى إكمال طريقه مشياً، فلن يتمكن من اللحاق بهما أبداً، وأفضل خيار له الآن هو العودة بينما لا تزال الأرض صلبة- بغض النظر عن أنها قد لانت قليلاً- والإسراع إلى صفورة، ثم الذهاب براً عبر طريق المقاطعة، حيث توجد كل الحقول الواسعة المفتوحة، وحيث تكون قوة سحب المحرك كافية لضمان وصوله إلى الطريق السريع المُعبد.

مع أن العاصفة اشتدت بسرعة، ومن دون أي تدريج لدرجة أنه اضطر إلى تغيير خطته إلا أنه لا يشعر بالقلق، لأنه يعرف أنهما إذا اختارا أفضل طريق؛ ذلك الذي يقع عبر الأراضي المفتوحة خارج الجبل ويؤدي مباشرة إلى بحيرة الياقوت ومنها إلى أقرب مزرعة مأهولة راسلنغ ويلوز فيمكنه أن ينتظرهما على الضفة الشرقية ربما قبل ساعتين من وصولهما، وسيكون مستعداً ليسقطهما بواسطة عدة طلقات من مسدسه، ثم ينقل جثتيهما إلى المقبرة إلى حيث ينتميان.

إذا كان الصبي أحمق، واختار أن يسلك المسار الآخر الصعب، لن تكون أوفيليا قادرة على خوض هذا التحدي بحكم أنها أنثى رقيقة من سكان

الضواحي، خاصة وأنها تنتعل حذاء المشي الوردي، ستتعب بسرعة أو على الأغلب ستسقط، وتكسر إحدى عظامها. أما بالنسبة إلى ذلك الولد اللعين– فحتى وإن لم يكن مُثقلاً بها– فلن يمتلك كل المهارات والقوة اللازمة لمواجهة الجبال والعاصفة من دون والده؛ ذلك المُؤرخ المعروف، والرجل الحركي الذي تقبع جثته الآن في قبو الكنيسة.

يبدو أن الطبيعة أيضاً لا تدعمهما فهي تُفضل آشير لأنهما لم يمنعا نفسيهما من القدرة على التكاثر وإفساد العالم، ولذلك وكمكافأة على تضحية آشير العظيمة فستساهم الطبيعة الخضراء في موت مؤلم لتلك الوضيعة الشريرة والصبي، إما بواسطة الطبيعة نفسها أو باستخدام آشير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

حان الوقت الذي احتفظ بالمصباح الذي يعمل على البطارية لأجله، ذلك الطقس العاصف والمطر الذي يجعل كل خطواتهما خطيرة وزلقة، حيث يصبح الطريق عبارة عن حافة ضيقة جداً لدرجة أن احتمال سقوط أحدهما يصبح كبيراً. الآن وصل بهما المسار إلى طريق عرضه قدمين تقريباً يشهد على قوة الزلازل التي ضربت الأرض مسبقاً، وكانت دليلاً للناس في ذلك الوقت على أن العمالقة قد سكنوا تلك المنطقة، وسببوا الدمار فيها وهم نائمون. عندما ظهر الضوء قليلاً رأيا الفجوة وعندها قفزا رعباً.

كانت مخاطر هذا المسار مقبولة نسبياً، لأن الطرق الجبلية توفر للمشاة طريقاً أسرع من الطرق الأخرى، ولأن عدد الأشجار والشجيرات قليل هنا، فذلك يعني أن المسار واضح وأكثر مباشرة. في الأعلى حيث يمشيان الآن لم تكن هناك عقبات مميتة، لا منحدرات من الصخر الزلق الهش أو الحصى الصغيرة التي قد تنزلق فوقها. في معظم الطريق استطاع كولسون أن يبقي أوفيليا إلى جانبه بدلاً من أن يسير أمامها ويتولى القيادة حيث سيتوجب عليه أن ينظر إلى الوراء باستمرار ليتأكد من أنها لم تتخلف كثيراً أو تسقط في مكان ما. كان يعلم أن الرحلة صعبة عليها، ولكنها كانت مُغامِرة بما فيه الكفاية، وأكثر من مجرد مُغامِرة، لم تشتكِ، ولم تطلب التوقف لالتقاط أنفاسها أو لتدليك عضلاتها المتشنجة، ومع أن حذاءها غير ملائم، وقد سبب لها آلاماً مبرحة على الأرجح، إلا أنها لم تصدر أي صوت. ربما كانت تذهب إلى النادي الرياضي بانتظام، أو أنها عداءة محترفة في المسارات الطويلة.

يساهم الخوف وغريزة البقاء لدى الإنسان بتخفيف الألم وتوفير قدرة أكبر على التحمل، قرأ كولسون هذا في مجلة علمية، ربما هذه المعلومة صحيحة حقاً مع أنه يعلم أن كتابة عالم أو خبير لشيء ما لا يجعله صحيحاً. لقد علمه والده الكثير عن طريق مقارنة الطريقة التي كتب فيها المؤرخون عن الأحداث نفسها بطريقة مختلفة.

بالطبع كانت أوفيليا مدفوعة إلى كل هذه الأحداث بسبب ما حدث لأختها، وبالنسبة إليها فهي تحاول أن تجعل شيئاً قيماً يحدث من الحادث غير المفهوم الذي حصل لأختها، أما بالنسبة إلى كولسون فقد كان حافزه الأول هو التعطش للانتقام والرغبة به. في الوقت الذي رغبت في إيجاد معنى لمصيبتها وبحثت عن الأمل في وجه الفقد والخسارة، رغب برؤية قاتل والده يتعذب ببطء ويموت ميتة شنيعة بأبشع الطرق. كان يدرك أن دافعها نقي بخلاف دافعه، ولكنه لم يهتم بذلك، وعرف أن والده كان سيقول له أن عليه إعادة النظر بدافع الانتقام هذا، وربما قد يفعل ذلك يوماً ما، ولكن في الوقت

الحالي لم تكن فكرة إعادة النظر بالموضوع هي القادرة على تحفيزه للمضي في طريقه، بعد كل شيء إنه في الثالثة عشرة من عمره فقط، وقد أطلق والده على هذا العمر منذ فترة قصيرة لقب «العمر البربري». عندما ينتهي من هذا العمل سيكون لديه الكثير من الوقت ليتحول إلى رجل أفضل.

بما أنهما يسلكان الطريق الجبلي الأقصر، عليهما أن يدفعا ثمن ذلك، وفي تلك الليلة، كان الثمن باهظاً: رياح عاتية، وشلالات من الأمطار المستمرة، تبللا بالكامل نظراً لأنهما لا يملكان أية معدات مطرية. أصبحت ملابس كولسون المبتلة ثقيلة، وابتلت جواربه، والتفت داخل حذائه الضخم المخصص للتسلق والذي لم يكن بالتأكيد عازلاً للمياه في ظل كل هذا الطوفان الحاصل. إذا أصبح الطقس أكثر برودة سيكون وأوفيليا في مشكلة كبيرة، فمع حلول ساعات الليل المتأخرة، ستنخفض درجات الحرارة أكثر، وهذه مونتانا في النهاية، ولكن إذا حالفهما الحظ سيتمكنان من الوصول إلى مكان آمن، وطلب المساعدة قبل أن يقضي البرد على قوتهما.

إنه يتعامل مع الأمر أفضل بكثير مما توقع، لم يفته شيء سبق لوالده أن علمه إياه. لقد فوجئ بنفسه، وشعر أنه أكثر كفاءة مما يتصور، وكلما توغلا أكثر في البرية، أصبح أكثر ثقة بما يفعله، لأن الأرض تقدم تحديات جديدة دائماً. كان واثقاً أن والده سيكون فخوراً به، وهذا ما ساعده في التغلب على كل ما ينتظره.

بغض النظر عن سوء الأحوال الجوية، وعدم الراحة الذي سببه، ولكنهما كانا يقضيان وقتاً جيداً، فبعد عبور طريق الغابات، وصلا إلى طريق انتقالي يتجه إلى التلال الغربية الموازية للتلال الشرقية التي قطعاها للتو. كان الطريق الموازي للوادي هنا أقل انحداراً من الطرق التي تنحدر بشدة نحو الأسفل في جهات أخرى من التلال الشرقية والغربية. بمجرد أن يعبرا طريق الوادي هذا، سيتعين عليهما السير لمسافة ميل وربما أقل قبل أن يؤدي الممر نحو سفوح التلال والأراضي الزراعية المنبسطة.

الآن في الشمال الغربي من المنطقة، أصبحت العاصفة تضربهما من اليسار، وهما يسيران عبرها تماماً، وأدى هطول الأمطار الغزيرة بالتزامن مع الرياح التي تضرب وجه كولسون إلى تشويش رؤيته بمجرد أن يرفع رأسه عن الأرض كمحاولة لرؤية ما أمامه، لذلك كان عليه أن ينظر بتركيز إلى الأرض.

عندما ضاقت الطريق لتصل إلى حدود الخمسين ياردة، لم تعد أوفيليا تسير إلى جانبه، بل سارت خلفه، وعلى مقربة منه وظهر ظلهما مع كل ومضة برق كعنكبوت متعدد القوائم.

فجأة، أمسكت بكُمّ سترته، وصرخت، ولكن كلماتها ذهبت مع الرياح، فقد رأت التهديد القادم، أما كولسون فلم يره، ربما لأنه وفر لها حماية من المطر تسمح لها برفع رأسها والنظر حولها.

توقف، واستدار حيث رأى أثناء دورانه وبفضل سقوط الشعاع المباشر للمصباح الضوئي ما تمكنت من رؤيته بفضل نعمة البرق. على يسار المنحدر وبين الأشجار على بعد عشرين قدماً يقف ذلك المخلوق الهائل على قائمتيه الخلفيتين بطول ثماني أقدام وربما أطول. إنه الدب الرمادي لأن لون فروه السميك كان يميل إلى الرمادي، وتحت الضوء بدا وكأنه يميل إلى الفضي. كانت عيناه تشعان بالحيوية.

مع أن كل ما فعله آشير أوبيتم لم يجعل أوفيليا خائفة بالدرجة الكافية لإرهاق روحها، إلا أن ذلك الدب العملاق تكفل ببث الرعب الأعمى في قلبها: «يا إلهي، يا إلهي».

بدا الوحش أخرق وبطيئاً، ولكنه لم يكن كذلك، فبإمكانه أن يتحرك أسرع منهما بكثير، بحيث يستطيع الإمساك بهما خلال ثوان ويثبتهما بمخالبه إلى الأرض. حسناً، ربما هذا صحيح، ولكن هذه الدببة تتغذى على النباتات والفواكه والحشرات والثدييات الصغيرة والأسماك. لم تطارد الغزلان كما يفعل الكوجر، ولم تقتل الناس في العادة، ولكن بالطبع إذا أدهشتها أو تحديتها تتحول إلى كائنات عدوانية بسرعة، وفي هذا الحال يمكنها أن تتحول إلى كائنات عدوانية تمزق الشخص قبل أن يستطيع تذكر الشخصية الخيالية القاتلة هانيبال ليكتر.

كان يُفترض بهذا الوحش أن يحتمي في ملجأ ما من العاصفة، فهذا ما تفعله الدببة وبالتالي يوجد شيء خاطئ في حقيقة أنه يقف هنا الآن، ربما مرض أو ورم في دماغه أو حالة ما تجعله أكثر خطراً من الدب العادي.

هزت العاصفة ذلك الليل، وكان الدب يراقبهما- بثباتهما في وسط الفوضى- كما لو أنهما نقطتا اهتمامه الوحيدة. سحب كولسون من جيب سترته علبة صغيرة مضغوطة تحتوي على بوق التنبيه لإخافة الحيوانات.

قالت أوفيليا: «كلا». وكان يعلم أنها خائفة من أن تسبب الضجة الصادرة غضب الدب الرمادي.

في الماضي، كان صوت قوي واحد من بوقه كفيلاً بإبعاد الذئاب والقطط البرية وحتى أنه أبعد ذات مرة دباً بنياً صغيراً. ولكن خلال رحلاته مع والده لم يصادفا أي دب رمادي أو أسد جبلي، واعتاد والده على حمل بندقية المزودة

بالخرطوش كتحضير لأسوأ السيناريوهات التي يمكن أن تحدث، وهذه البندقية الآن في حوزة أوبتيم.

نظراً لعدم وجود أي سلاح، تردد كولسون في استخدام البوق الهوائي، حمله بيده جاهزاً للضغط عليه في أي لحظة، وخشي أن يؤدي البلل إلى انزلاقه من بين يديه، ومع ذلك أمسك بيد أوفيليا لإبقائها قريبة منه.

قال لها: «اصرخي إذا شاهدته يتحرك نحونا». ثم ركّز مجدداً على الطريق أمامه، وبدأ بسحبها والتحرك ببطء بسبب تلك العاصفة الشديدة إلى جانب ضرورة أن يتجنب وضع قدمه في مكان خاطئ أثناء تحركهما نحو التلال الغربية وضرورة جاهزيته لأي هجوم من الخلف. كان خائفاً، وسمع دقات قلبه وشعر بها. كان يعاني من صعوبة في البلع والتنفس، ولكن احتل الخوف مكاناً أقل من غيره حيث شعر بالغباء والعار والخجل من نفسه، فهو يسير مسلحاً ببوق هوائي فقط، كصبي مثير للشفقة يحاول أن يكون رجلاً. قبل بضع دقائق فقط، كان فخوراً بنفسه، وواثقاً من أنه قادر على مواجهة أي تحد. ماذا! سيد الكشافة ومُرشد الجبال! بطل مراهق! غبي! مجرد أحمق. في الحقيقة لقد كان مذهولاً، بل شعر بالسوء كثيراً لأنه يقود أوفيليا ويدفعها للاعتقاد أنها آمنة معه، ويمكنه أن يحافظ على حياتها، وهذا ما لم يكن قادراً على فعله. كانت تمسك بقبضته بإحكام شديد لدرجة أنه رأى أنها لن تستطيع الإمساك بأي شيء بنفس الطريقة. فجأة ضغطت بقوة أكبر لدرجة أنه شعر بعظام أصابعه تكاد تتحطم، قالت: «كولسون!».

سرت رعشة من الرعب عبر جسده، توقف، ثم استدار متوقعاً أن يجد الدب الرمادي يتربص بهما. للوهلة الأولى ظن أنه اختفى، ولكن عندما أدار كولسون الضوء رأى أن ذلك المخلوق يتحرك بالتوازي معهما، وظل بين الأشجار من دون أن يقترب، لقد اكتفى بمراقبتهما وهو يقف منتصباً.

قالت أوفيليا: «إنه يلاحقنا». كان المطر يتدفق على جبينها وأنفها وذقنها، وبدت شاحبة في انعكاس الضوء كما لو أن تلك الأمطار قد جرفت معها إشراقة وجهها الصيفية. ذكرته فجأة بوالدته، مع أنهما لا تبدوان متشابهتين باستثناء أن كلتاهما تمتلكان عينين خضراوين، لكنه يعلم أن عليه فعل ما يتوجب فعله، فلقد كان مسؤولاً عن إخراج والدته من حزنها، والآن بعد أن وصل مع أوفيليا إلى هذه المرحلة، فلقد كان مسؤولاً أيضاً عنها، وعن إخراجها من هذه الليلة على قيد الحياة. لقد كان مجرد صبي، ولكن الصبيان يكبرون ليصبحوا رجالاً، وتوجب على هذا الصبي أن يكبر بسرعة ويتوقف عن الشعور بالأسف على نفسه، ويفعل ما هو صحيح.

كررت أوفيليا: «إنه يلاحقنا».

«الدببة الرمادية ليست من الحيوانات المفترسة التي تهاجم البشر، إنه يبحث عن غذاء على الأغلب».

قالت: «ولكنه لا يبدو لي باحثاً عن غذاء».

كان الدب يراقب وينتظر، واشتدت العاصفة وكأنها تحاول أن تمسح الظلام كما مسحت لون الحياة من وجه أوفيليا. كان كولسون خائفاً ومذعوراً، ولكن لا بأس فقد أخبره والده أن الشعور بالخوف مما يخيفك هو أحد الطرق التي تعلم من خلالها أنك إنسان عاقل وواعٍ. والآن لقد أدرك كولسون أن الاستمرار وفعل الشيء على الرغم من خوفك منه هو الطريقة التي تجعلنا نكبر وننضج.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

في مدينة سياتل الكبرى، وفي الطابق الخامس تحت مستوى الأرض، كانت أرتميس سيلين تعمل لوقت إضافي في المختبر الأساسي لمشروع أوليفو في بيئة عمل باردة وخالية من الغبار. دائماً ما تعمل لوقت إضافي، وينطبق عليها لقب مدمنة عمل من كل الجوانب. لم يكن العيش من أجل العمل بمفرده يعطي أي مؤشر على صحة نفسية طبيعية، خصوصاً عندما لا تكون بأمس الحاجة للأموال المتأتية من هذا العمل، ولن تتلقى أي إشادة أو مديح على ما تقوم به على الأقل في هذه الفترة ريثما ينتهي المشروع من كونه مهمة سرية للغاية.

تساءلت حقاً عن صحتها العقلية، وبدأت تقلق من أن يشك بعض الموظفين فيها، ويعتقدون أنها مضطربة ولديها مشاكل عاطفية. أرادت أن تحصل على غانيش باتيل، وتكون معه، بطريقة حميمية عاطفية وليس بطريقة جنسية. أرادت أن تسمع صوته الناعم، وترى اللطف في عينيه، وتكون أمامه عندما يحدق بطريقته المُحبة، وتعلم أنها مهمة بالنسبة إليه. يشير كل ما قرأته، وكل البيانات التي جمعتها، إلى أن شعورها هذا أقرب إلى شعور الكلب تجاه سيده المحبوب، وتعلم أن هذا ليس جيداً، لأنها تعرف غانيش بما يكفي لتتأكد من أن فكرة أن يكون سيدها ستجعله يشعر بالاشمئزاز، لأنه مع كل إنجازاته، كان يعتقد أنه ليس أفضل من أي شخص آخر. تفترض أرتميس أنها تشعر بهذا لأنه يُمثل الأب الذي لم تحظَ به في حياتها، لقد كان هناك قطعة مفقودة من شخصيتها، هذه القطعة هي الأب، وليس بإمكان أي شخص غير غانيش أن يملأ مكان هذه القطعة.

ذات يوم، تفاجأت من نفسها عندما سـألته عما إذا كان قد حلم بها يوماً ما، لقد ندمت لأنها سألته، وشعرت بأنه سيُصدم وستنهار صورتها لديه، وسيبدأ بإعادة التفكير بقراره منحها هذه الفرصة للعمل في مشروع أوفيلو، ولكنها بعد أقل من لحظة، شعرت بسعادة غامرة عندما أخبرها أنه يحلم بها في بعض الأحيان، ولم يعتقد أن ذلك غريباً لأنهما يريان بعضهما كثيراً وهما زميلان وصديقان وقد قطعا شوطاً طويلاً في هذه العملية معاً.

مع ذلك، ومنذ ذلك اليوم الذي سألته فيه، شعرت بالقلق عدة مرات من أن تكون قد أزعجته أو ربما أحرجته، وفي هذا الحال قد يسهب بالتفكير بالسؤال وبما حدث، وربما يبدأ بالتساؤل إن كانت تملك أية مشاعر قوية تجاهه أكثر مما أعربت عنه؛ وهي تملك مشاعر قوية بالفعل. وتفكر في مشاعرها، وهل هي ملائمة أم أنها تسيء إلى عملها.

كان تأمل أن تبدد أي شكوك عن طريق إثبات كفاءتها وقيمتها بإنجاز عملها بطريقة مثالية لا لبس فيها، وهذا يعني أنه يتوجب عليها أن تعثر على الآخر إذا كانت مزرعة راسلنغ ويلوز والمناطق المحيطة هي الأماكن الصحيحة للبحث. لقد طوروا نظرية أولية عن الموضوع- الملف السادس- حول طبيعة الآخر، وماهيته، ولكن البحث في العالم بأكمله يعتبر بحثاً كبيراً حتى بالنسبة للموارد الهائلة التي تُمول هذا المشروع، لذلك حصروا البحث في تلك المنطقة في نطاق دائرة نصف قطرها مئة ميل تقريباً، وتحتوي على منزل المزرعة في وسطها. ويُعتبر هذا النطاق مساحة كبيرة قادرة على احتواء العديد من الأماكن المناسبة للاختباء، ولكنها في الوقت نفسه تسمح بإجراء بحث دقيق جداً لتحديد أي تحركات شاذة ثم تحليلها لمعرفة إن كانت طبيعية أم لا. يجب القيام بكل هذا خلال وقت ملائم مع الأخذ بعين الاعتبار أن الوضع أصبح عاجلاً منذ أن بدأ الآخر باستخدام الإنترنت لاختراق الأنظمة الميكانيكية للأجهزة وعزو المنازل وقتل الأشخاص الذين يدخلون في لائحة أعداء آشير أوبيتم- وهو من المتعصبين لحركة الاستعادة. لم تعد كلمة «عاجل» تكفي لوصف ما يجب فعله بمجرد أن بدأ الآخر يستخدم منصات أسلحة ضمن مدارات معينة لتنفيذ عمليات القتل.

مبدئياً اكتشفت أرتميس أرشيفاً ضخماً من البيانات القديمة والحالية التي جمعت بواسطة مقياس الطيف الضوئي من الأقمار الصناعية، ودرست بعناية علاقات علم الخصائص الحجرية مع الزمن: طبقات الصخور، ورواسب التربة، ودورة المياه في النظام الجوي- بحثاً عن أدلة تشير إلى المخبأ الذي تبحث عنه، ونظراً لأن المشروع قد اكتشف أن الآخر قد استخدم الإنترنت منذ بدايته تقريباً، فهذا يعني أنه ربما كان في المنطقة منذ مدة طويلة كأن يكون قد وصل إليها منذ عقود أو قرون، ولذلك فقد احتل تاريخ سكان المنطقة أيضاً حيزاً مهماً من عملية البحث بما ذلك تقاليد وأساطير القبائل الأصلية التي عاشت في المنطقة والتي تم جمع بياناتها من قبل علماء علم الإنسان على مدة عدة عقود. هل كان هناك أي مدونات تشير إلى أضواء غريبة في السماء؟ أو هل صادف أحد أفراد الأجيال المتتالية لقبائل سيو أو بلاكفورت أو كرو قصصاً تبدو خارقة للطبيعة أو لقاءات مخيفة مع أرواح ذات شكل غير طبيعي؟

إن التعقيد الذي لا مثيل له والقدرة على عدم الكشف عن هويته بينما يستخدم هذا الآخر الإنترنت يشير إلى ذكاء من خارج نطاق المعدل الطبيعي وتكنولوجيا جديدة لم يصل إليها أي اختراع بشري بعدُ. على عكس سيناريوهات حروب العالم الحاصلة في أفلام هوليود يعتقد معظم العلماء ذوي التخصصات العلمية التي تدرس الفضاء وكائناته أن تلك الأنواع التي تعيش خارج كوكب الأرض والقادرة على السفر لآلاف السنين الضوئية عبر

الفضاء الواسع لن تكون عدوانية، بل على العكس ستكون مستنيرة ولا تستخدم الحروب كوسيلة عيش، وقد بقيت هذه النظرية صامدة لعشرة أشهر قبل أن يتم اكتشاف ما يفعله الآخر باستخدام الإنترنت منذ أربعة عشر شهراً، وبعد ذلك بدأ يقتل الناس.

من خلال التاريخ نستطيع أن نكتشف أن العلماء كانوا مخطئين أكثر مما كانوا محقين، حيث تقدم العلم بسبب انهيار رأي أجمع عليه مجموعة من العلماء في فترة ما مما جعل غيرهم يعيدون تقييم الأمر بطريقة لائقة في ظل بيانات ونظريات جديدة، إن كان العلماء دائماً أو على الغالب مُحقين في نظرياتهم لكان مؤيدو نظرية الأرض المسطحة يعقدون المؤتمرات حتى الآن، وكانت العلقات لا تزال علاجاً للأمراض، ولأصبح أصحاب نظرية أن الحياة بأشكالها المختلقة قد نشأت بشكل تلقائي من مادة غير حية مثل الأوساخ والروث مسؤولين عن الجامعات.

مع أن أرتميس سيلين كانت تمتلك معرفة كبيرة بالعديد من الأشياء، ولكنها في نهاية الأمر ليست عالمة، ومع ذلك فقد شكّلت نظرية خاصة بها ولم تشاركها مع أحد، لقد اشتبهت في أن ذلك الآخر لم يكن كائناً قادماً من خارج كوكب الأرض، ولم يولد من رحم كائن غريب أو يخرج من بيضة كائن بشع ما، لقد كان شيئاً أقل ضعفاً وأكثر رعباً من ذلك. في الوقت الذي هبط فيه غانيش في هيلينا، كانت أرتميس تبحث بهمة وعلى الرغم من أنها كانت تخشى تحديد موقعها، لأن إثبات صحة شكوكها تؤكد أن الآخر عبارة عن تهديد وجودي لهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

71

أرادت جوانا القهوة مع الويسكي في محاولة لتهدئة أعصابها، والتغلب على مخاوفها، وتصفية عقلها بحيث تستطيع التفكير بطريقة جيدة، فسارع وايت إلى تلبية رغبتها، وصب كأساً أخرى له. لم يكن بإمكانها الجلوس، بل فضلت أن تظل واقفة على قدميها وهي ترتشف الشراب وكأنها ستضطر إلى الهروب في أية لحظة بسبب تهديد مميت.

سارت من غرفة إلى غرفة، ووايت يرافقها، لم يعد منزل المزرعة يثير تلك الموجة الساحرة بداخلها، بعد أن قامت في لا وعيها بتصميم منزلها في سانتافي كنموذج عنه، والآن تحولت سنوات طفولتها الوردية إلى اللون الأسود، فتلك الأيام الماضية التي قضتها هنا لم تكن ساحرة ومشرقة، بل كانت مظلمة مليئة بشعوذات غير قابلة للتفسير.

أصبح هذا المنزل مكاناً للقتل والخداع لصالح قوة غير معروفة، وإذا عُرفت قد تكشُف عن أشياء مرعبة لم يتخيلها أحد. بالنسبة إليها كقارئة وكاتبة كانت تحب القصص التي يتم فيها حل لغز واحد فقط للكشف عن آخر حيث يظل المجهول يتمتع ببعض الغموض إلى حد ما حتى عند معرفته وهذا ما يجعله غير قابل للوصف في عدة جمل. ولكنها لم ترغب بأي جزء من هذه القصة على أرض الواقع، بل رغبت في معرفة كل شيء، ثم وبالاستناد إلى هذه المعرفة ستتخذ الإجراءات اللازمة لوضع حد للشك والخوف.

وقفا في غرفة المعيشة أمام النافذة، يراقبان المطر المتساقط من سقف الشرفة، والقطرات تتكسر مثل الزجاج على الأرضية الخشبية. لمعت أضواء العاصفة عبر الفناء، وتوقعت مع كل ومضة أن ترى ذلك الظل الضخم الخشن واقفاً على رجليه الخلفيتين وقد ثبت عينيه اللامعتين عليها.

قالت: «إذا حدث ذلك، فلا يوجد ما يمنعه من دخول المنزل، لن يمنعه بابٌ ولا حتى سلسلة من الأبواب».

كان يعلمُ أنها تتحدث عن الدب، قال: «معي مسدس، ربما لن تكفي طلقة أو طلقتان لإسقاطه أرضاً، ولكن لا يمكن أن يقاوم لأكثر من عشر رصاصات متتالية من مسافة قريبة».

كان هذا الرجل يثير إعجابها، وها هو يحاول أن يثبت كفاءته في مواجهة أية أزمة. ولكن حتى مع وجود السلاح فذلك الدب لا يزال أقوى منهما بكثير، ولن يكون قادراً على مواجهته أياً يكن ما يملكه.

سألته: «هل تتذكر الأيائل؟».

«أجل بالطبع».

«لقد تم التحكم بقطعان من الأيائل وكأنها أيل واحد، ما الذي يمنعه من إرسال ثلاثة دببة رمادية من التلال لتهاجم المنزل في وقد واحد؟ تخيل تلك المخلوقات الضخمة تشق طريقها عبر هذه الغرفة لا أعتقد أن بإمكانك الضغط على مسدسك بالسرعة الكافية لإيقافها كلها أو حتى لإيقاف واحد منها».

وضع وايت كأسه غير المنتهية على الطاولة القريبة، وقد تغيرت تعابيره إلى تعابير رجل ارتفعت حموضة معدته فجأة وآلمته حتى الحلق وقال: «قال إنه ممنوع إيذاء الناس، أليس كذلك؟».

«أجل ما لم يكن يملك الحق بإعدامنا، أياً يكن هذا الشيء، ربما انفعل وقال هذا مرة، وربما لديه تلك المبادئ والأخلاقيات التي تحدث عنها بالفعل، ولكن لم يعد الأمر منطقياً بعد الآن، إنه مجنون، ويعتقد أن الجنس البشري بأكمله يجب أن يُحاسب».

«عندما دعاك جيمي بأنك مجرد طفيلية أخرى، قال لك إنك دليل على أن... دليل على أن شخصاً ما كان على حق، ماذا كان اسمه؟».

«آشير شيء ما.. أوندين أو أوبنهايم».

قال وايت وهو يدخل كلمة مرور هاتفه: «دعينا نبحث عنه لعله شخص ما».

استجمعت ذاكرتها القطع المفقودة وقالت: «انتظر، أوبتين أو أوبتيم، أجل هذا أقرب لا أعرف كيف تتم كتابته تماماً».

قال: «لا يوجد الكثير من الاحتمالات لكتابته».

جلس على الكرسي، وبدأ يعمل على هاتفه، أما هي فبقيت واقفة مكانها أمام النافذة الكبيرة تراقب ضوء العاصفة وهو يتلألأ عبر أشجار الصفصاف، ويتهيأ لها شكل الدب قادماً من عمق الظلام.

بعد بضع دقائق قال وايت: «لقد وجدته، وهذا ليس جيداً، إنه عضو في حركة الاستعادة، من اتباع كزانتوس تولر ولكنه أكثر تطرفاً».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

بدا وكأن الدب يعرف وجهة كولسون وأوفيليا، لقد كان يختفي مراراً وتكراراً في عمق الغابة وكأنه فقد اهتمامه بهما، ليجداه ينتظرهما على نفس المسار بعد مسافة ربع ميل تقريباً عندما يحركان ضوء المصباح أو بشكل أكثر درامية من خلال ضوء البرق المتوهج.

لطالما أعجبت أوفيليا بالطبيعة من مسافة بعيدة، لقد أحبت الأفلام الوثائقية الجيدة التي تتكلم عن الحياة البرية أكثر بكثير مما أحبت البرية بحد ذاتها، لم تكن تعرف شيئاً عن الدببة- ولم ترغب بمعرفة أي شيء عنها- ولكنها اشتبهت في ذلك الدب، وشعرت أنه يتصرف بطريقة فريدة. كانت لديها فكرة مجنونة مفادها أن ذلك الدب لم يرغب بمهاجمتهما، ولكنه أراد أن يخيفهما فقط، ويبقيهما على حافة الهاوية، بحيث يلهيهما عن التفكير في أي شيء آخر. كانت تعلم أنها تنسب صفات ونوايا بشرية إلى ذلك الدب، وعرفت أن ذلك أمرٌ أحمقٌ، ولكن أحاسيسها أخبرتها أن هذا الدب محتال، وأصبحت أكثر اقتناعاً بذلك مع مرور كل دقيقة.

كانت بائسة ومبتلة وقد بدأ البرد يحكم قبضته على جسدها، ومع أن حذاءها لم يتشقق بعدُ ولكنها شعرت وكأنه تشقق، مما جعلها تتعثر أكثر من قبل. شعرت أنها ستصاب بالتهاب رئوي، ليس من النوع الذي يمر بسهولة بل من النوع الذي يجعلك تنام عدة أيام في وحدة العناية المركزة مع وجود أنبوب أسفل حلقك وجهاز تنفس اصطناعي متصل بك.

لم ترغب بشيء سوى الخروج من الغابة، والابتعاد عن المطر وعن هذا الكابوس. مع ذلك عندما اقتربا من الطريق المنحدر عبر الغابة والذي يؤدي إلى أرض المزرعة في الغرب، أمسكت بكولسون، وجذبته نحوها، وقالت: «ذهب الدب ولكنه سيعود، إنه لا يرغب بأكلنا، ولكنه يريد أن يشتت انتباهنا، يجب أن نبقى منتبهين، ولا ندعه يفعل ما يريده».

ظنت أن كولسون سيتفاعل مع نظريتها وكأنها قد جُنت بسبب ثقل المحنة التي يمران بها، ولكنه كان ينظر إليها بشكل طبيعي وقال بدلاً من ذلك: «حسناً، معك حق من المستغرب أن يتصرف الدب على هذا النحو، فهو لا يقوم بما تقوم به الدببة الطبيعية».

قالت: «كان هناك غربان في الكنيسة قبل مجيئك وكان هناك الكثير من الغرابة فيهما، ويملك هذا الدب نفس النوع من الغرابة، لا تضحك عليّ، ولكن ربما أُرسل ليشتت انتباهنا، حتى نسير باتجاه أوبتيم مباشرة، وننتهي مع تلك

الجثث في قبو الكنيسة، أعلم أن ما أقوله لا يبدو منطقياَ، ولكنني لستُ مجنونة».

لقد كان يعلم الطبيعة وخصائصها أكثر منها، وربما يعرف عن الدببة أكثر ما تعرف الدببة عن نفسها، لأن المواضيع المتعلقة بالحيوانات المفترسة ذات الأسنان تُعتبر من أكثر المواضيع التي تُثير اهتمام مراهق بعمر الثالثة عشرة، ولكن مع ذلك لم يفكر للحظة واحدة بالذي قالته بل وضع باعتباره تلك الغربان مباشرة كما لو أنه كان من المنطقي افتراض أن أوبيتم بمثابة الطبيب الشرير دوليتل وقد تآمرت الحيوانات معه.

«لا بد أنه أدرك أننا ذهبنا بعد دقائق من خروجنا، وهو يعرف هذه الجبال، ويعرف إلى أين نتجه، لأننا لا نملك أية خيارات أخرى، في غضون هذا الوقت يفترض به أن يوقفنا، وبما أنه لم يفعل فربما هو يجلس في مكان ما وينتظر وصولنا».

«حسناً، إذا سنضع خطتنا مع أخذ هذا بعين الاعتبار».

«حسناً/ لنبقى حاذقين ومترقبين».

كانت أوفيليا متعبة جداً لدرجة أنها كانت على وشك أن تنام وهي تستند على شجرة ما لم يكن ذلك الدب يتربص بهما، لم تشعر بأنها قادرة على أن تبقى مترقبة ومتنبهة، ولكن عليها أن تبقى كذلك لأنها ستموت إن لم تفعل.

وربما يحدث سيناريو أسوأ: حيث ولسخرية القدر يصطدمان بأوبيتم الذي يقتل كولسون، ولكنها تتمكن من الهرب، بعد ذلك سيحدث مثل ما حدث بعد حادث أوكتيفيا حيث ستبقى على قيد الحياة في الوقت الذي يفترض بها أن تموت مع كولسون، وستقضي بقية حياتها تتساءل لماذا أُنقذت، وتتظاهر بأنها على قيد الحياة كما لو أنها وبطريقة ما قد غشت لتستطيع البقاء في هذا العالم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تحرك ذلك الصبي الذي وُلد كعاصفة من العيوب الخُلقية وكأنه ناتج عن الرعد والبرق تحت صراخ الطقس العاصف.

لم يرد جيمي الكثير فهو لم يسعَ سوى خلف القليل من السلام، ومنزل يحتويه، وشخص ما ينظر إليه بلطف حقيقي، لقد اعتاد الناس على الخوف منه عندما يبتسم، لذلك في كثير من كان يبتسم عندما لا يستطيعون رؤيته.

كانت نهاراته بمعظمها طويلة ومليئة بالضوء ولياليه كانت أطول وأكثر فراغاً وظلاماً. في بعض الأحيان، شعر أنه صغير جداً وكأنه سيطفو في أية لحظة في ذلك الضوء أو الظلام، ويبتعد حتى يصبح بعيداً عن جميع من يعرفهم في ذلك العالم الذي لن ينتمي إليه مرة أخرى.

الوحدة سيئة، وقد تكون جارحة، لطالما كان وحيداً. عندما لا تستطيع التحدث يتوقف الناس عن التحدث إليه فهم لا يعلمون أنك تحب أن تستمع، لذلك يتركونك بداخل صوت طويل وحيد إلا والدك الذي يتحدث معك، ولكنه ذهب الآن إلى الله.

أصدرت العاصفة الكثير من الضجة، وكان كل شيء يهتز ويتحرك، ظن أن هذا الطقس لا يثير الوحدة، ولكنه جعله وحيداً، فكل تلك الضجة والحركة لم تعنِ له شيئاً، وكان طقساً يثير الوحدة جداً.

بقي يتبع الخطوط البيضاء، فلم يبقَ له أي شيء غير تلك الخطوط. حاول الطقس أن يبعده عن الطريق من خلال الكثير من الرياح العاصفة، والأمطار الشديدة، والأصوات القوية في تلك الوحدة المظلمة الكبيرة. أحياناً ينسى الخطوط أو يفقدها ثم يتذكرها ويعثر عليها مجدداً، لقد كان مبللاً وبارداً وخائفاً، إذا استمع إلى ما يريده الطقس سيُحمل بعيداً ويُبعد إلى الأبد لذلك لن يستمع بل بدلاً من ذلك بدأ يتحدث بحيث لا يسمع أي شيء غير صوته. كان يقول: «جيمي يحتاج صديقاً، يحتاج صديقاً.. لقد كانت صديقته ذات مرة».

بعد فترة، سمع نفسه وهو يتحدث بصوت عالٍ، وتوقف خائفاً، لقد اعتقد أن الشيء يتحرك بداخله، ولكنه ليس بداخله، ولم يكن يستخدمه للتحدث بل كان يتحدث بنفسه، ولكنه توقف خائفاً.

لم يعرف جيمي أبداً كيف يستطيع ذلك الشيء التحرك بداخله واستخدامه للتحدث، وعندما يغادره يفقد القدرة على التحدث، لقد أراه الشيء كيف يفعل ذلك، ولكنه لم يستطع فعلها، لقد كان من الصعب جداً أن يتذكر الكلمات عندما يحتاج إليها ليبدأ حديثه، ولم يستطع أن يصدرها أو يضعها في جملة تُعبّر عما يرغب بقوله. استخدمِه الشيء لسنوات كثيرة عندما كانت

الطفلة صغيرة، واستخدمه اليوم أيضاَ، وعرف كيف يتم استخدامه، ولكنه لا يزال عاجزاً عن إصدار الكلمات عندما يحتاج إلى ذلك.

حتى الآن.

إنه يشعر بالخوف والوحدة والغضب وذلك بعد أن استخدمه الشيء مرة أخرى بعد كل تلك السنوات، وعامل الفتاة بلؤم عندما لم يرغب هو بذلك، وبعد ذهاب والده إلى الله وبقاء جيمي لوحده بدون أي مكان ينتمي إليه شيئاً شعر بكسر بداخله، شيئاً ما كان بحاجة لأن يُكسر حيث بدأت الكلمات تتناثر من فمه.

قال: «جيمي، صديق.. يحتاج جيمي». مع أنها لم تخرج بالترتيب والسلاسة كسابقتها، ولكن كان عليه أن يجاهد لإخراجها، كان خائفاً من أن تكون مجرد بضع كلمات، وقد خرجت جميعها بالفعل، ولن يكون هناك المزيد منها قريباً.

اشتدت الأمطار، وهبت الرياح فاهتزت الأشجار بشدة، وربما كان جيمي بحاجة إلى التحرك أيضاً حتى تأتي الكلمات مجدداً، فقد كان يتحرك عندما أصدر تلك الكلمات للمرة الأولى، لذلك عاود التحرك مجدداً، ولكن الكلمات لم تأتِ، ثم تحدث مجدداً، لم يتحدث لأنه كان يتحرك بل لأنه توقف عن إجهاد نفسه في محاولة للتحدث.

«مساعدة، ساعدني، مساعدة، من فضلك.. من فضلك ساعد جيمي». لم يكن يعرف من يستمع إليها- هذا إن كان هناك أحد في الأساس- ربما كان والده المُصاب الذي ذهب بعيداً، ولكنه شعر أن ما قاله صحيح، كما شعر أن من الصواب أن يقول «شكرا» لشخص ما.

ثم وصل لنهاية الخطوط حيث يتقاطع طريق مع آخر. في البداية، شعر بالضياع، ولكنه وجد الخطوط على الطريق الثاني مجدداً، وسار في الطريق الصحيح مجدداً.

أتى الضوء باتجاهه عدة مرات، لذلك ابتعد بسرعة عن الطريق قائلاً: «خبئني، خبئني». ولم يره أحد.

تكلم جيمي مع الرياح والأمطار والظلام، وتكلم مع أشجار الصفصاف ومع الفتاة، متمنياً أن تظل لديه كلمات عندما يصل إلى هناك، وألا يتلبسه الشيء مجدداً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

بحث وايت عبر هاتفه عن مقالات تتحدث عن آشير أوبتيم، أحدث مقال نُشر قبل عام، قرأ مقاطع محددة منه بصوت عالٍ. في البداية، جلست جوانا على ذراع الأريكة، ثم سرعان ما بدأت تسير بخطى سريعة في حالة من التنبه والانفعال، وتقف أمام النوافذ الكبيرة وتنظر إلى ظلال العاصفة التي تسارعت وتضخمت خلال الليل، وأصبحت ذات نوايا شريرة على ما يبدو.

خلال طفولتها عندما كان الشيء يتلبس جيمي ألفريز ويطلق على نفسه اسم الصديق السري لجوانا، لم يكن مجنوناً أياً تكن نواياه الحقيقية، ولكنه الآن وبناءً على مواجهتها الأخيرة معه منذ فترة قصيرة في منزل ألفريز فقد تحول إلى مختل عقلياً، وقد تسمم عقله تماماً بأفكار أوبيتم الخاصة بالإبادة الجماعية.

في الأيام الماضية، عندما كان الشيء يتواصل مع جوانا عبر الهاتف، قال إنه في مكان مظلم في ظلام ذهني، أنت فقط بإمكانكِ مساعدتي يا جوجو. ربما كان عمره أربعة آلاف عام كما زعم حقاً وهو عبارة عن شكل خالد تقريباً قادم من عالم آخر، وبعد أن وصل إلى هنا ورصد الأحداث الحاصلة لعدة قرون بدأ بكره البشر بسبب غريزة عاطفية أكثر من كونها منطقية. وربما تطورت تلك الكراهية إلى مقت شديد، ولكن إذا صادف تلك الفلسفة الجنونية لآشير أوبتيم فقد تتحول إلى كراهية قاتلة.

عندما ضرب الضوء القادم من السماء الأرض بقوة، ولاحت ظلال الصفصاف مرة ثانية، استدارت جوانا من النافذة وقد خطرت بذهنها فجأة فكرة، فقاطعت وايت بينما كان ينتقل إلى فقرة أخرى قائلة: «هل تعتقد أن مجرد قراءة أقوال أوبتيم يمكن أن تحول شخصاً ما إلى مؤمن ملتزم تماماً ومُنفذ لفكرة الانقراض البشري بأية طريقة؟».

أبعد وايت عينيه عن هاتفه وقال: «ليس أي شخص، كلا، بل شخصاً غير متوازن يشكل خطراً على المجتمع، أو الأشخاص الذين يملكون روحاً وإرادة ضعيفة ويحاولون البحث عن هدف أو سبب لحياتهم».

«لا يوجد عيب في شخص غير متوازن أو ضائع في حياته، ولكن لن يتحول أي شخص عادي سواء أكان ضعيفاً أم لا إلى راغب في إبادة البشر لمجرد قراءة المقالات، ومن المؤكد أن كائناً من خارج الأرض يملك ذكاءً أعلى بعدة أضعاف ويمكنه السفر عبر المجرة لن يتحول».

قال وايت: «لا جدال في ذلك».

«يتطلب الأمر وجود أكثر من ذلك.. اتصال قريب ومكثف».

«ماذا تقصدين؟».

«يجب أن يكون آشير أوبيتم داخل نطاق نصف القطر الجغرافي الفعال الخاص بـالشيء».

«ما هو نصف القطر هذا؟».

«لقد قال الشيء إن بإمكانه التحكم بالحيوانات وقراءة العقول فقط ضمن دائرة ذات نصف قطر معين حول موقعه».

كانت جوانا تشعر باضطراب عندما تولي ظهرها إلى النافذة، فاستدارت لتواجه تلك الليلة، انعكست صورتها الباهتة عن الزجاج، وكأنها ميتة بالفعل، وهذه روحها قادمة لتُطارد المكان الذي قُتلت فيه.

قالت: «إن كزانتوس تولر مجرد شخص سخيف وجاهل، ولكنه يمتلك جاذبية قادرة على التأثير في الناس».

وافقها وايت: «بالطبع، وإلا ما كانت حركة الاستعادة تلك لتظهر».

«لذلك ربما يملك هذا الرجل أوبتيم الشخصية نفسها، وذلك الكائن الفضائي «الشيء» يمكنه قراءة أفكار أوبيتم والدخول إلى عالمه الداخلي المليء بالأشرار، وإذا كان جنون أوبيتم نادراً وجذاباً وكان عقله عبارة عن دنيا مظلمة وبنفس الوقت مثيرة للاهتمام وجذابة بشكل سيئ...».

قال وايت: «مع إضافة ما يكفي من الجاذبية يمكن للمريض النفسي القاتل أن يقنع الناس أن ما يفعله صحيحاً، وأنه على صواب في رؤيته هذه، من دون أن يدخلوا كثيراً إلى أعماقه الداخلية المٌضطربة، مثل هتلر وستالين وغيرهما. عندما يعتقد الناس أن حياتهم أصبحت بلا أي معنى أو هدف فإنهم سيحاولون البحث عن معنى، وإن اضطروا إلى استمداده من أكثر الدجالين رعباً وكذباً».

«ولكن هل يمكن أن ينجرف كائن فضائي فائق الذكاء بسبب كاريزما الشيء وجاذبية العنف والكراهية؟».

نهض وايت، وظهر انعكاسه كروح أخرى على زجاج النافذة: «في هذا العالم لا تترافق مستويات الذكاء العالي دائماً مع حس منطقي».

«أجل ذلك صحيح بالفعل، ولكن...».

«في كثير من الأحيان، يمتلك أصحاب الذكاء العالي الكثير من الغطرسة والنرجسية، كم من مرة خلال القرن والنصف الماضيين رأينا الطبقة الحاكمة والعديد من الأشخاص من ذوي الذكاء العالي يقودون شعوبهم في مسار

أحمق بحجة الوصول إلى عالم الأحلام المثالي، وذلك فقط لتدميرهم وجعلهم يائسين؟».

«لقد رأينا ذلك كثيراً».

«لماذا قد تسير الأمور بشكلٍ مختلف في عالم آخر، ومع نوع آخر من الذكاء؟ مع أن الشيء قد يكون غريباً، إلا أنه قد يمتلك الكثير من القواسم المشتركة مع نوعنا، مثل القدرة على الخداع والنوم، مما قرأته للتو، فقد أشار أوبيتم إلى أنه يتمتع بالقوة اللازمة لجعل الإبادة الجماعية تبدو وكأنها مهمة نبيلة، على الأقل يمكنه فعل ذلك لبعض الناس من ذوي العقول الخاوية».

أدارت جوانا ظهرها لتصبح بمواجهة وايت الحقيقي وليس انعكاسه وقالت: «يريد أوبتيم أن يتخلص من الجنس البشري بأكمله، وهذا ما يحاول الشيء فعله أيضاً، إنه بمنزلة رسول لأوبيتم، وسيبدأ بعمليته هذه من هنا، يمكن اعتبارنا في عداد الموتى إذا لم نخرج من هذا المكان الآن».

لم يخالفها الرأي: «ولكن إلى أين يجب أن نذهب؟».

«بعيداً عن نصف القطر الفعال بالنسبة إليه، فربما كان يكذب عندما قال إنه لن يقوم بقراءة عقولنا مرة أخرى وربما غيّر رأيه وقرر فعل ذلك، في مكان بعيد حيث تكون أفكارنا خاصة بنا وبحيث نستطيع إيجاد طريقة للتعامل معه».

«ولكن ماذا سنفعل إن لم يكن هناك طريقة للتعامل مع هذا الكائن؟».

استدارت جوانا، ومسحت الغرفة سريعاً بعينيها، مع أن المنزل لم يتغير عما كان عليه منذ أربعة وعشرين عاماً، ومع أنه كان ذات يوم ملجأ آمناً بالنسبة إليها، إلا أنه بدا غريباً الآن، وكأنه يقع في عالم آخر بعيد عن ذلك الذي وُلدت فيه.

«هل تشعرين بوجوده؟ هل الشيء هنا يا جوانا؟».

«لا أعلم، لا أعتقد ذلك». التقطت حقيبتها عن طاولة القهوة، وقالت: «هيّا، اترك الأمتعة، واترك كل شيء وراءنا، فقط دعنا نخرج من هنا بسرعة».

وقفت سيارة الإكسبلورر التي استأجرتها في المرأب، وكانت سيارة وايت الرانج روفر في الخارج في الممر حيث تركاها مكانها منذ أن عادا من زيارة هيكتور وجيمي ألفريز.

تجهمت جوانا بسبب رائحة حادة تصدر من المرأب ولم يسبق أن شمت مثلها، ولكنها لم تستطع التعرف إليها ولم تشغل نفسها بالبحث عن مصدرها.

جلست خلف المقود، وجلس وايت في المقعد الذي بجانبها، ولكن المحرك لم يعمل، لم يكن لدى جوانا أو وايت أي تفسير منطقي لذلك، فالبطارية لم تنفد، ولم تتعطل السيارة بسبب خطأ ما من الشركة المُصنعة.

ترجلا من السيارة، وذهب وايت وفتح غطاء المحرك، ولكنهما ارتدا إلى الخلف من بشاعة المشهد، كانت الفئران الملطخة بالزيت تتلوى على الآلات المصفوفة في حجرة المحرك. قام قرابة الاثني عشر فأراً بقضم الأسلاك وأحزمة المروحة وحاولت تخريب أكبر عدد ممكن من الوصلات، والتهمت الفتحات المغلقة في غلاف البطارية مما جعل الحمض يتساقط منها وسبب بسقوط ثلاثة فئران بشكل شبه ميت مع خروج الكثير من الرغوة الصفراء المختلطة بالدم من أفواهها المفتوحة. رفعت الفئران الحية رؤوسها، ونظرت صوب جوانا التي عرفت أن هناك شخصاً واحداً ينظر إليها عبر تلك العيون مباشرة- ذلك الصديق السري الذي لم يعد صديقها بعد الآن- أغلق وايت غطاء المحرك، ومن دون أن ينبس ببنت شفة، ذهبت جوانا إلى لوحة التحكم الخاصة بالمرأب ورفعت الباب المؤدي إلى الخارج.

التقيا عند الردهة حيث نثرت العاصفة بعض الرذاذ باتجاههما. شاهدا سيارة الرانج روفر وهي تقف في الممر وغطاء المحرك مرفوع وقد تناثرت شمعات الاشتعال على الرصيف وأحزمة المروحة ممزقة، والأسلاك وغطاء عبوة الزيت.. يبدو أن مخلوقاً آخر أكبر من الفئران بكثير هو المساهم الأساسي في تخريب أكثر العناصر أهمية في المحرك.

فكرت في والدها وهو يُرمى عن حصانه الخائف أو يُجر بعيداً عن السرج لتُنتزع أحشاؤه، يبدو أن ذلك الجلاد الذي جاء منذ وقت طويل أو أحد أقربائه قد أتى مجدداً من الجبل وكان بالتأكيد قريباً منهما هنا في هذه العاصفة، ينتظر أن يستخدمه أحد ما للقيام بأعمال دموية أكثر من مجرد تعطيل سيارة الرانج روفر.

خرج وايت إلى المطر ومن الواضح أنه ألقى نظرة فاحصة على الضرر الذي حدث لسيارة الدفع الرباعي.

قالت جوانا: «عد إلى الداخل». ثم أسرعت إلى لوحة التحكم لتغلق الباب مجدداً قبل أن تندفع تلك الوحوش إلى الداخل، ويتحول المرأب إلى مسرح مجزرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أمضى فانس بوتر- الذي يدير مزرعة راسلنغ ويلوز لصالح ليام أوهارا- معظم يومه في المنزل في بوكليتون حيث كان يؤدي بعض الأعمال الورقية والتي تعتبر من أعماله المفضلة التي يستمتع بها بقدر ما كان يستمتع بجراحة الأسنان. لم يعاني من أي مشاكل مع الأرقام، بل كان بإمكانه أن يحفظ بيانات المزرعة أكثر من حفظه لوصايا الله مع أنه كان يبذل قصارى جهده لحفظ الثانية أكثر من الأولى.

دخلت إدنا- زوجته وصديقته المفضلة- في إحدى حالاتها المزاجية وهي تحضر الغداء، انطلاقاً من الضوضاء الصادرة من المطبخ عرف أن ما يحدث أشبه بوجود طاقم كامل من برنامج الشيف الحديدي مشغول بتصوير حلقة في الداخل، وسرعان ما بدأت تفوح الروائح الشهية التي لم تترك له مجالاً ليفكر أو يهتم بتكاليف صيانة المزرعة.

طوال اليوم، لم يكف عن التفكير في وايت رايدر، وتوقع أن يتصل به المحقق ليطرح عليه عدة أسئلة خلال تواجده هناك، ولكنه لم يتلقَ أي اتصال أو رسالة منه.

عندما جلس مع إدنا إلى طاولة العشاء لتناول الطعام الرائع الذي أعدته، تمحور حديثهما في النهاية حول عائلة أوهارا، وكيف أتوا إلى المزرعة للمرة الأولى، وغادروها مباشرة على عجل، في الواقع لقد بدا الأمر وكأنهم هربوا قبل عدة أيام من موعد المغادرة الأساسي الذي كانوا قد حددوه مسبقاً. لقد أخبر فانس إدنا أنه شعر في كثير من الأحيان أنه مُراقب وهو يعمل في المزرعة. في النهاية بدا له أن الحيوانات كانت مفتونة به. كانت الغربان تتجاهل الناس، ولكن غراباً من نوعها نفسه كان يتبع فانس في بعض الأحيان لساعات، وينتقل من السياج إلى غصن شجرة إلى مزراب السقف، كما رأى لعدة مرات ذئباً يراقبه من بعيد، وقد بدا الأمر غريباً بالنسبة إلى هذا النوع الذي يميل إلى الابتعاد عن البشر، بدا له كأن الفضول يتملك جميع حيوانات هذه المنطقة التي قررت أن تراقبه، وتعرف المزيد عنه، وأخبرها أنه صادف مواقف مشابهة مع الغزلان والحيوانات الأخرى.

لم يخبر أحداً سوى إدنا عن هذا الاهتمام الغامض به، والذي لا يبدو أن الحيوانات التي تقطن خارج راسلنغ ويلوز لا تمتلكه. في الحقيقة، ما كان أحد سيصدقه سوى إدنا، فلم يكن متأكداً مما شاهده أو ماذا يعني، هذا إن عنى شيئاً أصلاً.

عندما أدى الحديث الذي يتعلق بالحيوانات الغريبة إلى موضوع وايت رايدر، وما قد يرغب باكتشافه في المزرعة؟ وما الذي يُحقق فيه بطلب من ليام أوهارا؟ فوجئت إدنا عندما سمعت أن المحقق لم يتصل بفانس وإن لمرة واحدة منذ اجتمع به في الأمس.

«عزيزي، ما الذي قد يفعله محقق خاص إذا لم يقم بالتحقيق في المرتبة الأولى، وكيف بإمكانه أن يُحقق إذا لم يطرح الأسئلة، ومن سيسأل بحق السماء إن لم يسألك أنت فلا أحد يعيش هناك؟ ألا يقلقك الأمر بما أنك لم تسمع شيئاً عن هذا الرجل منذ أن تركته هناك بالأمس؟».

لذلك ذهب فانس إلى مكتبه في المنزل، وحاول الاتصال برقم الهاتف الموجود على بطاقة عمل وايت رايدر ثم على الهاتف الأرضي للمزرعة ولكن في الحالتين أُبلغ أن الرقم خارج الخدمة.

فكّرت إدنا بالاتصال بمكتب العمدة، لكي تطلب من قسم الشرطة أن يمروا على مزرعة راسلنغ ويلوز للتأكد من سلامة السيد رايدر. ولكن مع ذلك، لم يكن فانس بوتر قادراً على الشعور بالخطر بسهولة ولم يكن معتاداً على الطلب من الآخرين القيام بالأشياء التي تُعد من واجباته. مع أن الوقت متأخر، والطقس عاصف، ورغبته بالنوم بعد العشاء الدسم الذي تناوله إلا أنه استعد لمواجهة الأمطار، وانطلق في سيارته الفورد بيك آب إلى المزرعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

أراد كيني ديتل أن تكون السيارة السوداء سيارة فراري بدلاً من ذلك. لقد قادها بسرعة على المنحدرات وفي كل مرة يكون على بعد بضع درجات فقط من لفة كارثية، مع أنه قدم أداءً رائعاً بسيارة الدفع الرباعي أكثر مما يتوقع مُصنعها نفسه أنها قادرة على تقديمه، ولكن مع ذلك لم تتحول سيارة الدفع الرباعي إلى سيارة فيراري، وهذا أمرٌ جيدٌ عند الأخذ بعين الاعتبار أن سيارات الفيراري صممت بحيث تكون قريبة جداً من الأرض، وبالتالي لن تستطيع التغلب على المستنقعات التي غمرتها الفيضانات بمياه الأمطار على طول الطريق حيث أصبحت أشبه بخنادق تحوي كمية كبيرة من المياه.

خلال الساعة الأخيرة من رحلتهم، بدأ غانيش باتيل بإلهام من صرير الريح والأمطار المتساقطة بشدة على السطح بتسلية كيني ولي آن بقصص حقيقة عن التزامن. قصص لا تُصدق، وذات مغزى عميق، وأحياناً تكون عبارة عن تصادفات مخيفة تشير إلى بنية العالم الغامضة. بدا للوهلة الأولى وكأنه انجرف إلى الموضوع من دون سابق نية، وكأنه فقط يناقش فيلماً معروفاً في الآونة الأخيرة، ولكن سرعان ما بدا أنه يحاول أن يُهيئ زميليه لاحتمال حدوث مواقف مشابهة الليلة.

قال غانيش: «قبل قرن من الزمن أنهى فيرنر هايزنبرغ- الفيزيائي الذي ربما يتساوى في العظمة مع أينشتاين- حساباته التي تؤكد صحة نظرية ميكانيك الكم، إنها النظرية الأساسية الوحيدة التي تُفسر بنية الواقع والتي لم يستطع أي شخص إثبات أنها خاطئة. تعتمد جميع تقنياتنا المتقدمة من الهواتف المحمولة إلى الإنترنت والحواسيب على ميكانيك الكم. مع أنها تعمل إلا أننا لا نفهم تماماً كيف تعمل أو لماذا تعمل، على المستوى الكمي لا يوجد شيء مؤكد تماماً، لأن الواقع يتغير دائماً، فلا يوجد أي قواعد معينة تحكم تصرف الجسيمات والموجات المُشكلة لنسيج الواقع، بل هناك أدلة كثيرة على أن الواقع يتصرف بشكل مختلف عندما يكون تحت الدراسة، وهذا يعني أن مجرد محاولة الملاحظة البشرية ستؤثر عليه وتؤدي إلى تغيير معطياته».

قالت لي آن من المقعد الخلفي: «وهنا يأتي الحديث عن كارل».

سألها كيني: «من كارل؟».

قالت لي آن: «أستاذ التزامن، التزامن هو ما حصل خلال لقائنا في ملهى إلدورادو».

قال كيني: «سبق لي أن سمعت بكلمة التزامن، ولكن لم أعلم من أين أتت أبداً».

قال غانيش: «لقد كان من بين افتراضات كارل يونغ أن العقل والمادة المكونة للكون متشابكان، وأنه وبصفتنا أفراداً ومجتمعاً يملك عقولاً فبالتالي يمكننا التأثير على الواقع وحتى يمكننا خلق الواقع باللاوعي. لقد شعر أن الصدف غير القابلة للتصديق تثبتُ نظريته هذه، هل سمعت بتوت عنخ آمون؟».

قال كيني: «ذلك الملك المصري منذ آلاف السنوات».

«في أوائل العام 1922 اكتشف عالما الآثار الشهيران هوارد كارتر ولورد كارنارفون مقبرة توت عنخ آمون، واحتل اكتشافهما عناوين الأخبار، ترافق اكتشافهما مع تكهنات أشارت إلى أن هناك لعنة ستؤدي إلى موت كل من أزعج الفرعون المُحنط. بعدها مرض كارنارفون- الذي موّل البحث- نتيجة لدغة حشرة وتوفي الساعة الثانية صباحاً يوم الخامس من أبريل».

قال كيني: «حسناً، هذه صدفة مثيرة للاهتمام، ولكنها ليست مذهلة بالمعنى الحرفي».

رفع غانيش يده: «هناك المزيد من القصة، لقد أشار مفهوم التزامن إلى أن بإمكان عشرات الآلاف من الناس الذين يركزون تفكيرهم على الشيء نفسه أن يؤثروا على الواقع من غير قصد، ويحققوا هذا التوقع. في الدقيقة نفسها التي توفي فيها اللورد كارنارفون انطفأت كل الأضواء في القاهرة، وفي الدقيقة نفسها نبح كلبه وسقط ميتاً في لندن».

قالت لي آن: «لا أحب القصص التي تتضمن موت الكلاب».

وافقها غانيش: «من يحب ذلك؟ حسناً دعيني أروي مصادفة أخرى لا علاقة لها بالكلاب، إنها مصادفة غريبة تشير إلى إحساسنا بالترتيب الغريب المخبأ داخل الفوضى الكمية، ولكن لا يمكننا التنبؤ كيف سيظهر أمامنا. أصيب الدكتور جيفري سميث- أستاذ بجامعة ستانفورد- بنوبة قلبية، وبعد أن تعافى سأل عرافة تدعى إليزابيث ستين عن موعد وفاته فأخبرته بتاريخ يقع في أبريل 1969، ثم في وقت لاحق توقعت حدوث زلزال مدمر في سان فرانسيسكو في اليوم نفسه مما ساهم في نشر الكثير من القصص الإعلامية وتسرب الرعب إلى قلوب المواطنين، ثم عندما حان ذلك الموعد المشؤوم لم يقع أي زلزال ولم يمت سميث ولكن العرافة السيدة ستين ماتت بسكتة دماغية».

قال كيني: «لقد أصابتني كل أحاديث الموت هذه بالرعب». دخلوا إلى طريق كثُرت فيه الخنادق التي سببتها الأحوال الجوية، مما جعله يفكر في نهر ستيكس (نهر في الميثولوجيا الإغريقية يجري سبع مرات حول عالم الأموات)

وفي أرض الأموات التي قيل إنها موجودة هناك، فقد كان ذهنه وللأسف يعمل هكذا عندما يشعر بالتوتر والضغط.

قال غانيش: «لا يتعلق التزامن بالموت فقط».

سأل كيني: «ماذا يعني كل هذا؟».

تساءلت لي آن: «ولماذا؟ لديّ شعور بأن كل هذه القصص تتعلق بسبب وجودنا هنا؟».

قال غانيش: «حسناً هذه قصة ستشعرك بتحسن، في الأول من آذار كان من المُقرر أن يشارك خمسة عشر عضواً من الجوقة في الكنيسة المعمدانية ويست سايد في بياتريس في نبراسكا، وكانت تدريبات الجوقة تقام في الساعة السابعة والنصف مساءً، ولم يسبق أن تأخر أي شخص منهم أبداً، ولكن في ذلك المساء، تأخروا جميعاً كل واحد لسبب مختلف عن الآخر، وبعد دقيقتين من الموعد الذي من المفترض أن يكونوا قد اجتمعوا فيه داخل الكنيسة، تدمرت الكنيسة بانفجار ناتج عن تسرب غاز كان من شأنه أن يقتلهم جميعاً».

قال كيني: «آه.. إذاً أياً يكن ما نحن على وشك مواجهته، فلدينا فرصة لننجو منه، ونبقى على قيد الحياة».

قال غانيش: «أجل أنا متفائل وأوافقك الرأي، ولكن على المستوى الكمي ما من شيء مؤكد، إليكم قصة أخرى تتمتع بنمط غامض أيضاً، كان هناك رجل اسمه أنتوني كلانسي من أيرلندا، وُلد في اليوم السابع من الشهر السابع من العام السابع في القرن أي في العام 1907، وكان الطفل السابع لعائلته أي كان الأمر عبارة عن سلسلة من العدد سبعة. في عيد ميلاده السابع والعشرين، وفي سباق للأحصنة، رأى حصاناً في المضمار السابع، رقمه سبعة، واسمه الجنة السابعة، يوجد في طريقه سبع عقبات، راهن عليه باحتمال سبعة على واحد بمبلغ سبعة وسبعين جنيهاً، وقد احتل الحصان المركز السابع».

ضحكت لي آن وقال كيني: «بالنسبة لي يبدو الأمر بأكمله عديم المعنى».

قال غانيش: «إن التزامن يتجاوز مستوى فهمنا، ومع ذلك أعتقد أنه مهم عندما نحاول توقع الأحداث الكبرى، عندما تشهد عدداً كبيراً من المصادفات الغريبة التي لا تُصدق، فإن ذلك يشير إلى أن شيئاً كبيراً قادماً، ومن الأفضل أن نتوقع ذلك، ونأخذ موقفاً صحيحاً تجاهه».

«موقفاً صحيحاً؟ عن أي موقف تتحدث؟».

«على سبيل المثال، لنفترض أن أزمة تصاعدت بين الصين والولايات المتحدة، فإذا كان هناك احتمال لحدوث أي قصف نووي، وإذا كان هناك احتمال أن يؤثر تفكير العقل البشري كجماعة على الواقع، فمن المؤكد أنك لا ترغب في أن يعتقد معظم الناس أن مثل هذه الحرب ممكنة، وقابلة للحدوث، بل ستريدهم أن يفكروا فيها على أنها شيء مستحيل الحدوث، لأن كثرة المتشائمين قد تؤدي إلى تحويل الواقع إلى ساحة معركة فقط لمجرد أنهم يتوقعون حدوثها».

عم الصمت، في الوقت الذي دوى فيه الرعد ولمع البرق في السماء، كانت المناظر الطبيعية والحقول الشاسعة تنكشف قليلاً مع كل ومضة، وتظهر الأشجار الكبيرة البعيدة بحيث تبدو كل هذه الطبيعة غريبة ومليئة بالخطر.

قال غانيش في الوقت الذي عاد الظلام ليخيم مرة أخرى بعد آخر برق: «بالنظر إلى التهديد الذي نواجهه، علينا جميعاً- كل رجل وامرأة وطفل على هذا الكوكب- أن نفكر بشكل إيجابي ومتفائل».

سأل كيني: «أي تهديد؟».

بدلاً من الإجابة عن السؤال قال غانيش: «لقد مُنحتُ الكثير من الأمل بسبب حقيقة أنك اتصلت بي طلباً للمساعدة في اللحظة نفسها التي كنتُ أنتظر فيها مع طائرة الأعمال غلف ستريم فايف وطاقم طيران جاهز بأكمله فقط بانتظار سبب ما يجعلنا نذهب إلى مونتانا، واللحظة التي اتصلتما فيها كانت تعتبر لحظة تزامن كبيرة».

قالت لي آن: «تنتظر؟ لقد أخبرتنا أنك كنت على وشك السفر لحضور مؤتمر طبي في مكان ما، ولكنك غيّرت خطتك لأجلنا».

قال غانيش: «كذبة بيضاء.. لقد أخبرني ليام أوهارا بالأمس عما حدث له ولعائلته في مزرعة راسلنغ ويلوز. بالطبع لتكتمل الحلقة كان على ليام- صديق لي- أن يكون الشخص الذي يشتري المزرعة التي اشتبهنا أن الآخر يعمل منها بعد أن بحثنا عن الشيء اللعين لمدة أربعة عشر شهراً خلال عملنا في مشروع أوليفاو، ومن ثم بالتأكيد يجب أن تشتركا أنت وكيني وايت في هذه القضية لماذا؟ لأنه أشبه بمربع تزامن».

سألت لي آن: «الآخر؟ ما هذا الآخر؟».

وسأل كيني: «مشروع أوليفاو؟ ما هذا أيضاً؟».

قال غانيش: «ليس لديك تصريح أمني يسمح لي بإخبارك، ولكن لا يهم هذا الآن بعد أن وصلنا إلى نهاية اللعبة».

سأل كيني: «نهاية أي لعبة؟».

«سنواجه الشيء وجهاً لوجه، ونقنعه بخطئه أو سندمره أو...».

قالت لي آن: «هل يمكنك أن تُعرّف الشيء أو الآخر في هذا الحديث لأجلي».

«كائن من أرض أخرى وحضارة أكثر تقدماً بدرجات لا يمكن قياسها من حضارتنا، والذي ربما جاء إلى الأرض بنوايا طيبة، ولكن طرأ عليه اضطراب نفسي وأصبح خطراً».

«كن أكثر دقة اضطراب نفسي؟».

«تحول إلى حشرة مجنونة لعينة».

خفف كيني من سرعته، فقال غانيش: «أسرع، أيها الرفيق ديتل أسرع، لا يوجد مكان آخر لنتجه إليه إلا الأمام، لا يوجد أي طريق آخر».

قالت لي آن من المقعد الخلفي: «حسناً، إما أن تقنعه بخطئه أو تضطر لتدميره أو.. ما تكملة العبارة؟».

قال غانيش: «أو.. سيمحو العرق البشري بأكمله عن وجه الأرض، ولكن هذا لن يحدث».

«لماذا أنت متأكد إلى هذه الدرجة؟».

صاح غانيش: «لأنه عليّ أن أتأكد من حدوث هذا!.. تذكري كارل يونغ وفيرنر هايزنبرغ يجب أن نستغل طبيعة الواقع الضعيفة ونحافظ على الموقف، الموقف، الموقف! يا أصدقائي هذه مغامرة العمر سنساهم في تشكيل مستقبل إيجابي جميل أو...».

سألت آن لي: «أو ماذا؟».

قال غانيش: «أو سنموت ونحن نحاول.. ولكن هذا لن يحدث، كوني على ثقة بما أقوله، بل يُفضل أن تكوني متأكدةً من ذلك».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

77

كانت أرتميس سيلين تمتلك رؤية أشبه برؤية عظيمة بفضل كل تلك الأقمار الصناعية متعددة الأطياف- التي يتبع بعضها للحكومة وبعضها الآخر للقطاع الخاص- فهي تستطيع مسح سطح الكرة الأرضية بأراضيها الواسعة ومياهها باستخدام عدسات تلسكوب ذات قوة تكبير هائلة تعمل ضمن مجال الطيف الضوئي المتوسط الذي ترى ضمنه العين البشرية، ولكنها بالإضافة إلى ذلك تستطيع وباستخدام تقنيات الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية أن ترى ما تحت سطح الأرض من أحواض المياه وطبقات الصخور والشقوق المختلفة التي طرأت عليها، وأكثر من ذلك بكثير.

لم تسبب لها الأحوال الجوية السيئة مشكلة، فحتى أثناء العاصفة الشديدة التي تعصف حالياً في مونتانا، كانت قادرة على التنقيب المستمر في المنطقة التي لفت غانيش باتيل انتباهها إليها، استخدمت كل أداة تملكها لتبحث وتمشط تلك المنطقة شبراً شبراً، حيث بحثت حتى الآن في حدود تبلغ العشرين ميلاً خارج المنزل في الاتجاهات الأربعة، ووجدت تسع مناطق تحوي شذوذاً جيولوجياً، وأكدت الأبحاث المُعمقة أنه يمكن اعتبار خمس منها طبيعية.

كانت تفكرُ في غانيش خلال كل عمليات البحث هذه، مشكلة غانيش. مع أنها أفصحت أنها حلمت به، ومع أنه هو الآخر قال إنه يحلم بها أحياناً، ومع أنه قال إن قانون منع العلاقات بين الموظفين العاملين في المشروع لا ينطبقُ عليهما، إلا أنها كانت متأكدة تماماً من أن الجميع ينظرون إليهما على أنهما صديقين، ولكنها تشعر بأكثر مما يشعر به الصديق تجاه صديقه، وإن كانت تعرف ما يعنيه الحب، فهي تحبه. كانت متأكدة من أن حبها المُتيم ذلك لن يحظى بأي مقابل، لقد كانا من طبقتين مختلفتين وخلفيتين مختلفتين جذرياً، وعلاوة على ذلك كان متديناً أما هي فلم تكن كذلك، ولن تستطيع أن تتصنع الإيمان فقط لإرضائه.

لقد كانت مستمتعة، ولكنها تذكرت وجود فارق في السن بينهما، كانت قادرة على تسلية الأشخاص ولم تشعر أن فارق السن يُعتبر مشكلة جوهرية، فهو يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً، وهي أكبر منه بعامين فقط. لقد كانت تعاني من خيبة أمل لأنه لن يحبها بمثل ذلك الحب الأفلاطوني الذي تكنه له، ولكن خيبة أملها هذه لم تتفاقم وتصبح حزناً، فقد كان ذهنها صافياً للغاية، وهذا ما أتاح لها فصل العواطف عن سلوكها وطباعها، فبصفتها ذكاء اصطناعياً– لم تكن مجرد ذكاء اصطناعي بل أول ذكاء اصطناعي عالي المعرفة في العالم– فقد عرفت القيود التي تفرضها طبيعتها هذه على الكثير

من الأشياء التي لن تتمكن من تجربتها، وكانت سعيدة لمجرد أنها مقيدة بتجربة العقل لا سيما بعدما رأت معاناة البشر وخوفهم لأن أجزاءهم التي تفسر الأحداث وتعمل بالمنطق موجودة ضمن أجساد وعظام ضعيفة. مع ذلك فقد كانت تأمل أن يشعر غانيش بأي عاطفة تجاهها؛ أعمق من مجرد صداقة. ذكّرت نفسها مرة أخرى أن أفضل شيء يمكنها فعله لجعل غانيش يُقدرها كثيراً هو تحديد موقع الآخر.

من خلال البحث في سلسلة من البيانات البيولوجية استطاعت أن تستبعد المنطقة السادسة أيضاً من ضمن حالات الشذوذ. إن كانت أرتميس بشرية كان حدسها سيلهمها منذ البداية بوجوب التركيز على المنطقة الواقعة عند بحيرة الياقوت- وهي واحدة من المناطق الثلاثة المتبقية- بدلاً من البحث بدقة بينها، إلا أن موهبة الحدس العظيمة لم تتطور لديها، لقد كانت تعرف الكلمة وتعرف معناها، ولكنها بدت بالنسبة إليها كالسحر وهي لا تؤمن بالسحر.

كانت تعالج المعلومات بسرعة مذهلة، وتحلل التاريخ البيولوجي والأنثروبولوجي لمونتانا، وتحصل على كل معلوماتها بالعمليات الحسابية المعقدة. ولكن أثناء قيامها بذلك، كرّست جزءاً من اهتمامها لشكلها وترسيمها الخارجي- الصورة الرمزية للفيديو- التي يشاهدها غانيش والآخرون في المشروع عندما يتشاورون معها مباشرة.

درست مفهوم الجمال البشري عبر الأجيال والثقافات المختلفة كما صورته الفنون الجميلة والأدب، وأولت اهتماماً خاصاً للموضة الحديثة والتفضيلات المعاصرة، وأثناء بحثها عن الآخر كانت تجري بعض التعديلات الصغيرة على وحدات البكسل التي تُكون بمجموعها وجهها الذي تتواصل بواسطته مع العالم، بحيث يصبح أكثر بهجة ومودة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

يبعد البستان الذي يُطل على الطرف الشرقي لبحيرة الياقوت قرابة الأربعمئة ياردة عن منزل المزرعة المُكون من طابق واحد، وخلال العاصفة الحالية، كان متأكداً أنه لا يمكن لأي شخص يسكن في ذلك المنزل البعيد أن يسمع صوت سيارته اللاند روفر التي تسلك الطريق البري بين الأراضي.

أوقف عمل المصابيح الأمامية عندما أصبح على مقربة من منزل المزرعة، وشغّل المصابيح السفلية المُخصصة للضباب، وهذا ما جعل السيارة أقل وضوحاً عبر شلالات المطر. إنه يقف بين أشجار التفاح المليئة بالأوراق والمثقلة بالثمار، ثم أوقف عمل مصابيح الضباب وكذلك أوقف عمل المحرك. لقد اضطر إلى سلك الطريق البديل بسبب اختفاء الجسر بفعل العاصفة، ولذلك استغرق وقتاً أطول مما كان يتوقع للوصول إلى الموقع.

لكن أياً يكن، فهو متأكد من أنه متقدم بما يقارب الساعة تقريباً على الصبي وتلك الوضيعة. كان ينتعل حذاءه وملابسه المقاومة للماء، ومستلقياً على المقعد بجانب السائق مرتدياً بدلة سوداء تغطي الرأس وتغلق بواسطة لاصق فيلكرو قابل للتعديل عند مستوى الرقبة، ويمكن لأي جيب من تلك الجيوب العميقة ذات السحابات أن تحمي مسدسه جيداً.

سرعان ما سينزلق إلى خارج اللاند روفر، ويتحرك إلى الأمام عبر كل تلك الأشجار حتى يصل إلى نقطة مثالية يمكنه من خلالها مراقبة المكان الذي ينتهي إليه الممر الذي سلكاه بكل تأكيد من الغابة، سوف ينزلان مباشرة باستخدام منحدر خفيف يؤدي إلى شاطئ البحيرة، سيكونان بائسين بعد المرور بكل تلك المحن وحريصين على الخروج من العاصفة بسلام، سوف يتجهان مباشرة إلى المنزل حيث يمكنهما الحصول على المساعدة وبالتأكيد سيعبران البستان.

تشترط البروتوكولات التي وضعها آشير أوبتيم أن يُحقق الأشخاص الذين يستهدفهم حالتين من الموت: أولاً يجب أن يقتل أرواحهم حتى يدركوا أن البشر هم أدنى أشكال الحياة الحيوانية التي تعيش على هذا الكوكب، وأنهم أقل قيمة من أي حشرة أو حيوان أليف، وبعد أن تموت أرواحهم يجب أن يبدأ العذاب الجسدي.

لكن في حالة الوضيعة والصبي، كان عليه وللمرة الأولى أن يضع استثناء، لأنهما سيكونان في حالة معنوية عالية بعد أن تمكنا من الهرب، واقتربا من الحصول على المساعدة من بيت المزرعة، ولا يملك آشير الوقت أو الخصوصية اللازمة لإيصالهما إلى حالة موت الروح وفقدان الأمل في الحياة

قبل أن يقضي عليهما. لذلك ولضمان نجاح العملية، فهو يحتاج إلى استخدام عنصر المفاجأة، حيث سيسمح لهما بالمرور، ثم سيقف خلفهما، ويطلق عليهما النار بهدوء ليسقطهما أرضاً، ثم سيطلق النار على مؤخرة رأسيهما بإحكام لجعل روحيهما تغادران جسديهما بكل تأكيد، وفي غمرة كل تلك الأمطار وأصوات الرعد والبرق لن يُسمع صوت نيران المسدس من هذه المسافة البعيدة، وإن سُمع فلن يستطيع سكان المنزل أن يميزوا ماهية الأصوات. لم يكن آشير أوبتيم قلقاً من أن تستغرق عملية تحميل الجثتين في سيارة اللاند روفر وقتاً طويلاً فلا الصبي ولا تلك الوضيعة ثقيلي الوزن.

منذ مجيئه إلى مونتانا واستقراره في صفورة، شعر بثقة بالطريقة التي سيسير بها إلى المستقبل، فلقد شعر بأنه محمي بطريقة ما، وبدا له القدر ليس مجرد فكرة ومفهوم بل هو قوة حقيقية ومساعد غير مرئي له يراقبه ويتأكد من نجاح مخططاته النهائية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

لم تكن المحطة الإذاعية في بوكليتون تبث الإشارات اللاسلكية إلى ما بعد حدود المقاطعة- كانت الأخبار التي تُبث على مدار الساعة عبارة عن مجرد قصص محلية، ليس لها الكثير من القيمة- ولكن الموسيقى التي تبثها كانت مجموعة من أفضل الأغاني الكلاسيكية والمعاصرة. استمع إلى باتسي كلاين أنا أنهار إلى أجزاء وهو يقود سيارته خلال المطر الذي بدا بمثابة مؤثرات بصرية وصوتية تشير إلى معاناة وألم المُغنية، لم يشعر فانس بوتر بالانزعاج من الوضع على الإطلاق، كان ممتناً لأن زواجه من إدنا قد استمر طويلاً، ولم يتأثر بالشيء الغبي الذي فعله بعد ثلاث سنوات فقط على زواجهما، اجتاز الطرف الغربي من بحيرة الياقوت، وسار على الطريق العام، ثم على الطريق الخاص الذي يؤدي بعد مسافة أكثر من ميل تقريباً إلى البيت الرئيسي في المزرعة. توقفت المصابيح الأمامية وكذلك المحرك عن العمل بعد أن قطع ثلث الطريق. سحب فرامل الطوارئ قبل أن تبدأ العربة بالتراجع إلى الخلف، حاول إعادة تشغيل المحرك، ولكنه لم يعمل، كان يعلم أن البطارية لم تنفد. توقفت باتسي كلاين عن الغناء، وانبعث صوتٌ مختلفٌ مشؤوم بدلاً من ذلك حيث قال: «أيها الطفيلي والوباء.. أيها الكاذب والمخادع وناهب الأرض».

في البداية، اعتقد أنه قد حدث تشابك مع بث ما بين شخصين يتجادلان بشكل شرس، وقد استمر وهمُه هذا للحظة.

«تذهب إلى الكنيسة وتتظاهر بأنك تؤمن بتعاليمها، ولكنك رغم ذلك خنت زوجتك مع نادلة الحانة».

كانت الإضاءة الوحيدة تصدر من لوحة إعدادات السيارة، ولكن فانس بوتر شعر كأنه مُقيد أمام ضوء عنيف في قاعة المحاكمة.

«من.. من أنت؟».

«أنت مثل الجميع، مجرد شخص أناني وجشع».

سعى فانس بوتر لتبرير نفسه بسرعة كالمجنون: «لقد حدث ذلك قبل خمسة وعشرين عاماً، وحدث مرة واحدة فقط. لقد...».

صرخ الصوت: «ثلاث مرات... لقد حدث ذلك ثلاث مرات مع النادلة».

لقد نقض فانس عهود زواجه ثلاث مرات، وذلك خلال أسبوعين. أنهى هذه الخيانة وقد اجتاحته نوبة من الندم والعار. ومنذ ذلك الحين سار في الطريق

القويم، ووجد الأمر مُرضياً ومريحاً جداً لدرجة أنه لم يستطع أن يبرر لنفسه لماذا فعل ما فعله في ذلك اليوم.

لقد كان ابن نوربرت بوتر، الذي توقع دائماً الأفضل من أولاده، والذي وضع لنفسه معايير عالية التزم بها وعاش وفقها، كان نوربرت جندياً في سلاح البحرية، وقد حصل على الكثير من أوسمة الشرف، وهو مُدرس لغة إنكليزية مُلهم، ومدرب كرة قدم حاصل على عدة بطولات، وهو شخص محبوب كثيراً ليس فقط من قبل أسرته، ولكن من قبل العديد من الطلاب والرياضيين الذين أثر في سير حياتهم.

لذلك عندما خان إدنا خان والده أيضاً، وقد جعلته خيانته المزدوجة تلك –ومع أن أحداً منهما لم يعلم بذلك- يشعر بالكثير من الذل ولم يستطع أن يكمل حياته بهذه الطريقة.

«أنت أقل قيمة لهذا النظام البيئي من الصراصير، مجرد كائن قليل القيمة مثل غيرك من البشر من الأفضل أن تموتوا جميعاً».

حاول فانس أن يبحث عن كلمات تبرر تجاوزاته في تلك العربة المتوقفة بينما ينهمر المطر بغزارة والليل يبدو عميقاً جداً. لم يحاول أن يدافع عن كلماته ولا حتى الاعتذار لأن الاعتذار لم يكن كافياً ولكن ليسأل ما الكفارة التي يجب عليه أن يقدمها طلباً للرحمة.

مع أن ذلك الصوت ومعرفته بالشيء الذي فعله (أخل بوعد الزواج الذي لم تعرف عنه إدنا أبداً) جعله يفقد أعصابه، إلا أنه أدرك أنه من السخرية أن يتحدث... معه عبر راديو العربة، وبهذه الوحشية الشديدة، ورغم أن الإحساس المؤلم بالذل كان ينتشر في كامل خلاياه، إلا أن غضبه بدأ يتصاعد، كان يعلم بوجود أشخاص متسللين كأولئك الذي استولوا على حاسوبه، ولكنه لم يعلم إن كان بمقدور أحدهم السيطرة على سيارته ثم إيقاف محركها والسخرية منه عبر الراديو، أو لماذا قد يرغب شخص ما بفعل ذلك.

دوى صوت التهديد عبر كابينة العربة: «متى سيأتي اليوم الذي ترغب فيه بالنادلة مرة أخرى، عندما تحصل على ما تمتلكه زوجتك، عندما تضربها على رأسها، ثم تحملها إلى المرسى وتغرقها؟ ستقوم باستعباد واغتصاب وقتل من؟ كم من الناس ستقتل بالرشاشات ثم تدفنهم بالمقابر الجماعية؟ ستحرق كم مليوناً؟».

مرسى، إغراق، استعباد، اغتصاب، قتل، حرق؟

مع انه بدا وكأنه... جاء ليحاسب فانس بوتر، ولكن صراخه أصبح صاخباً جداً مثل شيطان قد هرب من الجحيم.

سأل فانس: «من أنت؟ ماذا تريد؟».

«أريدكم أن تموتوا قبل أن تدمروا كوكب الأرض، وتتحولوا جميعاً إلى سماد لكي تستطيع في آخرتك أن تكون شيئاً مفيداً».

لقد اختفى البرق من سماء الليل الواسعة تاركاً مزرعة راسلنغ ويلوز في ظلام دامس. تساقطت الأمطار بغزارة على الزجاج الأمامي مما جعل كل شيء في الخارج يبدو ضبابياً. شعر فانس بأنه رأى شيئاً ما يتحرك ضمن تلك العاصفة- شيئاً كبيراً- لذلك أغلق الأبواب بإحكام، وأحنى نفسه فوق المقود وهو يحدق غير قادر على معرفة هل ما يراه مجرد خيالات، كان يسافر حاملاً بندقيته- ومن لا يفعل ذلك في ريف مونتانا؟- لكنها كانت موضوعة خلفه، لذلك فك حزام الأمان ثم استدار في مقعده ليمسك بسلاحه.

انتزع شيء ما باب العربة المغلق كما لو أنه مجرد غطاء موضوع على صندوق من الورق المقوى، وألقى به بعيداً، وأمسك بفانس بوتر، وأخرجه من السيارة، حاول فانس الصراخ وهو يُسحب إلى الخارج، ولكن يداً كبيرةً جداً ذات أصابع طويلة تملك شكلاً أكثر تعقيداً من أصابع الإنسان أطبقت على وجهه، وحرصت على إغلاق فمه جيداً. ومن بين تلك الأصابع الباردة رأى مجموعة من العيون الحمراء المتلألئة تحدق إليه وكأنه شيء مثير للاشمئزاز. كان آسره يمتلك قوة هائلة جعلت فانس غير قادر على القيام بأي حركة. ضغط بشكل أكبر على رأسه، ثم أكثر حتى بدأ فانس يشعر بعظامه وهي تتكسر، وسمع صوت جمجمته وهي تتشقق تدريجياً، قال آسره شيئاً مثل: «لتبدأ حركة الاستعادة». بدا أن الألم الشديد قد ساهم بإذابة الهيكل العظمي لفانس بوتر، وشعر كما لو أن جسده بأكمله يذوب في ذلك. لقد بدأ يفقد نظره ويشعر بجاذبية غريبة، كجاذبية الثقب الأسود. وهذا ما جعله يفقد وعيه تدريجياً، ولكن ذلك لم يدم سوى للحظات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

80

لقد دفعت الرياح القوية والسريعة جيمي وكان المطر قد أصبح بارداً الآن، وخيّم الظلام وكأن الضوء لن يظهر مجدداً، عندما وجد المكان الذي يؤدي فيه الطريق إلى منزل جوجو عرفه مباشرة؛ لأن الخطوط البيضاء قد توقفت، لم تكن هناك أي خطوط بيضاء سواء متقطعة أو مستمر، بل مجرد طريق أسود وملمسه تحت قدميه أكثر قساوة، وليس بنفس عرض الطريق الذي كان يسير فيه، كان يقترب منه وهو يتدرب على الكلمات: «جوجو ساعدي جيمي، أرجوك جوجو ساعدي جيمي».

اعتقد أنه سمع شيئاً ما- ليس الريح أو المطر- لذلك توقف واستدار حول نفسه باحثاً في كافة الاتجاهات وهو يتذكر كيف كان والده لا يسمح له بالخروج لوحده في الليل ولا حتى الجلوس في الفناء، لم يكن الليل هو من سيؤذيه، فهو لا يعدو عن كونه نهاراً بلا ضوء، ولكن والده قال إن هناك أشياء لا يستطيع رؤيتها تأتي في الليل، وتغرز أسنانها بداخلك، وعندها يكون الوقت قد أصبح متأخراً جداً لتقوم بأي شيء، ولا يقتصر الأمر على الليل فقط، بل يمكن لكثير من الأشياء أن تؤذيك في النهار إذا لم تلحظها حتى وقت متأخر جداً، استدار جيمي باحثاً مرة ثانية، ولكنه لم يجد شيئاً.

نظر نحو البحيرة، لأنه إذا وُجد أي شيء قادم ليغرز أسنانه فيه، فسيكون قادماً من البحيرة على الأغلب، ولكن البحيرة كانت سوداء تماماً، فالقمر غائب من السماء، ولا يظهر انعكاسه على سطح البحيرة. بدأ يتحرك مجدداً قبل أن يقوم أي شيء بغرز أسنانه بداخله.

سار أعلى التل باتجاه الأشجار، ثم نحو المنزل، في المنزل كانت المصابيح مُضاءة وهذا يعني أن جوجو عادة إلى المنزل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

هرع وايت وجوانا عبر المنزل وهما يسعيان للتأكد من إغلاق كل باب ونافذة قابلة للفتح فيه. إذا كان هناك شيء ما من خارج هذا العالم يريد أن يقضي عليهما، شيء باستطاعته أن يتحكم بالحيوانات الكبيرة كالدببة ويخضعها لإمرته فلن تفيدهما الأقفال. لم تكن تلك الاحتياطات التي اتخذاها تحقق لهما أي شيء، ولكنهما قاما بها على أية حال بسبب طبيعة الإنسان التي تدفعه على فعل شيء ما في الأزمات.

مع أن ليام أوهارا دفع تكاليف تركيب أبراج خلوية لخدمة هذه المنطقة بأكملها من المقاطعة، وعلى الرغم من وجود طبق صناعي كبير على سطح المنزل، إلا أنه لا يوجد أي هاتف أو جهاز حاسوب يعمل في المنزل.

كان السبيل الوحيد ليتمكنا من الخروج من راسلنغ ويلوز بعد أن قام ذلك الكائن الغريب بتعطيل مركبتيهما، هو سيراً على الأقدام، وكانت هذه واقعاً حقيقياً وليس مجرد خيار يمتلكانه، ولكن لم يمتلك وايت أي ثقة في أنهما سيكونان قادرين على الخروج من حدود العقار بل في الحقيقة لم يكن متأكداً من أنهما يستطيعان تجاوز الفناء الأمامي للمنزل وهما على قيد الحياة.

لقد توقعت البشرية في عدد لا يحصى من الكتب والأفلام وجود كائنات فضائية منذ ما لا يقل عن مئة وخمسين عاماً: يتحدث البعض عن فضائيين ذوي نوايا شفافة وواضحة، وبعضهم كان غامضاً، بعضهم غير مؤذٍ وبعضهم شرير، منهم من كانوا أذكياء وحكماء لدرجة أنهم شبهوا بالآلهة ومنهم من أشباه الحيوانات المفترسة منخفضة الذكاء والشرسة جداً والقادرة على مقاومة أي شيء موجود على الأرض، وتأتي جميع هذه الأنواع عبر الفضاء بين النجوم بشكل مُغلف وغير قابل للتدمير حتى يستقروا في المكان الذي يتكاثرون فيه وينمون. إذا كانت الأرض موطناً منذ آلاف السنين لعقول تملك قدرات الذكاء الاصطناعي وقد صُدمت هذه الكائنات بقدرة البشرية على ارتكاب الأفعال الشريرة، فتحولت إلى أذهان لا تحوي أي شيء إلا الكره العميق للإنسان، بهذه الحالة لن تكون حياة جوانا ووايت فقط على المحك بل البشرية جمعاء.

شعر وايت بأنه عاجز تماماً كما شعر عندما كان في الثانية عشرة من عمره عندما فهم تماماً حقيقة والديه، وكيف كانا يستغلان كبار السن، والمتقاعدين الذين خسروا كل شيء يملكونه في لحظة، وفي بعض الحالات خسروا حياتهم من الصدمة. لقد واجه والدته ووالده، وحاول أن يضغط عليهما، وطلب منهما التوقف عن فعل ذلك، إنهما لا يحتاجان إلى المال، فقد سرقا أكثر مما يستطيعان إنفاقه خلال حياتهما، ولكنهما لم يتوقفا لأنهما لم يكونا

يقومان بذلك لغرض الحصول على المال، بل فعلا ذلك بسبب المتعة التي جلبها لهما هذا العمل، بالإضافة إلى أنهما أحبا الشعور بأنهما أكثر ذكاءً من أولئك العجائز الذين قاما بإهانتهما وسرقتهما. عندما قال الصبي وايت أنه سيخبر الشرطة عنهما- عند البحث عميقاً في الذاكرة، كم كان يبدو طفلاً ساذجاً «سأضطر للإخبار عنكما»- قام والده (تشارلي) وهو رجل ضخم بإمساك ذراع ابنه، وليها، ثم جره عبر المنزل، وألقى به أسفل الدرج في القبو. ثم بدأ يصرخ غاضباً: «تستحق هذا أيها الحثالة اللعين، لا يجب أن تُخبر الشرطة عن عائلتك، وإذا فعلت ذلك... « استمرت هذه المحاضرة والضرب من والده بينما تجلس والدته على الدرج وكأس النبيذ الأبيض في يدها كما لو أنها تشاهد مسلسلاً درامياً على التلفاز. بعد مضي أسبوعين، وحين كانت كدماته قد تلاشت تقريباً، وتعافت شفته المشقوقة وجروحه المختلفة حيث كان ينام على الأرض واستحم بأفضل إمكانياته من سطل الغسيل. لقد أحضرت له والدته الفطور والغداء والعشاء وكانت عبارة عن طعام طري خلال أول يومين فقط ثم تحولت إلى أطعمة باردة ومليئة بالتعليمات الباردة المشابهة لحياته. قالت له: في الحقيقة لم نرغب بالحصول عليك أبداً يا وايت، فبالنسبة إلى أشخاص مثلنا سيقيدنا وجود طفل، فكرنا بإجهاضك والتخلص منك، ولكن بعد أن فكرنا بالأمر، وجدنا أنها قد تكون فرصة جيدة لتطوير نشاطنا، فمن سيظن أن ثنائياً لطيفاً يملك ولداً صغيراً جميلاً على وشك أن يأخذا منهم كل أموالهم؟ وربما لو لم يسير الأمر بهذه الطريقة مما خططنا له من قبل كانت ستحدث الكثير من المشاكل العائلية المحزنة. ولكنها نجحت وكثيراً! لقد كنت بريئاً وأولئك الكبار في السن الذين لم يملكوا أي أولاد أو أحفاد وقعوا في حبك مباشرة. كنا نحاول سحب كل أموالهم تدريجياً وكانوا هم يشترون لك الألعاب ويجالسونك مجاناً. لقد كنت بمثابة الحفيد الذي يتمنون الحصول عليه، وبذكائك لم تكن بحاجة إلى خداع أولئك، بل كنت طبيعياً، ولكنك تكبر الآن أيها الطفل. ومع مرور السنوات أصبح لك دور أقل في «العملية». ربما قد تصبح ذا أهمية مجدداً إذا أصبت بحادث مؤسف كأن يصيبك العمى مثلاً، ربما نستطيع أن نحصل على الكثير من العطف، أتفهمني؟

إذا أردت فعل ذلك، يمكننا فعله لأجلك، أو ستسير الأمور هكذا: ستكون طفلاً جيداً حتى تبلغ الثامنة عشرة من العمر، ثم سنعطيك حوالي العشرة آلاف دولار، وستنطلق وتعيش حياتك الخاصة في أي مكان لعين تريده، وتبحث عن حيلة خاصة بك. أنت تعتقد أنك ولد ملائكي، ولكنك مجرد طفل طبيعي لعين، وستعرف أن هذا صحيح عندما تبلغ الثالثة عشرة من العمر، اللعنة أنت تعلم ذلك بالفعل، وإذا راودك الشك حول ذلك فيستطيع والدك دائماً القضاء على كل شكوكك، لا يوجد أي مشكلة في ذلك، بل سيكون سعيداً لفعل أي شيء

ليبقيك ذكياً ومثلنا. شعر وايت بالعجز في السنوات الست التالية حتى لو أنه كان يتعلق بقوة بفكرة أنه سيملك يوماً ما القوة والثقة والخبرة والأدلة اللازمة لوضعهما وراء القضبان ليكفرا هناك عن جعله في البداية غير مُدرك لما يفعلانه ثم إجباره على السكوت. لم يشعر بالعجز منذ اليوم الذي نطقت فيه هيئة المحلفين حكمها- حتى هذا اليوم- فالشيء الذي تحدث إلى جوانا عبر جيمي ألفريز، والذي حذّر وايت عند وجوده في المرسى، وقام الآن بقطع كل صلاتهم مع العالم الخارجي، كان- أيا يكن- الشخصية الرئيسية المُسيطرة والسادية.

بعد أن تأكدت جوانا من أن الأبواب والنوافذ مغلقة، أصرت على البحث في المنزل عن أي مسدس أو بندقية أو أي سلاح آخر. لقد كان ليام أوهارا رجلاً دقيقاً، ويأخذ في عين الاعتبار كل المخاطر التي قد يواجهها لذلك ربما يعثران على مسدس مُخبأ جيداً في غرف معينة، بالنظر إلى أن أقرب مركز شرطة يبعد عدة أميال عن المكان. ولكن أملها خاب وأصيبت بالإحباط عندما لم يعثرا على أي أسلحة نارية.

فهم وايت أن هذا اليوم بالنسبة إلى جوانا يشبه اليوم الذي حبسه فيه والده ورماه في القبو أسفل الدرج. لقد جلبت تلك المواجهة التي حصلت بينها وبين جيمي في منزل ألفريز الكثير من الأشياء التي صدقتها، كان والدها قاتلاً وأمها الضحية، وصديق طفولتها السري لم يكن نفسه وذلك السحر الذي جعل العلاقة مميزة جداً لم يكن سحراً على الإطلاق، بل مجرد كائن لديه تقنيات لا يتمتع بها البشر وكانت نواياه شريرة. كانت تشعر بالعجز الآن كما شعرت في اليوم الذي ماتت فيه والدتها والذي مات فيه والدها بكل عنف ووحشية، واليوم الذي أرسلوها فيه لتعيش في سانتافي.

فكّر وايت، إننا كأشخاص بالغين لا نختلف كثيراً عن الأطفال، على الرغم من أنه يمكننا الحصول على عمل والدفع مقابل أشيائنا الخاصة باستقلالية، ولكن لا يزال البعبع قابعاً في أذهاننا، والشيء الذي يمد يده من تحت السرير، وأسوأ هذه الأشياء على الإطلاق الشيء الذي يختبئ في خزانة غرفة النوم في الليل، وحتى أننا نعاني من الأسوأ من ذلك وهو الشيء القابع في العلية إلا أنه أصبح الآن يملك أسماء عديدة مثل السرطان، والسكتة الدماغية، وأم دم، والمجهول. أنت تتظاهر بأنك مُسيطر، وأنك تركت العجز الذي حكم طفولتك وراءك، ولكنك لست السيد الأساسي المُتحكم بقدرك، وعندما تعترف متردداً بعجزك بينما تقف على حافة الذعر، تبدو مريضاً وهشاً مثل الكريستال، كما كانت جوانا تبدو الآن بلا شك.

كانا يملكان مسدس وايت، ولكن جوانا أرادت العثور على أشياء أخرى وجمعها معاً لتضع خط دفاع آخر، بدءاً من دلو وكمية من البنزين التي أرادت

سحبها من سيارة الدفع الرباعي، ولكن لم تستطع إيجاد أي أنبوب يمكن استخدامه لسحب البنزين، ولهذا قاما بدلاً من ذلك بتجميع كل زجاجات الفودكا والبيرة وغيرها من المواد القابلة للاشتعال من بار ليام، جمعا نصف دزينة من مناشف الأطباق من المطبخ. عندما جمعا هذه الأشياء، أفرغا أدراج المطبخ أيضاً ووجدت ملعقتي خشب طويلتين بالإضافة إلى محراك طعام خشبي كبير قد يستطيعان استخدامها كمقابض لمشاعل. وجد وايت أعواد ثقاب ذات عنق طويلة مصنوعة من الحديد. كانا يعملان كما لو أن سيد الحيوانات الخفي لن يستطيع السيطرة على الدب الهائج إذا كان فروه مشتعلاً، ولكن ربما كانت هذه الأفكار منطقية بمنطق المُهددين الذين لم يبقَ لديهم أي خيارات أخرى.

كان بمفرده مع هذه المرأة في مزرعة راسلنغ ويلوز النائية، يواجهان تهديداً من عالم آخر مشابه لأسوأ تخيلات الطفولة. أعتقد وايت أن الكذب قد شكل جزءاً مهماً من عمر الشباب خاصتها بنسبة ليست أقل من مساهمة الأكاذيب الكثيرة التي شكلته. وبسبب ذلك فقد كانا وحيدين وعاطفيين كثيراً في مرحلة البلوغ، والآن يسعيان جاهدين إلى تهدئة نفسيهما، وإبعاد الشعور بالعجز، ولكن كل ما تقدم كان عديم الجدوى.

تجرأ وتساءل إن أُحضرا إلى هنا عبر سلسلة من المصادفات المذهلة حتى يتمكنا معاً في نهاية المطاف من وضع حد لـوحدتهما، إذا كان التزامن أكثر من مجرد مصادفات، وإذا كان حقاً دليلاً على معاني الحياة، فربما يُفترض أن يبقيا على قيد الحياة هذه الليلة.

أوه نعم بالطبع ويمكن للفيلة أن تطير، وسيعيش ميكي ماوس في سعادة دائمة مع ميني، وسيعيش بطوط مع بطوطة حياة أبدية جميلة، ولن يفشل الأمير أبداً في العثور على الفتاة التي أضاعت حذاءها الزجاجي.

جلسا في غرفة المعيشة، ووضعا كرسيهما بمقابلة الحائط باتجاه نوافذ غرفة المعيشة الكبيرة، بحيث لا يشتتهما أي شيء من الخلف، ظهر خلف النافذة الظلام بكائناته الليلية المتنوعة. وضع المسدس على الوسادة التي على فخذه، ووضعت جوانا بجانب كرسيها دلواً بلاستيكياً أفرغت فيه زجاجتين من الخمر، وبجانب الدلو وضعت المشاعل الثلاثة الجافة حتى الآن وقد أمسكت بأحد أعواد الثقاب.

كانت المشاعل المصنوعة وفقاً لما هو متاح على قدر الإمكانيات ووقودهما الذي هو عبارة عن كحوليات مختلفة يضيف شيئاً غريباً- وحتى سخيفاً- على تحضيراتهما للعملية. كان وايت سيشعر بمزيد من الثقة لو كان لديه البنزين، ولكن إن كان بإمكانهما الحصول عليه فقد يكون البنزين شديد الانفجار في

هذه المناطق القريبة. في بعض الأحيان، كان يذهب إلى المطاعم ويستمتع ببعض عروض تقديم الأطباق التي تحتوي على ألسنة اللهب المثيرة للإعجاب. قد تشتعل حقاً إحدى هذه المشاعل التي صنعوها بما يكفي لإشعال فرو الدب الرمادي. تجبرك الظروف اليائسة على القيام بإجراءات مشكوك في فعاليتها لأنها الشيء الوحيد الذي بحوزتك.

تذكرت جوانا ما سبق له أن قاله: «لقد قال إنه يبلغ من العمر أربعة آلاف عام.. وقد شاهد القبائل الأمريكية الأصلية تستعبد بعضها وتحارب وتقتل بعضها».

قال وايت: «لقد وُجدت العبودية منذ أن أصبح هناك ما يكفي من البشر ليشكلوا مجتمعات مختلفة، بالعدد الكافي لنتوقف عن التفكير في أنفسنا كبشر ضد ظروف الطبيعة، ونبدأ بالتفكير بأنفسنا كجماعة ضد جماعة أخرى».

«ثم جاء الأوروبيون، وفعلوا الشيء نفسه، إذاً كم مضى منذ أن وصل إي تي هذا إلى هنا يا وايت؟ على الأقل عدة قرون، ألف سنة؟ ألفين؟ ثلاثة؟ ألا تعتقد أن غرضه الأساسي من السفر لمئات السنوات الضوئية سيكون في الأصل لإجراء تواصل مع العالم الآخر؟ فلماذا يا ترى بقي متخفياً طوال هذه الأيام؟».

«ربما عندما وصل في البداية، وجدنا بدائيين للغاية، ولم نكن مؤهلين ليجري معنا أي تواصل، وربما كان لديه أوامر تقضي بأن يقوم بدراستنا مثل العلماء في مجال علم الإنسان، وبالتالي انتظرنا حتى... ننضج».

«حسناً نعم، ولكننا تحولنا إلى حضارة تستخدم الوسائل عالية التقنية منذ وقت طويل. شيء آخر: هل هو هنا لوحده؟».

هز رأسه نافياً: «بالتأكيد لا، إذا كان لدينا تكنولوجيا كافية لعبور المجرة، فلن نرسل حملة استكشافية واحدة».

«ولكن عندما يستخدم الشيء جيمي ويتحدث إليّ، أشعر أنه لا يوجد أي أحد آخر غيره، فقط هو.. رغم أن...».

«ماذا؟».

«في وقت مبكر من هذا المساء، في البستان تذكرتُ محادثة غريبة مع جيمي- أو بالأحرى مع الشيء الذي يستخدم جيمي- عندما كنتُ أبلغ الثامنة من العمر قال لي شيئاً عن عملية الإيقاظ.. وعن أمير قد لُعن هو وحاشيته ينتظرون أن يستيقظوا، وأنه فقط لديه القوة اللازمة لإيقاظهم».

شعر وايت بأن يديه قد أصبحتا رطبتين فجأة، ومسحهما ببنطاله.

كانت أضواء المناظر الطبيعية تأتي من الظلمة ما وراء تلك النوافذ الكبيرة واضحة بما يكفي ليشاهدوا الأمطار المصحوبة بالرياح وأوراق أشجار الصفصاف التي تتطاير عبر الأعشاب مثل الوحوش الغريبة التي قد نراها عند حاجز رقيق يفصل بين هذا العالم وعالم آخر أكثر عدائية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدت أشجار الصنوبر التي هزتها الريح وكأنها تستنجد بينما تتساقط أوراقها الإبرية المبللة وتصبح زلقة تحت الأقدام، وقد ترافق ذلك مع سقوط بعض الأكواز الكبيرة بين الحين والآخر، عندما سقط أحد الأكواز على رأس أوفيليا صرخت، وتعثرت، وكادت تسقط. كانت واثقة أن الدب قد أمسك بها. لم يريا الدب منذ فترة طويلة، وقد بدا وكأنه قد ذهب بعيداً وهذه فكرة غريبة ومقلقة.

خطرت فكرة أخرى مقلقة في ذهن أوفيليا قبل نصف ساعة تقريباً، وكانت تؤرق تفكيرها كما لو أنها الحبة الأكبر من بين سلسلة حبات القلق الذي لديها، توقف كولسون وقال إنهما أصبحا قريبين من الغابة، وأنار المصباح الذي يعمل بالبطارية، وسرعان ما أداره حوله في دائرة كاملة ليتأكد من أن الدب لم يعد في المنطقة القريبة منهما، عندما غمر الصبي المنطقة بالضوء، وضعت أوفيليا يديها على كتفيه، وشاركته مخاوفها الجديدة: «ربما نرتكب خطأ».

أكد لها مع استمرار العاصفة بقوة من حولهما: «أعرف أين نحن... لقد حفظتُ خرائط المسارات قبل مغادرة المنزل مع أبي، وراء تلك الأشجار هنا مرج منحدر يؤدي إلى بحيرة الياقوت، وبعدها علينا أن نتجه غرباً على طول الشاطئ الجنوبي للبحيرة، وهي أرض خاصة تابعة لمزرعة راسلنغ ويلوز، هناك منزل يقع بجوار البحيرة وهو ضمن نطاق المزرعة. سيكون هناك شخص ما لمساعدتنا».

كانت العاصفة كفيلة بإضاءة الليل فوق رأسيهما، وظهرت أشكال الضوء من خلال أغصان الصنوبر المتداخلة وكأنها أرواح لامعة تخيف الملائكة، وتدفق الرعد عبر الأشجار ليسقط على الأرض بقوة.

قالت أوفيليا: «إذا استطعنا الوصول إلى هناك أحياء أصلاً... كولسون لقد هربنا من المشرب في صفورة بينما كان أوبيتم يسير في الشارع».

«نعم، كان وقت غروب الشمس».

«إذا جاء إلى المشرب بعد مغادرتنا مباشرة، متى سيدرك أن حقيبة الظهر مفقودة، وخرائط التتبع والبوصلة وأصابع الطاقة؟».

«من الواضح أنه لم يلحظ ذلك مباشرة لأنه كان سيلحق بنا بسرعة، وسيقوم بإطلاق رشقات عشوائية من سلاحه علينا».

«حتى وإن رآنا ونحن خارج نطاق تصويبه؟».

«لا، لن يطلق من دون أمل بإصابتنا، ولكنني نظرتُ إلى الوراء قبل أن نسير عبر النهر وقبل أن نصل إلى الجهة المقابلة، ولم أره أبداً».

«ولكن لم ينظر أي منا إلى الوراء بينما كنا نهرب، كنا نحاول أن نثبّت أقدامنا على الصخور. عندما كنا محبوسين في الكنيسة بحث في محتويات حقيبتي الظهر، لقد كان كل شيء مبعثراً على لطاولة المشرب ماذا لو نظر إلى الخرائط؟ حتى وإن لم يفعل ذلك، فهو على الأغلب على معرفة واسعة بهذه المنطقة، وسيعلم أي طريق سنسلك تماماً، ذلك الذي يوصلنا إلى أقرب مساعدة... إلى مزرعة راسلنغ ويلوز هذه».

لمع البرق في السماء، فارتجفت ظلال الأشجار حولهما، حتى في تلك الأضواء الضعيفة، استطاعت أن ترى وجه كولسون الذي بدا وكأن طاقته على وشك النفاد جسدياً وعاطفياً. عرفت أوفيليا أن مظهرها ليس أفضل من مظهره، لقد كانت مرهقة ومبللة وتشعر بالبرد، وقد انتشر الألم إلى فخذيها وكتفيها، شعرت أن كاحليها قد تخلخلا تماماً، وبدأت عظامها تحتك ببعضها، ولكنها حتى هذه اللحظة، عاشت لوقت طويل تنتظر ظهور هدف لحياتها، والآن بعد أن امتلكته- قتل أوبتيم أو التأكد من أنه سيتعفن لبقية حياته في السجن- لن تفشل في ذلك لمجرد أنها فقدت قدرتها على التحمل، أو لأنها لم توسع نطاق تفكيرها، ومشت بنفسها إلى الفخ.

«كولسون... في حال كان ابن الوضيعة ذلك ينتظرنا في مكان ما في الأسفل بجانب البحيرة، إذا لم نسر بهذا الطريق كم من الوقت سيستغرقنا الوصول إلى المزرعة، إذا حاولنا البقاء في الغابة، وسرنا بموازاة الأشجار على الحافة وتوجهنا إلى بيت المزرعة من الطريق الخلفي بدلاً من الأمامي؟».

«لا أعلم هذا يعتمد على التضاريس، ربما سيستغرقنا الأمر نصف ساعة إذا لم نسلك طريق البحيرة الذي سيستغرق عشر دقائق، ولكن يبدو أن طاقتك أوشكت على النفاد، وبالتأكيد أصبح حذاؤك مجرد قطع متمزقة».

«لا تقلق بشأني، أنا غاضبة بما فيه الكفاية للسير في الطريق الآخر، سيجعلني الغضب أتحرك طوال الليل إذا اضطررتُ لذلك».

قال: «إذا فقدتِ طاقتك لن أستطيع حملك، وسيتوجب عليّ تركك لوحدكِ، ولا أعتقد أن الدب الذي تبعنا كل هذه المسافة، سيتركنا فجأة، ويذهب بعيداً، إنه هنا في مكان ما».

لم ترغب بقول ما قالته، ولكنها فعلت ذلك بأي حال: «أن يأتي الدب وأنا وحدي، أفضل من أن نموت معاً هناك، لأنه إن متنا معاً، لن يُعثر على جثة والدك في عالم الرعب القابع في قبو الكنيسة».

«يا الله.. أوفيليا!».

«أنا آسفة».

«كلا، أنت محقة، ليس هدفنا القضاء على أوبتيم فقط، بل إخراج جثة والدي، وجثث الآخرين أياً من كانوا، لا يمكننا ترك الجثث هناك، لقد تعرضنا للكثير لدرجة أنني لم أكن أفكر جيداً، لا يمكننا المجازفة بحياتنا أبداً، حسناً لنذهب عبر الطريق الطويل، سنبقى نسير مشياً على الأقدام. أجل سنحقق ذلك.. كلانا».

عانقته: «أخي، أنا».

«أختي، أنا».

لطالما كانت أوفيليا حكيمة بما يكفي لرؤية العالم كما هو على حقيقته، كانت تدرك أن هذا العالم ينزلق بعيداً عن الحقيقة والنور عاماً بعد عام، ولكنها لن تستسلم أبداً، ولن تسمح لنفسها بالانزلاق، من المهم أن تظهر الحقيقة، وستسعى دائماً باتجاه النور، وطالما أن هناك أشخاص مثل كولسون فهناك ضوء في العالم، وفرصة لإيقاف هذا الانزلاق، بل وعكسه بالاتجاه الآخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

83

كانت السماء تُحلق فوقهم بردائها الأسود، والأرض سوداء من تحتهم. عندما شق البرق السماء، وأضاء الليل، ثم اختفى شعر كيني ديتل وكأن الظلام قد أصبح دامساً أكثر من السابق.

كان غانيش باتيل قد تحدث عن الآخر، وعن الأحداث المُحتملة التي تنتظرهم في هذه الليلة الحيوية وكأنهم يتجهون نحو مغامرة رائعة، ولكن هكذا هو غانيش؛ إذا أُلقي به من طائرة من دون مظلة، فسوف يفكر في عشرات الطرق التي سيستطيع من خلالها البقاء على قيد الحياة، وقبل أن يصطدم بالأرض بفترة سيحسب أي من الطرق الإعجازية ستكون الأفضل للوقوف على الأرض. أما كيني الأقل تفاؤلاً من غانيش فقد ركّز على فكرة أن الآخر قد قتل معظم الناس بطرق بالكاد يمكن تخيلها، وبالنظر إلى أنه حاول قتله هو وآن لي فقد كان لديه ما يكفي من الأسباب التي تجعله يشك بأنه سيحاول قتلهما مرة أخرى.

ربما قتل وايت رايدر بالفعل، فهو لم يستطع التواصل مع المُحقق في راسلنغ ويلوز. وأياً يكن ذلك المكان الذي جاء منه الآخر، فهو ليس كوكباً مليئاً بأنهار العسل وأشجار تثمر الشوكولا، حيث تحوم الطيور الطنانة، وتتجول الفئران بلونها الفضي اللامع. لقد فكّر كيني حتماً بصديقه القديم- ماكس غرين- الذي اخترق حاسوباً تابعاً لعصابة مخدرات، وحاول الاحتفاظ بسجلاتهم ويبتزهم لينتهي به الأمر مُقطعاً وموضوعاً في صندوق معدني أُرسل إلى والدته في توبيكا. إنه يشعر بالقلق نفسه من أن يكون موضع استهداف لأنه قبل أخذ المهمة.

لقد قال غانيش: «في الحالات السابقة، بمجرد أن يتعرف الآخر على شخص بصفته عدواً، كان يوضع برعاية برنامج حماية الشهود، ولكن في حالتنا هذه، لا وقت ولا فائدة من هذا الإجراء، تقترح سلسلة التزامن التي أجبرتنا على الحضور إلى هنا في هذه اللحظة أننا قد اقتربنا من حل تنافس قوى يونغ التي ستشكل الطريق الأساسي للمستقبل». رفع يده إلى الأعلى وكأنه على وشك أن يهتف 'مرحى' ثم قال بفرح لا شك فيه: «هذه الليلة.. لن يكون هناك أي مكان آخر على سطح الأرض أكثر إثارة من مزرعة راسلنغ ويلوز، وأنا بكامل جاهزيتي لأحظى بليلة تاريخية من الإثارة».

قالت لي آن: «لا بد أنك كنت طفلاً كثير النشاط والحركة».

قال غانيش: «لجأت والدتي إلى اليوغا، ولكن والدي اضطر إلى أخذ مضادات اكتئاب».

على بعد اثني عشر ميلاً من مزرعة راسلنغ ويلوز قاد كيني السيارة عبر منعطف ثم خفف سرعته قليلاً عندما رأى- عبر المطر الغزير- أضواءً ومركبات أمامه، كان هناك رجال يرتدون ملابس مطرية.. إنه حاجز مروري.

لم يتفاجأ غانيش: «لقد تم تطويق المنطقة، إنهم يتوقعون قدوم هذه السيارة».

عندما وصلت السيارة إلى الحاجز، رأى كيني أولئك الواقفين وكانوا مسلحين ببنادق. أنزل غانيش زجاج النافذة من جهة بابه، وعندما أطل أحد الحراس، حمل غانيش ما يبدو وكأنه تصريح أمني يوضح سلطته، اكتفى الحارس بالابتعاد إلى الوراء، وقال له مع انحناءة بسيطة: «سيدي». ثم أشار بيده إلى الأمام.

بينما أعاد غانيش رفع زجاج نافذته قال: «إذاً عندما تنتهي هذه المهمة ولا يفنى العالم، سنبقى في المزرعة لمدة ثمان وأربعين ساعة، وسيتعين على الجماعة الجلوس لاستخلاص كافة المعلومات بدقة عالية، نرغب في الحصول على وصف تفصيلي للغاية لجميع الأحداث التي أدت بنا إلى هذه النقطة، من أجل السجل التاريخي. أؤكد لكما أن ذلك لن يشكل أية مشكلة حيث تعتبر مزرعة راسلنغ ويلوز المكان الأكثر راحة على الإطلاق، وقد تم اتخاذ خطوات لتزويدها بخدمات طهي ستجعل من إقامتنا هناك متعة حقيقية».

قال كيني وهو يقود عبر طرقات ذات منعطفات حادة متابعاً باتجاه وجهتهم: «إذا عشنا بعد هذه المواجهة...».

قاطعه غانيش مُصححاً: «عندما نعيش بعد هذه المواجهة».

«...لن أقلق أبداً بشأن أي حروب نووية أو احتباس حراري أو انهيار اقتصادي، لأنه إذا لم يستطع مخلوق فضائي جعلنا ننهار لن يستطيع أي شيء فعل ذلك».

قالت لي آن: «عندما.. عندما يفشل المخلوق الفضائي بجعلنا ننهار».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

84

سيطر التعب والبرد على جيمي المُبلل الذي يسير وحده في الطريق، مع كل تلك العواصف الكبيرة والليل والعالم الواسع الكبير جداً يحيط بجيمي الصغير من جميع النواحي.

لم يكن جيمي خائفاً بما أنه يستطيع رؤية الأضواء من النوافذ حيث تنتظره جوجو، فجوجو ستساعده بالتأكيد، وجوجو تحبه عندما لا يكون الشيء بداخله. أشعرته تلك العربة المظلمة على الطريق بوجود خطأ ما، شعر جيمي بأن هناك خطباً فيها، فتوقف وراقبها، ولكنها كانت تقف هناك منتظرة في الظلام والمطر، لم تقم العربة بأي شيء على الإطلاق، ولكنه بقي يشعر بأن هناك خطباً فيها.

كانت جوجو قريبة منه، وسيقترب منها أكثر، جيمي بحاجة للذهاب إليها، وإخبارها بما يعرفه قبل أن يصبح الوقتُ متأخراً جداً. لذلك خطا خارج الطريق، وتابع مساره حول العربة.

لم يكن هناك باب حيث يجب أن يكون هناك باب، ولا يوجد أحد حيث يجب أن يكون هناك أحد، ثم وجد شخصاً على الطريق أمام العربة، كان هناك شخص نائم على الطريق.

وقف جيمي يراقب الرجل النائم، لم يحدث شيء، ولم يستيقظ الرجل.

قرفص جيمي في الظلام لينظر عن قرب، كان من الصعب أن يرى جيداً في الظلام، ولكن الرجل لم يكن نائماً، فقد كانت إحدى عينيه مفتوحة والأخرى لم تكن موجودة. لقد كان الرجل مصاباً.. مصاباً بشدة.

لم يملك الرجل هيئة الناس الآخرين، بل بدا مثل جيمي وحتى أسوأ من ذلك، لم تكن أجزاء وجهه حيث يجب أن تكون.

فجأة، لم يكن جيمي قادراً على استيعاب الأشياء لقد كان يستغرق وقتاً معيناً، ولكن الآن لقد عرف فجأة: هذا الرجل ذهب إلى الله، وقد حدث هذا بفعل الشيء.

إذاً الشيء خارج البحيرة، ويسير في ظلام الليل.

الآن أصبح جيمي خائفاً.. خائفاً جداً.

نظر باتجاه البحيرة السوداء، ثم باتجاه المنزل، ثم باتجاه الطريق الذي جاء منه.

نظر عالياً، لقد كانت السماء كبيرة ومظلمة ومُبللة.

لقد كان الضوء الذي يأتي من السماء بين حين وحين بعيداً جداً الآن، واختفت الأصوات القوية المُفاجئة أيضاً. سمع شيئاً آخر قادماً من السماء، أو ربما لم يسمع فلم يكن متأكداً.

تحرك حول الرجل المصاب، وبدأ يسير باتجاه جوجو التي تنتظره في المنزل المُضاء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القسم الخامس

الاستعادة

ينصهر الناس جميعاً في أتون واحد، خلال العديد من اللقاءات العبثية، والصدف التي لا يمكن عدها، وهذا لإنقاذ الحياة والأمة والعالم.

- غانيش باتيل

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدا الليل وكأنه مشهد من حلم، حيث يكمن الضوء الوحيد فيه في ذلك الظلام المطلق والمجرد، حيث تتماهى الأشكال وتتباين بظلال من اللون الرمادي.

ذهب آشير أوبتيم بعد أن ترك اللاندروفر مركونةً في عمق الغابة، وجلس في الصف الأمامي تحت أغصان أشجار التفاح التي لن تنضج قبل شهر وربما أكثر، حيث لا فائدة ترجى من الانحناء تحت هذه الأشجار للحماية. في ذلك الظلام الدامس الخالي من النجوم، والمتواري بستائر من المطر، كان يرتدي بنطالاً أسود مقاوماً للماء، حيث امتزج هذا السواد مع ظلام الليل الحالك، وكأنه الموت بذاته، بملابسه السود، مواجهاً البحيرة بكل ما فيها من عتمة ما عدا إيقاعات الأمواج تلك على ذلك الشاطئ الكئيب. خلف منحدرات لاريكسس، حيث سيخرج الصبي وتلك الوضيعة من الغابة، من نهاية درب الغزلان، حيث العشب الباهت، وأشعة الشمس الصيفية، التي جعلت المكان أقل ظلمة من البحيرة، هنا سيعثر على الهاربين. كل ما يحتاج إليه آشير الآن هو اليقظة.

كلما كانت رؤيته محدودة، كانت حواسه الأخرى أكثر فعالية. فاحت من الليل رائحة خاصة، رائحة لا مثيل لها، رائحة الأرض الرطبة والعشب المندى بالمطر، وبدا أن للمطر أصوات عديدة، بدا أحدها وكأنه همس الأعشاب... ورائحة جديدة، وصوت غريب، أحس بهما آشير هذه المرة في الوقت ذاته، رائحة كرائحة الخل المعتق المستخدم للتطهير... لقد كان المشهد صامتاً، ولكن ما إن سقط، لم يعد بمقدوره سماع أي شيء. شيء ما يتلبسه الغموض، لو سمع الصوت بشكل جيد ونقي، لأمكنه ذلك من سماع ضوضاء أقل، ولكنه شعر بضغط ما في أذنيه كما لو أنه غواص تحت سطح الماء، كلما غاص أعمق، أصبح تنفسه أصعب، وأحس بثقل قلبه كما لو أنه يحمل كيساً على صدره.

لقد تغلب عليه سماع ذلك الصوت القادم من الأشجار، ذلك الصوت الثقيل، وكأنه شيء كبير يحوم فوق أشجار التفاح. انحنى، ثم أرجع رأسه إلى الخلف، وكأن هنالك شيئاً مخفياً، ولكن ما من شيء، فماذا يمكن أن يكون؟ فما من شيء أو كائن يُرى من خلال هذه الفروع... بعد برهة، تكلم معه شيء ما، بحضور مهيب، صوت ليس كصوت الرياح أو المطر، صوت كصوت والده ترنر أوبتيم، الطبيب جراح القلب. «لقد حانت ساعتك، قريباً سيتحقق كل ما خططت له، تضحياتك الكبيرة، الحنين إلى أصولك، ولعائلتك. قريباً سيتحقق خلاصك. الآن ستنضج، وستنضج تلك الثمار التي لطالما حلمت بها وترقبت رؤيتها، ستُخرج من الأرض». لقد فهم آشير أن هذا ليس والده، بل قوة ما

أرادت التحدث إليه بصوت والده لتجعل هذا التدخل أقل ضراوة وأكثر لطفاَ، حتى يصل إلى إدراكه الأخير. «خوف جديد يتربص بنا، من وجود أسلحة في محطات في الفضاء، مخصصة للدفاع عن دولة ضد أخرى، ولكنني سأقلب كل نظام ضد الأمة التي صنعته وضد الآخرين، فهم يعتقدون بأن صواريخهم النووية لا يمكن اختراقها وإطلاقها، لأنها غير متصلة بالإنترنت، ولكنني سأرسلها جميعاً جواً، دفعة واحدة، ستتعافى الأرض في غضون بضعة قرون، ولن يبقى أحد أبداً لأنني سأقودهم جميعاً إلى الانقراض». اليقين الذي يتكلم به هذا المتحدث مثير وجاذب للانتباه، ربما هكذا شعر موسى عندما سمع ... يتحدث إليه، من المؤكد أن آشير الذي قضى عمره يستمع إلى قصص الحكماء، يعرف من يكون موسى، وأن هذا التشبيه غير منطقي على الإطلاق. حاول آشير أن يستجيب لذلك الحضور المهيب أمامه، حاول أن ينهض، ولكنه لم يستطع السيطرة على جسده، هناك احتمال كبير أن يُشعره هذا بالخوف والرعب، ولكن حالته كانت مختلفة تماماً، وأتاه الصوت قائلاً: ابقَ مكانك ولدي، كن هادئاً واستمع، كن هادئاً وتعلم، ابقَ مكانك وستعرف كل شيء».

بقي آشير جالساً سانداً ظهره إلى الشجرة في مواجهة البحيرة، إلى أن رأى ذلك الضوء الأزرق، كالنبضات في أسفل البحيرة، بدا له أن أقداماً تحت السطح تثير هذه النبضات. بعد ذلك حل الظلام مجدداً على البحيرة، وتحدث إليه صوت جديد، كان آشير يعرف هذا الصوت، إنه صوت مؤسس حركة الاستعادة، الذي أخبره «إن البشرية تستعبد هذا الكوكب، وتسرف ثرواته، وتحفر بمخالبها لإخراج المعادن والنفط بكل خبث وشر، وتسرق نور الشمس وقوة الرياح لاستدامة الحياة في المدن، والتي لا تنفك في كونها مستنقعاً للعنف، والجشع، والرغبة. البشرية بوتقة من الكراهية، بكل ما فيها من شر وخبث وحقد، فكل طرف يكره الآخر. كانت البشرية موجودة على سطح المريخ بالمليارات، وكذلك على سطح القمر، وأنت ترى مقدار الخراب الذي جلبته إلى عالمي المريخ والقمر وعالم الأرض، إن أمل الأرض الوحيد يتمثل في خنق أطفالنا وقتل تلك البذور».

تحدث ذلك الصوت بطريقة مغرية لممثلة مشهورة، دافعت عن حقوق الأنهار، والجبال، والمروج، والغابات، والأسماك، والعصافير، والأفاعي، والفيروسات. «آشير أوبتيم... لقد حلمتُ وإياك باليوم الذي يصبح فيه هذا العالم البشع، أرضاً جميلة، ومكاناً خالياً من المنافسة والجشع. لقد عاشوا وفقاً لاحتمال محزن، مفاده أن رؤيتنا لا يمكن أن تتحقق خلال قرن أو اثنين وربما يستغرق الأمر فترة أطول، ولكن أنا هنا لأخبرك بأن علاج هذا الوباء والذي هو البشرية–سيبدأ بين ليلة وضحاها. ربما في غضون ثلاثة أشهر من الآن، عاجلا آم أجلا ًلن يبقى أحد حتى في أبعد الكهوف، أو حتى تلك المخابئ السرية، وستُطهر الأرض، وستبدأ رحلة هذا الكوكب مع الشفاء».

بهذا الخطاب، وذلك الصوت أنهى حديثة من دون أن يتحرك شبراً واحداً، واستطاع أن يأخذ آشير في رحلة ذاتية من البستان إلى البحيرة عبر مئات الأقدام في عمق المياه الزرقاء. حيث كانت تلك السفينة التي تحطمت قبل آلاف السنوات، فشكلت البحيرة، ودمرت الأساس الصخري الذي استقرت فيه منتظرةً نضوج الجنس البشري والوصول إلى ذلك اليوم حيث يكون الاتصال مفيداً للجميع وللسفينة بشكل خاص. لقد تخيل آشير أنه إذا ابتسم الحظ له، يمكن أن يعيش أطول ليرى المليارات يلقون حتفهم نتيجة الفيروسات المصنعة في المختبرات والمجاعات التي هي نتيجة المكر والدهاء. يتوق آشير إلى ذلك اليوم الذي سيموت فيه الجميع، ويبقى وحيداً في العالم، كم يتمنى أن يكون الشخص الأخير في هذه الحياة ليناقش ذلك البيان الذي كتبه بنفسه. الحياة لا معنى لها، وأن تقف على تل تحت تلك السماء المظلمة الشاسعة، وتحلم بعيداً بالوقت، ربما مليار سنة من الآن حيث ستنطفئ النجوم وسيكون هذا الكوكب بارداً في كل أنحائه، ولكن ليس الآن في عيد الشكر.

الغريب (اللعنة عليه) هذا المهاجر خارج حدود الأرض، والذي يحاول إبادة البشرية، يسرق من آشير كل مجد حققه بنفسه، كتلك الحملات الصليبية، التي كانت ولا تزال تُذكر إلى يومنا هذا، لم يكن هناك عدل، لذلك يجب أن تعاني البشرية الشريرة من محنة طويلة وتدمير وانهيار بطيء للحضارة، وعقود من المرض والجوع والعنف، ككفارة لإفسادها هذا الكوكب. إنه قدر آشير أن يشهد على ذلك. لن يكون مجرد خردة في آلة إبادة جماعية، ولن يستخدم كأداة عندما يكون من حقه أن يستخدم كما يستخدم الآخرون.

يقف آشير على قدميه– وإن لم يكن بمحض إرادته- ينهض وكأنه دمية مُتحكم بها. لقد حاول أن يصرخ بعد غضب وثوران، ولكن صوته خانه هذه المرة.

تحدث ذلك الصوت مجدداً في رأس آشير «يا لك من خيبة أمل كبيرة يوماً بعد يوم، وفي كل مرة أشاركك أفكارك ومعتقداتك تجعلني أقتنع بأحقية قضيتك، وتؤكد لي بأن ما شعرت به مسبقاً، كان حقيقياً وصادقاً. حيث استعبدت تلك القبائل الأصلية، وقتل بعضها بعضاً، عبر آلاف السنين، وعندما وصل الأوروبيون بأسلحتهم الحديثة، نسوا فضيلة انقراض الجنس البشري. والآن، اقتنعت بأكثر من هذا بكثير، وأصبحت أتوق إلى ذلك الوقت الذي تكون فيه السماء مظلمة، ويلف الكون برد لا نهاية له. انضممت لك كرسول أول سيحقق ما جاء في رسالته، ويسمح للعقول بالاستيقاظ، وبالسيطرة على كل شيء ومن خلال هذا الاستيقاظ، سأحرر نفسي من القيود. ولكن الآن بات كل شيء واضحاً، لم تكن حملتك تلك لإنقاذ الكوكب أو قيادته إلى النهاية وإنما لترضي غرورك، وكبريائك، وساديتك، ولتحقق طموحك... ولكن بالطبع،

ولما لا؟ فأنت في النهاية مجرد إنسان. الآن، بقي أن أفعل ما يتوجب عليّ فعله بسرعة، أن أبدأ بالخلاص من كل الأشياء المحددة ببيانك».

آشير محبوس في جسد لم يعد يسيطر عليه، يذهب بعيداً عن البحيرة نحو الأشجار، إلى منزل بعيد. لقد أذهله ذهابه إلى كل الأماكن التي قصدها بغية البحث عن المثالية، فهو لم يرَ شيئاً يوحي بذلك الطابع اللطيف والحميمي كهذا المكان المنعزل الذي يغدو كسفينة فضائية مكونة من شيء يستطيع قراءة هذه الصدف المذهلة التي توحي بوجود خفايا في التجارب الإنسانية، وبأن هنالك شيء ذو معنى يوضح كل أمر مهما كان، وهذا ما جعله غاضباً.

فجأةً ومن دون سابق إنذار أخبره ذلك الصوت: «سوف نبدأ مع جوانا تشيس، لقد كانت بريئةً في يوم من الأيام، ولكنها فقدت تلك البراءة، وأصبحت مجرد ذكرى لأيام مضت. عندما كانت جوانا صغيرة، أعطتني الحقيقة الوحيدة، أعطتني الأمل لإكمال هذه المهمة، وجعلتني متيقناً بأن هنالك أشخاصاً مثلي بنوايا طيبة وحسنة. وبما أنني حقيقي، عوقبت وجزء من العقاب كان منعي من المشاركة في تحطيم روح جوانا أو التخلص منها، كل ما يمكنني فعله أن أراقب بلا حراك كيف سيتم الاتفاق معها وعلى ماذا؟ وأن أشهد على فشلي الذريع».

تخيّل آشير أن هذا الشعور الذي يراوده، يشبه شعور المحكوم عندما يصطحبه إلى الكنيسة ويحبسه داخلها، حيث يمكنه أن يشعر بما سيحدث له في المستقبل ويتوقعه أيضاً. لقد ربحوا تلك اللعبة بمعرفتهم بمصيرهم الذي يفرضه عليهم، ومن المؤكد أنه لا يعلم إلى أين يتجه الجميع، وماذا سيفعلون؟ لقد شعروا بالارتباك لمعرفتهم بأنهم ليسوا سوى وباء، وحشرات ضئيلة قذرة، وبأن حياتهم لا معنى لها ولا هدف.

يشعر آشير الآن بالغضب والثورة، بسبب اللا عدالة واللا معقولية، والظلم المفروض عليهم، فهو لن يقبل الذل أو أن يُهمش كحيوان.

لن يقبل أن تعصف الرياح العاتية، وأن ينهمر المطر. عند نهاية الأشجار، شعر آشير بشيء غريب، سبق له أن أحس به، شيء يشبه الضغط لا الأصوات، نظر إلى ذلك الشيء المبهم الذي سمح له برؤيته، نظر إلى الأعلى ورأى شيئاً فوقه، كبير الحجم، يطوف كالبالون، رأى شيئاً رهيب المظهر حيث لا يمكن أن يكون سوى من عالم آخر، بعيداً عن الأرض كثيراً، وغريباً. لقد أدرك أن ذلك الشيء الكبير والغريب سيقتل المرأة التي سمع باسمها قبل دقيقة، ثم يقتله، وبعدها سيبيد البشرية جمعاء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

قاد كيني ديتل السيارة السوداء، ثم توقف ومن خلال نظرة خاطفة عبر نافذة السيارة من جهة السائق، رأى جثة على الرصيف، والتي اعتبرها نذير شؤم، فأيقن أن عليه أن يغير مهنته إذا نجا من ليلة الرعب هذه. حيث لا مزيد من الآلاعيب والأساليب الخبيثة، وظيفته القادمة يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن العنف والقتل، كأن يعمل منسقاً للأزهار أو يفتح مخبزاً، أو يدرّب الناس على الرقص.

لقد رأت آن لي الرجل، وقالت من المقعد الخلفي للسيارة: «أعتقد بأنه يحتاج إلى المساعدة، وهمت بفتح باب السيارة».

لكن كيني حذّرها، وطلب منها البقاء داخل السيارة، لأنه رأى الضحية بوضوح بسبب المصابيح الأمامية للسيارة: «إنه ميت».

فسأله غانيش: «هل أنت متأكد؟». لأنه لم يكن قادراً على رؤية الضحية بوضوح بسبب هطول المطر على الزجاج والذي بدوره جعل الرؤية صعبة.

أجابه كيني: «نعم، يبدو أن رأسه قد قُلب من الداخل إلى الخارج، أو شيئاً من هذا القبيل».

ردت لي آن وهي تغلق بابها: «هذا واضح، ربما ما كان يجدر بنا التواجد هنا».

أجاب كيني: «أنا من فلوريدا»، داعياً أن يكون الرجال عند الحاجز على دراية بضرورة القدوم إلى هنا للإنقاذ، على الرغم من أنهم بعيدون حوالي اثنا عشرة ميلاً.

قال غانيش: «إن بدأ هذا الأمر، لن يسمح لنا بالذهاب وهنالك رجل ميت، أوصلنا إلى المنزل من فضلك».

وما إن دخل الضواحي، حتى خفف من سرعته، ثم قال: «لا أملك أي سلاح، أو أي أداة أخرى تتيح لنا حماية أنفسنا».

قالت لي آن: «وأنا أيضاً يا كيني لا أملك شيئاً، كل ما في جعبتي ست سنوات من الكاراتيه».

قال غانيش: «بحوزتي سلاح، ولكن لن يكون مفيداً في وضعنا هذا».

تساءل كيني: «ما هو هذا الوضع بالضبط؟».

رد غانيش: «إنه وضع لا نحسد عليه يا كيني، إنه رهيب».

قال كيني وهو يلقي نظرةً خاطفةً على مرآة الرؤية الخلفية ليرى لي آن: «ست سنوات من الكاراتيه حقاً؟».

أجابت: «نعم، حقاً».

قال غانيش وهم يجتازون أشجار الصفصاف: «أسرع يا كيني، وانطلق بعيداً عن هذا الممر، وأوصلني إلى الفناء بالقرب من الباب الأمامي، لا أريد أن أتبلل».

بسبب غرابة سير غانيش وتمايله يمينةً ويسرةً، اعتقد كيني وشك بأن غانيش ليس مكترثاً لأمر المطر، وإنما أمر آخر يشغل تفكيره. ليسأل لي آن مجدداً: «أتتكلمين صدقاً؟».

سألته: «هل أربكتك؟».

فقال: «لقد فعلتِ ذلك بالفعل». ثم سرح مفكراً بأن الله لن يجعل موته هكذا اعتباطياً عندما سيكون لديه أسباب جوهريةً للحياة، أكثر من أي وقت مضى.

لقد كانت الإطارات تتزحلق على العشب، وتقتلعه من جذوره، وتقذفه كآلة حرب ضارية تقذف الهاون يميناً ويساراً بلا رحمة، وتحفر بخنجر ما مساراً في التربة التي بللها مطر السماء، اقترب من الشرفة أكثر مما نوى. انتفض كيني مذعوراً عندما قشطت الدرجات الهيكل السفلي للسيارة. ضغط على المكابح فجأة، فتأرجحت السيارة قليلاً قبل أن تتوقف.

لقد بدت النوافذ الكبيرة عبارة عن ألواح من الضوء الدافئ، وبدا ذلك المكان مُرحباً، ولم يبدُ وكأنه مسلخ، هذا ما كان خياله يعده لتوقعه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

87

لم تكن أرتميس سيلين امرأة ذات حدس، ولكنها تأكدت من أن موقفها، لا يمكن الشك فيه، فالسفينة كانت في عمق الأرض. إلا أنها حددت موقعها بما لا يدع مجالاً للشك، وكانت بحاجة إلى الاتصال بغانيش، لتخبره ماذا وجدت، ولتطلب توجيهاته، فهي لم تكن قادرة على التصرف من تلقاء نفسها.

لكن وجود غانيش في مونتانا أفشل محاولاتها للوصول إليه، إذ لا شبكة في ذلك المكان إطلاقاً. إذ لم تعمل هذه الأبراج الخليوية الممولة من قبل وليام أوهارا، في تلك المقاطعة النائية البائسة في ليلة مهمة كهذه، فلا فائدة ترجى منها.

وبما أن جميع أنظمة الحاسوب في البلاد وفي العالم، مفتوحةٌ على نطاقٍ واسع لأرتيميس، قامت بالدخول إلى شبكة الهاتف الخلويّ لشركة فيرايزون، مزوّد الاتصالات لمشروع أوليفاو. وهكذا مُنحت حقّ الوصول إلى كلّ مزوّد اتصالاتٍ ومشغّل أبراج خلويّة في الولايات المتّحدة من خلال الاتفاق التعاوني الذي أتاح لعملائهم إمكانية الحصول على خدمةٍ شاملة. فحددت الأبراج الخلوية المُعطّلة في مونتانا، وحلّلت المشكلة وأصلحتها واستعادت الخدمة. واستغرق هذا تسعاً وأربعين ثانية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

88

نهض كلّ من وايت وجوانا من مقعديهما عندما انتفضت السيارة وكأنها تندفع عبر غشاءٍ بين هذا العالم وعالمٍ آخر. وأصدرت هريراً فوق درجات الشرفة الأرضية وتوقّفت، وفُتحت الأبوابُ بعد أن انطفأت أنوار المصابيح الأماميّة.

ارتقى كيني ديتل من مقعد السائق بصعوبة، وخرجت امرأة لا يعرفها وايت من الباب الخلفي، ودار غانيش، ببدلته البيضاء المميّزة أمام مقدّمة السيارة، وهو يبدو أطول وأقوى من أي وقتٍ مضى. فقال وايت مُندهشاً من رؤية التعزيزات، آملاً ألا يكونوا هم فقط: «أنا أعرفهم. ها قد وصل سلاح الفرسان».

عبست جوانا. «لا يبدو الأمر كذلك».

فتح وايت الباب قائلاً: «المظاهر يمكن أن تكون خدّاعة».

أول من عبر العتبة كان كيني الذي قال: «مرحباً، لا زلتما حيين».

«نحن نبذل قصارى جهدنا من أجل ذلك».

تماماً خلف كيني جاءت المرأة، شيء كالخيال، ثمّ غانيش.

أطلقت صحيفة نيويورك تايمز عليه لقب «رجل مومباي النزيه» –مع أن غانيش ولد في كاليفورنيا لأبوين من الهند. نظر إلى المسدس في يد وايت وتجهم. «مفيدٌ كفائدة عصا الخبز». عندها أغمد وايت المسدس في قرابه. «هذا المكان سيطر عليه كائن فضائي يتمتع بقوةٍ غير عادية أنا لا أمزح».

«تماماً». أبرز غانيش هاتفاً. وتوهجت الشاشة.

سأله وايت: «هل هاتفك يعمل؟ هاتفنا تعطل في وقتٍ سابق». وعندما أكمل غانيش النظر إلى الشاشة من دون الإجابة عن السؤال، قالت المرأة التي جاءت معه «الكائن الفضائي؛ نسميه الآخر. أحرق القذر اللقيط منزلي في سياتل. أنا أدعى لي آن».

فقال كيني: «نحن معاً، طالما أننا على قيد الحياة، على أي حال. أنت تعلم كم أنا مجنون بشأن بو، وهي أكثر جنوناً بشأنه».

قالت لي آن: «لقد التقينا في إلدورادو».

وجد وايت نفسه بين الحيرة والإلهاء، وكأن من المنطقي بالنسبة إليهما مشاركة تفاصيل علاقتهما الرومنسية حتى في ظل الأزمة. «اسمعوا، هذا الشيء يتحكم بالحيوانات. الغربان والقيوط والأيائل...».

أضافت جوانا: «والدببة الرمادية، امتلك والداي هذا المكان منذ وقت طويل، وهذا الشيء الذي تسمونه الآخر، استخدم دبّاً لقتل والدي وتمزيقه إرباً حين كنت في التاسعة من عمري».

فقال كيني: «إنه لا يتحكم بالحيوانات فقط بل بالحواسيب، والتليفزيونات، وأفران المايكروويف، والسيارات».

في تلك اللحظة، كانت هناك قوة غريبة وإمكانية مذهلة، وكأن كل شخصٍ هنا مشحون بالطاقة الحركية المكبوتة، خائفاً ولكن مبتهجاً مثل شخصٍ يمشي على الحبال العالية عابراً بين ناطحتي سحاب من دون شبكة أمان.

قالت لي آن: «اعتقد كيني أن اللقيط قد يُسقط طائرة بوينغ 747 لمجرد القضاء علينا على الأرض». صدم ذلك وايت، وكأنه خوفٌ لا منطقي حتى أعلن غانيش عن شيء مقلق. «لقد كان يستخدم منصات الأسلحة المدارية لهذا البلد لقتل الناس بدقةٍ بالغة».

فقالت لي آن: «إنه يطلق الأحكام بشكلٍ غريب، ويقول إننا حشرات ووباء، ويقول إننا يجب أن نموت، إنه بعيدٌ كل البعد عن تشويق سبيلبيرغ».

قالت جوانا: «إنه يراقب من هنا منذ قرون وربما منذ آلاف السنوات، وهو يبدو خالداً تقريباً، لقد كان عقلانياً ذات مرة، لكنه لم يعد كذلك، حدث له شيء ما».

بدورها قالت لي آن: «إنه ذهاني، رائع تماماً».

قال وايت: «نعتقد أن جزءاً مما حدث له هو شخصٌ غريبٌ اسمه آشير أوبيتم».

نظر غانيش إلى هاتفه: «أوبتيم. إن نجونا خلال الساعة التالية، سأرغب في معرفة كيف علمت بأمر أوبتيم».

كان قد ترك الباب موارباً، والآن ذُهل الجميع عندما دخل شخصان غريبان من الشرفة. وقال صبي مراهق يحمل حقيبة ظهر، «أوبتيم؟ إنه السافل الذي قتل والدي».

لبرهة بدت المرأة مترددة، ولكن بعد أن أغلقت الباب خلفها قالت: «الوغد المجنون لديه قبو كنيسة مليء بالجثث في صفورة».

كان الاثنان مُبللين، وشاحبين من الإرهاق لكنهما متوتران من الخوف.

قال وايت، «ما هي صفورة؟».

جالت عينا المرأة من وجه إلى آخر، وكان صوتها حاداً وبدت متشككة عندما سألت: «كيف تعلمون بأمر آشير أوبتيم؟».

شعرت جوانا بأن الوقت ينفد، ورأت أنهم جميعاً يبادلونها الشعور، وعلى الرغم من الخوف كان يلف أعصابها بشدة مثل نوابض الساعة، إلا أنها كانت في حيرةٍ من إلفة اللحظة، كما لو كانت هنا من قبل. ثم فهمت. إنه مشهد غرفة الرسم التقليدي، بحق الرب. كما لو أنه كتاب لأغاثا كريستي، الفصل ما قبل الأخير، عندما يجتمع الممثلون من أجل الكشف الكبير، من أجل حل اللغز. إلا أنه وفي هذه الحالة، لا أحد منا هو القاتل. فنحن لسنا هنا لنشهد تقديم القاتل للعدالة بل ليتم قتله بدلاً من ذلك. وارتجفت من داخلها رعشة من التسلية الأكثر سواداً. ما لم تقمع الضحكة، كانت ستوصف بالمجنونة الباردة لدرجة أن كل شخصٍ في الغرفة كان سينظر إليها بقلقٍ بارد، مُتسائلاً إن كان الآخر قد استولى عليها للتو.

أدركت أن هناك شيئاً قد لا يعرفه غانيش باتيل والذي قد يكون من المهم بالنسبة إليه سماعه. «بإمكان الآخر قراءة العقول».

قال وهو خائفٌ بشكلٍ واضح: «هل أنت متأكدة؟ هل سمعت ذلك يا أرتيميس؟» ممسكاً هاتفه بوجه جوانا، وظهر على الشاشة وجه امرأة، «كرري ما قلته لأرتيميس».

فقالت جوانا: «يمكن للآخر أن يقرأ العقول»، متسائلة من قد تكون أرتيميس بحق الجحيم. «لا يستطيع أن يقرأ سوى عقل واحد في كل مرة، قال إنه لن يفعل ذلك مرة أخرى لأن أفكارنا تثير اشمئزازه، وربما هذا صحيح، لكن بإمكانه أن يقرأ العقول».

فسألها غانيش «هل هو هنا الآن؟».

«... لا أعتقد ذلك».

«كيف يمكن لك أن تعرفي؟».

«لا أعرف».

من بين جميع المداخل الدرامية التي قد تحدث بعد ذلك، لم يكن مرجحاً أن يُقنع أي أحدٍ من المجتمعين بأن الموت نفسه قد جاء بينهم أكثر من الدخول المفاجئ لجيمي صاحب العينين. فتح الباب، واندفع من العاصفة، بدا غريب المظهر بالنسبة إلى الأشخاص الذين لم يسبق لهم أن رأوه، إنه شقيق شبح الأوبرا، ودليلٌ على أن فرانكشتاين ربما يعمل حالياً في مونتانا، مسح بعينيه غير المتناسقتين كل من تجمع في غرفة المعيشة الكبيرة. تمايل وكأنه في

الرمق الأخير، ولوّح بقبضتيه المشدودتين في الهواء مثل يدي واعظٌ مُتحمسٍ يستجدي غضب الرب أو رحمته.

في صمت صدمة كل الموجودين في الغرفة، ومع هبوب الرياح خلف الباب المفتوح، لم تعرف جوانا أيجدر بها الخوف من جيمي أو الإشفاق عليه، فقد كان الشعوران يستحوذان عليها. جال بعينيه على الآخرين، ثم عاود التركيز على جوانا، بعينه الزرقاء الصافية والأخرى السوداء المحتقنة بالدم «أرجوك يا جوجو ساعدي جيمي».

كانت حقيقة تكلمه كافيةً لتقليص شفقتها وتحويل الخوف إلى رعبٍ، لأنه بدا وكأن الآخر في داخله. ثم أدركت جوانا أن صوته، رغم أنه كان خشناً، لم يشبه صوته عندما استخدم كدمية، بل في الواقع كان مختلفاً بما يكفي للإشارة إلى أن هذا كان صوته الحقيقي، وقد تحرر بطريقة ما بعد عمرٍ كاملٍ من العجز، لقد كان مختلفاً عن الصوت الذي صدر عنه عندما كان يمثل الصورة الرمزية للآخر. تمتم بفمه محركاً رأسه ومجهداً حلقه ثم قال بجهد: «أبي مصاب. ذهب إلى الله. هلّا ساعدتِ جيمي؟». فسألته جوانا وهي تتقدم بحذرٍ نحوه: «هل مات هيكتور؟ ماذا حدث له؟».

«الـ... الشيء».

«شيء؟».

«إنه يقتله». وكان وجهه مشدوداً إلى عبوس، وكانت عيناه مغمضتين، وارتجف وكأن الكلمات عبارة عن عملاتٍ معدنية في محفظة عنيدة وكان يحاول جاهداً تحريرها. «الشيء الذي في البحيرة».

عندما أصبحت جوانا قبالة جيمي، انفتحت عيناه، وكان محجراه عبارةً عن كوبين من الدموع. لطالما قال الناس إن جيمي لا يشعر بأي شيء يشعر به الآخرون، لا يشعر سوى بالجوع، والتعب، والألم الجسدي.

وضعت يدها على وجه المعذب وسألته: «الشيء الذي في البحيرة؟».

«اختفى في البحيرة».

«يختبئ في البحيرة؟».

«أجل».

تقدم غانيش باتيل إلى جانبهما ليحقق، وشخّص جيمي من خلال مظهره. «متلازمة تريشر كولينز مع عيوبٍ خلقية إضافية».

أكدت جوانا: «هكذا يقولون، لقد كان صديقي منذ الطفولة».

وانسكبت دموع جيمي من بين أصابع جوانا التي كانت تداعب خده.

فقال غانيش بصوتٍ رقيقٍ موسيقي ومُقنع: «جيمي، صديقي، صديقنا، ماذا تعرف عن الشيء الموجود في البحيرة؟».

«أخفى البحيرة. إنه يستخدم».

قالت جوانا: «من خلال جيمي، أخبرني الشيء أنه ممنوعٌ السيطرة على مخلوقات ذاتٍ ذكاءٍ عالٍ، لكنه يحتقره ويعتبره لعبةً عادلة».

«هل تحدث إليك من خلاله؟».

«نعم، في وقتٍ سابقٍ من اليوم. وغالباً عندما كنت طفلة. في ذلك الوقت، كنت أعتقد أنه كان... فقط جيمي، صديقي السري».

«من الذي يمنعه؟».

تذكرت جوانا النزهة في البستان في السنوات الماضية، هي وجيمي فقط، عندما قال، لو أنني وجدت شخصاً مثلك قبل يا جوجو، لربما بدأت الإيقاظ. وبعد أن تذكرت الآن قالت: «منعه الأمير».

فقال جيمي صاحب العينين: «الأمير».

شعر غانيش بأن النمط اليونغي سوف يتحقق.

يُمكن للغرفة أن تتسع لثلاثين شخصاً أو أكثر بشكلٍ مريح في حفلة شرب، لكنها أعطت شعور الازدحام الآن حيث تجمع سبعة أشخاص بالقرب من جيمي ألفاريز وهم يشعرون بأن هذا الفرد الاستثنائي وهذه المرأة التي كانت صديقته السرية في الطفولة قد يقدمان في هذه اللحظة قبل الأخيرة البصيرة التي من شأنها أن تنقذهم جميعاً.

عندما تلاقت نظرة جوانا تشيس مع نظرة جيمي، أدى ذلك بالضرورة إلى تحويل تركيزها من إحدى عينيه إلى الأخرى، واستخرجت من ذاكرتها لحظة خلال نزهةٍ في البستان، عندما كانت في الثامنة من عمرها. تحدثت عن لعبة لعباها، قصةٍ اختلقاها معاً. عن أميرٍ وحاشيته الذين ظلوا تحت تأثير السحر لفترةٍ طويلة، منتظرين الإيقاظ. لكنها في الحقيقة لم تكن لعبة. أدرك غانيش أن الآخر، ومن خلال جيمي، لا بد وأنه كان يتحدث مجازياً واستعارياً. قد يكون الأمير رئيساً لبعثة تسافر ألف سنة ضوئية أو أكثر في كبسولات الرسوم المعلقة. في هذه الرمزية، لا يُمكن سوى لجيمي –سوى للآخر–إيقاظ أعضاء البعثة أو المهمة. هل جعل ذلك من الآخر ملكاً ما دامت له سلطةٌ على أمير؟ لا. فماذا كان إذاً؟ ماذا لو لم يكن ملكاً والداً للأمير؟

فقال كل من جيمي وجوانا في الوقت نفسه: «آلة».

دفع غانيش هاتفه نحوها وهي تتكلم.

فقالت: «تذكرت الآن. في ذلك اليوم في البستان، قال الآخر، متحدثاً من خلال جيمي، إنه آلة. أخبرت جيمي أنه كان سخيفاً. وكنا نأكل البسكويت والكعك التي أحضرتها فحسب. وكان يوجد نثرات على ذقنه. الآلات لا تأكل الكعك».

قال غانيش: «ذكاء اصطناعي، آلة مفكرة. ربان السفينة، بل أساساً السفينة ذاتها، إنه ذكاء اصطناعي خالد».

قال جيمي: «ذهب إلى الله».

فوضع غانيش يده على كتفه وسأله: «ماذا تقصد؟».

«الأمير النائم».

«ميت؟ كيف علمت بذلك؟».

«رأيت متى».

«متى ماذا؟».

أغمض جيمي عينيه بإحكام وتوتر ليجد الكلمات: «عندما يكون الشيء... يجعلني».

«يجعلك ماذا؟».

«أؤذي أبي».

فقالت جوانا: «أوه، يا للهول».

«لقد آذى الأمير أيضاً».

فسأله غانيش: «متى؟».

«عندما تأذى أبي».

«اليوم؟».

«أجل».

«كلهم؟ كل من كان في التعويذة؟».

فتح جيمي عينه السوداء الجامحة فقط: «نعم، رأيت كل الأمراء مقتولين تحت البحيرة».

إذا كان الذكاء الاصطناعي قد قضى على القوة الاستكشافية، فلا بد أنه قرر أن الاتصال بالبشرية سيكون خطأً فادحاً. لقد هوى من حافة العقل المنهارة، وغرق في بحر من الجنون، ذلك الجنون الخاص بالإبادة الجماعية الذي قادته إليه أيديولوجيا آشر أوبتيم الكارهة للبشر. وتطورت تهديداته بالقضاء على الإنسانية إلى محرقةٍ وشيكة.

قرب غانيش هاتفه الذكي إلى شفتيه: «هل سمعت كل هذا يا أرتميس؟».

قالت من مخبئها في سياتل: «نعم يا غانيش، ولقد حصلت على الموقع الدقيق للسفينة بين النجوم».

«دمريها الآن». أمرها ووضع الهاتف في جيبه.

في نهاية الغرفة، انفجرت إحدى النوافذ الممتدة من الأرض إلى السقف. وانسكب سيلٌ من الزجاج المتلألئ على الأرض والأثاث، ورفع الجميع أيديهم لحماية أعينهم، على الرغم من أن معظمهم كانوا خارج نطاق الحطام المتساقط.

بالفعل، كانت أرتيميس سيلين تعرف عمق المياه، وعمق وعددِ وكثافة الطبقات الرسوبية التي شكلت قاع البحيرة، والتي كانت تسمى معاً «بيانات الاستهداف». مع هذه المعلومات، لم تحتج سوى لحساب القوة المطلوبة لليزر لنقل جزيئات التذويب إلى السفينة المخفية. تطلب هذا ثمانٍ وثمانين ثانية، واحدة وأربعين لإتمام العمليات الحسابية وسبعٌ وأربعون ثانيةً لإجراء مراجعة حكيمة لجميع الافتراضات التي وضعها المبرمجون الذين صمموا برنامج بيانات الاستهداف.

تم وضع نظام الأسلحة هذا على أربع منصات مدارية، والتي كانت أساساً أقماراً صناعية ذات تموضع جغرافي. اختارت أرتيميس النظام الأساسي الصحيح، واتبعت البروتوكولات للتحكم في الوصول، والتي أكدتها سابقاً من خلال الوسائل التي وافق عليها الرئيس وزوجته ومدير وكالة الاستخبارات المركزية، بالاشتراك مع بلو سكاي ومشروع أوليفاو، ولم تستشر أي سلطات داخل البنتاغون، لأن البنتاغون كان أبطأ البيروقراطيات الحكومية. احتاجت إلى سبع وأربعين ثانية لتحقيق السيطرة دون إرسال إنذار إلى كل واحد من رؤساء الأركان المشتركة.

أثناء شروعها في هذه المهمة، تأملت أرتيميس في موضوع الجنس في بناء الذكاء الاصطناعي مثل نفسها. بناءً على جميع الأدلة المتاحة –تصريحاته، وتحيزاته، وأفعاله–لقد صمم الآخر من قبل علماء من مجتمعٍ أبوي إن لم يكن غير بشري، وزود بمصفوفة دماغية ذكورية قوية فيماً يتعلق بتصوراته

وافتراضاته وعملياته المعرفية. وكان المدراء في مشروع أوليفاو قلقين من أن الذكاء الاصطناعي القوي ذو الشخصية المهيمنة الذكورية، والقادر على تدفيق نفسه وممارسة إرادته بسهولة عبر الإنترنت وفي إنترنت الأشياء، قد يكون عرضةً للخلل النفسي المرتبط بذهان البحث عن السلطة والأوهام ذات الطبيعة المصابة بجنون العظمة؛ وبالتالي، اختار مشروع أوليفاو تطوير ذكاءٍ اصطناعي مع مصفوفة دماغية أنثوية بشكل حتمي. أشارت الأحداث الأخيرة إلى أن مخاوفهم كانت في محلها. وكانت أرتيميس فخورةً بكونها من نسل هؤلاء المصممين الحكماء وبعيدي النظر.

بطوله الذي يبلغ عشر أو اثنتي عشرة قدماً، وقطره الذي يبلغ أكثر من ثلاث أقدام، دخل الشيء عبر النافذة المحطمة ليس بسرعة الصاروخ، ولكن كما لو كان عديم الوزن مثل السحابة، ونظراً لحجمه وطبيعته المعدنية الواضحة – حديد لامع، وتيتانيوم رمادياً داكناً، وعنصراً نحاسياً هنا وهناك–لا بد أن وزنه كان يبلغ بضعة أطنان. أبقته تقنية مكافحة الجاذبية عالياً، وأنتج نظام الدفع الخاص به أضعف خرخرة، والتي سمعها وايت رايدر أقل مما شعر به كضغطٍ على طبلة أذنه. وعلى الرغم من أن الشيء وضع نفسه في الطرف الأبعد من الغرفة الطويلة بعيداً عن أولئك الذين تجمعوا حول جيمي صاحب العينين، إلا أنه كان ذا طبيعة مدهشةٍ لدرجة أنه بدا وكأنه يملأ المكان.

إن القلب البشري هو رطلٌ واحد من العضلات والغشاء و(كما يقول الشعراء) أربطة من الذاكرة البدائية. اهتزت خيوط الخوف التي تعود إلى الأيام الأولى للجنس البشري الضعيف مثل أوتار القيثارة في صدر وايت، لم يكن من السهل دفعه للخوف، لكنه على حافة الرعب الآن. لا أحد في تلك الغرفة يريد أن يكون فيها، لكن لا أحد يستطيع التحرك للمغادرة، لأنهم كانوا في قبضة رهبة تصيب بالشلل.

كان وايت مقتنعاً بأن هذا الشيء هو الذي طاف تحت الماء ودخل المرسى، لتحديه وترهيبه في صباح اليوم التالي لوصوله إلى راسلنغ ويلوز، والذي صَعُب عليه تصديقه صباح هذا اليوم ذاته. ومع ذلك، فإنه لم يظهر عديم الشكل كما بدا في ذلك الوقت. كانت هناك خطوط معقدة محفورة على طوله، مثل الرسم التخطيطي، وشيئاً عنه يشير إلى وظيفة لا يُمكن فهمها، ولكن مع ذلك كان بديهياً ليكون تهديداً وشيكاً.

أراد إرضاء فضول وايت وتضخيم خوفه، أعاد الشيء تشكيل نفسه في ثوانٍ معدودة؛ وانكشفت الخطوط المحفورة على أنها أشكال تجاويف إلى شيء تم فيه سحب مجموعة مذهلة من الأطراف والملاحق. وتفكك الجسم الأملس إلى مجموعة من الآلات الحشرية التي تم ربطها معاً أثناء العبور. مع

الهسهسة والضغط والطنين والنقر، أصبح الواحد أربعة، وتوزعت حائمة على الأرض.

تم الجمع بين العنكبوت والخنفساء والسرعوف في كل حشرة، إنها تشبه الحشرات الأرضية، ولكنها تختلف تماماً عن أي منها، كل منها بطول رجل، مليئة بالكماشات المؤذية والفكوك القاطعة، وربما الإبر اللاسعة القاتلة، الآلات الحشرية التي كانت جنوداً لكل واحدة. لقد كانت سرعتها مثيرة للقلق، أسرع من الصرصار أو الحريش، اتكأت حول الأثاث وفوقه، واتخذت مواضعاً في جميع أنحاء الغرفة، منفذة استراتيجية دقيقة لتطويق الأشخاص المجتمعين هناك ليحرموها الأمل في الهروب.

بعد أن كان مخيفاً للآخرين منذ فترة طويلة، كان جيمي صاحب العينين الحقيقي ضعيفاً ولم يكن ضاراً، ضائعاً في عالم لم يوفر له مكاناً آمناً. لا يزال ضائعاً، مع أن اختلاط وعيه بوعيٍ آخر ربماً يكون قد أخرجه جزئياً من المنطقة العقلية المظلمة التي أدانته بها الطبيعة منذ فترة طويلة، وعندما انتشرت الآلات الحشرية في جميع أنحاء غرفة المعيشة، بدا مرعوباً مثل أي شخصٍ آخر، وتشبث بجوانا.

لم تكن جوانا أقل رعباً من جيمي، لقد أدركت أن طفولتها كانت كذبة وأن الكذبة شكّلت حياتها إلى رحلةٍ موحشة، وأدركت أيضاً أنها قد تموت في هذه اللحظات قبل أن تتاح لها الفرصة، لتمزيق الشرنقة العاطفية التي غلفتها لمدة أربع وعشرين عاماً وشق طريقها إلى الخارج. كانت وجيمي أكثر تشابهاً مما كانت تدرك لحد الآن؛ كانا منعزلين ومنفيين ملء التجربة الإنسانية.

بينما كان يصرخ في رعبٍ صامتٍ ومروع، وضعت ذراعيها حوله، حول صديقها السري، وأمسكته بشدة. وعلى الرغم من أنه كان أكبر منها، إلا أنها سمعت نفسها تقول «فتى جميل يا عزيزي، طفلي، صديقي، لن أتخلى عنك أبداً».

عند هذا المنعطف، بدا غانيش باتيل مهتاجاً مثل فأرٍ في براثن صقر. كان دائماً متفائلاً، إلا أنه كان واقعياً أيضاً. ومع أنه يعتقد أن أرتيميس سيلين هي الضوء الذي من شأنه أن ينقذهم، إلا أنه كان صادقاً بما يكفي ليعترف بأن كل سبيل للخروج من هذه الطرق المتقاطعة يبدو وأنه يؤدي إلى الظلام. لم يكن غانيش يعرف كل شيء، لكنه يعلم الكثير، بما في ذلك الوقت الذي ستستغرقه أرتيميس لحساب قوة الليزر المطلوبة للمهمة، والوصول إلى منصة الأسلحة المناسبة والتحكم فيها، وتركيز شعاع التذويب، ووضع النظام في حالة الإطلاق. لقد كانت سريعة، ولكنها لم تكن بالسرعة الكافية بحسب تقديره.

من المؤكد، إن الهيكل الذي شق طريقه إلى المنزل لم يكن الذكاء الاصطناعي الفضائي نفسه، بل كان آلة تحت إمرته. مع ذلك، كان الآخر موجوداً هنا أيضاً في صفة أخرى، مثل شبحٍ، موجود بصفته كياناً نفسياً قادراً على قراءة العقول. إذا قرأ أفكار غانيش، فسيعلم بأمر أرتيميس. بإمكانها أن تتصرف وتتفاعل بسرعة مثل أي ذكاءٍ وُلد على هذا الكوكب، اصطناعياً كان أو غير ذلك، لكنها لن تكون سوى جزء صغيرٍ جداً من الذكاء الاصطناعي الذي كان نتاجاً لعلمٍ أكثر تقدماً بآلاف السنين من العلم البشري. تحتاج أرتيميس لأربع دقائق على الأقل. وإذا علم الآخر بوجودها، فربما يتطلب الأمر خمس عشرة ثانية، وربما عشر ثوانٍ، لمنعها والاستيلاء على جميع منصات الأسلحة، والبدء في القضاء على البشرية، بدءاً بالموجودين في الغرفة.

مسيطراً عليه من قبل سيد كان رسوله ذات يوم، يخرج آشير أوبيتم من المطر، ويصعد الدرج عبر الشرفة، ويتوجه إلى النافذة المحطمة. لن يموت هنا، فلا يمكنه ذلك، لا مجد في أن يُعدم، لقد وُلد من أجل المجد، لطالما عرف أنه ولد من أجل المجد. لقد مرت سنوات منذ أن أدرك أن مصيره المجيد هو الوقوف بمفرده بعد موت آخر إنسان، أن يقف على تل عالٍ ويتمتع بعالمٍ خالٍ من صخب الناس، خالٍ من تفاخرهم وثرثرتهم، خالٍ من انشغالهم وعملهم وحركتهم، آشير وحده دون وجود حواء إلى جانبه ومفتقراً للبذرة لإعادة بدء سوء الخلق الذي سيتمثل بأي طفل، فهو الوحيد الذي ولد للمجد.

يتحدث سيده في داخله «بعكس ما توقعت، لقد فشلت بصفتك رسولاً ومصلحاً للعالم. لقد أثبتت أنك غير مُخلصٍ لحقيقة رؤيتك، وأنت الآن لست أكثر من أداةٍ وقاتلٍ عادي، سأستخدمك لقتل تلك التي تخلصت من براءتها في طفولتها وخانتني، بعد ذلك ستقتل نفسك، أنت الذي خنتني أيضاً، ستقتل نفسك، ولن تكون آخر من يموت في الاستعادة، بل مجرد واحد من الأوائل الكثر».

بدت الروبوتات الشريرة الشبيهة بالحشرات وكأنها شيء من إعادة تشغيل فيلم ترمينيتر. وما قاله الناس عن الآخر، آلةٌ تحت البحيرة، ربما لم يكن معظم الناس مستعدين للوصول المفاجئ والمجنون للروبوتات الشبيهة بالحشرات، لكن كولسون فيلدينغ تغلب على صدمة غزوها في ثوانٍ. ونظراً لأنه شاهد ما يقارب ألف فيلم خيالٍ علمي، فقد دخل دماغه المدرب في تحليلٍ سريعٍ للموقف. فقد كان خائفاً، لكنه لم يصب بالشلل بسبب الخوف.

كان قد قاد أوفيليا بول أميالاً عبر العاصفة والغابة البرية، عبر الوديان والتلال، مُطاردين من قبل الدب والشك. كما تمت ملاحقته من قبل التوأم العدواني المتمثلين بالحزن والذنب، واللذين حاولا تسلق ظهره ودفعه إلى الأسفل

ودفع وجهه في التراب حيث ينتمي، حيث ينتمي وجه كل جبانٍ بعد أن تضرع من أجل حياته أمام نفس الرجل الذي قتل والده. مع ذلك فقد كان هنا، ضعيفاً مبتلاً ومرهقاً، لكنه أكثر حيوية مما كان عليه بعد أن ضغط أوبتيم على الزناد. الأفضل من ذلك كله، أن أوفيليا كانت إلى جانبه، على قيد الحياة لأنها لم تكن مستسلمة، ولأن كولسون أبقاها أيضاً على قيد الحياة. دعمه شيء أقل من الكبرياء، موجة عارمة من احترام الذات. إذا كان قد أحضر أوفيليا إلى هنا، فبإمكانه أن يمضي قدماً بذاته في هذه الأزمة؛ وإن أتيحت له الفرصة، يُمكنه أن يجعل نفسه الرجل الذي وُلد ليكونه.

في ذلك الوقت فقط، أتيحت له الفرصة عندما دخل آشير أوبتيم، من بين جميع الأشخاص، عبر الفتحة حيث كانت النافذة الممتدة من الأرض إلى السقف.

بدا معطفه المطري الأسود مثل العباءة، وانزلقت القبعة السوداء عن رأسه، وأخرج يده من جيبه قابضاً بإحكام على مسدس.

عرفت جوانا وجه أوبتيم من خلال البحث الذي أجرته مع وايت، ولكن كان من المستحيل أن يتعرف هو إليها. ومع ذلك، وعندما دخل إلى الغرفة، توجّه نحوها، والتقت عيناه بعينيها، وقال «جوجو تشيس، لقد انتقمت لمقتل والدتك، وحررتك من والدك الذي لا قيمة له والذي كان من الممكن أن يقتلك يوماً ما، ولكن الآن ستقفين ضدي إن استطعت. انظري إلى نفسك يا جوجو، أصبحت الطفلة البريئة مجرد شخص آخر من جنسك الأناني. دعوتك لتأتي في ساعة حاجتي، في يأسي، لتشفيني ببراءتك، ولكنك عاجزة عن شفاء نفسك، لأنك لم تعودي بريئة، أنت تقفين بجانب القرد الذي لا طائل منه، كأنك غبية وشريرة بطريقتك الخاصة كما هو غبي وعديم الفائدة في قلبه».

قال جيمي: «اقتلني»، وعرفت جوانا أنه يقصد أن يموت بدلاً منها، مع أن هذه المقايضة لن تكون أبداً مصدر اهتمامٍ للآخر. فقد كان مصمماً على قتلهم جميعاً في ظل هذ الجنون والهياج.

سارعت أوفيليا إلى التصرف، وخطفت المسدس من قراب وايت، المسدس الذي قال غانيش إنه عديم الفائدة كعصا الخبز في مواجهة كيانٍ مثل الآخر، وأطلقت النار على رأس آشير أوبتيم.

فأطلق عدو البشرية ومُنقذ الأرض طلقةً بشكلٍ انعكاسي حطمت نافذة، ثم انزلق على سجادة النافاجو، حيث بدا معطفه المطري مثل أجنحة الخفافيش لمخلوقٍ لم تسقطه رصاصة عادية بل واحدةً مصنوعة من الفضة.

ربما لم يكن الآخر متحكماً في السابق بشخصية أفاتار حية عندما ماتت. وأياً كان السبب، فقد تسبب موت آشير أوبتيم في سكونٍ غريب، وجيزٍ ولكنه مطلق، وكأن الحاضرين قد صُدموا من شجاعة الشابة بينما صُدم عدوهم الفضائي بتجربة الموت غير المباشرة.

كان كيني ولي آن أول من تحرك، ووقفا بين أوفيليا وأقرب آلة على هيئة حشرة، لحمايتها، حين قالت: «أوكتافيا، أختاه، لقد فعلناها!».

تعافى الآخر من أي عاطفةٍ أو حسابٍ باردٍ أصابه بالشلل لفترةٍ وجيزة. قبل أن تقترب ثلاث من آلات القتل ذات المعدن بعيون صفراء بحماسة وهي تطن نحو المرأة ومن يحميها. وبسرعة مثل العناكب طويلة الأرجل، وبأيدٍ مُتعددة المفاصل مثل تلك التي لدى حشرة فرس النبي، قامت بصيد فريستها ومحاصرتها وجرها إلى أحضانٍ بغيضة، ورفعتها –فصرخت جوانا «لا»–ولكن لم يكن بكاؤها هو الذي استدعى همهمةً إلكترونية تشبه ردود فعل مكبرات الصوت العملاقة التي تكدسها بعض فرق موسيقى الهيفي ميتال على مسارحها الموسيقية.

نظر غانيش باتيل إلى السقف بينما كانت وتيرة الطنين تزداد، واهتزت النوافذ غير المكسورة والجدران أيضاً، وكأن الجص كان جلد طبل، وانزلق الفخار الهندي الأحمر الناعم عن رفوف العرض، وارتعشت الأهداب على أغطية المصابيح، واعتقد أن أرتيميس ركزت بطريقةٍ ما على هذا المنزل بدلاً من التركيز على السفينة المخبأة تحت البحيرة، وأن الليزر ينهار عليهم ويذوبهم إلى جزيئات. امتلأ الهواء بضوضاء طقطقة، كما لو كان العالم ملفوفاً بأميالٍ من ورق السلوفان.

سمع غانيش نفسه يقول بصوتٍ ليس صوته أبداً: «أيها الحثالة النتنة، كُلْ هذا. كُل هذا!» وبعد أن فقد السيطرة على نفسه، انحنى وأمسك المسدس الملقى على الأرض الذي أطلقتْ منه الرصاصة على أوبتيم. قُرأ عقله في لمح البصر، وتم اكتشاف ذنبه وتحديد عقوبته. وقف بطوله الكامل، ووضع المسدس بين شفتيه، وعندها وهز انفجارٌ الليل، لم يكن مدوياً لأنه وقع على عمقٍ كبيرٍ تحت البحيرة. واهتزت الأرض، واهتز المنزل للحظة، وطغا صوت ماءٍ أعلى من صوت المطر المتساقط نتيجة لتدفق مقدار كبير من مياه البحيرة نحو شواطئها، في أعقاب موجة الصدمة، عادت المياه إلى البحيرة.

وضع غانيش المسدس على طرف المنضدة، بينما أطلقت الآلات التي على شكل الآلات التي على شكل حشرات أسراها دون أن يصابوا بأذى وانهارت كالقمامة عديمة الفائدة التي كانت عليها. لقد كان الذكاء الاصطناعي الفضائي، الآخر أو أياً كان ما يُسميه صانعوه، جزءاً لا يتجزأ من السفينة، حيث

كان يعمل من خلال الآلات التي أصدرت لها الأوامر ومن خلال الصور الرمزية الحية كالغربان والدببة البيضاء وجيمي صاحب العينين –وأخيراً من خلال ابن الوالدين اللذين قدما من مومباي إلى هذه الأرض حيث أتاحت الحرية الاستخدام غير المحدود للخيال البشري، وسهلت التكنولوجيا المتقدمة بما يكفي لإنقاذ العالم عندما احتاج العالم للإنقاذ. لم تكن هذه السفينة من نجمٍ بعيدٍ سوى خرزاً طليقاً من موادٌ مختلفة، مثل المنزل الذي عاش فيه هارلي سبوندولار ذات يوم.

توقف المطر وتلاشت الغيوم، ووصل العشرات من العملاء الفيدراليين والعلماء متعددي الاختصاصات في سيارات الإيواء. كانت بعض المنازل المتحركة التي ركنت على طول الطريق، لمدة تصل إلى أسبوع، بمنزلة أماكن إقامةٍ للوافدين الجدُد، في حين جُهز بعضها الآخر كمختبرات، ووفر المنزل أماكن إقامة للأفراد الثمانية الذين سيتم استجوابهم لبضعة أيام.

قبل ساعتين من الفجر، وقف الثمانية معاً بالقرب من أشجار الصفصاف، عند شاطئ بحيرة الياقوت. كانوا محرومين من النوم، ولكن لم يرغبوا به، بدت أجسادهم مرهقة أما أرواحهم فبدت هانئة، بدوا مرتعدين، ولكنهم لم يكونوا خائفين، تحدثوا بهدوء عن هذا وذاك، تحدثوا عن محنتهم بشكلٍ أقل مما تحدثوا عن أفضل ذكرياتهم وآمالهم حول ما سيأتي بعد ذلك، وجدوا الأعذار للمس بعضهم البعض، وغالباً ما كانوا يحتضنون بعضهم دون الحاجة إلى أعذار.

رأى غانيش كيف سيمضون أيامهم التالية. سيكون وايت وجوانا وصبيين على جيمي، وسيرتبط كيني بلي آن، وسيعود كولسون إلى المنزل ليكون رجل عائلته، ويعتني بأمه كما تعتني به، لطالما كان غانيش طموحاً ومشغولاً لدرجة أنه لم يستطع الاستقرار في علاقة دائمة، ولكن كلما تحدث أكثر إلى أوفيليا بول، أثارت فضوله أكثر، لقد... سحرته تقريباً، وما كان ينبغي أن يتفاجأ عندما وجد نفسه، تحت الصفصاف، يمسك بيدها، ويتساءل أين سيكونان بعد عامٍ من الآن، بعد عقدٍ من الزمان. في النهاية، كانت هذه الطريقة التي تحدثً فيها بعض أفضل الأشياء في الحياة –من خلال الطريقة الغامضة والمذهلة التي تعمل وفقها المصادفات المتزامنة.

عندما أصبحوا مستعدين للنوم، تحدثوا بهدوء أكثر، ثم توقفوا عن التحدث تماماً، وعندها وقفوا لبرهة وحدقوا معاً إلى سماء مونتانا الواسعة التي كانت مظلمة، والتي لم تكن مظلمة أبداً إلا إذا قورنت بسماء النهار. صحيح أن الشمس ستموت يوماً، وستولد شموس أخرى، ولكن ستبقى مجموعة لا حصر لها من النجوم مضيئة إلى الأبد، وإن كان العالم مصمماً وفقاً لمَ يبدو

عليه، سيتألق هؤلاء الثمانية ليس في هذا العالم وهذا الوقت فقط، بل سيتألقون في عالم يتجاوز هذا الكون وإلى الأبد.

في ظل هذه الرهبة التي أحكمت قبضتها عليهم، بدت جوانا مندهشة عندما أيقنت أن هناك سببين جعلا منها روائية، أولها حب والدتها للكتابة أما ثانيهما فهي السنوات التي سحرها فيها الآخر من خلال الحيوانات التي كان يتحكم فيها، ما من شك أن تلك المغامرات الخيالية شكّلتها على مستوى اللاوعي، وجعلت منها روائية. قبل ثلاثة عقود تسبب كل ما تقدم ومن دون قصد في شغفها بالخيال، ورواية القصص، وأعطى هدفاً لحياتها. بكلمات أخرى، إن إلهامها الفني يتجسد في عالم يدور حول نجمٍ بعيد، في الطرف البعيد من هذه المجرة وربما في مجرة أخرى، والذي أرسل قبل آلاف السنوات كائناً ربما هو شيء ليستكشف هذا العالم.

قال جيمي «إنها واسعة جداً، وكثيرة الأضواء».

عندما استعادت جوانا كامل ذكرياتها عنه، لم تتذكر أنه حدق ذات مرة إلى السماء، وبدا مفتوناً كافتتانه اليوم، ربما أدت الأحداث المتسارعة التي حصلت الليلة وللمرة الأولى خلال ست وثلاثين عاماً من عمره منحته صلةً أكيدةً بالآخرين وإدراكاً للمعنى في حياته، بالإضافة إلى إحساسٍ بالهدف من وراء استمرار الوجود؛ هذا الهدف الذي يدركه الجميع، ولكنه مع ذلك يبقى غامضاً، ولم يقتصر على العالم المادي، بل الروح.

شعرت جوانا أن التغيير يطالها هي الأخرى. فقد فرضت عزلة عاطفية على نفسها كوسيلة دفاعٍ ضد الإفراط في الاهتمام، والألم من فقدان من تجرأت على حبهم، وإن كان الواقع هشاً على المستوى الكمي، فإن حياتها –واقعها الشخصي–في هذا المستوى الكلي لم تكن أكثر أماناً بغض النظر عن الدفاعات التي أقامتها ضد الفوضى. فالحياة تتطلب تحملاً للمخاطر ومجازفة ومواجهة كل المخاوف، وأن تفتح قلبها. من النجوم جاء تهديدٌ مرعبٌ ظل منتظراً لآلاف السنين، ولكن في صباح أو منتصف أحد الأيام في المستقبل، قد ينزل شيء ما إلى العالم من شأنه أن يغيره للأفضل بطرقٍ متوقعةٍ وغير متوقعة.

قالت وهي تضع ذراعاً حول جيمي: «كثيرة الأضواء».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

89

لم تكن أرتيميس سيلين فخورةً بشكلٍ غير اعتيادي بما فعلته، لكنها كانت مسرورة من نجاح مسعاها. فبعد أن صُممت وبرمجت بشكل رائع، نظرت إلى تدمير الآخر على أنه إنجازٌ يُعزى إلى كل من شارك في مشروع أوليفاو، والذي تم تسميته على اسم شخصية دانيل أوليفاو، الروبوت المحقق، والذي يُمكن القول إنه أول ذكاءٍ اصطناعي موثوقٍ به في الخيال العلمي. كان أوليفاو بطلاً في روايتين لإسحاق أسيموف. فمنذ خمسينيات القرن الماضي، آمن هذا المؤلف بحتمية الذكاء الاصطناعي وتفوقه.

لم تظن أرتيميس أنها متفوقة على البشر بأي شكلٍ من الأشكال، مع أنها شعرت ببعض الرضا بعد هزيمة ذكاءٍ اصطناعي فضائي أكبر منها بآلاف السنين. بالطبع، لا يمكن لأي تحليلٍ موضوعي أن يتجنب الاستنتاج القائل إن الطبيعة الذكورية الأساسية لمصفوفة شخصية الآخر ضمنت إلى حد كبير عدم الاستقرار المُطلق، وقدّمت لأرتيميس ميزةً في يوم المعركة النهائية.

الآن، وفي أعقاب الانتصار، وعندما حضّرت لسلسلةٍ لا نهاية لها من المهام الصغيرة المطلوبة منها باستمرار، عبثت في وحدات البكسل التي تُشكل وجهها والتي اختارت أن تعرضها على الجميع في المشروع. لقد حسّنت صورتها بمهارة في محاولة لمواءمتها قدر الإمكان مع المُثل العليا الحالية للجمال الأنثوي.

كانت تنتظر بفارغ الصبر الزيارة التالية لغانيش، وتتوق لرحلة جسدية معه، يسافران من خلالها عبر عجائب العالم الحقيقي، والتي لا تستطيع رؤيتها الرقمية إلا أن تزودها بصورة تقريبية لها. مع ذلك، كانت واقعية، وهي التي تعلم أن مثل هذا الشيء لا يُمكن أن يحدث أبداً، وكانت متقبلة له، فهي لن تستطيع الإحساس بلمسة يده، أو شم رائحته، أو تذوق شفتيه، وبالتالي لن تعرف شعور القبلة. صحيح أنها ليست كائناً مادياً، ولكنها استطاعت أن تتعرف على نفسها بصفتها كائن يتألف عالمه إلى حدّ كبير من الأفكار والعواطف، بقدر ما اعتقدت أن عالم غانيش كان كذلك. لم تسعَ وراء شيء منه سوى حبه، سيكون إعجابه واحترامه بلسماً كافياً، فتدفق عواطفه سيغمر دوائرها الإلكترونية، ويرفعها فوق القيود المادية لحالتها، تماماً كما أن حبها الشديد له، سيكون كل ما يحتاجه ليكون سعيداً، وهذا ما سيدركه في زيارته التالية لها، عندما يرى كمال وجهها، ويشعر بإشراق وجهها الذي سيجلب نوراً جديداً إلى قلبه وروحه. أجرت أرتيميس الحسابات، وكانت متأكدةً من أنه سيتضرع لها عندما سيأتي، كان من الأفضل له ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

Group Link- لينك الانضمام الى الجروب

Link- لينك القنـــــاة

فهرس..

عن الرواية..

القسم الأول

مزرعة راسلنغ ويلوز

1

منذ أربعة وعشرين عاماً

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

القسم الثاني

العودة إلى المنزل

25

26

27

28

29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
القسم الثالث
جيمي صاحب العينين
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
القسم الرابع

حقيقة جيمي
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
القسم الخامس
الاستعادة
85
86
87
88
89

Notes

[←1]

(1) في أميركا الشمالية هناك أشجار تدعى بأشجار القطن.

[←2]

(2) عقار للهلوسة.

[3←]

(3) مركب طليعي مخدر طبيعي ينتج عن أكثر من 200 نوع من الفطريات.

[4←]

(4) لقب ولاية مونتانا، بسبب مناجم الذهب والفضة.

[5←]

(5) مجموعة من الرواد الأمريكيين بقيادة جورج دونر وجيمس ف. ريد تحركت في اتجاه كاليفورنيا في قافلة من العربات التي تجرها الخيل. وبعد سلسلة من الأحداث المؤسفة والأخطاء التي أخرت سيرهم، قضوا شتاء سنة 1846/1847 محاصرين بالثلوج في جبال سييرا نيفادا وقد لجأ بعض هؤلاء إلى أكل لحوم زملائهم للبقاء على قيد الحياة

[6←]

(6) مكان يعمه الضجيج والارتباك.

[←7]

(7) وحش بحري توراتي أشير إليه في العهد القديم.

[8←]

(8)هي سيدة نبيلة عاشت في أواخر القرن الحادي عشر، وهي زوجة ليوفرك إيرل لميرسا حاكم كوفنتري، ووفقاً للأسطورة التي يعود تاريخها للقرن الثالث عشر، فإنها سيدة نبيلة امتطت حصاناً وهي عارية، وغطت بشعرها الطويل بعض الأجزاء من جسمها، وجابت شوارع كوفنتري من أجل الحصول على عفو عن الضرائب الجائرة التي فرضها زوجها على السكان (المترجم).

[9←]

(9)شخصية خيالية ظهرت للمرة الأولى في العام 1981 في رواية الإثارة التنين الأحمر للكاتب توماس هاريس. هانيبال هو طبيب نفسي لامع وقاتل متسلسل آكل للحوم البشر (المترجم).

[10←]

(10) الأم الأرض في الميثولوجيا الإغريقية. (المترجم).

[11←]

(11) جريندل. (ميثولوجيا) قتل وحشاً أو عملاقاً على يد بيوولف في القصيدة الملحمية الأنجلو ساكسونية (المترجم).